سلسلة: أفكار وأفكار (٢)

حب السادة أهل البيت

بين

(التشيع والتصوف والتطرف)

سيد سليم

دار طابا للنشر

إهـــــــداء٢٠٠٩
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

سلسلة: أفكار وأفكار (٢)

حب السادة أهل البيت
بين
التشيع والتصوف والتطرف

السيد سليم

سلسلة: **أفكار وأفكار (٢)**

الكتاب: **حب السادة أهل البيت بين التشيع والتصوف والتطرف**

المؤلف: **سيد سليم**

الناشر: **دار طابا للنشر**

القاهرة ٢٥ شارع البرامونى - متفرع من شارع
الشيخ ريحان - أمام القصر الجمهورى - عابدين
تليفون: ٣٩١٩٤٧٣ / ٠١٢٣٦٦٩٦٢٥

الطبعة: الأولى ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ١٧٣٥٤ / ٢٠٠٨

الترقيم الدولى: 2 - 33 - 6097 - 977

الإهداء

إلى سيدنا رسول الله ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

إلى جميع سادتنا أهل البيت في جميع العصور، وجميع أحبابهم

إلى شيخي وسيدي عبد الحميد الرافعي وشيخنا وسيدنا السيد عبد الباقي الحبيبي وجميع سادتي الحبيبية

إلى جميع إخواني وأحبابي في الله

إلى جميع أساتذتي وتلاميذي

إلى جميع من تناولهم هذا الكتاب، وإلى جميع القراء

أهدي هذا الكتاب

سيد سليم

هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بجميع المحامد على جميع النعم ؛ اللهم لك الحمد مثل ما حمدت به نفسك وحمدك به الحامدون ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد ؛ اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ؛ صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وصفيه من خلقه وحبيبه ؛ اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ، وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين ، وعلى آلهم وصحبهم ، وعلى جميع عبادك الصالحين . . . وبعد

فإني أحمد الله تعالى أن وفقني بأن أقدم للقراء كتابي الثاني من سلسلة : (أفكار وأفكار)

فبعد صدور الكتاب الأول : (الجماعات المتطرفة ، معايشة وحوارات) وجدتني أمام كم كبير من الأفكار والآراء التي لا بد من إعادة طرحها ومناقشتها .

فإذا كنت قد ناقشت في الكتاب الأول قضية التطرف كقضية حوارية حدثت على أرض الواقع بيني وبين المتطرفين في موضوعات متنوعة ؛ فإنني أناقش في هذا الكتاب موضوعا هاما هو : (حب السادة أهل البيت) بين : التشيع ، والتصوف ، والتطرف . من خلال الأفكار المطروحة على الساحة حول هذا الموضوع ، وهو

موضوع مثار منذ أمد بعيد إلا أنه زاد طرحه في هذه الأيام بأكثر مما كان متوقعاً وخاصة بعد هذا الانفتاح الإعلامي الرهيب. ولم يفتني التركيز على طرح موضوع التطرف من طرفي الجدل الرئيسين: متطرفي الشيعة، ومتطرفي السنة كطرفين فاعلين، بل إنهما سببان عظيمان في هذا الجدل الدائر حول حب السادة أهل البيت ـ عليهم مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام ـ فإذا كان التيار الشيعي المتطرف مغالياً في الحب لدرجة تأليه السادة، مع الانتقاص من قدر سادتنا الصحابة بل تكفير بعضهم، بالإضافة إلى سبهم، وسب بعض أمهات المؤمنين؛ فإن التيار السني المتطرف مغالٍ في الجفاء إلى درجة تجاهل السادة، والحذر من ذكرهم أو تدريس سيرهم، والخوف من إبراز حبهم، واتهام وتكفير كثرة من محبيهم وزائريهم.

وقد حاولت في هذا الكتاب ـ قدر استطاعتي ـ من خلال أبحاثي وكتاباتي وخطبي ودروسي أن أعرِّف المسلمين على شتى مشاربهم الحب الصحيح لسادتنا أهل البيت.

فهو كتاب يتناول موضوع الحب لسادتنا أهل البيت عند المتنازعين عليه، مثل: الشيعة والصوفية؛ فالشيعة هم الذين يرفعون شعار هذا الحب واقعاً ويغالون فيه كثيراً ويظنون أنهم وحدهم أصحاب هذا الحب، بينما يرى الصوفية أنهم يمثلون أهل السنة في هذا الحب وأنهم أحق وأولى من الشيعة بهذا الشعار.

كما يتناول المختلفين في هذا الحب مع هذين الطرفين، مثل: المتطرفين الذين ينفرون بمجرد ذكر حب أهل البيت؛ خوفاً من غلو الشيعة وخطورة الصوفية على عقيدتهم ويزعمون أنهم الأوحدون الممثلون لأهل السنة والجماعة.

يأتي هذا الكتاب بعد زيادة الجدل في هذه الأيام، واتساع مساحاته وتبادل

الاتهامات، والتراشق بالتكفير بين هذه الأطراف الثلاثة في شتى منابر الإعلام: من صحف، ومجلات، وفضائيات.

وقد بوبت للكتاب بخمسة مباحث:

المبحث الأول: سادتنا أهل البيت

ذكرت فيه تعريفاً عاماً بالسادة أهل البيت العترة الطاهرة والذرية المباركة أهل الكساء الخمسة، وبقية سادتنا أهل بيت من أعمام وبني عمومة النبي، وكذلك أزواج النبي - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - وأهل الولاء من الأحباب الصادقين، وما لسادتنا من منزلة وفضل وحقوق على كل مسلم، وكيفية الحب الصحيح ومنافعه في الدنيا والآخرة؛ عليهم مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام.

المبحث الثاني:

علَّقت فيه على موضوع الساعة (التشيع) ومدى سيطرة صوت الغلو فيه على صوت الاعتدال، وذكرت آراء العلماء - المؤيدين والمعارضين - لمسألة التقريب بين السنة والشيعة، وحجج وبراهين كل طرف، كما لم أنس المعتدلين من الشيعة وصحيح حبهم وصواب رأيهم.

المبحث الثالث:

تناولت فيه موضوع التصوف، وعرَّفت فيه بالتصوف الصحيح من الزائف، ونقلت عن المبحث الهام للسيد يوسف الرفاعي، الذي استفتى فيه معظم المفتين والعلماء الرسميين الذين لهم ثقلهم على مستوى العالم العربي والإسلامي والممثلين لجمهور السنة.

المبحث الرابع:

عرَّفت بالتطرف، وبيان خطره في تشتيت المسلمين وجعلهم فرق وطوائف،

واحتكار المتطرفين للعقيدة الصحيحة، وتبديعهم وتشريكم وتكفيرهم للغير، مع بيان ردود العلماء على غلوهم وتنطعهم، وما دار بيني وبينهم من حوارات مباشرة في أكثر من موقع ولقاء.

المبحث الخامس:

ذكرت فيه بعض المعارك والحوارات الهامة التي دارت بيني وبين المتطرفين في أكثر من ملتقى ومنتدى وموقع على الشبكة العنكبوتية للمعلومات (الإنترنت) حول بعض المقالات والأشعار في حب سادتنا؛ عليهم مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام.

ويسبق هذه المباحث الخمسة مدخل فيه دعوة للتلاقي بين الجميع على حب صادق، ويختمها بحث في حديث الثقلين، صادر عن دار التقريب بين السنة والشيعة في القاهرة.

وقد حاولت أن أجمع في كتابي هذا آراء العلماء السابقين والمعاصرين من خلال مراجعهم ومصادرهم المتنوعة، ولم أذكر قائمة تحوي المصادر والمراجع؛ لأني أشرت إلى ما ستفدته منها في موضعه، وفي ذلك تخفيفٌ، وعدم تكرار.

أسأل الله أن يتقبل منا صالح أعمالنا وأن يتجاوز عن سيئاتنا، وأن ينفعنا وينفع بنا، وينفع بهذا الكتاب كل من قرأه، وكل من ساهم في نشره؛ إنه هو الوهاب الولي الواجد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سيد سليم

مدخل
الاختلاف بين المدح والمذمة

التشيع والتصوف والتطرف: ثلاثة تيارات فكرية تختلف كثيراً فيما بينها، وتتفق قليلاً؛ بسبب العناصر المتطرفة المنحرفة المسيطرة من كل تيار، ولو عاد كل تيار إلى روح الإسلام السمحة؛ لكان الاتفاق شبه التام، ولا نقول التام؛ لأن الاختلاف - وخاصة في الفروع - سنةٌ فطرية، وطبيعة بشرية، وكثيراً ما تكون مساحة الاختلاف - التي أذن الله بها - رحمة للعباد، وتوسعة عليهم، وليس الاختلاف بين الفقهاء، والمتكلمين في كل فنٍ ببعيد.

فهذا اختلاف جر للخلق راحة .:. كما اختلفت في الراحتين الأصابع

وكان اختلاف الفقهاء هذا لا شبهة فيه، ولا غبار عليه إلى أن وسع أتباع كل مذهب دائرة الخلاف؛ فانتقلوا بذلك إلى التعصب المذموم، وبالغوا في ذلك أيما مبالغة، ووجدنا أسئلة، مثل: هل يجوز للحنبلي أن يتزوج بحنفية؟ وهل تصح صلاة شافعي خلف حنفي، و ...

وسرعان ما سيطر العقلاء على الأمر؛ فأصبحنا لا نسمع بمثل هذا الهذيان، والحمد لله رب العالمين.

ومن خلال المعايشة؛ يتبين لنا أنه لا يمكن لعاقلٍ أن ينكر وجود هذه التيارات الثلاثة: التشيع، والتصوف، والتطرف؛ لأن واقع الحال يشهد بوجودها وتغلغلها في المجتمع الإسلامي، ومحاولة كل تيار استقطاب الأتباع والمعاونين والأنصار.

ولقد اتسع نطاق انتشار التيار الشيعي منذ قيام الثورة الإسلامية في إيران، وزاد اتساعا في تلك الفترة بعد انتصار مقاومي حزب الله على إسرائيل، هذا النصرّ الذي شجع كثرة من شباب الأمة العربية والإسلامية على النظر بعين الحب والشعور بالعزة تجاه هؤلاء المقاومين،

كما سبق أن حدث الأمر نفسه بالنسبة للمقاومة الإسلامية في أفغانستان.

وزاد الانتشار أكثر مع مساحة الحرية التي فرضتها أمريكا على الحكام العرب والمسلمين، وهي حرية قصد من ورائها؛ إظهار العين الحمراء للحكام، وجس نبض الشعوب لا حبا في هؤلاء أو هؤلاء؛ والدليل على ما أقول أنه سرعان ما تراجعت أمريكا عن موضوع الحريات، فهي لا تبغي إلا ما فيه مصلحتها قبل كل شيء، وفوق كل شيء أيضاً.

فلنتفق على المشترك بيننا

إنني لا أطالب الشيعي أن يترك تشيعه، ولا السني أن يترك تسننه؛ إنما أطلب من الجميع أن يلتقوا على العامل المشترك الأعلى، والجامع المعصوم المتمثل في دين الله الذي رضيه لنا جميعاً ألا وهو دين الإسلام، ولنكن جميعاً تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولنرفع شعار السابقين من السلف الصالح: "نعمل فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه" وما نطالب به على وجه السرعة هو نبذ التشدد وراء ظهورنا؛ لنظهر جميعا في صورة يحترمها العالم، كما كان يفعل السابقون، ولْنكن كما قال أحدهم:

أبي الإسلام لا أب لي سواه .·. إذا فخروا بقيس أو تميم

وكما قيل كذلك:

وكلما ذكر اسم الله في بلدٍ .·. أعددت أرجاءه من لب أوطاني

إن المسلمين في أشد الحاجة إلى التوحد والترابط فيما بينهم، وهم الآن أحوج إلى ذلك من أي عهد مضى؛ حيث ظهر جلياً من عدوهم العداء وبدت لهم البغضاء من أفواههم، وما تخفي صدورهم أكبر.

إننا نرى تفنن الأعداء في التكالب على خيراتنا، والحقد على ديننا ورسولنا ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وتَجَمُّعَهم على هذا وتعصبهم؛ بسبب تفرقنا، وانشغالنا في معارك داخلية؛ فكرية كانت، أم جسدية.

ومن أعجب العجب أن نجد كثرة من الاتحادات، والأحلاف بين المختلفين في العقيدة والاتجاهات، ولا نجد ذلك فيمن يجمعهم دين واحد.

كيفية الحب الصحيح لسادتنا أهل البيت

أي حب لابد أن يعتمد على ثلاثة أركان هي: العلم، العاطفة، الاتباع.

وما لم توجد هذه الأركان، وتتكاتف فيما بينها؛ فلن يتم الحب الصحيح، وإنما يصير حباً ناقصاً أو مشوهاً أو أحمقاً؛ سرعان ما يزول، أو يضر بالمحِب والمحَب. فالعلم هو النور الكاشف لشخصية من نحب؛ فتميل العاطفة إليه؛ ويبدأ الاتباع له.

ومعلوم أن حب سادتنا أهل البيت هو أرقى أنواع الحب، وأطهرها، وأنفعها في الدارين؛ فاستوجب ذلك إلزام المرء نفسه بتلك الأركان الثلاثة.

العلم

نعم لابد من العلم بمن تحب والمعرفة بشخصه وقدره؛ فالعلم هو الركن الأهم إذ كيف نتصور أن نحب من لم نعرف، أو ما لا نعرف؟!.

إن في أول ما نزل من رسالة الإسلام دعوة عظمى إلى العلم والمعرفة حيث خاطب المولى ـ عز وجل ـ خير خلقه وأحب رسله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ بالأمر الإلهي: ﴿اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق ١ : ٥)

نعم لا بد أن أعلم الكثير عمن أحبهم: من هم؟ كيف نشئوا؟ ما منزلتهم؟

إن كثيرا من الفتيان والفتيات يعلمون عن مشاهير الكرة، والممثلين والممثلات ما لا يعلمون عن سادتنا الأطهار وسيداتنا الطاهرات.

نعم إن العلم الصحيح الذي هو باسم الله ـ عز وجل ـ والذي توفرت في طلبه النية الصادقة يورث العاطفة النبيلة التي تسمو بالإنسان العاقل وترتفع به إلى مصاف الملائكة.

العاطفة

العاطفة هي الميل القلبي نحو شيء ما ، وتشرف العاطفة بشرف من نميل إليه أو ما نميل إليه . ولا شك أن الميل القلبي نحو السادة أهل البيت من أنبل العواطف ، بل هو أنبلها . وهذا الميل القلبي نحو السادة يمثل البداية المباركة للدخول إلى حبهم فحبهم حبٌ لجدهم سيد الخلق - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - وحب سيد الخلق حبٌ لله - عز وجل - ولنا فيما أخرجه الترمذي وحسنه ، والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أحبّوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني لحبّ الله ، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي" . لنا في هذا الحديث بشارة عظيمة .

فما أسماها ، وما أكرمها من عاطفة سامية واعية !

الاتباع

الاتباع يأتي تبعاً للعنصرين السابقين لا كما يعتقد البعض بأنه العنصر الأول ؛ لأن العلم بهم يورث العاطفة نحوهم ، والعاطفة نحوهم ؛ تورث الاتباع لهم . فالعلم هو البداية وهو مفتاح المعرفة ، والعاطفة تابعة له وناتجة عنه ، ودافعة إلى تقليد المحبوب والاقتداء به ، وبالفعل إذا تعلقت العاطفة بالمحبوب ؛ ساغ بل وجب الاتباع له : يقول الله تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران ٣١) ومما نُسب للإمام الشافعي في هذا المجال :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه .·. هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته .·. إن المحب لمن يحب مطيع

في كل يوم يبتديك بنعمة .·. منه وأنت لشكر ذلك مضيع



ســـادتنا أهل البـــيت

المقصود بأهل بيت النبي

عندما يذكر أهل البيت ؛ ينصرف الذهن مباشرة إلى السادة ذرية الإمام علي من السيدة فاطمة البتول ؛ لما لهم من منزلة حبٍ عاليةٍ في قلب سيدنا رسول الله ، ولقربهم منه ، ووصاياه بهم ، وهؤلاء هم صفوة أهله ، وأهم أحبابه ـ عليهم مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام .

ودائرة أهل البيت تتسع لتشمل كثرة من الأقارب والأصهار والأحباب ، ويمكننا القول في تعريف عام لسادتنا أهل البيت : إنهم ذوو رحمه ، وأقاربه ، ونساؤه ، وأحبابه المقربون الذين فضلهم الله على بقية المؤمنين ؛ حيث جمع لهم شرفين عظيمين هما : شرف النسب ؛ فهم منه وهو منهم ، وشرف الصحبة له ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وقد طهرهم الله التطهير المطلق حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (الأحزاب ٣٣) نزلت هذه الآية ـ كما جاء في كتب التفسير والسنة الصحيحة في خمسة كانوا في بيت أم المؤمنين السيدة أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ فوضع عليهم الكساء ولفهم به وقال رافعاً يده الشريفة بالدعاء : "اللهم إن هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً" . والخمسة هم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيدنا الإمام علي وسيدتنا السيدة فاطمة وسيدانا الحسن والحسين ، وهؤلاء الخمسة هم الأهم والأولى بهذا الفضل والشرف حيث اجتمعت فيهم أقرب صلات الرحم ، وأعلى درجات القرابة والصهر ؛ فهم أهل بيت واحد (النبي وابنته وزوجها ـ صهره وابن عمه ـ وابناهما) عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم السلام ، كما أن في هذا الدعاء النبوي تفسير للآية ، وتخصيص لهؤلاء السادة بأنهم الأولى والأهم ، ولا ينفي ذلك دخول غيرهم في هذا الشرف العظيم كقولنا مثلاً : هذا ولدي حقاً ، مع وجود غيره من الأولاد وتقدير ذلك : إنه أهم أولادي . ثم الذين يلونهم من ذوي الأرحام ، والزوجات ، ثم الأحباب . وإنما ألحق أحبابهم بهم ؛ لأن من أحب قوماً ؛ حشر معهم ، كما أن مولى القوم منهم ، وهذا مما أكرم الله به الصحابيين الجليلين : سيدنا سلمان الفارسي ، حيث قال عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه

وعلى آله وصحبه وسلم: "سلمان منا أهل البيت" وسيدنا واثلة بن الأسقع.

نساء النبي من أهله

لاشك أن سيداتنا أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - من أهل بيت النبي - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - وللخروج من الخلاف حول كونهن من أهل البيت نقول إنهن قد دخلن في أهل بيت النبي بالمصاهرة لا بأصل النسب؛ لأن لكل واحدة منهن نسبها المستقل الذي يلحقها بأهلها وعشيرتها، كما أن القرآن الكريم أطلق على الزوجة في أكثر من موضع (أهل) يقول الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر، في كتابه (فضلُ أهل البيت وعلوّ مكانتهم عند أهل السُّنَّة والجماعة) "فأمَّا دخول أزواجه رضي الله عنهنَّ في آله، فيدلُّ لذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾

فإنَّ هذه الآيةَ تدلُّ على دخولِهنَّ حتماً؛ لأنَّ سياقَ الآيات قبلها وبعدها خطابٌ لهنَّ، ولا يُنافي ذلك ما جاء في صحيح مسلم (٢٤٢٤) عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: "خرج النَّبيُّ غداةً وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل من شَعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثمَّ جاء الحُسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمةُ فأدخلها، ثمَّ جاء عليٌّ فأدخله، ثمَّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؛ لأنَّ الآيةَ دالَّةٌ على دخولِهنَّ؛ لكون الخطابِ في الآيات لهنَّ، ودخولُ عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم في الآيةِ دلَّت عليه السُّنَّةُ في هذا الحديث، وتخصيصُ النَّبيِّ لهؤلاء الأربعة رضي الله عنهم في هذا الحديث لا يدلُّ على قَصْرِ أهل بيته عليهم دون القرابات الأخرى، وإنَّما يدلُّ على أنَّهم من أخصِّ أقاربه".

وللإمام ابن تيمية كتاب حققه الأستاذ عبد القادر أحمد عطا (حقوق آل البيت بين السنة

والبدعة) جاء في الصفحة العاشرة منه: "روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن أم سلمة: أن هذه الآية لما نزلت أدار النبي - صلى الله عليه وسلم - كساءه علَى علِي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم فقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا". وسنته تفسر كتاب الله وتبينه، وتدل عليه وتعبر عنه. فلما قال: "هؤلاء أهل بيتي" مع أن سياق القرآن يدل على أن الخطاب مع أزواجه، علمنا أن أزواجه وإن كن من أهل بيته كما دل عليه القرآن، فهؤلاء أحق أن يكونوا أهل بيته، لأن صلة النسب أقوى من صلة الصهر، والعرب تطلق هذا البيان للاختصاص بالكمال لا للاختصاص بأصل الحكم ..."اهـ

ومِمَّا ذكره ابن القيِّم في كتابه (جلاء الأفهام) قوله: "قال هؤلاء: وإنَّما دخل الأزواجُ في الآل وخصوصاً أزواجُ النَّبِيِّ تشبيهاً لذلك بالنَّسَب؛ لأنَّ اتِّصالَهُنَّ بالنَّبِيِّ غيرُ مرتفع، وهنَّ محرَّماتٌ على غيرِه في حياتِه وبعد مَمَاته، وهنَّ زوجاتُه في الدنيا والآخرة، فالسَّببُ الذي لهنَّ بالنَّبِيِّ قائمٌ مقامَ النَّسَب، وقد نصَّ النَّبِيُّ على الصلاة عليهنَّ، ولهذا كان القولُ الصحيح - وهو منصوص الإمام أحمد رحمه الله - أنَّ الصَّدقةَ تحرُمُ عليهنَّ؛ لأنَّها أوساخُ الناسِ، وقد صان اللهُ سبحانه ذلك الجَنَابَ الرَّفيع، وآلَه مِن كلِّ أوساخِ بَنِي آدَم.

ويا لله العجب! كيف يدخلُ أزواجُه في قوله: "اللَّهمَّ اجعل رزقَ آل محمَّد قوتاً"، وقوله في الأضحية: "اللَّهمَّ هذا عن محمد وآل محمد"، وفي قول عائشة رضي الله عنها: "ما شبع آلُ رسول الله من خُبز بُرٍّ"، وفي قول المصلِّي: "اللَّهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد"، ولا يَدخُلْنَ في قوله: "إنَّ الصَّدقة لا تَحلُّ لمحمَّد ولا لآل محمَّد"، مع كونِها من أوساخِ الناس، فأزواجُ رسولِ الله أولى بالصِّيانة عنها والبُعد منها؟!

فإن قيل: لو كانت الصَّدقةُ حراماً عليهنَّ لَحَرُمت على مواليهنَّ، كما أنَّها لَمَّا حرُمت على بَنِي هاشِم حرُمَت على مواليهم، وقد ثبت في الصحيح أنَّ بريرةَ تُصُدِّق عليها بلَحمٍ فأكلته، ولَم يُحرِّمه النَّبِيُّ، وهي مولاةٌ لعائشة رضي الله عنها.

قيل: هذا هو شبهةُ مَن أباحَها لأزواج النَّبيِّ.

وجوابُ هذه الشُّبهةِ أنَّ تحريمَ الصَّدقةِ على أزواجِ النَّبيِّ ليس بطريق الأصالةِ، وإنَّما هو تَبَعٌ لتَحريمِها عليه، وإلاَّ فالصَّدقةُ حلالٌ لهنَّ قبل اتِّصالِهنَّ به، فهنَّ فرعٌ في هذا التحريمِ، والتحريمُ على المولَى فرعُ التَّحريمِ على سيِّدِه، فلمَّا كان التَّحريمُ على بَني هاشم أصلاً استتبَع ذلك مواليهم، ولمَّا كان التَّحريمُ على أزواجِ النَّبيِّ تَبعاً لَم يَقْوَ ذلك على استتْبَاعِ مواليهنَّ؛ لأنَّه فرعٌ عن فرعٍ.

قالوا: وقد قال الله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾وساق الآيات إلى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾، ثم قال: ﴿فدخَلْنَ في أهل البيت﴾؛ لأنَّ هذا الخطابَ كلَّه في سياق ذِكرِهنَّ، فلا يجوز إخراجُهنَّ مِن شيءٍ منه، والله أعلم".

معايشتهم طهرٌ وشرفٌ

إن الكتابة عن سادتنا أهل البيت نوعٌ من الطهارة الروحية، والفكرية، والعاطفية؛ لأنهم أطهر الخلق، ومن يقترب منهم؛ مصاحبةً، أو دراسة، أو بحثاً، أو نشراً؛ ينل نصيباً من هذا الطهر لا شك، وكما قال أحد المحبين:

طهرتم فطُهِرنا بفضل طهوركم .·. وطبتم فمن أنفاس طيبكم طبنا

ورثنا عن الآباء حب ولائكم .·. وإنـا إذا متنا نـورِّثه الابنـا

إن الغوص في التراث النوراني الأطهر لسادتنا، والمعايشة لمواقفهم البطولية، ومحاسنهم السلوكية؛ يعود على الباحث بالخير الكثير؛ والإنسان متأثر بمن يعايش، والمرء على دين خليله، وفي الآخرة يحشر المرء مع من أحب.

إن مخالطة الأحياء من السادة، أو التعرف على سِيَر الذين انتقلوا إلى الدار الآخرة، أو البحث عن رفيع مناقبهم، وجليل أفعالهم، وعظيم أوصافهم، إن كل ذلك معاشرةٌ، ومعايشة

لهؤلاء الأطهار؛ فليست المعايشة بلقاء الأشباح فحسب:

من عاشر الأشراف عاش مشرفاً .'. ومعاشر الأنذال غير مشرف

أو ما ترى الجلد الخسيس مقبلاً .'. بالثغر لما صار جلد المصحف

ولنعلم أنه من توفيق الله بمكان؛ أن نكون من أحبابهم، ودعوى الحب يمكن أن يدعيها أي أحد؛ فأين الدليل؟! إن من علامات الحب؛ أن تنشغل بمن تحب؛ فتبحث عن أوصافه، وتنقب عن مناقبه، وتغوص في معالم بحاره؛ لترتوي من طهره، وتتحلى من درره، وتسير على سيره.

ما أجمل أن نكون على صلةٍ بهؤلاء السادة وبأي نوعٍ من الصلات الفكرية والروحية والبحثية!. إن تلك الصلة تورث العاطفة السامية، والعاطفة؛ تورث الاقتداء، والاقتداء؛ يورث المشاركة في الأجر، والمشاركة في الأجر؛ تورث الجمع بهم يوم القيامة؛ فالمرء يحشر مع من أحب، وكما ذكر لنا أخونا وأستاذنا الكاتب الصحفي محمد عبد الشافي القوصي: "انظر مع من تعيش".

حبهم نعمة؛ تستوجب الشكر

إن حب سادتنا أهل البيت؛ نعمة من أجَلِّ النعم، ومنحة من أعظم المنح، وعطية من أكبر العطايا، فالواجب على من فاز بهذا الحب الأكبر؛ أن يكثر من شكر الله أن وفقه، وجعله مستجيباً، ومتصفاً بما أخرجه الترمذي وحسنه، والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحبّوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحبّ الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي".

نعم إن مودتهم رحمة، ومعرفة حقهم نجاة؛ فقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم والطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، لما نزلت هذه الآية: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ قالوا: يا رسول الله، من قرابتك

هؤلاء الذين وجبت مودتهم؟ قال صلى الله عليه وسلم: "علي، وفاطمة، وولداهما"

وأخرج ابن أبي حاتم ,عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ومن يقترف حسنة﴾ قال: المودة لآل محمد صلى الله عليه وسلم" اهـ.

وأخرج أحمد، والترمذي وصححه، والنسائي، والحاكم عن المطلب بن ربيعة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والله لا يدخل قلبَ امرئٍ مسلم إيمانٌ، حتى يحبكم لله ولقرابتي"

أليست كل هذه العطايا من أكبر النعم على المحبين؟! نسألك يا الله يا رحمن يا سميع يا قريب يا مجيب يا ودود أن تجعلنا من أحبابهم، وتجمعنا بهم في الدارين؛ عليهم مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام.

ومن توفيق الله للباحثين؛ انشغالهم بسيرة هؤلاء السادة، وتعريف الناس بروائع مواقفهم، ونشر تراثهم، وما أجمل ما روي عن الإمام الصادق: "رحم الله عبداً استجر مودة الناس إلى نفسه وإلينا"، وقوله: "حببونا إلى الناس ولا تبغّضونا إليهم".

حبهم من أفضل المبشرات

واضح للجميع أن من أحب قوما حشر معهم، وأحب أن أسوق إلى الباحثين المظهرين تراث سادتنا، المتحدثين إلى الناس بفضلهم في دروسهم وخطبهم وكتاباتهم، أسوق إليهم بشاراتٍ عظيمةً، فهذا سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ يأمرنا بحب السادة، ويبشرنا بالنتيجة السعيدة لهذا الحب؛ فقد أخرج الطبراني في الأوسط عن الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عملٌ عمله إلا بمعرفته حقنا".

ولننظر إلى تلك البشرى، إنها دعوة إمام طاهر بالرحمة، وفي دعاء هذا الإمام بشرى لمن

انشغل بالسادة، إنها نفحة من سيدي جعفر الصادق حين دعا لكل محبٍ ناشر لحبهم بين الناس: "رحم الله امرأً أحيا أمرنا فقيل: وما إحياء أمركم يا بن رسول الله؟ فقال: "تذكرونه عند أهل العلم والدين واللُب".

وله رضي الله عنه قوله: "لا تجد ولياً لنا تزل قدماه جميعا؛ ولكن إذا زلت به قدم؛ اعتمد على الأخرى حتى ترجع التي زلت"

ولسيدي حفيده الإمام علي بن موسى الرضا بشرى تشبه البشرى السابقة لجده الصادق تمثلت في دعائه قائلاً: "رحم الله عبداً أحيا أمرنا. فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا..."

إنهم سفن النجاة

الحياة الدنيا كالبحر، وما فيها من فتنٍ، وهمومٍ، ومصاعب كالطوفان، ونحن نعيش ذلك كله. فمن لم يدخل سفن النجاة؛ جرفه تيار البحر؛ فأغرقه، أو ضربه الطوفان؛ فأهلكه. فهنيئاً لعبد التجأ إلى سفن النجاة، مبحراً باسم الله تعالى؛ ليرسوَ بسلام من الله وبركات إلى شاطئ الأمان.

ولسيدي الإمام الحافظ المحدث جلال الدين السيوطي -رحمه الله تعالى- كتاب أسماه: (إحياء الميت بفضائل أهل البيت) جمع فيه ستين حديثاً في فضائل سادتنا أهل البيت - عليهم مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام -وقد استفدت من هذا الكتاب كثيراً، وهذه ثلاثة أحاديث منه بروايات متقاربة تنص على أنهم سفن النجاة: "أخرج البزار عن عبد الله بن الزبيَر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل أهل بيتي، مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تركها غرق".

وكذلك روى الحديث نفسه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وأخرج الطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول: "مثل أهل بيتي فيكم، كمثل سفينة نوح في قوم نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك ومثل حطة بني إسرائيل"

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق".

ومما قلته شعراً في هذا المجال:

أما والذي قد أذهب الرجس عنكمو .·. وطهركم بين الورى تطهيرا

وأيدكم بالحلم والعلم والتقى .·. وقال جزيتم جنة وحريرا

لئن جاءكم أعمى البصيرة لائذا .·. بحب لكم في التو عاد بصيرا

فأنتم أمان كالنجوم لسائرٍ .·. وأنواركم تكسو الحياة سرورا

وأنتم نجاة كالسفينة لعابر .·. إذا ماج طوفان الحياة هديرا

إن سفينة سادتنا أهل البيت تسير وتسري بمن فيها من الأحباب إلى حيث حوض جدهم والفردوس الأعلى؛ فقد بشر ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ في حديث الثقلين بأنهما (كتاب الله وأهل البيت) لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، فمن تمسك بالقرآن الكريم وبهم؛ فهو من الواردين معهما. فقد أخرج أحمد وأبو يعلى، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنيِ أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي. وإن اللطيف الخبير خبرني، أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما" ومما قلته معبراً عن هذا:

ما حبكم ألا سفينتنا التي .·. تسري إلى الفردوس في أنواركم

ما حبكم إلا سبيل نجاتنا .·. نمشي به في الناس تحت شعاركم

من حقوقهم علينا

إن لسادتنا أهل البيت حقوقا عظمى على كل مؤمن، ومن باب الوفاء ولو بجزء بسيط من أبسط حقوقهم؛ أن نقدم للناس شيئاً عنهم، وما نقدمه؛ سنجد - بفضل الله تعالى - الأفضل منه جزاءً، والأكثر عطاءً؛ حيث المكافأة تكون من جدهم سيد الخلق - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - وهل هناك أكبر من تلك المكافأة؟! أخرج ابن عساكر عن علي قال: قال رسول الله: "من صنع إلى أحدٍ من أهل بيتي يداً، كافأته يوم القيامة"

إن تعظيم حرمتهم، ونشر فضائلهم، والرد على مبغضيهم أو المغالين فيهم؛ يورث الجزاء من الله عز وجل في الدارين. أخرج الحاكم في "تاريخه"، والديلمي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله: " ثلاث من حفظهن؛ حفظ الله له دينه ودنياه، ومن ضيّعهن؛ لم يحفظ الله له شيئاً: حُرمة الإسلام، وحُرمتي، وحُرمة رحِمي".

وقد وعي سادتنا الصحابة الأوائل - رضي الله عنهم - تلك المعاني الظليلة المثمرة، وقد وجدت شيئاً من هذه الموارد العذبة الرقراقة مما ورد عن سادتنا الصحابة في حقوق سادتنا أهل البيت ورواه كبار المحدثين:

فهذا سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

روى البخاري في صحيحه (٣٧١٢) أنَّ أبا بكر رضي الله عنه قال لعليٍّ - رضي الله عنه: "والذي نفسي بيدِه لَقرابةُ رسول الله أحبُّ إليَّ أنْ أَصِلَ من قرابَتِي".

وروى البخاريُّ في صحيحه أيضاً (٣٧١٣) عن ابن عمر، عن أبي بكر رضي الله عنه قال: "ارقُبُوا محمداً في أهل بيته".

قال الحافظ ابن حجر في شرحه: "يخاطِبُ بذلك الناسَ ويوصيهم به، والمراقبةُ للشيء: المحافظةُ عليه، يقول: احفظوه فيهم، فلا تؤذوهم ولا تُسيئوا إليهم".

وفي صحيح البخاري (٣٥٤٢) عن عُقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: "صلَّى أبو بكر

رضي الله عنه العصرَ، ثم خرج يَمشي، فرأى الحسنَ يلعبُ مع الصِّبيان، فحمله على عاتقه، وقال:

بأبي شبيهٌ بالنبي ∴ لا شبيهٌ بعلي

وعليٌّ يضحك".

قال الحافظ في شرحه: "قوله: (بأبي): فيه حذفٌ تقديره أفديه بأبي"، وقال أيضاً: "وفي الحديث فضلُ أبي بكر ومَحبَّتُه لقرابةِ النَّبي"

سيدنا عمر بن الخطاب، وسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنهما:

روى البخاري في صحيحه (١٠١٠)، و(٣٧١٠) عن أنس رضي الله عنه: "أنَّ عمر بن الخطاب كان إذا قُحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: "اللَّهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّل إليك بنبيِّنا؛ فتسقينا، وإنَّا نتوسَّلُ إليك بعمِّ نبيِّنا فاسقِنا، قال: فيُسقَوْن".

ولننظر في معالم هذا الحديث: "كلُّ سبب ونَسب منقطعٌ يوم القيامة إلاَّ سبَبي ونسبي"، وأنَّ هذا هو الذي دفع سيدنا عمر رضي الله عنه إلى خِطبة أمِّ كلثوم بنت عليٍّ، وقد ذكر الألباني في السلسلة الصحيحة تحت (رقم: ٢٠٣٦) طرقَ هذا الحديث عن عمر رضي الله عنه.

وسبق أن قلت في أحد دروسي - في الرد على من يتهمون سادتنا كبار الصحابة - إن من المعلوم واقعاً وعقلاً أنَّ الخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله عنهم هم من أهل بيت النبي عن طريق المصاهرة فهم أصهارٌ لرسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما حصل لهما مزيد الشَّرف بزواج النَّبيِّ من بنتيهما: عائشة وحفصة، وعثمان وعلي رضي الله عنهما حصل لهما مزيد الشَّرَف بزواجهما من بنات رسول الله؛ فقد تزوَّج عثمان رضي الله عنه السيدة رُقيَّة، وبعد موتها تزوَّج أختَها السيدة أمَّ كلثوم؛ ولهذا يُقال له: (ذو النُّورين) وتزوَّج عليٌّ رضي الله عنه السيدة فاطمةَ سيدة نساء العالمين

رضي الله عنها.

وفي سير أعلام النبلاء للذهبي وتهذيب التهذيب لابن حجر في ترجمة العبَّاس: "كان العبَّاسُ إذا مرَّ بعمر أو بعثمان، وهما راكبان، نزلاً حتى يُجاوِزهما إجلالاً لعمِّ رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم".

ذرية باقية، ونسل لا ينقطع

إن نسب سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - لا ينقطع أبدا، وذريته باقيةٌ إلى قبيل قيام الساعة عندما يرسل الله الريح اللينة التي تقبض أرواح المؤمنين جميعا وسادة وقادة المؤمنين في هذا الوقت هم سادتنا أهل البيت؛ لتقوم القيامة على شرار الخلق.

نعم إن نسب سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - موصول في الدنيا والآخرة، فهو موصول في الدنيا ببقاء العترة الطاهرة والذرية المباركة في كل أرجاء الدنيا؛ فالسادة الأشراف موجودون ولهم سلاسل أنسابهم ومُشَجَّراتهم في جميع البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، وهذا معروف واقعاً وتاريخاً. ونسبهم موصول في الآخرة حيث يلحقون بجدهم - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - في يومٍ تتباعد فيه الأنساب، وتنقطع فيه الصلات، في يومٍ؛ يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، في يومٍ؛ تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت. ومن البركة تكرار الحديث: "كلُّ سبب ونَسبٍ منقطعٌ يوم القيامة إلاَّ سبَبِي ونسبِي"، وأنَّ هذا هو الذي دفع سيدنا عمر رضي الله عنه إلى خِطبَة أمِّ كلثوم بنت عليٍّ، وقد ذكر الألباني في السلسلة الصحيحة تحت (رقم: ٢٠٣٦) طرقَ هذا الحديث عن عمر رضي الله عنه.

نعم إن بقاء السادة مستمر ونسبهم موصول مثل كتاب الله عز وجل؛ فهم صنو الكتاب العزيز، وهم باقون ببقائه، ولن يفترقوا عنه؛ لما ورد في حديث الثقلين "إني تارك فيكم

خليفتين كتاب الله، حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة". اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

حبهم فرض وودهم قربى

ولكل ما سبق؛ وجب على جميع المؤمنين حب أهل البيت والتودد إليهم، وهذا شعار جميع عباد الله الصالحين. وفي كتابي: (مع الصالحين) وهو تحت الطبع، ذكرت أن من أوصاف هؤلاء الصالحين ما جاء تحت هذا العنوان التالي: (إنهم أكثر الناس حباً للنبي وأهل بيته؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم) فقلت:

"ما من أحد من سادتنا الأولياء إلا وتجده موسوماً بحب سادتنا أهل بيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبة وسلم؛ لأنهم يعلمون أن حبهم لأهل البيت؛ حبٌ لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، و حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ حبٌ لله عز وجل. روى الإمام الترمذي بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أحبوا الله لما يغذوكم به وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي".

ونظراً لأن سادتنا الأولياء أهل معرفة وقرب؛ فإنهم يدركون معنى ما أمر الله به من مودة سادتنا أهل البيت الوارد في قوله سبحانه وتعالي: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (الشوري ٢٣)

قرأها الإمام الحسن بن علي - رضي الله عنهما - فقال: "اقتراف الحسنه هي مودتنا - آل رسول الله" صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وقرأها الإمام ابن عربي فقال:

أرى حب أهل البيت عندي فريضةً .·. على رغم أهل البعد يورثني القربى

فما طلب المبعوث أجراً على الهدى .·. بتبليغه إلا المودة في القربى

ومما أخرجه الطبراني أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَ إليه من نفسه وتكون عترتي أحب إليه من عترته وأهلي أحب إليه من أهله وذاتي أحب إلية من ذاته" ، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً ﴾ قال : "المودة لآل محمد" .

ومما قاله الإمام الشعراوي ـ رحمه الله ورضي عنه ـ في آية المودة من سورة الشورى : "نفترض أن المقصود : (ودوا أقاربكم) ونظراً لأن النبي ـ صلى الله عليه وآلة وصحبة وسلم ـ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؛ فتكون قرابته أحب إلينا من قرابتنا" . إن هؤلاء الأولياء يعلمون شيئاً من قدر النبي وأهل بيته ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ ويعلمون أننا في أهم ركن وأعظم فريضة (الصلاة) لا بد أن نصلى على النبي وآله الكرام . وقد نسب للإمام الشافعي قوله :

يا آل بيت رسول الله حبكم .·. فرض من الله في القرآن أنزلة

كفاكم من عظيم الفخر أنكم .·. من لم يصل عليكم لا صلاة له

نعم إن جميع أولياء الله يهيمون شوقاً ، ويذوبون حباً في سادتنا أهل البيت . لذلك إذا ذكر رسول الله ـ صلى الله عيه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وآل بيته الكرام ؛ تفرح قلوبهم ، وتطرب آذانهم ، وتهتز أبدانهم ، وتسمو أرواحهم ؛ تسابقاً وسعياً إلى تلك الرحاب الطاهرة والمعاني السامية ، كما أن العلماء المحسوبين على سادتنا أهل البيت ؛ هم أكثر العلماء قبولاً لدى الخلق ، يقول سيدي الشيخ على النوبي : "العالم لا يثمر علمه إلا إذا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته" .

إنهم يدركون معنى التطهير المطلق الذي أراده الله للنبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وأهل بيته الكرام وذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (الاحزاب ٣٣)

ومما قلته شعراً في هذا المجال :

هم الطهارة في أسمى مراتبهـــا .·. وفي الكتاب أتى إطلاق طهرهم

فـهـذه سـورة الأحـزاب ناطقـة .·. إرادة الله فـوق الشك والتـهـم

وأوجـبت آية الشـورى مـودتهم .·. قـربى النبي لنا أولى من الرحم

إنهم يعلمون أن آية سورة الأحزاب قد نزلت في خمسة كما عند جمهور المفسرين ـ رضي الله عنهم ـ نزلت في سيد الخلق وهو أصل أهل البيت، وفي ابنته سيدتنا الزهراء، وزوجها سيدنا الإمام علي وابنيهما، سيدنا الإمام الحسن، وسيدنا الإمام الحسين ـ صلوات الله وسلامه عليهم جميعا ـ وقد جمع أحدهم سادتنا الخمسة شعراً فقال :

لي خـمـسـة أرجـو بهـم .·. دفـع الوبـاء الحـاطمـة

المصـطفـى والمرتـضـى .·. وابنـاهمـا وفـاطمـة

إنهم يعلمون أنه ما من متحدث، أو واعظ، أو معلم؛ إلا ويبدأ بحمد الله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وأهل البيت، وكذلك يختم حديثة قائلاً : (وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم) . قال الشاعر الفرزدق مشيراً إلى ذلك الفضل :

مـقـدم بعـد ذكـر الله ذكـرهم .·. في كـل بدء ومـخـتـوم به الكلم

إن عـد أهل التـقى كـانوا أئمتـهم .·. أو قـيل من خـيـر أهل الأرض قـيل هم

نعم إن الحديث عن سادتنا الأطهار طهارة، والاقتراب منهم رحمة، وزيارتهم بركة، والأخذ عنهم حكمة، والتوفيق لمحبتهم من أكرم وأكبر النعم. ومما قيل :

طهـرتم فطهـرنا بفـضل طهـوركم .·. وطبـتم فـمن أنفـاس طيبكم طبنا

ورثـنـا عـن الآبـاء حب ولائـكـم .·. وإنـا إذا مــتـنـا نـورثـه الابنـا

ومما قاله سيدي الإمام المُلهَم الشيخ علي عقل ـ رحمه وأكرمه الله ـ في حبه لسادتنا أهل البيت وعدم الالتفات للمنكرين أو المعترضين:

ومهما أُلام على حبهم .·. فلست الفتى خائف اللائمة

فروحي على بابهم ترتمي .·. ونفسي بأعتابهم خادمة

فيا عاذلي ثم يا عاذري .·. سواء رضاك أو اللائمة

فقل ما تشاء وكن من تشاء .·. فإني أحب بني فاطمة

ومما قاله كذلك سيدي السيد الشريف محمد زكي إبراهيم أكرمه الله:

بنفسي آل طه من حباهم .·. إلهي في الحياة وفي الممات

فلولا أنهم خير البرايا .·. لما صلي عليهم في الصلاة

أليس همو وإن قصرت أهلي .·. وآبائي الكرام وأمهاتي

أحبهم وأفنى في هواهم .·. ولا أخشى الذين أو اللواتي

ومن مظاهر حب أولياء الله لأهل البيت ؛ أنهم يقتدون بهم، ويكثرون من ذكر سيرهم العطرة، ويحرصون على زيارتهم. إنهم يعلمون أن زيارة المقابر بصفة عامة مستحبة، وتكون الزيارة لأهل البيت أكثر استحباباً ؛ لأن الزائر لهم إنما يزور أبعاضاً لسيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ إنه يزور رياضاً من رياض الجنة. وإن من علامات الحب أن تزور من أحببت، والمرء يحشر مع من أحب. نسأل الله أن يجمعنا بهم وبجدهم في الدنيا والآخرة. أنه سميع قريب مجيب".

علماء أهل السنة في رحاب السادة:

١ـ العلامة المؤرخ الفقيه تقي الدين أحمد بن علي المقريزي

قرأت للعلامة المؤرخ الفقيه تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (٧٦٦ ـ ٨٤٥ هـ) كتاباً عن حب سادتنا أهل البيت اسمه (فضل آل البيت) تحقيق وتعليق الدكتور محمد أحمد عاشور، وهو كتاب صغير في حجمه إلا أنه كبير فيما أورده من أبحاث. ومن هذه الأبحاث بحث للإمام الشيخ محيي الدين بن عربي ـ رحمه الله تعالى ـ وقد جاء في مقدمة

المقريزي قوله: "الحمد لله حق حمده؛ وصلى الله على محمد رسوله وعبده، وآله وصحبه، وأتباعه وجنده.

وبعد، فإني لما رأيت أكثر الناس في حق آل البيت مقصرين، وعما لهم من الحق معرضين، ولمقدارهم مضيعين، وبمكانتهم من الله تعالى جاهلين، أحببت أن أقيد في ذلك نبذة تدل على عظيم مقدارهم، وترشد المتقي لله تعالى على جليل أقدارهم؛ ليقف عند حده، ويصدق بما وعدهم الله ومن به عليهم من صادق وعده.

والله سبحانه أسأل الهداية، وأعوذ به من الضلال والغواية إنه قريب مجيب. ثم يبدأ المقريزي في التعليق على آية التطهير، وما دار حولها من معانٍ لغوية، وتفسير:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾

قال الأستاذ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده رحمه الله: الرجس: القذر. قال ابن دريد: رجل مرجوس ورجس: نجس وأحسبهم قد قالوا: رجس نجس، وهي الرجاسة والنجاسة، والرجس: العذاب، كالرجز، ورجس الشيطان: وسوسته.

وقال الأمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، رحمه الله: "يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ ﴾ أي السوء، والفحشاء يا أهل بيت محمد، ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيرا.

وذكر بسنده عن سعيد عن قتادة قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء، وخصهم برحمته منه.

وعن ابن وهب قال نقلا عن ابن زيد قال: الرجس ها هنا الشيطان، وسوى ذلك من الرجس: الشرك.

واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله: (أهل البيت) فقال بعضهم: عني به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، رضي الله عنهم، ثم ذكر

الطبري من حديث مندل عن الأعمش عن عطية، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (١ : ١٢٩) نزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ وفي علي، وحسن، وحسين، وفاطمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾

ومن حديث زكريا عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة رضي الله عنها: خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم غداة، وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن، فأدخله معه، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾

ومن حديث حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمر ببيت فاطمة عليها السلام ستة أشهر كلما خرج إلى الصلاة فيقول: "الصلاة أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾

ومن حديث زيد، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة رضي الله عنها. قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم عندي، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، فجعلت لهم خزيرة فأكلوا، وناموا، وغطى عليهم كساء أو قطيفة. ثم قال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا". (الخزيرة، والخزير: اللحم يؤخذ فيقطع قطعاً صغيرة ثم يطبخ ويذر عليه الدقيق، ولا تكون الخزيرة إلا وفيها لحم، فإذا لم يكن فيها لحم فهي العصيدة. انظر اللسان مادة: خزر).

ومن حديث يونس بن أبي اسحاق قال: أخبرني أبو داود، عن أبي الحمراء قال: رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة رضي الله عنهما فقال: الصلاةَ الصلاةَ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾

ومن حديث أبي نعيم الفضل بن دكين قال : حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن كلثوم المحاربي عن أبي عمار قال : إني لجالس عند واثلة بن الأسقع إذ ذكروا عليا ، رضي الله عنه فشتموه ، فلما قاموا قال : اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموه ؛ إني عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه علي ، وفاطمة ، وحسن ، وحسين ، فألقى عليهم كساء له ، ثم قال : "اللهم هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا" . قلت يا رسول الله : وأنا ؟ قال : "وأنت" . قال : فو الله إنها لمن أوثق عمل عندي .

ومن حديث الوليد بن مسلم قال حدثنا ابن عمرو قال : حدثني شداد أبو عمار قال : سمعت واثلة بن الأسقع يحدث قال : سألت عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه في منزله ؟ فقالت فاطمة ، رضي الله عنها : قد ذهب يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ جاء ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفراش ، وأجلس فاطمة عن يمينه وعلياً عن يساره ، وحسناً ، وحسيناً ، رضوان الله عليهما ، بين يديه ، فلفع عليهم بثوبه ، وقال :﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ اللهم هؤلاء أهلي ، اللهم أهلي أحق" قال واثلة : فقلت مِنْ ناحية البيت : وأنا يا رسول الله من أهلك ؟ قال : "وأنت من أهلي" . قال واثلة : إنها لمن أرجى ما أرتجي .

ومن حديث وكيع ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري عن أم سلمة ، رضي الله عنها ، قالت : لما نزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ، وفاطمة ، وحسناً ، وحسيناً فجلل عليهم بكساء خيبري ، وقال : "اللهم هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا" قالت أم سلمة : ألست منهم؟ قال : "أنت إلى خير" .

ومن حديث سعيد بن زربي ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن أم

سلمة رضي الله عنها، قالت: جاءت فاطمة، رضي الله عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق، فوضعتها بين يديه، فقال: أين ابن عمك، وابناك؟ فقالت: في البيت. فقال: ادعيهم فجاءت علياً فقالت: أجب النبي صلى الله عليه وسلم أنت وابناك. قالت أم سلمة: فلما رآهم مقبلين مد يده إلى كساء كان على المنامة، فمده، وبسطه، فأجلسهم عليه، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رؤوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه تعالى ذكره ثم قال: "اللهم هؤلاء أهل البيت، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا".

ومن حديث ابن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أن هذه الآية نزلت في بيتها: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ قالت: وأنا جالسة على باب البيت، فقلت: أنا يا رسول الله ألست من أهل

البيت؟ قال: "إنك إلى خير، أنت من أزواج النبي". قالت: وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة، والحسن والحسين رضي الله عنهم.

ومن حديث هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عن عبد الله بن وهب ابن زمعة قال: أخبرتني أم سلمة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع وفاطمة، والحسن، والحسين، رضي الله عنهم، ثم أدخلهم تحت ثوبه، ثم جأر إلى الله تعالى وقال: "هؤلاء أهل بيتي. فقالت أم سلمة: يا رسول الله أدخلني معهم، قال: إنك من أهلي".

ومن حديث. محمد بن سليمان بن الأصبهاني، عن يحيى بن عبيد المكي عن عطاء بن أبي رباح عن عمر بن أبي سلمة (ربيب النبي صلى الله عليه وسلم) قال: نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في بيت أم سلمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فدعا حسنا، وحسينا، وفاطمة فأجلسهم بين يديه، ودعا عليا

فأجلسه خلفه، فتجلل هو وهم بالكساء، ثم قال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا". قالت أم سلمة: أنا معهم؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير".

ومن طريق السدي، عن ديلم قال: قال: علي بن الحسين، رحمه الله، لرجل من أهل الشام: أما قرأت في الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾؟ قال: ولأنتم هم!! قال: نعم.

ومن حديث بكير بن أسماء قال: سمعت عامر بن سعد قال: قال سعد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحي، فأخذ عليا، وابنيه، وفاطمة، فأدخلهم تحت ثوبه، ثم قال: "رب هؤلاء أهلي وأهل بيتي".

ومن حديث عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن حكيم بن سعد قال: ذكرنا علي بن أبي طالب عند أم سلمة رضي الله عنها فقالت: في بيتي نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾

٢. ابن عربي وفضل أهل البيت

اختلف العلماء حول شخصية الإمام محيي الدين بن عربي ما بين متهم له ومبرئٍ لساحته؛ فجاءت كتاباتهم بين القدح والمدح، فالإمام البقاعي يتهمه بالكفر صراحة ويؤلف كتاباً في ذلك اسمه: (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي) بينما الإمام السيوطي يرد عليه بكتاب: (تنبيه الغبي إلى تبرئة ابن عربي) وعلى الباحث أن ينظر إلى وجهة نظر الفريقين مع ترجيح ما يراه، وبصفة عامة فإن العلماء لا زالوا يختلفون حول الأشخاص وغيرهم، ويعنينا في المقام الأول رأي وفكر الشخص، ولندع عقيدته لله رب العالمين؛ فهو الأعلم بالسرائر، وممن أقر فكر ابن عربي الفقيه المؤرخ المقريزي؛ فقد نقل عنه، واستفاد من

كتاباته. وكتابات ابن عربي هي نتاج فكر بشري اجتهد فيها من خلال النصوص، واستنبط منها ما رآه، ففكره ليس محروساً بالعصمة؛ فهو قابل للأخذ والرد، وابن عربي يقول في مبحثه الذي نحن بصدده (أهل البيت ومواليهم) يثبت أنه قد اطلع على شيءٍ من أسرار مكانة سادتنا أهل البيت؛ فيقول: " فاعلم أن أسرارهم، التي أطْلَعنا الله عليها، تجهلها العامّة، بل أكثر الخاصَّة" . وقد قدمت العلامة المؤرخ المقريزي؛ لأنه نقل عن الإمام ابن عربي في كتابه المشار إليه، ومن أجمل ما نقله، ما جاء في الفتوحات المكية للإمام محيي الدين بن عربي (ت٦٣٨هـ) ج٢٢٩ :٣ ـ ٢٤٢ تحت هذا العنوان:

أهل البيت ومواليهم

ولَمّا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عبداً محضاً قد طَهَّره الله وأهل بيته تطهيراً، وأذهب عنهم الرجس، ـ وهو كلّ ما يَشينُهُم ـ فإنّ (الرجس) هو القَذَر عند العرب، هكذا حكى الفَرّاء. قال تعالى: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فلا يضاف إليهم إلاّ مُطَهَّرٌ ولابُدَّ، فإن المضاف إليهم (بهم) هو الذي يُشْبِهُهم، فما يُضيفون لأنفسهم إلاّ مَن له حُكم الطهارة والتقديس.

فهذه شهادة من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لسلمان الفارسيّ بالطهارة والحفظ الإلهي والعصمة، حيث قال فيه رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: "سَلْمانُ مِنَّا ـ أَهْلَ الْبَيْتِ" . وشهد الله لهم بالتطهير وذهاب الرجس عنهم. وإذا كان لا ينضاف إليهم إلاّ مُطَهَّر مُقَدَّس ـ وحصلت له العناية الإلهية بمجرد الإضافة ـ فما ظنّك بأهل البيت في نفوسهم؟! فهم الْمُطَهَّرُون، بل هم عين الطهارة.

فهذه الآية تدل على أن الله قد شَرَّك أهل البيت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ وأيُّ وَسَخ وقَذر أقذر من الذنوب وأوسخ؟! فَطَهَّر الله سبحانه نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بالمغفرة. فما هو ذنب، بالنسبة

إلينا، لو وقع منه صلّى الله عليه وآله وسلّم لكان ذنباً في الصورة، لا في المعنى. لأنَّ الذمَّ لا يلحق به، على ذلك، لا من الله ولا منّا شرعاً. فلو كان حكمه حكم الذنب، لصحبه ما يصحب الذنب من المذمّة، ولم يَصدُق قوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

فدخل (الشُّرَفَاء) أولادُ فاطمة كلُّهم - ومَن هو من (أهل البيت)، مثل سلمان الفارسي - إلى يوم القيامة، في حكْم هذه الآية من الغفران. فهم المُطَهَّرون اختصاصاً من الله، وعنايةً بهم، لشرف محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وعنايةِ الله به. ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلاَّ في الدار الآخرة؛ فإنهم يحشرون مغفوراً لهم. وأمّا في الدنيا، فمَن أتى منهم حدّاً أُقيم عليه، كالتائب إذا بلَغَ الحاكِمَ أمرُهُ - وقد زنى أو سرق أو شرب - أُقيم عليه الحَدُّ، مع تحقق المغفرة. كمَاعِز وأمثاله. ولا يجوز ذمُّه.

أهل البيت: جميع ما يصدر منهم قد عفا الله عنه

وينبغي لكل مسلم، مؤمن بالله وبما أنزله، أن يُصَدِّق اللهَ تعالى في قوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فيعتقد في جميع ما يصدر من أهل البيت، أنَّ الله قد عفا عنهم فيه، فلا ينبغي لمسلم أن يُلْحِق المذمّة بهم، ولا ما يشنأ أعراض مَن قد شهد الله بتطهيره وذهاب الرجس عنه. لا بعمل عملوه، ولا بخير قَدَّموه. بل سابق عناية من الله بهم، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

وإذا صَحَّ الخبر الوارد في سلمان الفارسي، فله هذه الدرجة، فإنه لو كان سلمان على أمر يشنؤه ظاهر الشرع، وتلحق المذمّة بعمله؛ لكان مضافاً إلى أهل البيت من لم يَذْهب عنه الرجس؛ فيكون لأهل البيت، من ذلك، بقدر ما أُضيف إليهم. وهم المُطَهَّرُون بالنص. فسلمان منهم بلا شك. فأرجو أن يكون عقب عليٍّ وسلمان تلحقهم هذه العناية، كما لحقت

أولاد الحسن والحسين وعقبهم، وموالي أهل البيت. فإن رحمة الله واسعة.

أهل البيت أقطاب العالم

يا وليُّ! وإذا كانت منزلة مخلوق، عند الله، بهذه المثابة: أن يَشْرُفَ المضاف إليهم بشرفهم - وشرفهم ليس لأنفسهم، وإنما الله تعالى هو الذي اجتباهم وكساهم حُلَّة الشرف، كيف - يا وليّ - بمن أُضيف إلى من له الحمد والمجد والشرف لنفسه وذاته؟! فهو المجيد سبحانه وتعالى. فالمضاف إليه من عباده، الذين هم عباده. وهم الذين لا سلطان لمخلوق عليهم في الآخرة. قال تعالى لإبليس: ﴿إنَّ عِبَادِي {فأضافهم إليه} لَيسَ لَكَ عَلَيهِمْ سلْطَانٌ﴾ وما تجد في القرآن عباداً مضافين إليه سبحانه إلاَّ السعداء خاصَّةً. وجاء اللفظ، في غيرهم، بـ(العباد). فما ظنّك بالمعصومين، المحفوظين منهم، القائمين بحدود سيدهم، الواقفين عند مراسمه؟! فَشَرَفُهُم أعلى وأتمُّ، وهؤلاء هم أقطاب هذا المقام.

سرّ سلمان

ومن هؤلاء الأقطاب وَرِث سلمان شرفَ مقام أهل البيت. فكان رضي الله عنه من أعلم الناس بما لله على عباده من الحقوق، وما لأنفسهم والخلق عليهم من الفوق، وأقواهم على أدائها. وفيه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: "لو كان الإيمانُ بالثريّا لناله رجال من فارس، وأشار إلى سلمان الفارسي". وفي تخصيص النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ذِكر (الثريّا) دون غيرها من الكواكب، إشارة بديعة لمثبتي (الصفات السبعة)، لأنها سبعة كواكب، فافهم. فـ(سِرُّ سلمان) الذي ألحقه بأهل البيت، ما أعطاه النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من أداء كتابته، وفي هذا فقه عجيب. فهو عتيقُه صلّى الله عليه وآله وسلّم و"مَولى القوم منهم". والكل موالي الحق. ورحمة الله ﴿وسعت كلَّ شيء﴾ وكل شيء (هو) عبده ومولاه.

أهل البيت، لا ينبغي لمسلم أن يذمّهم

وبعد أن تبين لك منزلة أهل البيت عند الله، وأنه لا ينبغي لمسلم أن يذمهم بما يقع منهم أصلاً - فإنَّ الله طَهَّرهُم - فليعلم الذامُّ لهم أن ذلك راجع إليه. ولو ظلموه فذلك الظلم هو، في زعمه، ظلمٌ لا في نفس الأمر، وإن حكم عليه ظاهر الشرع بأدائه. بل حكْم ظلمهم إيَّانا، في نفس الأمر، يشبه جَرْي المقادير على العبد في ماله ونفسه: بغرق أو بحرق، وغير ذلك من الأمور المهلكة. فيحترق، أو يموت له أحد أحبابه، أو يصاب في نفسه. وهذا، كلُّه، مما لا يوافق غرضه.

ولا يجوز للعبد أن يذم قَدَر الله ولا قضاءه. بل ينبغي له أن يقابل ذلك كلَّه بالتسليم والرضا؛ وإن نزل عن هذه المرتبة فبالصبر، وإن ارتفع عن تلك المرتبة فبالشكر. فإنّ في طيِّ ذلك نِعَماً من الله لهذا المصاب. وليس وراء ما ذكرناه خيرٌ. فإنه ما وراءه إلاَّ الضجر، والسخط، وعدم الرضا، وسوء الأدب مع الله. فكذا ينبغي أن يقابل المسلم جميع ما يطرأُ عليه، من أهل البيت، في ماله ونفسه وعرضه وأهله وذويه. فيقابل ذلك كلَّه بالرضا والتسليم والصبر. ولا يُلْحِق المذمة بهم أصلاً. وإن تَوَجَّهتْ عليهم الأحكام المقررة شرعاً: فذلك لا يقدح في هذا، بل يُجْرِيه مُجرى المقادير. وإنما مَنَعْنا تعليق الذمّ بهم، إذ ميَّزَهم الله عنَّا بما ليس لنا معهم فيه قَدم.

وأمّا أداء الحقوق المشروعة، فهذا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، كان يقترض من اليهود؛ وإذا طالبوه بحقوقهم أدَّاها على أحسن ما يمكن. وإن تَطَاولَ اليهوديُّ عليه بالقول، يقول: "دَعُوه! إن لصاحب الحق مقالاً". وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم في قصة: "لو أن فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها". فوضعُ الأحكام لله: يضعها كيف يشاء، وعلى أيِّ حال يشاء. فهذه حقوق الله، ومع هذا، لم يذمّهم الله.

وإنما كلامنا في حقوقنا، وما لنا أن نطالبهم به. فنحن مخيَّرون: إن شئنا أخذنا، وإن شئنا

تركنا، والترك أفضل عموماً، فكيف في أهل البيت؟! وليس لنا ذمَ أحد، فكيف بأهل البيت؟! فإنَّا إذا نزلنا عن طلب حقوقنا وعفونا عنهم في ذلك - أي فيما أصابوه منا - كانت لنا بذلك عند الله اليد العظمى والمكانة الزُّلفى.

محبّة آل بيت النبيّ من محبّة النبيّ

فإن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ما طلب منا، عن أمر الله، إلاّ المَوَدَّة في القُرْبى. وفيه سرٌ صلة الأَرحام. ومن لم يقبل سؤال نبيه فيما سأله فيه، مما هو قادر عليه، بأيِّ وجه يلقاه غداً، أو يرجو شفاعته، وهو ما أسعف نبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما طلب منه من (المودة في قرابته) فكيف بأهل بيته، فهم أخص القرابة؟!

ثمّ إنه تعالى جاء بلفظ (المودة) وهو الثبوت على المحبة. فإنه مَنْ ثَبَتَ وُدُّهُ في أمرٍ؛ استصحبه في كل حال. وإذا استصحبته المودة، في كل حال؛ لم يؤاخذ أهل البيت بما يطرأ منهم في حقه، مما له أن يطالبهم به؛ فيتركه تركَ محبة، وإيثاراً لنفسه لا عليها. قال المحب الصادق: "وجاء باسم (الحبّ) فكيف حال (المودة)؟! ومن البشرى ورود اسم (الودود) لله تعالى. ولا معنى لثبوتها (أي المودَّة) إلاّ حصول أثرها بالفعل في الدار الآخرة وفي النار: لكل طائفة بما تقتضيه حكمة الله فيهم". وقال الآخر في المعنى:

أُحبُّ لِحبِّها السُّودَانَ حتَّى .. أُحِبُّ، لِحُبِّها، سُودَ الكِلابِ!

ولنا في هذا المعنى:

أُحِبُّ لِحُبِّكِ الحُبْشَانَ طُرًّا .. وأَعشَقُ، لاسمِكِ، البدرَ المُنيرا

قيل: كانت الكلاب السود تناوشه، وهو يتحبّب إليها. فهذا فعل المُحِبِّ في حب مَن لا تُسْعِده محبته عند الله ولا تورثه القربة من الله. فهل هذا إلاّ من صدق الحبّ وثبوت الودّ في النفس؟!

محبة أهل البيت آية من محبة الله ورسوله

فلو صَحَّت محبتك لله ولرسوله، أحببت أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ورأيت كل ما يصدر منهم في حقك، مما لا يوافق طبعك ولا غرضك، أنه جمال تتنعم بوقوعه منهم. فتعلم، عند ذلك أنّ لك عنايةً عند الله الذي أحببتهم من أجله، حيث ذَكَرك من يحبه، وخطرت على باله: وهم أهل بيت رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ فتشكر الله على هذه النعمة. فإنّهم ذكروك بألسنَة طاهرة بتطهير الله، طهارةً لم يبلغها علمك. وإذا رأيناك على ضد هذه الحالة مع أهل البيت، الذي أنت محتاج إليهم، ولرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، حيث هداك الله به، فكيف أثق، أنا بودُك الذي تزعم به أنك شديد الحبّ فيّ، والرعاية لحقوقي أو لجانبي، وأنت، في حق أهل نبيّك بهذه المثابة من الوقوع فيهم؟! والله ما ذاك إلاّ من نقص إيمانك، ومن مكر الله بك، واستدراجه إياك من حيث لا تعلم.

وصورة المكر أن تقول وتعتقد: إنك، في ذلك، تذبّ عن دين الله وشرعه! وتقول في طلب حقك: (إنك ما طلبتَ إلاّ ما أباح الله لك طلبه). ويندرج الذمُّ، في ذلك الطلب المشروع، والبغضُ والمقت، وإيثارُك نفسك على أهل البيت، وأنت لا تشعر بذلك. والدواء الشافي من هذا الداء العُضال، أن لا ترى لنفسك معهم حقاً. وتنزل عن حقك لئلا يندرج في طلبه، ما ذكرته لك. وما أنت من حُكّام المسلمين حتّى يتعيَّن عليك إقامةُ حد، أو إنصافُ مظلوم، أو ردُّ حق إلى أهله. فإن كنت حاكماً، ولا بُدَّ؛ فاسع في استنزال صاحب الحق عن حقه، إذا كان المحكوم عليه من أهل البيت. فإن أبى؛ حينئذ يتعين عليك إمضاء حكم الشرع فيه. فلو كشف الله لك ـ يا وليِّ ـ عن منازلهم عند الله، في الآخرة، لَوددتَ أن تكون مولى من مواليهم! فالله يلهمنا رشد أنفسنا، فانظر ما أشرف منزلة سلمان رضي الله عن جميعهم.

أسرار الأقطاب «السّلمانيين»

ولَمّا بيّنت لك أَقطاب هذا المقام، وأنهم عبيد الله المُصطَفون الأَخيار، فاعلم أن أسرارهم، التي أَطْلَعنا الله عليها، تجهلها العامّة، بل أكثر الخاصّة التي ليس لها هذا المقام، والخضر منهم رضي الله عنه، وهو من أكبرهم. وقد شهد الله له أنه آتاه (رحمة منه عنده، وعلّمه من لدنه علماً) اتّبعه فيه كليم الله موسى عليه السّلام الذي قال فيه صلّى الله عليه وآله وسلّم: "لَوْ كَانَ مُوسى حيًّا ما وَسِعَهُ إلاّ أن يَتّبِعَني".

فمن أسرارهم، ما قد ذكرناه من العلم بمنزلة (أهل البيت)، وما قد نبّه الله على عُلوّ رتبتهم في ذلك.

ومن أسرارهم: علم المكر الذي مكر الله بعباده في بغضهم (أي أهل البيت)، مع دعواهم في حب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسؤاله المَوَدَّة في القُرْبى. وهو صلّى الله عليه وآله وسلّم من جملة (أهل البيت). فما فعل أكثر الناس ما سألهم فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن أمر الله. فعصَوا الله ورسوله. وما أحبُّوا من قرابته إلاّ من رأوا منه الإحسان: فأغراضَهم أحبّوا، وبنفوسهم تعشَّقُوا.

ومن أسرارهم: الاطلاع على صحة ما شرع الله لهم في هذه الشريعة المحمدية، من حيث لا تعلم العلماء بها. فإن الفقهاء والمحدّثين، الذين (أخذوا علمهم مَيْتاً عن مَيْت)، إنما المتأخر منهم هو فيه (أي في علمه) على غلبةِ ظنٍ: إذ كان النقل بشهادة، والتواتر عزيز. ثمّ إنهم إذا عثروا على أُمور تفيد العلم بطريق التواتر، لم يكن ذلك اللفظ، المنقول بالتواتر، نَصّاً فيما حكموا فيه، فإن النصوص عزيزة. فيأخذون من ذلك اللفظ بقدر قوة فهمهم به. ولهذا اختلفوا. وقد يمكن أن يكون لذلك اللفظ، في ذلك الأمر، نصٌّ آخر يعارضه ولم يصل إليهم؛ وما لم يصل إليهم ما تُعبِّدُوا به.

ولا يعرفون بأيِّ وجهٍ من وجوه الاحتمالات، التي في قوة هذا اللفظ، كان يحكم رسول

الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المُشَرِّعُ. فأخذه أهل الله عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في الكشف، على الأمر الجلي، والنص الصريح في الحكم، أو عن الله بالبينة، التي هم عليها من ربهم، والبصيرة التي دعوا الخلق إلى الله عليها، كما قال الله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ وقال: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، فلم يُفرِد نفسه بـ«البصيرة»، وشهد لهم بالاتّباع في الحكم. فلا يتبعونه (أي أهلُ الله) إلاَّ على بصيرة. وهم عباد الله، أهل هذا المقام.

ومن أسرارهم أيضاً: إصابة أهل العقائد فيما اعتقدوه في الجناب الإلهي. وما تجلّى لهم حتّى اعتقدوا ذلك. ومن أين تصوَّر الخلافُ، مع الاتفاق على السبب الموجب الذي استندوا إليه، فإنه ما اختلف فيه اثنان؟ وإنما وقع الخلاف فيما هو ذلك السبب، وبماذا يُسمَّى ذلك السبب؟ فمن قائل: هو الطبيعة؛ ومن قائل: هو الدهر؛ ومن قائل: هو غير ذلك. فاتفق الكل في إثباته، ووجوب وجوده. وهل هذا الخلاف يَضرُّهُمْ مع هذا الاستناد أم لا؟ هذا، كلُّه، من علوم أهل هذا المقام.

٣- الإمام العلامة الشيخ بدر الدين حسون

الإمام العلامة الشيخ بدر الدين حسون، فقيه يعي قضايا الأمة، وينتصر للحق؛ حباً فيه، لقد ذهب إلى التاريخ بروح نورانية؛ فارزاً صحيح التاريخ عن غيره مما قد تشوه بسبب اختلاط السياسة به، إنه رجل استطاع أن يدل الناس على بعض حقوق السادة أهل البيت - عليهم السلام - دون تجريح لغيرهم من سيداتنا أمهات المؤمنين وسادتنا الصحابة - عليهم رضوان الله - لقد استطاع أن يرد على متطرفي السنة والشيعة بمحاولة الجمع بين ما هو صحيح ووارد عند معتدلي الطرفين، إنه وضع جميع العلماء من الطرفين أمام مسؤولياتهم؛ مطالباً بأمة واحدة يكون شعارها (نحب سادتنا أهل البيت، ولا نكره سادتنا الصحابة). وبعد الخطبة التي ألقاها عن يوم عاشوراء، وفجر فيها قضية ما وقع من ظلم لسادتنا أهل البيت؛

مبيناً فضل السادة، وفرضية حبهم وودهم على كل مسلم، بعد هذه الخطبة المباركة؛ قاد عليه المتطرفون حملة عنيفة من خلال ما يملكون من منابر، واتهموه بما ليس فيه مما لم يقله - والحمد لله خطبته مسجلة في شريط - وكأن كل من أحب السادة أهل البيت يكون كارها للسادة الصحابة، ومعلوم أن كل المهتمين بحب سادتنا أهل البيت يبحثون بل ويتباحثون بحب عن أي خطبة أو حديث أو حوار عنهم، وقد بحثنا من خلال بعض المواقع عن مجلة المنبر الكويتية الشيعية ووجدنا هذا التعليق، والحوار عبر لقاءٍ أجرته المجلة مع السيد العلامة المفتي بدر الدين حسون، وإليكم نص ما نشرته حول الخطبة من حوار:

هذه المقابلة كانت مع مجلة المنبر الكويتية الشيعية، في العدد ١٤ تاريخ ١٤ ربيع الثاني ١٤٢٢ هـ. حيث جعلت صورته على غلافها.

مع العلم أن هذه المقابلة موجودة على موقع (المعصومون الأربعة عشر)

على هذا الرابط:

http://www.14masom.com/leqaa/04/04.htm

لقاء مع الشيخ بدر الدين حسون:

مفتي حلب الأكبر يفجر قضية مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) على منبر الجمعة

هاهو - كمثال - أحد كبار علماء الشام، مفتي حلب وشيخ مشايخها، يرتقي منبره في يوم عاشوراء؛ في هذه السنة؛ في الشام نفسها التي كانت موطن الناصبة الأموية؛ ليصدع بالحق بأعلى أعلى صوته وينادي: (أيها الناس.. قُتل والله الحسين مظلوما)!!

بهذه الكلمة المدوية؛ نطق الشيخ أحمد بدر الدين الحسون، ليكشف لبني جلدته من أهل السنة حقائق أخفاها الحكام ووعّاظهم، الذين وجدوا في ذكر آل بيت النبوة تهديداً لهم، ولعروشهم، ولنفوذهم، ولمذهبهم!

في تلك الخطبة البليغة؛ أراح هذا الشيخ الشجاع ضميره، عندما أبان أن الحق مع آل

الرسول، وعرّى أعداءهم، وفضح مخالفيهم. إنه لم يتشيّع، لكنه أراد أن ينفض الغبار عن الحقيقة، ويصحح مفاهيم ترسبت في عقول السنة بمؤامرة دبّرها أعداء الدين وطلاب الدنيا، عندما صوّروا مثل يزيد أميراً للمؤمنينَ وعندما أنزلوا أهل بيت الوحي عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها!

كانت كلمة شجاعة، من عالم شجاع لا يهاب إلا الله، ولا يوالي إلا أولياء الله. غير أن هذه الكلمة كلّفته الكثير، لأنها كانت صعبة؛ شديدة الوقع على آذان وأسماع من وقعوا ضحية مؤامرة التجهيل.

خطبة جمعة؛ ألقى فيها الشيخ الحسون ما في جعبته من حقائق توصّل إليها، وأظهر فيها ما يجيش في صدره منذ زمن، حول ما نزل بأهل البيت عليهم الصلاة والسلام من كرب وبلاء، وما قاسوه من عناء، وما تحملوه من رزايا، من أجل استقامة دين الله. إنه فرز بين معسكرين، معسكر الرحمن، ومعسكر الشيطان، وكان صعباً عليه أن يضع النقاط على الحروف، لكنه أبى إلا أن ينهض بمسؤوليته.

بيد أن هذه الكلمة الصادقة، الخارجة من القلب النابض بحب المصطفى وآله عليهم الصلاة والسلام؛ لم تَرُق لآخرين، فاشتعلت نار المجابهة، وثارت ثائرة مشايخ وخطباء، وتصدت منابر لتكفير هذا الشيخ الشجاع والطعن فيه بدعوى أنه سب الصحابة وشتم أمهات المؤمنين!! كل ذلك لا لأنه فعل ما اتهموه به، بل لأنه حكى بلغة غير معهودة عندهمّ فهي جريمة أن ينطق في خطبته باسم آل البيت! وهي مثلبة أن ينتصر لسيد الشهداء سبط الرسول ضد من قتله واستباح دمه وحرمه!!

حينما وجد مفتي حلب الأكبر، وعضو مجلس الشعب السوري؛ الشيخ أحمد بدر الدين الحسون؛ أن من تلبّسوا برداء العلماء أبعدوا أهل مذهبه السني عن أهل البيت عليهم السلام خوفاً من انتشار التشيع، وجد أن عليه أن يتصدى ويتحرك لإعادة الحق إلى نصابه، كي لا

يندرس ذكر الميامين الأطهار، وكي لا يقع الناس في لبس تجاه أعدائهم، فيترضَون على أمثال يزيد!

لقد أعاد جزءاً يسيراً من حق الحسين عليه الصلاة والسلام، فقامت الدنيا وشتمته عشرات المنابر على الملأ. لكن كل هذا يهون عنده في سبيل الحق، وفي سبيل ساداته الذين يدين بحبهم وموالاتهم. إنه بكى لأكثر من مرة في خطبته، وكان يتأوّه من شدة الألم، لأنه كتم وكتم، وهاهو اليوم يعتذر للمئات الذين جلسوا يستمعون له قائلا: (سامحوني.. لأنني سأتحدث بما لم تعتادوا سماعه)!

ليس له هم إلا جمع الكلمة، والتحليق بالأمة عالياً بجناحيها؛ السنة والشيعة، غير أنه لا يرى وحدة تتحقق بالتنكر للحقائق وإخفائها، أو بترك سيرة أهل البيت ونبذها.

في خضم هذه العاصفة التي حركها المفسدون ضد الشيخ الجليل؛ والعالم الفاضل؛ اتصلنا به وحاورناه، فوجدناه لساناً عذباً يفيض بعشق محمد وآله الأبرار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ووجدناه رجلاً صلباً لا يتزحزح عن كلمة الحق.

في ذلك الحوار الذي دار لحوالي ساعتين من الوقت، استفسرنا من سماحة الشيخ عن أسباب كلمته ودواعيها ومبرراتها، واستعلمنا منه عن مفاهيم ورؤى، فبكى وأبكى، وأظهر عقيدة أهل السنة الحقيقية في أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، الذين هم عندهم أشرف الخلق وأولو الأمر والأئمة الواجب طاعتهم واتباعهم ومودتهم، متبرئاً من عقيدة أهل الغلظة والجفاء ممن اندسوا تحت راية أهل السنة، الذين وصلت فيهم جرأتهم إلى التطاول على أهل بيت الوحي والرسالة، عندما قالوا: (إن الحسين قتل نفسه بخروجه على الخليفة)!!

هذه كلمات لم تخرج من فيه رجل عادي، إنما خرجت على لسان عالم كبير تتبعه الملايين، فهو سليل أسرة علمية، وعضو مجلس الإفتاء الأعلى، فضلاً عن كونه مفتي حلب وأستاذ علمائها. فلنستمع ولنع ولنعرف كيف أن الحق يعلو ولا يُعلى عليه:

لماذا جاءت تلك الخطبة وفي ذلك الوقت بالذات، وما هي دواعيها؟ هل وجدتم أنه من الواجب إزاحة الستار عن كثير مما أخفاه أهل الأهواء والعصبيات؟

- من خلال قراءتي السريعة للواقع الذي تعيشه أمتنا المسلمة، حاولت أن أعود لتاريخنا لأستنبط منه ما يعيد الصحوة لها، وحينما قرأت مسيرة الحسين (عليه السلام) والذي لم يكن يمثل نفسه أو يمثل آل البيت عليهم السلام فحسب، إنما كان يمثل خط الإسلام العام، وجدت أنه منذ يوم استشهاده وحتى يومنا هذا لم تُقرأ قضيته قراءة صحيحة، إنما قُرئت قراءة عاطفية، وهذه القراءة منعتنا من أن نستنتج ما يمكن استنتاجه بغيرها؛ فحالت دون استفادتنا لما نحتاج اليوم، في موقفنا المعاصر، وفي مشاكلنا الحالية، فقررت حينما قرأت هذه المسيرة أن أعيد قراءتها قراءة عامة نطبقها في حياتنا. وقد قررت أن أعيد قراءة مأساة الحسين (عليه السلام) بإعادة قراءة التاريخ الإسلامي ككل بدءاً من رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحتى آخر لحظة من حياة الخلفاء وكيف انفصلت الخلافة الروحية بعد سيدنا علي (عليه السلام) عن الخلافة السياسية.

لقد استطاع سيدنا علي (عليه السلام) ومن قبله من الخلفاء أن يجمعوا الخلافة التشريعية الروحية مع الخلافة السياسية، ولكن بعد استشهاد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) صار الملك - أي ملك الخلافة - ملكاً عقيماً، واتجه اتجاهاً آخر، فكان الناس يطلقون على البعض ممن استحوذ على الخلافة (أمراء المؤمنين) وما كانوا أمراء مؤمنين، فأنا لا أراهم سوى ملوكاً. وهذا قد يفاجئ كثيراً من المعاصرين ولكنها الحقيقة التي يجب أن يعرفها أبناؤنا حتى لا نظلم الإسلام بأناس حُسبوا عليه وسُموا بأمراء مؤمنين وهم في الحقيقة أشخاص ليس لهم علاقة بالإيمان.

ما هو الجديد في خطبتكم بالنسبة إلى الوسط السني؟ هل إن هذا الوسط لم يعتد على هذه اللغة؟! وهل تجدون أن هذه اللغة ضرورية؟ وما ردكم على من يقول إن هذه اللغة إنما

تسهم في زعزعة وبلبلة وانقسامات ؟

- بعد الصحوة الإسلامية في الجمهورية الإيرانية، وبعد الحرب الإيرانية العراقية وحرب الخليج، صار هنالك نوع من التخوف في الساحة السنية من أن يكون هنالك مدّ شيعي يجتاح العالم العربي، أو الإسلامي ككل، وبدأ اتخاذ مواقف الدفاع والهجوم وقد ظهرت عدة كتب طائفية ومذهبية تربط التشيع بالفارسية وأحياناً بالمجوسية. وكان هذا نوعاً من المواجهة الخطرة؛ خوفاً من أن يأتي سيل لا يستطيعون إيقافه، وكان يقود هذه الحملة عدد من السياسيين المرتبطين بالدول الأجنبية وأنا لا أشك في ذلك! واستطاعوا أن يجيّروا بعض العلماء في سبيل ذلك، وقد قام هؤلاء العلماء بتأليف عدة كتب وُزّعت بشكل كامل في الدول العربية والإسلامية بغرض تشويه صورة الإنسان الجعفري في خيال الإنسان السني.

وقادت تلك الحملة التشويهية جماعة مرتبطة بالاستخبارات الأجنبية في عدد من البلدان العربية التخويفية، وهي الجماعة التي تسمي نفسها بالسلفية، وأفرادها في الحقيقة يغطون أنفسهم بهذا العنوان، لأن السلفي الحقيقي والسني الحقيقي والشيعي الحقيقي جميعهم يلتقون في محور واحد ألا وهو الإسلام، وليس الكذب على بعضهم بعضاً وتشويه صورة بعضهم بعضاً.

من خلال هذه الحملات التي بدأت تظهر في المجتمعات العربية والإسلامية رأيت أن هنالك خوفاً دائماً من الطرف الآخر وتأهباً للهجوم عليه دائماً، ولعل الذي يحدث في باكستان حالياً، في عدد من المساجد والحسينيات خير مثال على ذلك، إذ يقتحم واحد من هذا الطرف مكان اجتماع الطرف الآخر ليبيده! وفي اعتقادي أن نار الفتنة هذه ليست من الطرفين إنما من طرف ثالث يؤجج الفتنة في هذه الساحة، ومن هنا بدأت أقرأ كتبنا الإسلامية قراءة جديدة، شيعية كانت أم سنية لأفاجأ أن هناك ٩٨٪ من نقاط الالتقاء و٣ أو ٤٪ من نقاط الاختلاف، كما رأيت أن هناك بين الأحناف والشافعية أكثر من ١٠٪ من نقاط الاختلاف،

وأن بين المذهب الزيدي والشافعي ٣٪ من نقاط الاختلاف، وهذا سببه كتاب الأم الذي ألفه الإمام الشافعي والذي قال فيه:

إن كان رفضاً حب آل محمد .·. فليشهد الثقلان أني رافضي

هذا الذي دعاني لأن أدخل إلى الساحة بهدوء ودون أن أمس أي طرف من الأطراف، لأقول: لماذا هذا التقصير في ساحتنا في معرفة آل البيت؟ لماذا لا يعرف أبناؤنا من هم أهل البيت؟ أهناك خوف من أن يتشيع أبناؤنا إذا ما عرفوا آل البيت؟ هذا الذي يعاني لأن أدخل الساحة. إنني أرى أنه يحق للشيعي أن يلوم أخاه السني على تقصيره في معرفة أهل البيت عليهم السلام، ذلك لأنه إذا سأله عن ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإن السني لن يعدّد له إلا الحسن والحسين عليهما السلام، ولن يعرف الباقي مع أن من واجبه معرفتهم شرعاً، لأن الله تعالى يقول على لسان نبيه صلى الله عليه وآله: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ فكيف يودّ السني من يجهلهم؟!

لقد اكتشفت أن هناك من قصد تجهيل الناس وإبعادهم عن معرفة آل البيت عليهم السلام خوفاً من سريان التشيع، بل رأيت أن هناك من قصد تشويه صورتهم سلام الله عليهم في أذهان الناس! فقبل بضع سنوات وقعت عيناي على كتاب صدر في المدينة المنورة لعالم من علمائنا في سورية، وقد جاء فيه: (إن الحسين قتل نفسه بخروجه على الإمام)!! وقد جرى توزيع هذا الكتاب السيئ في السعودية، فاجتمعت مع مؤلفه وبادرته قائلاً: (لحساب من تسيء إلى آل البيت؟! لحساب من تسيء إلى سيدنا الحسين وهو من أُعطي حقاً عظيماً يتمثل في أن من أحبه أسكنه الله الجنة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم! يا هذا.. ما الذي تعني من قولك أنه قتل نفسه؟ هل تعني أنه انتحر مثلاً؟ وفي مقابل من؟! من هو الخليفة الذي خرج عليه؟!) فأجاب الرجل: (في مقابل يزيد)! فقلت له: (ومن قال أن يزيد خليفة)؟!

ثم بدأ النقاش مع مجموعة من الأخوة هناك، وقد وجدت جهلاً في القضية تاماً، فلذلك

آليت على نفسي أن أدخل على هذا الخط بهدوء ودون تعصب لأي طرف من الأطراف، وغرضي إظهار الحقيقة حتى إذا جاء العدو ليعبث بها نكون قد هيأنا ما نتكاتف به وما نقوي به بعضنا بعضاً.

ما الذي اكتشفتموه وأردتم قوله للناس أداءً لمسؤوليتكم الشرعية أمام الله تعالى؟

- بعد عشر سنوات من البحث على مقعد الدراسة، وجدت أن هنالك خوفاً شديداً من الاعتراف بالحقيقة، وهذا الخوف سببه أن من يريد أن يتحدث عن آل البيت يخشى أن يقع في شتم الصحابة، وكان الجميع يظنون أنه لو بدأنا بالحديث عن موالاة أهل البيت ولاء ووفاء والبراءة من أعدائهم، فإن ذلك سيكون نوعاً من إعادة التفرقة بين المسلمين من خلال شتم الصحابة أو الطعن فيهم.

ومن هنا وجدت هجوماً شديداً صاعقاً عليّ بعد هذه الخطبة واعتُبرت خطيب فتنة وخطيب سوء لأني أنبش التاريخ بمعاول التفرقة بين الناس، وكأنهم سيجمعون الناس بإخفاء الحقائق التاريخية!

لذلك كان هناك إصرار على المبدأ، وإصرار على البقاء مستمراً في تسجيل الحقائق مهما كانت التضحيات، لا من أجل إيران ولا من أجل الشيعة ولا من أجل السنة، ولكن من أجل الله جل وعلا، وحتى نقف أمامه وقد أدينا الرسالة. ونحن في هذا الوقت بالذات أحوج ما نكون للموقف الحسيني، وأحوج ما نكون لمواقف أهل البيت في صد الطغيان، طغيان السياسة والاستيلاء الذي دمّر حقوق آل البيت، نحن أحوج ما نكون إلى صحوة إسلامية، تُبنى على أسس واضحة.

وفي الحقيقة فقد استطاع الأخوة في حزب الله في لبنان أن يبدأوا هذه الصحوة، وأسأل الله أن نكون جميعاً عوناً لهم في هذه الصحوة.

كررتم مراراً قول: سامحوني! السؤال هو: على ماذا؟ ولماذا الاعتذار؟

- المعنى هو : سامحوني إن لمست مسلَماتكم التي عشتم عليها قروناً ولم يتجرأ أحد أن يكشف لكم بكل وضوح خطأ هذه المسلَمات .

فإن كنتم لا تستوعبون كلامي فسامحوني ! فإنني أتكلم بكل وضوح .

وهل تعتقدون بأن هناك من أخفى الحقائق من العلماء السابقين؟

- لا أشك أن السياسة منعت الحقائق من الظهور . فحينما أجد كتب صحاح الحديث الموجودة في الساحة السنية قد ذكرت فضائل أبي بكر وعمر وعثمان في عدة صفحات بينما تعطي لسيدنا علي (عليه السلام) صفحة واحدة أو صفحتين؛ ثم يأتي مسند الإمام أحمد بن حنبل فيعطي ستة وأربعين صفحة لسيدنا علي (عليه السلام) فإني أتساءل : لماذا لم تذكر تلك الكتب السابقة هذه الفضائل ؟ ! وأعتقد أنك تدرك ما يحدث لي حينما أجد أن مسند أحمد قد طُبع في بلد إسلامي وحُذفت منه الستة والأربعون صفحة ! هنا أعرف أن التاريخ كيف زُوِّر ! !

- لأننا إذا ذكرنا فضائل سيدنا علي (عليه السلام) نظن أن الشيعة سينتصرون على السنَة ، وأن الشيعة ستحكم العالم العربي والإسلامي وأن السلفية ستغيب ، هنا مشكلة السياسة !

وهل عليّ صلوات الله عليه وسلامة للشيعة فقط ؟ !

- إن علياً (عليه السلام) اليوم هو رمز للثورة الحقيقية ، والذين يحكمون العالم الإسلامي اليوم لا يريدون علياً جديداً لذلك قال الشاعر مظفر النواب غفر الله له : أفديك علياً لو جئت اليوم لحاربك الداعون إليك وسموك شيوعياً !

لماذا ؟ ! لأن الجماهير المؤمنة تجد في فكر علي وقوله وعمله ما يحييها ويعيد عزتها ، فهم حينما ينظرون إلى عظيم أعمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محاولين محاكاتها ؛ يقولون : هذا رسول .

وعلي سلام الله عليه كان رجلاً مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، واستطاع أن ينقل الشريعة من شريعة صامتة إلى شريعة ناطقة، حيث قال: هذا كتاب الله الصامت؛ وأنا كتاب الله الناطق.

والذي يخافه الكثيرون اليوم أن تعود روح علي من جديد!

هل تؤمنون بأن الإمام علي (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام)، لا يزالان مظلومين؟

- ما زال الظلم قائماً على آل البيت حتى اليوم وهذا الظلم لن يزول بسهولة، وستبقى هنالك فئة تحارب الآل لأن وجودهم يعني وجود العدل والأمن بالعالم وهنالك من يحارب هذا العدل وهذا الأمن!

هناك إشكالية في يوم عاشوراء ربما تطرقتم إليها في خطبتكم الميمونة، ولكن السؤال هو: أيجوز الاحتفال في يوم عاشوراء؟ يعني ما الواجب علينا أن نفعل؟ أنفرح أم نحزن؟ هل الحديث عن صيام يوم عاشوراء حديث صحيح أم موضوع وضعه الأمويون نكاية بسبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

- حتى نكون حياديين، فإنني أرى أن يوم عاشوراء هو يوم الانتصار على الفراعنة، قد انتصر موسى (عليه السلام) فيه على فرعون أمته، وقد انتصر فيه الحسين (عليه السلام) على فرعون هذه الأمة. وأقول أنه سلام الله عليه انتصر رغم هزيمته الظاهرية على أرض المعركة، لأنني إن سألت الناس اليوم عن قبر يزيد أو أبناء يزيد أو آثار يزيد أو صرخت وقلت: أروني أين يزيد؟! فإن أحداً لن يقدر على جوابي، أما إن سألت: أروني أين الحسين؟! فإن كل الناس سيشيرون إلى قلوبهم قائلين: إنه هاهنا!

لقد اتخذت هذه الرمزية الرائعة جداً، واعتبرت أن يوم عاشوراء هو يوم تجدّد الموقف بين الحق والباطل، انتصر الله فيه بالحق على الباطل، بموسى على فرعون، وبالحسين على يزيد

وهو فرعون هذه الأمة.

إن القضية ليست قضية أكل وشرب، ولا بكاء ونواح، إنما هي قضية مبدأ وعقيدة، قضية انتصار وشهادة، فلماذا لا نستثمر هذا اليوم ونحوله إلى يوم تتفق فيه الأمة على إسقاط فراعنتها؟!

إن الأصل الثابت في يوم عاشوراء أنه اليوم الذي نجّى فيه الله تعالى موسى وقومه من فرعون وقومه، ولكن أن يصبح هذا اليوم يوم طبخ الحلوى والتوسعة على العيال، فأعتقد أنها عملية لصيقة جاءت من النواصب لإبعاد هذا اليوم عن هدفه الذي أوجد لأجله.

إن الوهابية لا تزال على موقفها بشأن عاشوراء، هي تحث الناس على صيامه، وتدافع فيه عن يزيد، وتكفر فيه المحيين قضية سيد الشهداء (عليه السلام) لأنهم يلعنون يزيد! بل إنهم هاجموا حتى مشايخ السنة الذين لهم موقف معاد ليزيد! ما الرأي عندكم؟ وما هو موقف أهل السنة الحقيقي من يزيد لعنه الله؟

- الذي أعرفه أن الوهابية لم تكفر الشيعة فقط، إنما كفرت السواد الأعظم من المسلمين حتى من السنة، فقد كفرت الصوفية وقد كفرت الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي، وقد كفرت الكثير من أئمة المذاهب. وهم فئة تغطت باسم السلف أي السلفية.

أما قضية يزيد فاقرأ كتب السنة بأجمعها واقرأ خطب معاوية بن يزيد نفسه، هذا الرجل الصالح الذي تكلم عن أبيه وجده بما فيه الكفاية ومن خلال كتب السنة لا كتب الشيعة.

سترى عندها أن هنالك الكثير من علماء السنة الذين التزموا مذهب السنة الحقيقي ولم يكن أياً منهم راضياً عن يزيد بأي شكل من الأشكال، ولم يعتبروه خليفة للمسلمين يوماً، فهو الذي أدخل الساحة الإسلامية في ضياع الملك العظيم. وقد قلتها في خطبة الجمعة يوماً حينما قلت لمعاوية: (أنت صحابي لن أتكلم عنك، ولكن لك موقف أمام الله سيسألك عنه؛ لم وضعت هذا الولد، على هذه الأمة حتى فرّق كلمتها وقتل خير شبابها)؟! نعم... هذا ما

قلته وهو كاف.

أما الذي يقول أن الحسين قتل نفسه؛ فأعتقد أن خصمه سيكون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة!

أنتم تتحدثون عمّن حرّف من مسار الإسلام الأصيل، فهل تنسحب إدانتكم إلى الخلفاء الأوائل أيضاً، أم أنكم تنطلقون فقط من يزيد لعنه الله؟

- أنا لا أعطي العصمة للصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فهم يخطئون ولكنهم لا يصرّون على خطأ. وقد كان موقف علي (عليه السلام) من عثمان موقف الشهم العظيم حينما أرسل الحسن والحسين إلى باب عثمان، وقال لا تتركا عثمان حتى ولو قُتلتما دونه، لقد قام سيدنا علي (عليه السلام) بعمل يجب أن أقوم به أنا وأنت، لم؟! لأن سيدنا علي (عليه السلام) كان يجب أن يحفظ دماء المسلمين ما استطاع، كما كان يدخل إلى عثمان وينصحه فيقدر عثمان أن يقف موقفاً وجهه إليه سيدنا علي سلام الله عليه، وما أن يخرج حتى يدخل عليه مروان وجماعته ليحولوا هذا الرجل عن الفكر الذي بثه فيه سيدنا علي بصدقه وصفائه. وأنا الذي أعتقده أن سيدنا عثمان أخطأ ولكنه لم يصر على خطأ والدليل أنه كان حينما يجتمع بسيدنا علي (عليه السلام) يتراجع وحينما يبتعد عنه سيدنا علي (عليه السلام) يضيع. الحقيقة كان يجب أن تكون هناك مجموعة من تلك الأمة تأخذ على يد عثمان وتعطي الحق لسيدنا علي (عليه السلام) ليتابع المسيرة، ولكن أقف الآن وأقول: (وكان أمر الله قدراً مقدوراً). لكنني لا أغيّب الحق بأن سيدنا علي كان ذلك الناصح الصادق الصبور الذي أراد بالأمة ألا تتفرق ووضع دم الحسنين سلام الله عليهما على فوهة القتل، حتى لا يُقتل واحد من الصحابة، والعجب من هؤلاء القتلة الذين قتلوا سيدنا الحسين وقتلوا سيدنا علي عليهما السلام! ولكن لعن الله اليهود أينما كانوا ومن أخذ بآرائهم ومن سار على دربهم!

هل نفهم من كلامكم هذا ومن خطبتكم الكريمة أنكم تدينون جمعاً من الصحابة وتجوّزون الخطأ عليهم؟ وهل نفهم أيضاً أنه ثمة ظلم وقع على أهل البيت عليهم السلام منذ يوم السقيفة؟!

- أولاً، لا أستطيع الآن أن أحاكم الصحابة، ولا أن أدين. ولكن أنا لا أعطيهم العصمة فهم يخطئون، انتبه إلى ذلك جيداً، إنهم يخطئون، ليسوا معصومين، ليس هناك صحابي معصوم. ولكن هل كان خطؤهم عن إصرار؟ أم عن وقوع في أمور واجتهادات أنا لم أكن في ميدانها آنذاك؟ صحيح أنه كان هناك خطأ في حق سيدنا علي (عليه السلام) منذ يوم السقيفة، وهذا الخطأ لا يمكن أن يتجاهله أي مخلوق في الأرض، حينما يرى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله).

وأنا الذي أعتقده يقيناً، أن أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح، لم يعادوا يوماً سيدنا علي وهذا نهج البلاغة يحدثنا عن خطب سيدنا علي (عليه السلام) فيهم جميعاً. ولكن هل هناك خطأ ارتكبوه في حق سيدنا علي (عليه السلام)؟!

نعم هناك اجتهاد ارتُكب منهم في حق سيدنا علي ولكنه سلام الله عليه أعطانا رمزاً من رموز التسامح العظيم في هذا المبدأ. فلذا لا يمكن أن أقف هنا مع تشطير كلمة الأمة في حق الصحابة أو في حق سيدنا علي، إنما أقف فيمن أزاحوا سيدنا علي وأقول أنهم أخطأوا وقد اعترفوا بخطئهم، وكذلك الذين قاتلوه فقد قالت عائشة أم المؤمنين: (ليت لي عشرة من الولد ضُربت أعناقهم ولم أخرج عليك أبا الحسن).

وأنا في هذا النص أناقش الذين يقولون بأنهم لم يخطئوا، فأقول: لماذا كان الاعتذار من أم المؤمنين إذن؟

وحقيقة علينا أن نقرأ التاريخ قراءة صحيحة لا نعطي فيها العصمة والقداسة لأي أحد بعد

الأنبياء صلوات الله عليهم ومن حفظهم ربي بحفظه الخاص، كما أن سيدنا علي (عليه السلام) قد سُئل: لم سكتَ على أبي بكر وعمر وعثمان وأعلنت حربك على معاوية؟ فقال (عليه السلام): (أنصحهم ويسمعون، ونصحت ولم يسمع لي فحقه عليَّ أن أقف مقاتلاً في سبيل الله والله لو خرجوا كما خرج لقاتلت كما قاتلت).

فإذا سيدنا عليّ في سكوته الأول كان ناصحاً ولم يسكت، إن كان البعض يظن سيدنا علي (عليه السلام) انسحب في الأول.. لا.. كان ناصحاً وكانت تسمع نصيحته وهذا عمر يقول: (لولا علي لهلك عمر) فكان سيدنا علي هو الناصح الصادق ولكنه حينما ابتُلي بالخلافة كان لا بد له من اتخاذ هذا الموقف ضد معاوية.

وفي الحقيقة لقد ضُيِّع حق سيدنا علي فيمن عرفه من قربه ومن لم يعرفه من قربه، لأنهم حجبوا الخلافة السياسية عن الخلافة الشرعية، لقد صب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صدر مولانا عليّ علوماً لم يصبها في صدر أي من البشر، وقد ظلم سيدنا حتى في هذه الحقائق التي أودعت في صدره فما وجد لها صدراً يحملها وهذا ما قاله لسيدنا الحسن وسيدنا الحسين وسيدنا زين العابدين، فكان كل واحد منهم يضرب على صدره ويقول: (آه.. إن ها هنا علوماً جمًّا)!

هذه العلوم التي وُضعت في صدورهم لم تجد لها أوعية عند الناس فكُتمت في صدورهم إلا عند الخواص. وأعتقد أنه يجب أن تكون لنا وقفة ضد الظلم الذي لاقاه سيدنا علي (عليه السلام) والظلم الذي لاقاه سيدنا الحسن (عليه السلام) والظلم الذي لاقاه سيدنا الحسين (عليه السلام) حتى نستطيع مقاومة الظلم في كل مكان.

إذاً فأنتم تعتقدون بأن علياً عليه الصلاة والسلام هو الأفضل وهو الأحق بالخلافة، ومع هذا فإن إمامة المفضول صحيحة؟

- نعم أنا أعتقد بولاية المفضول إذا وُجد الفاضل على ما قاله الإمام زيد (عليه السلام)،

ما دام سيدنا عليّ بايع فهو أحكم بموقفه ما دام هو الأحق.

- أنا أرى أن الصحابة ينقسمون إلى أقسام، قسم أشار إليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن الكريم فهم عدول وليس معنى عدول أنهم لا يخطئون. إذ ليس هناك معصوم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حتى آل البيت فإنني أقول عنهم أنهم محفوظون، لأن الله أثبت في القرآن أنه أذهب عنهم الرجس فقط، ولهذا أفرق بين العصمة والحفظ، العصمة للرسالات فقط، والحفظ لمن ورثوا الرسالات.

وأنا أستنبط من قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) كما أستنبط هذا من قوله تعالى: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) ومن رضي الله عنه لا يسخط عليه أبدا، فهذا محفوظ وهذا محفوظ.

هل معنى كلامكم أن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم يمكن أن يخطئوا؟!

- بالنسبة لهم إذا أخطأوا لا يتركهم الله على خطأ، إنما يوضح لهم معالمه، كما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اجتهد في أمور فقال له الله عز وجل (عفا الله عنك لما أذنت لهم، وتخفي في نفسك ما الله مبديه). فلا يترك الله آل البيت يخرجون من الدنيا إلا في نقاء كامل. نعم.. لا يبقى عليهم خطأ لأن الله يسدد لهم أمورهم.

ما هي موقعية أهل البيت (عليهم السلام) في الشريعة، هل لهم أثر تعبدي أو تشريعي طريقي؟

- أهل مكة أدرى بشعابها، وآل البيت أدرى بأسرار بيت النبوة، أما عندنا في طريقة التصوف فما من طريقة صوفية إلا وفي سندها علي بن أبي طالب، لأننا نسميه (مصدر الحقائق النبوية)، حتى سيدي الوالد يقول: يا ولدي إن سيدنا عليَ (عليه السلام) أبو الحقائق، ودائماً من حمل الحقيقة ابتلي كثيراً، فهو الذي عرف الحقيقة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وسيدنا علي ابتلي لأنه عرف الحقائق على حقائقها، فلذلك ترى الطريقة

القادرية والطريقة الرفاعية والطريقة النقشبندية كلها تمر بالسند المتصل إلى سيدنا جعفر الصادق ثم سيدنا زين العابدين ثم سيدنا الحسين إلى سيدنا عليَ عليهم السلام أجمعين. وأحياناً يدخل عبد الرحمن بن أبي بكر في بعض الطرق، ويحضرني الآن أن أذكر أن الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية رحمه الله قد ألف كتاباً قيّماً وكم أتمنى أن يقرأ الشيعة والسنة كتاب هذا الرجل العجيب وقد رأيته يدرّس في جامعة الإمام الصادق (عليه السلام) في إيران ولم أجده يدرّس في أية جامعة إسلامية أخرى في العالم، بل مُنعت طباعته في عدد من البلدان الإسلامية! والشيخ الأكبر يُعتبر مالكياً ثم صار مجتهداً يتكلم عن مقام سيدنا علي (عليه السلام) بكلام لم أجد أروع منه في أي كتاب آخر.

ما مقامه (عليه السلام) عنده؟

- الشيخ الأكبر يقدم لسيدنا علي - لمعرفته الحقائق الإلهية - على الجميع. وأنا مذهبي مذهب الشيخ الأكبر محيي الدين العربي، فعلي (عليه السلام) هو مصدر الحقائق وسيد الأولياء وهو مقدَّم على الكل.

نعود من جديد لنسأل عن موقعية أهل البيت (عليه السلام) في الشريعة؟

- لكي نعرف موقعيتهم يكفي أن نقر بأنه لا تقبل صلاة مسلم ما دام لم يصلّ على محمد وآل محمد عليهم السلام، فقد قال الإمام الشافعي: (مَن لم يصلِّ عليكم لا صلاة له).

ولكن الحكام الذين تعاقبوا على بلاد الإسلام، حاولوا أن ينقصوا من قدر أهل البيت عليهم السلام، فوضعوهم في مرتبة واحدة مع الصحابة، مع أن القرآن وضعهم في منزلة أعلى من كل الصحابة، وهذا لا ينكره أحد. عموماً.. أصغر واحد من آل البيت؛ أعلى من أعلى صحابي وهذا شيء نعتقده ونقر به نحن أهل السنة.

شيخنا الجليل.. أنتم تعلمون بأن قضية مظلومية الزهراء صلوات الله وسلامه عليها هي المحور الذي تدور حوله مظلومية أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، ونحن نجد أن الطرف

المقابل لطرف المظلومية، هم أهل السقيفة، أبو بكر وعمر خصوصا، وهناك علماء سنة يرون أنهما أخطئا خطأً فادحاً بحق الزهراء (عليها السلام)، فما رأيكم؟

- أرى أن أبا بكر اجتهد في مسألة منع الزهراء (عليها السلام) إرثهما، ولذا فهي لم تظلم في قضية الإرث، بل كان الأمر أكبر من ذلك في موقفها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كانت ترى أن لعلي حقاً وأن لأبنائها حقاً وأن لآل البيت حقاً قد انتزعه القوم، وهذا صحيح، ولا يستطيع أحد أن يقول بنفي ذلك، ولكن قضية الميراث أتوقف بها عند سماع أبي بكر للنص.

وسيدنا علي (عليه السلام) لم يعترض على هذا النص، أما سيدتنا الزهراء (عليها السلام) فقد سمعت نصاً آخر وطالبت بهذا النص، فلا أرى في القضية ظلماً، ولا أريد أن أثير هذه القضية بالذات لأن الزهراء (عليها السلام) لم تكن طالبة دنيا، إنما كانت باحثة حق الميراث.

فقضية الميراث هذه ليست المحور ولكني أرى قضية الخلافة وقضية استشهاد سيدنا علي (عليه السلام) وسيدنا الحسين (عليه السلام) هي المحور الأهم والأكثر تأثيراً في حياتنا.

تحدثتم في خطبتكم عن أن بعض أرباب التواريخ طمسوا بعضاً من الحقائق محاباة لهؤلاء الأمراء، وأن من جاء بعدهم من المؤلفين فعلوا فعلتهم مداهنة للجمهور ودرءاً لانتشار التشيع بالتأثر.. من هم هؤلاء؟ وما هي كتبهم؟ وهل لديكم أمثلة ومصادر على ما ذكرتم؟

- الذي أعتقده أن أكثر الكتب التي أُلفت في تفسير الحديث - وهي الظاهرة التي بدأت في الدولة العباسية - حاولت ألا يظهر فضل آل البيت خوفاً من الحاكم، حيث كان الحكام - آنذاك - حريصون على إظهار فضل بني العباس وفضل الصحابة فقط. هذه مشت مع التاريخ وصارت من المسلمات، أرأيت أثر العمل السياسي في اعتقال الحق؟!

ونحن الآن كشيوخ دين في ساحة السنة أو الشيعة، أتساءل: هل نحن نقود الجماهير؟!

أم الجماهير تقودنا؟! إذا أردنا الحقيقة، هناك الكثير منا يخاف الجمهور والدليل على ذلك أن هذه الخطبة التي تذكرني بها، على إثرها تلقيت العديد من الاتصالات التي سألني أصحابها: هل قمت حقاً بسبّ الصحابة؟! هل شتمت عائشة؟

مع أني لم أذكر عائشة (رضوان الله على عائشة)، إنما تصوّر الطرف الآخر المتعصب أو الذي لا يريد إظهار الحقائق أني أعادي الصحابة، ولكنني لا أعاديهم بيد أني أقول الحقيقة.

وكما أنكم ترجون من السنة أن يكونوا منصفين مع آل البيت عليهم السلام، فإنني أرجو منكم أن تلتزموا الأدب مع الصحابة ولا تشتمونهم، وهذا ما لمسته في عدد من الأخوة الشيعة مثل حسن نصر الله والنعماني، وكثير من القادة حيث بلغني أن الشيخ حسن نصر الله يقول: يجب أن نلتزم الأدب في ألسنتنا حينما نذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومع وجود الخطأ يجب أن نعبر عنه دون أن يكون في كلامنا شطط عن أحد.

وهذا ما أرجوه من الطرفين، السنة في احترامهم لأهل البيت واعتقادهم بهم، والشيعة في الوقوف موقفاً ليس فيه تنقيص للصحابة أو شتماً لهم، أما يزيد وأمثال يزيد، هؤلاء أناس لا خلاف بيننا على وصفهم، هنالك بعض المتطرفين يقولون: رضي الله عن يزيد! يا أخي، إذا كنت حيادياً مسلماً تجد أن من استحل مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن قتل ريحانته هو فرعون هذه الأمة كما كان ذاك فرعون تلك الأمة!

كأنكم ذكرتم أنكم تلقيتم صفعات بسبب الخطبة العاشورائية التي دافعتم فيها عن مظلومية أبي عبد الله الحسين (عليه السلام).. ما هي تلك الصفعات؟

- عشرات المنابر بدأت تتهم مفتي حلب بعدائه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو رأوا في غير ذلك لتكلموا ولكن لن يستطيع أحد منهم إثبات شيء، لأن الله إذا ما أراد نشر أمر هيأ له.

عندما قالوا إني شتمت الصحابة أسرع الناس لشراء ذلك الشريط الذي شتمت به

الصحابة، فإذا بهم يجدون أني لم أشتم الصحابة إنما أعدت جزءاً من حق الحسين (عليه السلام) والله لم أُعِد حتى جزءاً يسيراً منه، إنما بدأت بإعادة الحق فقامت الدنيا!

هل هناك دافع روحي ووجداني جعلكم تقدمون على إلقاء تلك الكلمة المدوية، يعني هل أردتم منها إراحة الضمير، وإرواء حبكم الفطري لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام؟ وهل تعتقدون بأن سيد الشهداء سيكون له معكم موقفاً خاصاً من مواقف الشفاعة يوم لا ينفع مال ولا بنون؟!

- أنا أعتقد بموقف أتقرب به للزهراء صلوات الله عليها، فحينما أقف مع سيدنا الحسين (عليه السلام)، إنما أقف مع أمي الزهراء، وأنا بالنسبة لي أعتقد أني منسوب إلى غبار نعلها صلوات الله عليها. فيا سيدي الكريم، حينما أسمع بالحديث الصحيح، أن الزهراء يوم القيامة تقوم وينادي منادٍ: (يا أهل المحشر غضوا أبصاركم لتمر فاطمة وبنوها). فهنا أقول: يا أماه! أنا في ظلال نعلك، وأفتخر بذلك! (أجهش الشيخ بالبكاء).

وقد كنت بالأمس في درس مولاتنا زينب (عليها السلام) وقلت: أنا ضيف زينب بنت بنت محمد.. وعلى الكريم كرامة الضيفان. وهنالك كنت أفسر سورة التوبة وقد ورد بها حديث صحيح: (لا يبلغ عني إلا رجل من أهل بيتي).

فأسأل الله بحق آل البيت أن يجعلنا في ظلالهم.. ولي كل الأمل والرجاء.

ما هي نصيحتكم للسنة، وما هي للشيعة، وما هي للمسلمين جميعاً بمختلف طوائفهم ومذاهبهم؟

- أما نصيحتي للسنّة فأقول لهم: أخوتي؛ كل سني يجب أن يكون شيعياً بالولاء لأهل البيت الأطهار عليهم السلام، فلا سنة دون ولاء، وأقول لكل شيعي: يجب أن تكون سنياً بالاقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهي القدوة. إذاً كل سني شيعي بالضرورة، وكل شيعي سني بالاقتداء، فكفانا تحزباً، دعونا نرتقي فوق الألقاب المذهبية، يقول تعالى:

(هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون).

فلنعد إلى سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومسيرة آله الأطهار ومسيرة صحبه الأخيار، فنجد الدواء الشافي لكل معضلاتنا المعاصرة، بشرط أن نقرأ هذه السيرة بحيادية ودونما تعصب، وبذلك نستدل على سفينة النجاة، إن شاء الله تعالى.

٤ـ الداعية الشيخ عائض القرني

المقامة الحسينية للشيخ عائض القرني. من نادي الكهف

﴿ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾

مرحباً يا عراق جئت أغنيـ ـك وبعض من الغناء بكاء

فجراح الحسين بعض جراحي ...... وبصدري من الأسى كربلاء

أنا سُنيَ حسينيَ، جعلت ترحمي عليه مكان أنيني، أنا أحب السبطين، لكني أقدم الشيخين، ليس من لوازم حب الشمس أن تكره القمر، وموالاة الحسن والحسين يقتضي موالاة أبي بكر وعمر، لأنه يحبهم ويحبونه، ويحترمهم ويحترمونه.

قاتل الله عبيد الله ابن زياد، يحرّج على رؤوس العظماء في سوق المزاد.

الحسين لا يمجد بضريح، ولا بالإسراف في المديح. لكننا نصدق في حبه، إذا اتبعنا جَدَّه، وحملنا وُدَّه، وليس بأن نعكف عنده.

بعض الناس ذبابة، يجفو القرابة، ويسب الصحابة.

عظماؤنا ما بين مقتول ومذبوح، ومسجون ومبطوح، ومضروب ومجروح.

وما مات منّا سيّد حتف أنفه .·. ولكن بحد السيف في الروع نقتلُ

يا صاحب الفطن، تريد أن تدخل الجنة بلا ثمن، يا من يريدون الغروس والعروس، ابذلوا النفوس، وقدموا الرؤوس.

تريد شراء الجنة بصاع من شعير، وهو لا يكفي علوفاً للعير، ولا فطوراً للبعير، إذا ناداك المسكين، كأنه طعنك بسكين، وأنت تتمنى على الله الأماني، وتشتاق لمثل تلك المغاني. أنت من سنين، تبكي على الحسين، من يحب الحسين بن علي، فليطع الولي، هذا هو الحب الجلي.

أنت مثل شيخ فزاره، حينما قطع أزراره، قالوا مالك، قال: أفدي بها أخي أبا عمارة.

جاؤا برأسك يا بن بنت محمد .·. متزملاً بدمائه تزميلا

ويكبرون بأن قتلت وإنما .·. قتلوا بك التكبير والتهليلا

تركوك في الصحراء ثم كأنما .·. قتلوا بقتلك عامدين رسولا

أنا أعلن صرخة الاحتجاج، ضد ابن زياد والحجاج، يا أرض الظالمين ابلعي ماءك، ويا ميادين السفاحين اشربي دماءك.

آه ما أطوله من يوم للقتله، إذا جاء المقتول ومن قتله، في يوم لا يكون الحاكم فيه إلا الواحد، ولا المُلْك إلا للماجد، وقد خاب فيه الجاحد المعاند.

الحسين شهيد، على رغم أنف العنيد، ما قتل وما نهب، وما ظلم وما سلب.

وقد أخطأ ابن خلدون حينما نقل أن الحسين قتل بسيف الشريعة، وهذا النقل من الأمور الشنيعة، بل قال شيخ الإسلام، علم الأعلام: قتل الحسين بسيف الظلم والعدوان، وقتله مصيبة يؤجر عليها من استرجع من أهل الإيمان: إنا لله وإنا إليه راجعون، وإنا لرسوله عند المصائب لتابعون.

ألا إن عينا لم تجد يوم واسط .·. عليك بغالي دمعها لجمود

إن كان قَتْل الحسين من العدل، فقد ألغى مدلول النقل والعقل، وما عاد في الدنيا ظلم، وما بقي في الأرض إثم، وإذا احتاج إثبات النهار إلى كلام، فقل على الدنيا السلام.

وليس يصح في الأذهان شيء .·. إذا احتاج النهار إلى دليل

في كربلاء، كرب وبلاء، على ثراها قلب ذكي، ودم زكي.

كأن قتلك يا ابـن الطيبين لنـــا .·. سيف من البغي في الأعناق مشهورُ

كـأنما دفنوا الإسـلام في كـفن .·. مـن المصـاحـفِ حـاكـتـه المقَـاديرُ

الحسين ليس بحاجة إلى مآتم ، وولائم ، تزيد الأمة هزائم إلى هزائم .

الحسين على نهج جده محمد ، وعلى مذهب أبيه المسدد ، تقوى تمنع من الانحراف ، وعَدْل يحمل على الإنصاف . ولو أن الحسين صاحب دنيا ، لما بكينا ، ولو أنه طالب جاه ما اشتكينا ، لكنّه من البيت الطاهر ، صاحب النسب الباهر ، أمانته رصينة ، وأخلاقه حصينة .

عـفـاء على دنيـا رحلت لغـيـرها .·. فليس بهـا للصــالحين مـعـرّج

كـدأب علـــيٍّ فـــي المـــواطن كلهـا .·. أبي حسنٍ والغصن من حيث يخرج

صح الخبر في السُنَّة ، أن الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة ، فإذا قتل السيد كيف حال المسود ، وضحية الحاسد هو المحسود ، وقال جدهما المعصوم : هما ريحانتاي من الدنيا ، فهما بهذه التزكية في الدرجة العليا ، والريحانة تشم ولا تقطع ، وتمسح ولا تقلع ، جاءوا بالرأس إلى ابن زياد في العراق ، والدم مهراق ، ثم لم تبك للظلمة عيون ، ولم تتحرك شجون ، وهذا برهان على أن قلوب الظلمة كالحجارة ، وأن نفوسهم ملأت بالمرارة .

إذا لم تبك من هــذي الرزايـــا .·. ولم تفـجَـعْك قـاضـيـة القـضـايا

فمت كـمداً فما في العيش خيـر .·. إذا جمـع البـرايا كالمطـايـا

لما أغمد سيف الجهاد ، سله ابن زياد ، على العلماء والعباد . لو كانت الأمة شاركت في قتل الحسين لكانت ظالمة ، ولو رضيت بذلك ؛ لأصبحت آثمة ، وقعت الأمة بين فكي زياد ويزيد ، يدوسون الجماجم ويقولون : هل من مزيد ، وتصفق له أراذل العبيد . ليل الحسين صلاة وخشوع وبكاء ، وليلهم رقص وطرب وغناء ، نهار الحسين تلاوة وذكر وصيام ، ونهارهم لهو وعشق وغرام . ولهذا وقع الخلاف وعدم الإنصاف .

إذا عَيَّر الطائيَّ بالبخل مادرٌ .·. وعيَّر قسّاً بالفهاهة باقلُ

وقال الدجى للشمس أنت كسيفة .·. وقال السهى للبدر وجهك حائلُ

فيا موت زُرْ إن الحياة ذميمة .·. ويا نفس جدي إن دهرك هازلُ

يا أهل العقول، إن قتل سبط الرسول، وابن البتول، أمر مهول، فلا تخبروا أعداء الملة، بهذه الزلة، فإنها للأمة ذلة. الحسين ليس بحاجة إلى وضع أشعار، ولكن إلى رفع شعار، دعنا من ترديد القصيد، والتباكي بالنشيد، ولكن تابع الحسين في تجريد التوحيد، وتوقير الشيخين أهل الرأي الرشيد.

العظماء يقتلون بالسيف أعزاء، والظلمة يموتون على فرشهم أذلاء جبناء،

فالعظيم قتل بتذكية شرعية، والجبان مات ميتة بدعية. ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾

تأخرتُ أستبقي الحياة فلم أجد .·. لنفسي حياة مثل أن أتقدما

وليس على الأعقاب تدمى كلومنا .·. ولكن على أقدامنا تقطر الدما

فاتت الحسين الشهادة في بدر لأنه صغير، فعوضه الله بها في صحراء العراق وهو كبير، الرجل يريد أن يكتب اسمه بدم، وهو يحب البيع لا السَّلم، ومن يشابه أبه فما ظلم. الذين ينوحون على الحسين ويقولون قتل وهو مظلوم، قلنا هذا أمر معلوم، ولكن كفاكم بالنياحة جهلا. فهل كان قتل عمر وعثمان وعلي عدلا؟!، النياحة في الدين غير مباحة، لأنها مخالفة للمأمور، وفعل للمحظور، وتسخط بالمقدور، لو لم يقتل الحسين لمات. أفتنوحون عليه وقد كسب عز الحياة. وسعادة الوفاة.

علوٌّ في الحياة وفي الممات .·. بحقٍ أنت إحدى المعجزات

من أحب الحسين فليفعل فعله في حفظ الدين، وكراهية الظالمين، وحب المساكين

قتل الحسين دليل على عظمة الإسلام، لأن مهره رؤوس تقطع، وأرواح تدفع، وضريبته دم يسيل، ورأس في سبيل الله يميل، الإسلام كالأسد همته ليست سخيفة، ولذلك لا يأكل

الجيفة، لعظمة الشمس أصابها الخسوف، ولجلالة القمر رمي بالكسوف، والعظماء غرض للحتوف:

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا .·. هل حارب الدهرُ إلا من له خطرُ

أما ترى البحر تعلو فوقه جيف .·. وتستقر بأقصى قعره دررُ

وفي السماء نجوم لا عداد لها .·. وليس يكسف إلا الشمس والقمر

رحم الله السبطين، الحسن والحسين، وعليا وفاطمة أكرموا الدين.

والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، وآله وصحبه أجمعين.

٥ـ الداعية الشيخ عثمان الخميس

الشيخ عثمان الخميس، من المحسوبين على التيار الوهابي ومن موقعه على الشبكة العنكبوتية (المنهج) قرأت له هذا الموضوع عن السادة أهل البيت، وهو منشور بتاريخ: ٠٨ - نوفمبر - ٢٠٠٢ وقد اخترت منه الآتي:

اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد أما بعد:

قال ابن منظور صاحب لسان العرب: أهل البيت سكانه وأهل الرجل أخص الناس به وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أزواجه وبناته وصهره، أعني علياً عليه السلام وقيل نساء النبي والرجال الذين هم آله.

وقال الراغب الأصفهاني: أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وولد. وقيل إن أصل كلمة آل: أهل، ثم قُلبت الهاء إلى همزة فصارت أأل ثم خففت بعد ذلك إلى آل. اهـ. فآل وأهل واحد، وآل الرجل هم أزواجه وذريته وأقرباؤه كما ذكر أهل اللغة. قال تبارك وتعالى عن امرأة العزيز أنها قالت لزوجها:

﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ (يوسف ٢٥) تريد نفسها وقال الله تبارك وتعالى عن موسى: ﴿إذ قال موسى لأهله إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر﴾ وأهله زوجته التي كانت معه. وقال عن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه وزوجته ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (هود ٧٣)

فضل آل البيت ومكانتهم وحقهم الذي لهم:

أولا: نستطيع أن نقسم فضائل أهل البيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى قسمين: فضائل عامة، وفضائل خاصة

ـ أما الفضائل العامة: فمنها حديث زيد وفيه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أذكركم الله أهل بيتي، أذكركم الله أهل بيتي، أذكركم الله أهل بيتي". وهذا عام في كل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ومن الفضائل ما جاء في آية النساء ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ وذلك أن نساء النبي من آل البيت كما قدمنا، ودخل علي وفاطمة والحسن والحسين في هذا الفضل بحديث الكساء.

وكذلك حديث الصلاة عليهم في التشهد نقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. وهذا لفضلهم ومكانتهم عند الله تبارك وتعالى.

وكذلك مما يدل على فضلهم حديث زيد بن أرقم، وفيه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم تركت فيكم ما إن تمسكتم فيه فلن تضلوا بعده أبدا كتاب الله وعترتي وفي رواية عترتي أهل بيتي" وهذا الحديث كنت أقول بحسنه فترة من الزمن ولكن بعد سبر أسانيده وإمعان النظر فيها تبين لي أنه ضعيف والله أعلم.

ـ الفضائل الخاصة:

ـ فرأسهم وسيدهم وأفضلهم علي بن أبي طالب رضي الله وتبارك وتعالى عنه وشهرته أكبر وأظهر من أن ننبه عليها ويكفيه فخراً قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق". رواه مسلم

ـ العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم له: "عم الرجل صنو أبيه". أي بمكانة أبيه. أخرجه الترمذي

ـ أزواجه وفيهن قول الله تبارك وتعالى ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾

أي أمهات المؤمنين.

ـ فاطمة رضي الله عنها وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها: "فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها". متفق عليه

ـ الحسن والحسين وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنهما: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة". أخرجه الترمذي وهو حديث صحيح.

ـ عبد الله بن العباس رضي الله عنهما ودعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم له: "اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين". رواه أحمد بإسناد صحيح.

ـ المهدي وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "المهدي من عترتي من ولد فاطمة"، وهذا رواه أبو داود وهو حديث صحيح..

فهذه بعض فضائلهم رضي الله عنهم وأرضاهم".

علماء الشيعة والسادة أهل البيت

قرأت كثيراً لكثرة من علماء ومراجع الشيعة؛ فوجدت فيها المغالي والمعتدل. والبعض يرفض مجرد القراءة؛ لمجرد أن فلاناً شيعي. ولا شك أن الغلو مرفوض من أي شخص أو جهة، والاعتدال هو بوابة الوصول إلى تجمع إيماني يقف على حقيقة الواقع المحيط بالأمة الإسلامية،

والعقل من يقرأ للجميع؛ ليقف على جميع وجهات النظر.

والناظر فيما كتبه، ونادي به المعتدلون من أعلام إخواننا الشيعة كالعلامة الدكتور موسى الموسوي، والشيخ القمي ـ مؤسس دار التقريب في مصر ـ والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، والملحق الإيراني السابق في مصر، السيد حجة الله جودكي؛ يجد تقارباً في وجهات النظر بين السنة والشيعة في موضوع حب السادة أهل البيت (نقلت ذلك عن هؤلاء السادة العلماء أعلام الشيعة في مبحث التشيع).

ومن أهم ما قرأت: تلك المحاضرة للشيخ حسن الصفار، وهو من أكبر المراجع الشيعية في المملكة العربية السعودية، يتهمه البعض بالغلو في سادتنا أهل البيت، مع سب سادتنا الصحابة، وينقلون في ذلك عن تسجيلات صوتيه ـ كما قالوا ـ متهمين إياه بالتقية؛ ولكنه في هذه المحاضرة كان منصفاً، وإن اختلفنا في شيء معه؛ فإننا نجده هنا من دعاة التقريب والإنصاف للجميع.

الشيخ حسن الصفار

الشيخ الصفار، أحد أهم رموز الشيعة في المملكة العربية السعودية، وآراء الشيخ تحمل قدراً كبيراً من الاعتدال، كما أنه من دعاة التقريب بين السنة والشيعة.

عثرت للشيخ على محاضرة يتحدث فيها عن سادتنا أهل البيت، وهي محاضرة عامة شاملة، لا غلو فيها ولا تطرف، وإليكم نص المحاضرة مع تقيم لها:

الشيخ الصفار، في محاضرة الليلة الثانية من عاشوراء: حب أهل البيت في نفوس المسلمين

مكتب الشيخ حسن الصفار - ٢٤ / ١ / ٢٠٠٧م- ٣:٥١ ص

تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار في الليلة الثانية من المحرم ١٤٢٨ هـ عن: «حبّ أهل البيت في نفوس المسلمين»، وذلك في ثلاثة محاور انطلق فيها من خلال الآية القرآنية

الكريمة: ﴿قل لاَّ أسألكم عليه أجراً إلاَّ المودَّة في القربى﴾ (سورة الشورى: آية ٢٣)، رتبها سماحته كالتالي:

في المحور الأول تحدّث عن «الأصل الديني لحبّ أهل البيت»، حيث بيّن في هذا المحور أن المحبّة لأهل البيت أمر إلهي يفهم من الآية المفتتح بها الحديث، حيث تُوجّه المسلمين إلى وجوب مودّة أهل البيت. ومن خلال المقارنة بين هذه الآية والآية القرآنية: ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾ (سورة سبأ آية: ٤٧) أشار الشيخ الصفّار إلى أن وجوب المودّة لأهل البيت ينسجم مع سائر التوجيهات الربّانية التي تهدف إلى جلب المصالح والمنافع لعموم الإنسان.

وفي المحور الثاني «مكانة أهل البيت في الأمة» بين ما لأهل البيت من مكانة مرموقة ومحترمة لدى سائر المسلمين، عامتهم وخاصتهم من العلماء والقادة. وما شاع في فترة من وجود فئة تظهر العداء لهم، فإنما ذلك كان ناشئًا بفعل العوامل السياسية، حيث رأت بعض القيادات السياسية في أهل البيت منافسًا حقيقيًّا لهم، ولّد بالتالي أحزابًا وجماعات تظهر المنافسة والمواجهة مع أهل البيت سرعان ما وجد طريقه إلى بعض العامّة من المسلمين.

وقد بقيت هذه المجموعات التي تنصب العداء لهم مجموعات قليلة، فيما كانت الأغلبية الساحقة من المسلمين تظهر المودّة والمحبة لأهل البيت، ولكن دون أن ينظر إليهم المسلمون على أنهم أئمة مفترضو الطاعة، إذ ظلّ هذا الاعتقاد نظرة خاصّة بالشيعة الإمامية.

في المحور الثالث «مسؤولية التعريف بأهل البيت» حمّل سماحة الشيخ الصفّار مجتمع الشيعة المسؤولية في نقل معارف وعلوم أهل البيت للعالم، خصوصًا مع ما يشهده العالم اليوم من انفتاح معرفي كبير ووفرة في وسائل الاتصال لم تكن متيسّرة من قبل، فهذا يحمّلنا مسؤولية أكبر في هذا الاتجاه. مركّزًا في هذه النقطة على أسس ثلاثة:

أن أهل البيت حمّلوا شيعتهم مسؤولية نقل معارفهم للآخرين.

أن أهل البيت حذّروا شيعتهم أن ينقلوا عنهم ما يسيء إليهم.

أن أهل البيت كانوا يريدون من شيعتهم أن يكونوا نموذجًا للآخرين من خلال سلوكهم.

وهذا نص المحاضرة:

قال الله العظيم، في كتابه الكريم: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [١]

حديثنا هذه الليلة يشتمل على ثلاثة محاور:

المحور الأول: الأصل الديني لحب أهل البيت

آيات القرآن الكريم والأحاديث الواردة عن رسول الله والتي اعتبرها المسلمون في مختلف مذاهبهم صحيحة ثابتة هي التي تدفع كل مسلم لكي ينعقد قلبه على حب أهل البيت.

ومن الآيات الكريمة التي تدعو لحب أهل البيت هذه الآية الكريمة، فالله تعالى يقول: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. والأنبياء حينما يبلغون رسالات الله فإنما يقومون بالتبليغ استجابة لأمر الله تعالى، وبالتالي فهم لا يريدون من أحد، مقابل تبليغهم للرسالة أجراً؛ ولذلك نجد في سورة الشعراء ورد على لسان خمسةٍ من الأنبياء: نوح، وهود، ولوط، وصالح، وشعيب، وفي خمسة مواقع من السورة الكريمة، كل هؤلاء الأنبياء كانوا يقولون بلسان واحد ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢]

إذاً لا أحد من الأنبياء يريد من الناس أجراً أو يتوقع منهم ذلك، في مقابل تبليغه رسالة الله. وكذلك النبي محمد أمره الله تعالى أن يقول للمسلمين: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [٣]، بينما نجد الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه أن يطلب من الناس أجراً، كما هو صريح في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، فكيف يُمكن التوفيق بين هذه الآية الكريمة، وبين قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ

---

[١] الشورى، آية ٢٣

[٢] الشعراء، ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.

[٣] سورة ص آية ٨٦

المتكلفين﴾، وكيف أن النبي يطلب أجراً من المسلمين على تبليغ الدعوة الإلهية بعكس سائر الأنبياء؟ هذا التنافي الذي يبدو لأول وهلة تجيب علية آية أخرى، يقول الله تعالى: ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد﴾ [٤]

إذاً الفائدة الكبرى من المودة في القربى هي للمسلمين، وليست للنبي الأكرم. فالأمة حينما تحب أهل البيت و ترتبط بهم فإن ذلك في مصلحة الأمة نفسها ولخير الأمة نفسها.

وحول الآية الكريمة: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ وردت روايات وأحاديث كثيرة نقلتها مصادر المسلمين، كما في تفسير الكشاف [٥] والصواعق المحرقة [٦] وغيرهما من المصادر الإسلامية المعتبرة، أن الصحابة سألوا رسول الله: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين أوجبت علينا مودتهم؟ قال: «هم علي و فاطمة و ابناهما».

ومن ذلك أيضاً: أن الإمام الحسن خطب في الناس بعد استشهاد أبيه أمير المؤمنين وقال: «أنا من أهل البيت الذين فرض الله مودتهم عليكم» [٧].

وروايات أخرى كثيرة مذكورة في الكتب و مصادر الحديث الإسلامية هذا على صعيد الآية الكريمة.

الأحاديث الشريفة ودعوتها لحب أهل البيت:

أما على صعيد الأحاديث والنصوص الواردة في مصادر الحديث فهي كثيرة، ومنها الحديث

---

[٤] سبأ، آية ٤٧

[٥] الزمخشري: ابو القاسم ، تفسير الكشاف ج٤ ص ٢١٣ ، درا الكتب العلمية ط١- ١٤١٥هـ ، بيروت

[٦] ابن حجر الهيثمي: أبو العباس ، الصواعق المحرقة ج٢ ص ٤٨٧ ، مؤسسة الرسالة ط١- ١٤٠٧هـ ، بيروت .

[٧] النيسابوري: أبو عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج٣ ص١٨٩ ، ح٤٨٠١ ، دار الكتب العلمية ط١ ١٤١١هـ ، بيروت .

الوارد عن رسول الله أنه قال: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه و أحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي»[٨]، وفي حديث آخر صححه الشيخ الألباني[٩] عن النبي أنه قال: «والذي نفسي بيده، لا يبغضنا أهل البيت أحدٌ إلا أدخله الله النار»، وهناك أحاديث كثيرة تتحدث عن أفراد أهل البيت، فمثلا عن الصديقة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، أن رسول الله قال فيها: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني»[١٠].

أما في حق علي، ففي صحيح ابن ماجة عن علي قال: «عهد إليَّ النبي الأمي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»[١١] قال الشيخ الألباني: (وهذا حديث صحيح).

وأما في حقَّ الحسنين عليهما السلام فالأحاديث كثيرة، ومنها قوله: «من أحب الحسن والحسين فقد أحبَّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»[١٢].

إذا هناك نصوص شرعية، وهي تؤصل لأصل ديني يدفع كل مسلم للولاء لأهل البيت ومحبتهم.

المحور الثاني: مكانة أهل البيت في الأمة

انطلاقاً من هذه النصوص ومن شخصيات أهل البيت التي فرضت نفسها بعلمها وفضلها؛ فإن الأمة كانت تحترم أهل البيت وتحبهم، فقد اتفقت الأمة في جميع عصورها على

---

[٨] المصدر السابق ج ٣ ص ١٦٢، ح ٤٧١٦

[٩] الألباني: محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٥ ص ٦٤٣ ح٢٤٨٨، مكتبة العارف، ط١ ١٤١٢هـ الرياض.

[١٠] البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج٢ ص٤٧٠ ح٣٧١٤ دار الكتب العلمية ١٤٢٠هـ، بيروت.

[١١] الألباني: محمد ناصر الدين: صحيح سنن ابن ماجه ج١ ص ٥٦ ح٩٢، مكتبة المعارف ط١ ١٤١٧هـ، الرياض.

[١٢] المصدر السابق ج١ ص ٦٤ ح١١٧

محبة أهل البيت وتعظيمهم. صحيح كانت هناك فئة من الأمة تظهر العداء والبغض لأهل البيت، وقد أطلق المسلمون عليهم مصطلح النواصب، وهذا المصطلح يعني تلك الفئة التي تبغض أهل البيت. في بداية الأمر كان هناك نوع من الصراع السياسي فالحاكمون رأوا في أهل البيت منافسة لهم في حكمهم في نفوذهم، ورأوا أن الأمة تنجذب إليهم تنشد إليهم؛ ولذلك أقصوا أهل البيت وجفوهم.

والمشكلة أن هناك من حوّل هذا الصراع السياسي إلى دين، وهؤلاء مغرضون، وحصل ذلك منهم تملقاً منهم إلى الحكام، أو غفلة منهم، أو من أجل مصلحة عندهم، حوّلوا الجفاء لأهل البيت إلى دين، وصاروا يبغضون أهل البيت ويناوئونهم بتأثير الأجواء السياسية. ومن نتائج ذلك شُتم أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب سبعين سنة على منابر المسلمين، وهذا نوع من التضليل، والناس بطبيعتهم يتأثرون بالأجواء الإعلامية المصنوعة.

والتاريخ ينقل لنا بعض القصص والشواهد على ذلك، ومنها ما قاله أحد أعلام المسلمين عن أحد الرواة وهو: حريز بن عثمان الحمصي [١٣]، أنه شامي ثقة وكان يحمل على علي ابن أبي طالب، ويا عجباً فكيف هذا الراوي ثقة، وهو يحمل على علي بن أبي طالب ويصرح ببغضه لأمير المؤمنين، قال عمران بن أبان: سمعت حريز بن عثمان يقول: لا أحبه قتل آبائي يعني علياً -، ويُنقل في ترجمته أنه كان في كل يوم يلعن علي في الغداة سبعين مرة وفي الليل سبعين مرة.

ومن طريف ما ينقل في قصص العلماء [١٤] أن نجيب باشا والي بغداد ذهب إلى النجف

---

[١٣] راجع سيرته في: تهذيب الكمال ج٥ ص ٥٧٢، والكامل في ضعفاء الرجال ج٢ ص٤٥١، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ج١ ص١٩٧، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٨ ص٢٦٥

[١٤] التنكابني: الميرزا محمد بن سليمان، قصص العلماء، ص١١٩، دار المحجة البيضاء ط١ ١٤١٣هـ، بيروت.

الأشرف، وطلب من الشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر)، أن يأخذه إلى زيارة قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعند وصولهما وقف الوالي أمام ضريح الإمام ثم رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم بحرمة لحيتي البيضاء تجاوز عن ذنوب الإمام علي إذ أحرق الكثير من دماء المسلمين.

خلاصةً، هناك فئة محدودة من الأمة يُظهرون العداء لأهل البيت ، ولكن أغلب الأمة يُعلنون حبهم لأهل البيت، صحيح أن المحبة لأهل البيت درجات، وأن أغلب المسلمين يحبون أهل البيت قلبياً ونفسياً، لكنهم لا يعتقدون بأنهم هم قيادة الأمة، وأنهم خلفاء رسول الله أقوالهم واجبة الاتباع، فهذه حالة اختص بها شيعة أهل البيت.

فأصل محبة أهل البيت يتفق عليها المسلمون، أما دورهم مكانتهم فهي محل نقاش، وكما يقول السيد الإمام الخوئي ـ رحمة الله عليه ـ في موسوعته الاستدلالية: «الضروري من الولاية إنما هي الولاية بمعنى الحب والولاء، وهم غير منكرين لها بهذا المعنى بل قد يظهرون حبهم لأهل البيت عليهم السلام. وأما الولاية بمعنى الخلافة فهي ليست بضرورية بوجه وإنما هي مسألة نظرية وقد فسروها بمعنى الحب والولاء ولو تقليدا لآبائهم وعلمائهم وإنكارهم للولاية بمعنى الخلافة مستند إلى الشبهة كما عرفت وقد أسلفنا أن إنكار الضروري إنما يستتبع الكفر و النجاسة فيما إذا كان مستلزما لتكذيب النبي كما إذا كان عالما بأن ما ينكره مما ثبت من الدين بالضرورة وهذا لم يتحقق في حق أهل الخلاف لعدم ثبوت الخلافة عندهم بالضرورة لأهل البيت. نعم الولاية بمعنى الخلافة من ضروريات المذهب لا من ضروريات الدين»[١٥].

فالمعنى واضح: خلافة أهل البيت وقيادتهم للأمة من ضرورات المذهب الجعفري، وهو ما اقتنع وآمن به شيعة أهل البيت، أما بقية المسلمين عندهم قناعة ورأي آخر، بالطبع المجال

---

[١٥] الخوئي: السيد ابو القاسم الموسوي، التنقيح في شرح العروة الوثقى، كتاب الطهارة ج٢ ص٨٦، ط٤- ١٤١٧هـ، مؤسسة انصاريان، قم إيران.

مفتوح للنقاش وللحوار، فنحن لنا أدلتنا ولنا براهيننا وبقية المسلمين عندهم تأوّل لهذه النصوص.

وأئمتنا ما كانوا يرون أن من كان له رأي آخر لتأوّل أو لشبهة يكون خارج الدين، وإنما تجري عليه أحكام الإسلام، بل إنه ورد في كتاب البحار للعلامة المجلسي ـ أعلى الله مقامه ـ عن الإمام جعفر الصادق عن آبائه عن علي قال: «إن للجنة ثمانية أبواب باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منه شيعتنا ومحبونا، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا أهل البيت»[١٦]، يعني مخالف لأهل البيت ولكن ليس في قلبه بغض لأهل البيت لسبب أو للآخر.

العلاقة مع الآخر بحسن الظن

وهنا مسألة هامة ينبغي تسليط الأضواء عليها في العلاقة بين المسلمين على تنوع مذاهبهم، إذ ينبغي أن يكون هناك حسن ظن بين المسلمين، ولا يفترض الواحد من أتباع مذهب بأن أتباع المذهب الآخر معاندون جاحدون يعرفون الحق ولا يتبعونه، وهذا الاعتقاد خاطئ؛ فأغلبية الناس لا يعرفون الحق، فهم قد عاشوا في بيئة وأصبحوا ضمن نهج تلك البيئة المذهبية، وبسبب القصور لم تتضح لهم الحقيقة وإلا ليس كل واحد يريد أن يدخل النار، وهو يعرف طريق النجاة ويتركه. صحيح هناك بعض الأشخاص يتضح لهم الحق لكنهم يكابرون ويجحدون، وهذا لا ينطبق على كل الناس؛ ولذلك ينبغي أن يتعامل المسلمون فيما بينهم على أساس حسن الظن في بعضهم البعض، ولا يفترض السني أن الشيعي يسير على طريق وهو يعلم أنه خطأ، بل عليه أن يعتقد أن الشيعي يسير على طريق وهو مقتنع أنه صح

---

[١٦] المجلسي: الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦٩ ص١٥٩ ح٥، دار إحياء التراث العربي ط٢ ١٤٠٣هـ، بيروت.

وإلا ما سار عليه. ولا يعتقد الشيعي أن السني يسير على طرق وهو يعلم أنه باطل، كلا! فالسني يسير على طريق وهو يعتقد أنه حق، ولو اتضح له أنه باطل لما سار عليه. وهذا الكلام لا ينفي وجود أشخاص في هذا الطرف وفي ذاك الطرف مكابرون وجاحدون.

تاريخ الأمة ومحبة أهل البيت:

إذا قرأنا في تاريخ الأمة نرى أن هناك تقديراً وتعظيماً واحتراماً واضحاً عند المسلمين، في كل عصر وجيل، لأهل البيت، فنجد ذلك حتى عند الحاكمين السابقين المناوئين لأهل البيت، نعم منعوا أهل البيت من حقهم الطبيعي في إدارة الأمة، ولكن في أعماق نفوسهم يعرفون مكانة أهل البيت، وهناك رواية تنقل عن المأمون العباسي أنه قال: إنما تعلَّم فضل أهل البيت من أبيه هارون، وذلك أنه رأى أباه وهو يجل ويقدر الإمام موسى بن جعفر فتعجب من ذلك.

يقول: وكنت أجرأ وُلدَ أبي عليه فلما خلا المجلس قلت يا أمير المؤمنين: من هذا الرجل الذي قد أعظمته و أجللته و قمت من مجلسك إليه فاستقبلته و أقعدته في صدر المجلس و جلست دونه ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟ قال: هذا إمام الناس و حجة الله على خلقه و خليفته على عباده. فقلت يا أمير المؤمنين: أوليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟ فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق، والله يا بني إنه لأحق بمقام رسول الله مني و من الخلق جميعا و والله لو نازعتني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك فإن الملك عقيم [١٧].

- فالأمة تعرف مكانة أهل البيت السامقة، وهنا نماذج من تقدير أئمة المذاهب لأهل البيت.

أئمة المذاهب الأربعة واحترام أهل البيت

لو أخذنا نموذجاً أئمة المذاهب الأربعة المعروفة، وقرأنا في حياتهم وسيرتهم لوجدنا أنهم

---

[١٧] الصدوق: الشيخ ابن بابويه، عيون أخبار الرضا ج١ ص٨٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١ ١٤٠٤هـ، بيروت.

كانوا يعلنون أمام الناس احترامهم وحبهم لأهل البيت وتعظيمهم للمكانة الرفيعة التي يتسنمها أهل البيت أنفسهم.

يتحدث الإمام مالك عن الإمام جعفر بن محمد الصادق فيقول: (ما رأت عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر ابن محمد الصادق علماً وعبادةً وورعا)[١٨]، وقال: (كان كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده رسول الله اصفر، وما رأيته يحدث عن رسول الله إلا على طهارة، ولقد اختلفت إليه زمانا، فما كنت أراه إلى على ثلاث خصال: إما مصلياً وإما صائما وإما يقرأ القرآن)[١٩].

رأي الإمام أبو حنيفة:

له كلمة معروفه ومشهورة: (لولا السنتان لهلك النعمان)[٢٠] أي لولا السنتان اللتان كان يحضر فيهما مجلس الإمام جعفر الصادق .

وحينما ألزمه المنصور العباسي بأن يناظر الإمام الصادق اعترف وأعتبرها فرصة للإشادة بالإمام الصادق، قال: دعاني أبو جعفر المنصور حينما كان في الحيرة وقال لي: إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهيئ له من المسائل الشداد. يقول فهيأت له أربعين مسألة. ثم بعث إليّ أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته فدخلت عليه، وجعفر بن محمد جالس على يمينه، فلما بصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر المنصور، ثم يكمل - أبو حنيفة - بأنه سأل الإمام، والإمام يجيبه فيقول: أنتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا، فربما تابعنا وربما تابعهم وربما خالفنا جميعا، حتى أتيت على

---

[١٨] حيدر: أسد، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد الرابع ج٨ ص٣٧١، دار التعارف للمطبوعات ط١ ١٤٢١هـ، بيروت.

[١٩] المصدر السابق: المجلد الرابع ج٨ ص ٣٧١-٣٧٢

[٢٠] الإمام جعفر الصادق عبد الحلم الجندي ص٢٥٢

الأربعين مسألة، ويُضيف أبو حنيفة: ألسنا روينا: إن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس [٢١].

وأما الإمام الشافعي:

والذي عُرف بحبه لأهل البيت فهو صاحب الشعر المعروف: [٢٢]

يا آل بيت رسول الله حبكم .·. فرض من الله في القران أنزله

كفاكم من عظيم الشأن أنكم .·. من لم يصلي عليكم لا صلاة له

وهو صاحب الشعر الذي يقول:

إن كان رفضاً حب آل محمدٍ .·. فليشهد الثقلان أني رافضي [٢٣].

أما رأي الإمام أحمد بن حنبل:

ففي مسنده عدد كبير من الروايات في فضل أهل البيت، ولعله ليس في كتب الصحاح و المسانيد كتاب فيه من فضائل أهل البيت ما في مسند الإمام أحمد بن حنبل، وله كتاب أفرده في فضائل علي ابن أبي طالب، وله كلمات ومواقف تنقل على هذا الصعيد: فمرة ينقل ولده عبد الله ابن أحمد بن حنبل يقول: حدث أبي بحديث سفينة، فقلت: يا أبت ما تقول في التفضيل؟ قال: في الخلافة أبو بكر وعمر وعثمان. فقلت: وعلي بن أبي طالب! قال: يابني علي بن أبي طالب من أهل بيت لا يقاس بهم أحد [٢٤].

صلاة المسلمين تشهد بمحبة أهل البيت

هذا بالنسبة لأئمة المذاهب، والمسلمون بمختلف مذاهبهم يُقرّون بمحبة أهل البيت،

[٢١] المصدر السابق: المجلد الأول ج١ ص٥٦

[٢٢] المصدر السابق: المجلد الرابع ج٨ ص٤١٦

[٢٣] أبو زهرة: محمد، الشافعي حياته وعصره، ص ١٢٧، دار الفكر العربي ط٢ ١٣٦٧هـ، القاهرة.

[٢٤] شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي - ج ١٥ - ص ٦٩٩

ويشهدون لهم بالفضل، فكل المسلمين في تشهدهم في الصلاة يقولون: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد»[٢٥]، وهذا واجب عند الشافعي وعند احمد بن حنبل على قول[٢٦]. والملاحظ هنا لم يُذكر أحد سوى أهل البيت، وهذا بسبب صريح النص الذي ورد عن رسول الله في كيفية الصلاة عليه، فحينما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾، سُئل: كيف نصلي عليك؟ فعلمهم هذه الصيغة التي تشمل النبي وآله، قال: «قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[٢٧]، ولذلك فإن عدم ذكر الآل في الصلاة يجعلها بتراء فقد روي عن النبي أنه قال: «لا تصلوا علي الصلاة البتراء». قالوا: وما الصلاة البتراء يا رسول الله؟ قال: تقولون: «اللهم صل على محمد وتسكتون، بل قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»[٢٨]، واقتصار الصلاة على النبي وآله في التشهد دون ذكر الآخرين ميزة واضحة.

كتب العلماء تزخر بفضائل أهل البيت

أما الكتب فقد أفرد كثير من علماء السنة كتباً في فضل أهل البيت، وأكتفي بذكر نماذج معاصرة، مع العلم أن في الماضي كُتبٌ كثيرة كنور الأبصار للشبلنجي، وذخائر العقبى

[٢٥] الموسوعة الفقهية (وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت) ص٩٧، ط١ ١٤١٢هـ، دار الصفوة مصر.

[٢٦] ابن قدامة: عبد الله بن أحمد المقدسي: المغني، ج٢ ص٢٢٨، هجر للطباعة ط٢ ١٤١٢هـ، القاهرة مصر. قال ابن قدامة ص٢٢٩ (وظاهر مذهب أحمد رحمه الله وجوبه، فإن أبا زرعة الدمشقي نقل عن أحمد أنه قال: كنت أتهيب ذلك، ثم تبينت، فإذا الصلاة واجبة. فظاهر هذا أنه رجع عن قوله الأول إلى هذا).

[٢٧] النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ص٢١٦ ح٦٦ باب الصلاة على النبي بعد التشهد، ط١ ١٤١٩هـ، دار المغني - الرياض.

[٢٨] ينابيع المودة لذوي القربى - القندوزي - ج ١ - ص ٣٧

للطبري وينابيع المودة للقندوزي والمناقب للخوارزمي وغيرها .

أما الكتب المعاصرة فكثيرة أيضاً، ومنها : كتابٌ لعالم معاصر من علماء الحديث المعروفين وهو الشيخ محمود سعيد بن محمد ممدوح من علماء مصر ويعتبر ضمن المدرسة السلفية في مجال الحديث، وهو من المحدثين و يعترف جميع علماء الحديث بمكانته العلمية، وله كتب تباع في المملكة، وكتبه من الكتب العلمية في مجال الحديث، هذا العالم وقبل سنتين طبع كتاباً مهماً جداً وقد قدّم له مستشار رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة السيد علي الهاشمي، والكتاب مطبوع من قبل مؤسسة الفقيه في أبو ظبي عام ١٤٢٥هـ كتاب جميل ورائع، عنوانه : (غاية التبجيل وترك القطع في التفضيل)[٢٩]، يقع في حوالي ثلاثمائة صفحة أو أكثر، وكله مدعّم بالأدلة والنصوص. في هذا الكتاب يؤكد على حقائق كثيرة وهامة من أبرزها هذه الحقيقة، يقول في(ص٣٦) : ما نقل عن الإمام أحمد بن حنبل أنه لم يُروَ في فضائل أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما روي في فضائل علي بن أبي طالب، ويقرر أيضا حقيقة أخرى : أن الذين يرون أفضلية الخلفاء على الإمام علي فيه نقاش، فالتقدم في الخلافة تقدم زمني لا يدل على الأفضلية، يقول في (ص٦٧) : وقد يحتج أو يستأنس بعضهم على الأفضلية بترتيبهم في الخلافة، فيقال : أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، كترتيبهم في الخلافة، وهذا التلازم فيه نظر، فبعد الاتفاق على أنه ظني، فإنه لا يصلح دليلاً على تفضيل متقدّم في الخلافة على متأخر ؛ لأن الخلافة بعد انتقال النبي، والناس لا يتفاضلون بالمناصب بل بكثرة الفضائل والخصائص.

ويأتي بآراء بعض الصحابة حول أفضلية علي بن أبي طالب على جميع الصحابة، ويذكر منها هذا الحديث ويصححه يقول سئل أبو ذر صاحب رسول الله، الذي قال فيه : (ما أقلّت

---

[٢٩] الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ . مكتبة الفقيه أبو ظبي .

الغبراء ولا أظلّت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر)[30]، يقول في (ص١٢٩) : جاء رجل أبا ذر وهو في مسجد الرسول فقال: يا أبا ذر ألا تخبرني بأحب الناس إليك، فإني أعرف أن أحبّهم إليك أحبهم إلى رسول الله ؟ قال: إي ورب الكعبة إن أحبهم إليّ أحبّهم إلى رسول الله وهو ذاك الشيخ، وأشار بيده إلى علي وهو يصلي أمامه).

وذكر في (ص ١٣٥) عن عبد الله بن مسعود أنه قال: كنّا نتحدث أن أفضل أهل المدينة علي بن أبي طالب.

والجميل أن المؤلف أفرد في كتابه فصل حول فاطمة الزهراء تحت عنوان: تنوير الأفئدة الذكية بتفضيل البضعة النبوية في(ص٩٥)، يقول فيه: ومنهم أي العلماء من يفضل فاطمة ابنة النبي على الجميع باعتبارها بضعته الشريفة المنيفة.

وذكر أن هذا مذهب أم المؤمنين عائشة، فقد صح عنها أنها قالت: ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها، ثم يذكر قول رسول الله: «فاطمة بضعة مني» ويقول: لا نعدل ببضعة رسول الله أحدا، ثم يذكر قول الألوسي: إن فاطمة من حيث البضعية لا يعدلها أحد، ويضيف في (ص٩٦) أن الإمام مالك قال: لا أفضل على بضعة رسول الله أحدا.

نموذج ثانٍ نذكره لأحد علمائنا في المملكة وهو قاضٍ في المحكمة الكبرى بالقطيف الشيخ صالح الدرويش، فقد ألّف كتاباً حول الإمام الصادق، نعم قد نختلف معه في بعض الجوانب المذكورة في الكتاب باعتبار رؤيتنا وعقيدتنا حول الإمام، بينما من حيث المجمل فإن الكتاب يتضمن الإشادة بالإمام والإقرار بأفضليته في زمانه، يقول: هو إمام أهل زمانه جعفر الملقب بالصادق وأبوه إمام أهل زمانه محمد بن علي الملقب بالباقر ابن إمام التابعين في زمانه علي بن الحسين زين العابدين [31].

---

[30] الألباني: محمد ناصر الدين: صحيح سنن ابن ماجه ج١ ص ٦٨ ح١٢٧

[31] الدرويش: الشيخ صالح بن عبد الله، الإمام جعفر الصادق: ص١٥، دار ابن الجوزي ط١ ١٤٢٦هـ، الدمام.

فواضح أن كل واحد منهم في زمانه هو إمام زمانه، وماذا يعني ذلك سوى أنه هو الأفضل في زمانه، ونقل نصوصاً كثيرة عن العلماء ومن التاريخ في فضل الإمام جعفر بن محمد الصادق.

وهناك قاضٍ آخر وهو الشيخ عبد العزيز العمير في ذات المحكمة ألف كتاباً تحت عنوان: نجي كربلاء عليه السلام. يعني الإمام زين العابدين وفي كتابه الكثير من التعظيم والتجليل في الإمام، يقول في مقدمته: اللهم إني أشهدك على محبتي لأهل بيت نبيك [٣٢].

أقول: هذا لا يعني أننا نتفق معه في كل ما ذكره في الكتاب من آراء، فمعروف أن هناك خلاف بين الشيعة وبين غيرهم فيما يرتبط في مقام أهل البيت ومكانتهم، ولكن نريد الإشارة إلى أن فضل أهل البيت وعظمتهم لا يستطيع أن ينكرها أحد.

المحور الثالث: مسؤولية التعريف بأهل البيت

في أزمنة سابقة كان هناك حظر على الحديث عن أهل البيت والإشادة بمكانتهم والتعريف بعلومهم للناس؛ ولذلك فإن قسماً كبيراً من الأمة لا يعرفون فضل أهل البيت، ولم تصلهم معارفهم. ونحن الآن نعيش في عصر أصبح المجال مفتوحاً من أجل أن تتعرف الأمة أكثر على أهل البيت وهذه مسؤولية على عاتق كل عالم واعٍ من السنة أو الشيعة لأن التعريف بأهل البيت جزء من محبتهم و مودتهم المفروضة على كل مسلم بحكم القرآن الكريم والأحاديث الواردة عن رسول الله.

وتختص الشيعة بمسؤولية أكبر وشاملة للتعريف بأهل البيت لأنهم أتباعهم، فعليهم أن يُوصلوا صوت أهل البيت على مستوى العالم الإسلامي بل على مستوى العالم الإنساني.

والسؤال: كيف يُمكن لنا أن نقوم بواجبنا في التعريف بأهل البيت؟

---

[٣٢] العمير: عبد العزيز بن أحمد، نجي كربلاء عليه السلام، ص٧، ط١ ١٤٢٧هـ.

في الروايات الواردة عن أهل البيت أن هناك ثلاث توجيهات أساسية في تحمل المسؤولية لنشر معارف أهل البيت والتعريف بهم:

أولاً- مسؤولية إيصال معارفهم وكلامهم وحديثهم للناس

ففي الرواية عن عبد السلام بن صالح الهروي قال سمعت علي بن موسى الرضا أنه يقول: «رحم الله عبداً أحيى أمرنا. فقلت له: وكيف يحيى أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا الحديث» [٣٣] وفي هذه الرواية أمر من الإمام أن نحيي أمرهم بإيصال معارفهم للناس، وعلينا أن نعترف بالتقصير على هذا الصعيد حيث إننا لم نولي هذا الجانب الاهتمام المطلوب، فعلى صعيد الطباعة والنشر، كم من النسخ نُشر من الصحيفة السجادية ونهج البلاغة؟! وإلى كم لغة تُرجما؟! وهذا أمرٌ في غاية السهولة، ناهيك عن الجوانب الأخرى التي ما زال العالم الشيعي متجاهلاً لها.

ثانياً- التحذير من تعريض أهل البيت للإساءة

فنجد في روايات أهل البيت تحذيراً لشيعتهم من أن يرووا عنهم ما يسيء لهم. فقد ورد في عيون أخبار الرضا عن الإمام علي بن موسى الرضا أنه قال: "يا بن أبي محمود أن مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعداءنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام ١٠٨) [٣٤].

[٣٣] جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي - ج ١ - ص ٢٣٨

[٣٤] عيون أخبار الرضا - الشيخ الصدوق - ج ٢ - ص ٢٧٢

ثالثاً- الدعوة لأهل البيت بالسلوك الإيجابي

أهل البيت كانوا يريدون من شيعتهم أن يكونوا بسلوكهم نموذجا في التعريف بأهل البيت، وقد ورد عن الإمام الصادق أن قال: «كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم» [٣٥].

وقال: «إن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري فيسرني ذلك ويدخل علي منه السرور، وقيل: هذا أدب جعفر وإذا كان على غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره وقيل: هذا أدب جعفر» [٣٦].

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه أنه قال للمفضل: أي مفضل، قل لشيعتنا: «كونوا دعاة إلينا بالكف عن محارم الله واجتناب معاصيه، واتباع رضوان الله، فإنهم إذا كانوا كذلك؛ كان الناس إلينا مسارعين» [٣٧].

وعن سليمان بن مهران، قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) وعنده نفر من الشيعة وهو يقول: "معاشر الشيعة، كونوا لنا زينا، ولا تكونوا لنا شينا، قولوا للناس حسنا، واحفظوا ألسنتكم وكفوها عن الفضول، وقبيح القول" [٣٨].

ورواية أخرى عن الأمام الصادق: «رحم الله عبدا استجر مودة الناس إلى نفسه وإلينا» [٣٩]، وجاء في حديث آخر: «حببونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم» [٤٠].

موقعية الإمام الحسين في الأمة

واضحٌ من خلال البحث كيف أن الأمة كانت تنظر إلى أهل البيت نظرة إجلال وتعظيم،

[٣٥] حاشية مجمع الفائدة والبرهان الوحيد البهبهاني ص٢٤

[٣٦] الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - ص ٦٣٦

[٣٧] دعائم الإسلام - القاضي النعمان المغربي - ج ١ - ص ٥٨

[٣٨] الأمالي - الشيخ الطوسي - ص ٤٤٠

[٣٩] مستدرك الوسائل ج١٢ص ٢٧٥ ح١٤٠٨٦

[٤٠] المصدر السابق ج٨ ص٣١١ ح٩٥٢١

والإمـام الحسين بن علي كـانـت له مـوقـعيتـه المميـزة بين الأصـحـاب ؛ حـيـث كـانـوا يجلونـه ويحترمونـه ويقدرونه ، تقول كتب السير كما ورد في الإصابة عن الإمام الحسين أنه دخل مسجد جده رسول الله وهو صغير يقول : «أتيت عمر وهو يخطب على المنبر فصعدت إليه فقلت انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك . فقال عمر : لم يكن لأبي منبر ، وأخذني فأجلسني معه أقلب حصى بيدي فلما نزل انطلق بي إلى منزله ، فقال لي : من علمك ؟ قلت : والله ما علمني أحد» [٤١] .

وأيضا في الإصابة [٤٢] أن عمر قال للإمام الحسين : إنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله ثم أنتم .

وفي التاريخ فاضل الخليفة عمر بين الناس في العطاء ، لكنه أعطى الحسن والحسين مثل عطاء أهل بدر مع أنهم لم يشهدوا بدراً فسئل عن ذلك ، فأجاب لمكانتهما من رسول الله .

وهذا ابن عباس يزجر مدرك بن زياد أو ابن عمارة بسبب لومه إياه على مسكه الركاب وتسويته الثياب للحسن والحسين،قائلاً له : يا لكع أو تدري مَن هذان ؟ هذان ابنا رسول الله ، أو ليس مما أنعم الله به علي أن أمسك لهما الركاب وأسوي عليهما الثياب [٤٣] .

وها هو عبد الله بن عمرو بن العاص يُخبر أصحابه لما اجتاز عليهم الحسين في مسجد جده قائلاً : ألا أخبركم بأحب أهل الأرض إلى أهل السماء ؟

قالوا : بلى .

قال : هذا الماشي وأشار إلى الحسين [٤٤] .

---

[٤١] الإصابة - ابن حجر - ج ٢ - ص ٦٩

[٤٢] الإصابة - ابن حجر - ج ٢ - ص ٦٩

[٤٣] حياة الإمام الحسين باقر شريف القرشي ج١ص١٠٦

[٤٤] المصدر السابق ج١ ص١٠٧

وهذا أبو هريرة يحتفي بالإمام الحسين، كما جاء عن أبي المهزم، قال: كنا مع جنازة امرأة ومعنا أبو هريرة فجئ بجنازة رجل فجعله بينه وبين المرأة فصلى عليهما فلما أقبلنا أعيا الحسين فقعد في الطريق، فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن قدميه بطرف ثوبه فقال الحسين: يا أبا هريرة وأنت تفعل هذا ؟ قال أبو هريرة: دعني فوالله لو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم [٤٥].

نعم.. لقد رأت الصحابة أن الإمام الحسين هو بقية الله في أرضه والمثل الأعلى لجده، فأولته المزيد من حبها وتقديرها، وراحت تتسابق للتشرف بخدمته وزيارته، فسلام الله على الحسين يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

ما أتمناه للجميع

إنني ختمت مبحثي هذا بآراء وأفكار وعواطف تلك الكوكبة من العلماء من أهل السنة السابقين والمعاصرين، كما ختمه بممثل معاصر لعلماء الشيعة؛ لنرى كيف يمكن لنا أن نتجمع ولا نتفرق، وأن نتلاقى لا أن نتنافر؛ إذا صدقت العزائم، وحسنت النوايا.

أتنمى أن يكون أهل السنة كمثل العلامة الشيخ بدر حسون في خطبته تلك، كما أتمنى أن يكون الشيعة على منهج الشيخ حسن الصفار في محاضرته هذه.

أعتقد أن كل المسلمين بكل طوائفهم ومشاربهم يثبتون لأنفسهم ولغيرهم أنهم يحبون السادة أهل البيت. فلو ذهبنا إلى إخواننا الشيعة؛ وجدناهم يقولون بهذا الحب، ويتخذونه شعاراً في شتى مناحي حياتهم العقدية والفكرية والسلوكية، ولولا غلوهم واتكالهم على هذا، وخوضهم معارك لم يحضروها، وحيفهم وجورهم على سادتنا أصحاب النبي، وبعض أزواجه؛ لكان هذا الحب جامعاً مشتركا أعلى يعم المسلمين جميعاً.

ولو حافظ الصوفية على ما يمتلكون من رصيد الحب للسادة أهل البيت الذي عند

[٤٥] ترجمة الإمام الحسين - ابن عساكر - ص ٢١٤

شيوخهم الأجلاء والمربين الأوائل؛ لأسفر وجه التصوف المشرق بنور الحب الحقيقي للسادة أهل البيت، وأقولها صراحة: إن السادة الصوفية المعتدلين هم الأولى من كل الطوائف بإظهار شعيرة هذا الحب، وأن ينسبوا أنفسهم إليه، وهذا أمر يقرره الواقع؛ فهم يجمعون بين حب السادة أهل البيت، وحب السادة المحيطين بسيدنا رسول الله كأزواج النبي وأصحاب النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ أو كما يقال: "ربحوا أهل البيت، وما خسروا الصحابة".

ولو اهتم المتطرفون بالجانب المتعلق بحب السادة أهل البيت، ولم يذهبوا إلى أن ذلك مدعاة إلى التشيع، أو أن هذا الحب يتنافى مع العقيدة الصحيحة، ولم يشنعوا بالمحبين من الصوفية وغيرهم، ولم يتهموهم في عقائدهم، ويبحثوا عن نواياهم؛ لرحب بهم المتصوفون ومعظم علماء المسلمين أهل السنة المعتدلين بتعديل هذا السلوك. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة ترفع بها عنا الغم والبلاء والوباء والغلاء، يا أكرم من سُئل وخير من أعطى، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



المعنى العام للتشيع

تكاد تجمع قواميس اللغة على أن: (الشيعة) هم الأحباب والأعوان والأتباع والأنصار، من أهل المرء، أو من غيرهم.

وقد أُشيع استعمال هذا اللفظ على أحباب وأتباع سيدنا الإمام علي رضي الله عنه وكرم وجهه، في حياته، وكذلك أطلق على أحبابه وأحباب الذرية المباركة بعد وفاته، وقد صار التشيع بعد ذلك مذهباً وعلماً يطلق على طائفة مخصوصة من غير أهل السنة، ويعرفون بالطائفة الشيعية.

وحقيقة التشيع هو أن يصير الإنسان من أحباب وأنصار سادتنا أهل البيت ـ عليهم مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام ـ وبهذا المعنى يصير كل المؤمنين شيعةً؛ فلا يوجد مؤمن إلا وفي قلبه حب السادة؛ عليهم مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام.

والشيعي إما أن يكون معتدلاً في حب السادة عارفاً قدرهم مقراً بفضلهم راجياً من الله تعالى أن يكون ضمن أحبابهم، وإما أن يكون مغالياً فيهم، جافياً أدبهم، ساباً لغيرهم من كبار سادتنا الصحابة ـ وهم الذين شهد القرآن لهم بالحب والتراحم فيما بينهم، والذين بادلوا السادة أهل البيت حباً بحبٍ ـ وهذا مخالف لما كان عليه سادتنا أهل البيت؛ فلم نسمع أو نقرأ، أو نر أحداً من السادة أهل البيت قد ذم أو سب أحداً من سادتنا الصحابة؛ رضوان الله عليهم.

وسمات الشيعي المعتدل معلومة: وهو أن يكون من أحباب وأنصار السادة أهل البيت ذا عاطفةٍ معتدلة؛ تدفعه إلى محاولة تقليدهم، ملتزماً الأدب مع أصحاب النبي، تاركاً ما دار بينهم من شجار وخلاف. هذا هو الشيعي الحق والتشيع المعتدل؛ ولكننا نرى أن غلاة الشيعة هم أصحاب الصوت العالي في شتى وسائل الإعلام والاتصال، ونعلم ويعلم المعتدلون منهم أنهم يبحثون عن أي هفوة لصحابي ويذهبون في تكبيرها كل مذهب.

ليس الشيعة وحدهم

يكاد إخواننا الشيعة أن يحتكروا حب السادة أهل البيت لهم وحدهم دون سائر المؤمنين من أمة سيد الخلق ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وكأنهم وحدهم قد انفردوا بالولاء للسادة، وأن من عداهم من المسلمين نواصب؛ يعادون السادة أهل البيت، وهذا منطق مغلوط لديهم مردود عليهم.

وتجدهم دائماً يرددون ما يوحي بأنهم القيمون على هذا الحب، الداعون له، الهائمون به.

ومعلوم أنه لا يمكن لقلبٍ ذاق طعم الإيمان؛ إلا ونجد حب السادة أهل البيت له المساحة الكبرى فيه بعد الله ورسوله؛ بل إن هذا الحب هو من حب الله ورسوله.

إن قلباً خالياً من تلك العاطفة السامية قلبٌ مقفر من كل معاني العطاء، كيف لا وقد جعل الله حبهم فريضةً، وودهم قربى، ومتابعتهم نجاةً، والتخلف عنهم هلكةً؟!. ثم أليسوا هم سفن النجاة، ونجوم الهداية؟! إنهم سنة سيد الخلق المتحركة بين الناس؛ لأنهم أكثر الناس بها علماً، وأقربهم لصحابها رحماً وقلباً.

"مصر أكثر البلاد حباً لأهل البيت إلا أنها لم تتشيع"

سمعت هذا التعبير الصادق من أستاذنا الدكتور عبد الصبور مرزوق ـ رحمه الله وأحسن إليه ـ ونحن نستمع إليه محاضراً في مدرج قصر ثقافة أسيوط حيث كان ضيفاً على أسيوط وقد تمت دعوتنا للحضور عندما كنا طلاباً في جامعة الأزهر كان ذلك عام١٩٨٧ ونظراً لأني من محبي سادتنا؛ دخلت تلك العبارة فكري وقلبي وثبتت في ذاكرتي وكثيراً ما كنت أذكرها للأحباب عند المناقشات والردود.

وبالفعل فإن في مصر مراقد ومشاهد عديدة لسادتنا أهل البيت، ومن أشهر هذه المراقد: مرقد (الرأس الشريف) لسيدنا الإمام الحسين، ومرقد سيدتنا السيدة زينب، وسيدتنا السيدة نفيسة العلوم، وسادتنا البدوي والدسوقي والقنائي والشاذلي، والحبيبي والفرغل،

وكذلك مشاهد رمزية لسيدي علي زين العابدين وسيدي الرفاعي وغيرهم من سادتنا الأطهار ـ عليهم مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام ـ وقد صارت تلك المشاهد مزاراً لأحبابهم من جميع أنحاء مصر بل والعالم العربي والإسلامي.

موالد السادة أهل البيت:

يقيم المصريون الاحتفالات السنوية لسادتنا أهل البيت، ويأتون إلى تلك الأماكن المباركة من أقاصي البلاد؛ حباً في هؤلاء السادة، وتبركاً بهم؛ لشعورهم أن هؤلاء السادة أفرع من شجرة النبوة، وأجزاء من الجسم المحمدي المنير المبارك ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

إنهم يقطعون المسافات الطويلة، ويتكبدون المشاق، وينفقون المال؛ للفوز بالزيارة؛ احتفاءً واحتفالاً بسادتنا أهل البيت.

لقد أراد الله لأهل مصر أن يجعلوا من موالد هؤلاء السادة تظاهرات حب وفرح وسرور وشكر على نعمة الله؛ لوجود السادة في مصر.

سألت يوماً أستاذنا وشيخنا الشيخ عبد الحميد محمود عبد الله الرافعي ـ وكنا في مولد سيدنا الإمام السلطان الفرغل، وكان الزحام شديداً؛ حيث تفيض الشوارع بآلاف المحبين ـ فقلت لسيدي: هل يستطيع أي حاكم في الأرض أن يجمع مثل هذا العدد في ذكرى ميلاده؟! فأجابني الشيخ بسؤال جميل: وإن جمعهم، هل يستطيع أن يجمعهم على حبٍ له كهذا يا ولدي؟!

معارك الشيعة لا محل لها:

ومما يؤسف له أن أهم معارك الشيعة الآن، وفي الماضي تكاد تنصب على أصحاب سيد الخلق ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وهم قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وعاشوا حياتهم في ظل طاعته؛ أمراً، ونهياً، وهم الذين أنزل الله فيهم قرآناً يُتلى ويُتعبد بتلاوته.

والشيعة يحاولون دائماً تجريد أصحاب النبي من فضائلهم، وإبراز هفواتهم وتكبير تلك الهفوات وكأنها كل عملهم، أو خلاصة سلوكهم!

غريب جداً منهج إخواننا الشيعة؛ لأنهم يعيشون على ماضٍ لم يحضروه، وخلافات هم أبعد ما يكونون عنها، ولم يكونوا يوماً ما طرفاً فيها!!

إنها خلافاتٌ مضى زمانها، و انتهى أوانها، ولا أدري ما الذي يفيد إخواننا الشيعة من إثارتها دائما، وجعلها أصلاً من أصول سلوكهم الدعوي بل وعقيدتهم؟!.

سيدنا الإمام علي والخلافة:

نفترض أن سيدنا الإمام علي أولى بالخلافة من سيدنا الصديق أبي بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان ـ رضي الله تعالى عنهم جميعاً ـ وتولوا الخلافة قبله، ما الضرر على الإمام، علي والسادة أهل البيت في ذلك؟! وهل ينقص من قدره ـ رضي الله عنه وكرم وجهه ـ أن صار خليفة بعدهم، وقد كان الإمام ـ كما في نصوص الشيعة ـ من أشد الرافضين لها؟! وهل نافس الإمام إخوانه من الصحابة في أمر الخلافة، أو نازعهم، أو دخل معهم في صراع؟!.

نفترض أن سادتنا الخلفاء الأربعة الكرام قد اختلفوا فيما بينهم، ودارت بينهم مساجلات لم تصل إلى العراك بينهم بذواتهم. فما الذي يعود علينا كمسلمين لم نحضر وقائع بعينها، ولم نشهد اختلافات بين هؤلاء السادة؟! ما الذي يعود علينا من جر خلافات الماضي وإسقاطها على الحاضر؟!.

ما أعلمه أن الإمام كان وزيراً ومستشاراً للأئمة الثلاثة؛ يحبونه ويحبهم، بل كانوا يفضلون أولاده على أولادهم، وكتب السيرة مليئة بمثل هذا التكريم للإمام وذريته؛ رضي الله عنهم جميعا.

سيدنا عثمان والخلافة:

نعم حدثت الفتنة في أواخر خلافة سيدنا عثمان بن عفان ـ رضي الله تعالى عنه ـ وهو من

هو في الحياء والكرم، ويكفيه أنه تزوج اثنتين من بنات سيد الخلق ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وأنه جهز جيش العسرة، وأنه كانت تستحي منه الملائكة، ولولا أن سيد الخلق كان راضياً عنه ما زوجه من ابنتيه السيدة رقية وبعد وفاتها بالسيدة أم كلثوم ـ رضي الله عنهما ـ ومعلوم أن النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ محروس بالوحي، ومحاط بالعصمة في قوله وتصرفه؛ لا يرضى أن يزوج ابنتيه ممن تحوم حوله شبهة، أو يشعر أن الله غير راضٍ عنه.

تقصير الأزهر، ومعظم علماء السنة سبب هام:

لاشك أن علماءنا أهل السنة يتحملون نسبةً كبيرةً من هذا التشيع الذي يقع فيه الشباب والكبار؛ بسبب تقصيرهم في بيان فضل السادة أهل البيت، وكيفية حبهم الحب الصحيح دون غلوٍ أو تفريطٍ. وقلما نجد عالماً جعل خطبةً من خطب الجمعة، أو درساً من دروسه، أو محاضرة من محاضراته، أو كتاباً من مؤلفاته عن السادة أهل البيت، وبيان فضلهم، ومالهم من منزلةٍ، وما تحملوه من معاناة، وكيف قابلوا كل ذلك بالصبر الجميل، والعفو والمسامحة، والنصح للمؤمنين. وليس معنى هذا أن كل العلماء مقصرون، إنما أتحدث عن معظم الدعاة وهم ألوف كثيرة ومنتشرة في شتى المنابر والمعاهد والجامعات. ورغم هذا التقصير من أعلام الدعوة في هذا العصر؛ فقد وجدنا ـ والحمد لله ـ أعلاماً ـ وإن كانوا قِلةً ـ في كل مجالٍ يهيمون حباً في هؤلاء السادة، ومعظم هؤلاء العلماء من المحسوبين على التيار الصوفي، أو المحبين لهذا الفكر، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بالفضل السادة أئمة وأعلام الأزهر مثل: مفتي وداعية الأزهر الشيخ يوسف الدجوي، والإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود، وخطيب الأزهر الشيخ صالح الجعفري، والمحدث الشيخ عبد ربه سليمان.

ومن الأدباء والمفكرين: الأستاذ العملاق عباس محمود العقاد، والأستاذ المفكر خالد محمد خالد. إن هؤلاء العلماء والمفكرين يشهد معظم الناس لهم برفيع العلم، ونبل القصد،

وسمو العاطفة؛ فالإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود كاد يوقف معظم مؤلفاته على سيرتهم العطرة المباركة وسير أحبابهم؛ تأليفاً وشرحاً وتحقيقاً.

والشيخ صالح الجعفري كان درسه بعد صلاة عصر الجمعة ملاذاً لمحبي سادتنا أهل البيت والصالحين من عباد الله، وقد تمت طباعة دروسه ـ رضي الله تعالى عنه وسلام الله على أجداده ـ كما أن لسيدي الجعفري دار نشر مليئة بالدرر (دار جوامع الكلم) بجوار ضريحه المبارك والمسجد العامر بالدراسة، كما إن له دواوين شعرية تفيض حباً لهؤلاء السادة.

والشيخ عبد ربه سليمان صاحب الدرس الشهير بالأزهر، ولو لم يكتب إلا كتابه الرائع الذي أتمنى إعادة طباعته بصورة جيدة (فيض الوهاب) في الرد على المتنطعين المنكرين لبركات السادة لكفاه ذلك؛ رحمه الله تعالى ورضي عنه.

أما الأستاذ العقاد فهو كما وُصِف (أكبر مفكرٍ عربي معاصر) له سلسلة (العبقريات) والتي ضمها مجلد ضخم (إسلاميات) حوي مجموعة من كتبه هي: مطلع النور، عبقرية محمد، عبقرية الصديق، عبقرية عمر، عبقرية علي، عبقرية خالد، الحسين أبو الشهداء، فاطمة الزهراء.

وبمناسبة الحديث عن العقاد أذكر أني قد نقلت عن الأستاذ في مختاراتي: (أحلى عشرين قصيدةً في حب أهل البيت) تعليقه على ما حدث من رجولة إيمانية للشاعر الفرزدق عندما ترك صحبة الوالي، أو الأمير هشام بن عبد الملك؛ حباً في سيدنا الإمام زين العابدين، ورداً على سؤال هشام، أو سؤال الوفد المرافق له من أهل العراق (من هذا؟) أي الذي أفسح الناس له لتقبيل الحجر، ولم يفسحوا لهشام. وتحت عنوان (عاشق الجمال) يحدثنا العقاد عن هذا الشاعر ذي الموقف الفذ، وعن شعراء سادتنا أهل البيت عامة فيقول: "فإذا تعلقت القريحة بالجمال فلا جرم تزن الأمور بغير ميزان الحساب والصفقات فتعرض عن النعمة وهي بين يديها وتقبل على الألم وهي ناظرة إليه وتلزمها سجية العشق الآخذ بالأعنة فتنقاد له ولا

تنقاد لنصيحة ناصحٍ أو عذل عاذلٍ لأن المشغوف بالجمال ينشده ولا يبالي ما يلقاه في سبيله.

ولقد تمثلت سجية عاشق الجمال في كل شعر نظمه شعراء الحسين وذويه تعظيماً لهم وثناءً عليهم فلم يتوجهوا إليهم ممدوحين وإنما اتجهوا إليهم صوراً مثلى يهيمون بها كما يهيم المحب بصورة حبيبه ويستعذبون من أجلها ما يصيبهم من ملام وإيلام" . فقد صدح الفرزدق في هذا الموقف بأهم قصيدة له، منها قوله:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته .·. والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله .·. بجده أنبياء الله قد ختموا

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم .·. في كل بدء ومختوم به الكلم

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم .·. أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

وليس قولك من هذا بضائره .·. العرب تعرف من أنكرت والعجم

والأستاذ المفكر خالد محمد خالد، هو صاحب الفكر المستنير وله من المؤلفات في السير الطيبة في حب سيدنا رسول الله وأهله الكرام وصحبه الأعلام ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ كثرة من المؤلفات والمقالات منها: خلفاء الرسول، رجالٌ حول الرسول، وأبناء الرسول في كربلاء، وهذا الكتاب تصوير موثق ورائع للأحداث العظام التي مرت بسادتنا أهل البيت، تقرأه وكأنك تعيش الحال، وقلما يقرأه إنسان؛ إلا وتنساب الدموع من عينيه دون قصدٍ منه، عليهم مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام ورحم الله مفكرنا الأستاذ خالد محمد خالد وحشره معهم.

وكذلك كتب الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي مقالاته الشهيرة في الأهرام تحت عنوان: (علي إمام المتقين) وصدرت في كتاب يحمل العنوان نفسه والذي أثار ـ كما أثارت المقالات ـ ضجة كبرى ومعارك بينه وبين العلماء والمفكرين.

لماذا هذا التقصير، أيها الأزهر؟!!:

غريب جداً أن يعيش مثلي عمراً دراسياً في رحاب الأزهر في المرحلتين الثانوية والجامعية ولا يدرس تفسيراً يتناول الآيات التي تتحدث عن سادتنا أهل البيت، أو يسمع عن الأحاديث التي وردت في فضلهم، والحث على حبهم، رغم كثرة مقررات التفسير والحديث، إن هذا لشيء عجيب بل عجاب!!!.

وردت أحاديث كثيرة في حب سادتنا أهل البيت، أشهرها حديث الثقلين: أهل البيت، والقرآن الكريم، وهل يعقل أن نترك أحد الثقلين دون اهتمام واضح؟!!. فلماذا لم يقم الأزهر بتدريس هذا الحديث وخاصة في المراحل الأولى من التعليم أو المتوسطة كالابتدائي أو الإعدادي أو الثانوي؛ استجابة لما ورد بأن نؤدب أولادنا على حب نبينا وأهل بيت نبينا وحب القرآن الكريم.

لماذا لم ندرس مثل هذه الأحاديث النبوية الشريفة:

"أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وعلى قراءة القرآن فأن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه".

"أحبّوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحبّ الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي".

"مثل أهل بيتي، مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تركها غرق".

"إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله، حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة"

"الزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عملٌ عمله إلا بمعرفته حقنا"؟!!. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

إن الشيعة سبقوا أهل السنة بمراحل في هذا الشأن؛ فهم يعلمون ويربون أولادهم منذ

الصغر على حب السادة أهل البيت، ولولا غلوهم فيهم، وسبهم لغيرهم؛ لكانوا من أفضل المسلمين والمؤمنين، والأزهر - بفضل الله تعالى - لا غلو فيه، ولا تطرف؛ فكان من الواجب عليه أن يكون هو الأولى بمثل هذا التعليم وتلك التربية.

أقسم أنه قد حدث منذ أيام (مايو ٢٠٠٨) أن كنت مع زميلين مثقفين من ذوي المؤهلات العليا وذكرت لهما في حوار بيننا حديث الثقلين؛ فاستنكرا ذلك، وقالا أنهما لم يسمعا برواية (كتاب الله وأهل بيتي) أبداً، وشككا مقدما فيها، وقالا أنهما لم يعرفا إلا (كتاب الله وسنتي) وهما صادقان. نعم لم يدرساها في منهج أو يسمعا عنها من خطيب أو واعظ، رغم أن أحدهم يقوم بتدريس اللغة العربية منذ سنوات!! فعلى من تقع تلك المسئولية؟!!.

مناشدة للإمام الأكبر والسيد وزير الأوقاف وفضيلة المفتي والسادة المختصين

ولكل ما سبق أناشد السيد صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إمام أهل السنة والجماعة بالنظر في موضوع السادة أهل البيت، وكيفية تفعيل حبهم في واقعنا، والتحذير من الغلو الشيعي الذي يعتمد على سب بعض سادتنا الصحابة، وسيداتنا أمهات المؤمنين، كما أطالب بذلك السيد صاحب الفضيلة وزير الأوقاف، والسيد صاحب الفضيلة مفتي الجمهورية، وجميع السادة العلماء والمفكرين والكتاب والمبدعين الغيورين على الأزهر وعلى منهج أهل السنة والجماعة، وهم بفضل الله تعالى أهل فضل ونعمة علماء أجلاء وهم شرف للإسلام في شتى بقاع الأرض؛ أناشدهم جميعاً التدخل السريع؛ لتدارك ما فات، والتحصين مما هو آت.

إن الأزهر سُمِّي بالأزهر؛ نسبة إلى سيدتنا السيدة فاطمة الزهراء - رضي الله تعالى عنها - فهل من اللائق بالأزهر ألا نجد ضمن مناهجه كتاباً يتحدث عن السيدة الزهراء، أو سيدَي شباب أهل الجنة: سيدنا الإمام الحسن، وسيدنا الإمام الحسين - رضي الله تعالى عنهما؟! أم

أن الأزهر يخاف أن يعود المذهب الشيعي الذي على أساسة تم تشييد الأزهر ؟! وهل هذا السلوك من قلعة الشريعة يمكن أن يخدم أهل السنة والجماعة، أم أن هذا السلوك يقول لنا لسان حاله : إن الأزهر السني يقصِّر، أو يتجاهل السادة أهل البيت؛ فلا مانع من غزوٍ شيعيٍ يسد هذا الفراغ؟!.

وماذا لو أن أحد دعاة الشيعة قال للبسطاء : إن الأزهر يحقد على السادة أهل البيت ويحجب تاريخهم ويمنع تدريس سيرتهم وما يتصل بحياتهم؟!.

لا أدري هل لدى الأزهر تخوف بالفعل من نشر حب السادة أهل البيت بين المسلمين، وإن هذا التدريس يدفع الناس إلى التشيع، أو يعيد الأزهر إلى أحضان المذهب الشيعي الذي بني الأزهر على أساسه، وينزع عن الأزهر سنيته؟!!

إن من أكبر المآخذ على الأزهر ألا نرى في مناهجه كتباً تتحدث عن الثقل الثاني سادتنا أهل البيت . إن من حق السادة أهل البيت على الأزهر ـ بصفته قبلة أهل السنة والجماعة ـ أن تُدرَس سيرهم الواردة في السنة الصحيحة بأكثر مما تدرس أهم التراجم؛ فهم صنو كتاب الله عز وجل، وعِدل السنة النبوية المباركة.

ما أعلمه أن التيار الشيعي في مصر قد نشط جداً هذه الأيام؛ فقد نشرت بعض الصحف أنهم يريدون احتلال مسجد سيدنا ومولانا سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي، ولهم في تشييع مصر رغبة قوية، ولهم رغبة في السيطرة على مساجد كثيرة كمسجد المعز لدين الله الفاطمي، وكل مساجد مصر المعزية، وهم يطلبون الإشراف من قِبلهم على جميع مراقد السادة أهل البيت، أو تدويل تلك المراقد، ولكن السيد وزير الأوقاف ـ وفقه الله تعالى وبارك عليه وبه ـ كان حازماً معهم، وقد أغروا كثرة من الشباب، وبعض المتصوفين بالانضمام إليهم، وبهذا يكون قد تحقق ما حذرنا منه منذ سنوات قبل هذا المد الشيعي؛ فليتنبه الأزهر، وليسارع بما هو أولى به من متطرفي الشيعة؛ فينشر ويقرر في المناهج كيفية الحب الصحيح لسادتنا أهل البيت؛ عليهم مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام..

سيبقى الأزهر قبلة للسنة بفضل الله تعالى:

نعم إن الأزهر بني وأسس وبدأ التدريس فيه على أساس شيعي ولكن شاءت إرادة الله أن يكون الأزهر قبلةً لأهل السنة في مصر والعالم الإسلامي ؛ فكان من الواجب على الأزهر أن يقوم بتوعية الناس بشعائر الله، وأن يعلمهم أن التحول من المذهب الشيعي المتطرف إلى المذهب السني المعتدل يفرض على الأزهر أن يكون مع السادة أهل البيت عن طريق السنة الواردة لا عن طريق التشيع الغالي وأن يقول للجميع : إن أهل السنة هم أولى الناس بحب السادة أهل البيت، وأن يعلم الجميع أن التحول عن الشيعة لا يلغي أو يصادر كليةً الأصل الذي بني على أساسه الأزهر إنما يصادر التشيع المنحرف الذي يدّعي الحب للسادة أهل البيت، وفي الوقت نفسه يسب ويلمز ويطعن في عرض سيد الخلق - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - كما يطعن ويتهم سادتنا الصحابة، وخاصة كبارهم من خلفاء راشدين ومبشرين بالجنة - رضي الله تعالى عنهم.

إنني أزهريٌّ أغار على أزهرنا، وأحب له الخير، وأفخر به بين الناس على جميع المستويات العلمية والدولية، وكم تحدثت عن أزهرنا المبارك، وعن علمائه الأجلاء، وكم عتبت كذلك على كثرة من مشاهير العلماء، وأساتذة الجامعة الأزهرية ؛ لكثرة علمهم، وكتبهم، ومحاضراتهم، مع قلة أبحاثهم عن السادة أهل البيت، وكأننا نغفل الثقل الثاني بعد كتاب الله - عز وجل.

إن هذا التقصير ؛ دفع المحبين لسادتنا أهل البيت إلى الفكر الشيعي غير المعتدل، والبحث عن سير السادة في مظان كتبهم، أو في حوزاتهم العلمية ؛ فشرب بعضهم الحب المنقوع بالسم الزعاف، وهذا الكلام يشهده الواقع المبرهن بتحول البعض إلى المذهب الشيعي، وليتهم درسوا المذهب الجعفري أو الزيدي - ففيهما اعتدالٌ - إنما ذهبوا إلى التيار الرافضي.

إن من الواجب على الأزهر إعلام المسلمين أن حب السادة أهل البيت من شعائر الله، وإن

الأزهر لم يتغير اسمه؛ حباً في سيدة نساء العالمين الزهراء البتول ـ رضي الله تعالى عنها وعن ذريتها المباركة.

غلاة الشيعة:

غلاة الشيعة هم أصحاب الحب الأحمق أو الكاذب لسيدنا الإمام علي وذريته المباركة؛ لأنهم يبنون هذا الحب على أساس حيوي وضروري عندهم ألا وهو البغض المقابل لمعظم أصحاب النبي عامةً وللخلفاء الراشدين الثلاثة خاصةً، بالإضافة إلى السيدة عائشة أم المؤمنين، والسيدة أم المؤمنين حفصة بذاتهما، ولا يكتمل إيمان هؤلاء الغلاة إلا بتلك البغضاء، ولا يستطيع عاقل أن يفسر تلك البغضاء المرفوضة من السادة أهل البيت أنفسهم. إنها بغضاء حمقاء، وأكبر دليل على حمقها؛ أن كل أصحابها بين يدي الله ـ عز وجل ـ منذ ما يزيد أو يقترب من ألف وأربعمائة عام (حسب الأحداث). إنها معارك يختلقها هؤلاء الغلاة، وأكبر دليل على اختلاقها؛ أنهم من غير أطرافها، ولم يحضروها أو يشهدوها، بل إن الثابت ـ كما سنوضحه إن شاء الله تعالى ـ أن السادة أهل البيت عاشوا يجلون أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وهم يبادلونهم الحب والود بل يفضلونهم على أولادهم وأنفسهم.

إن للشيعة كتاباتٍ طافحة بكل قبحٍ أخلاقي، وتمس الدين في الصميم، وتنسب إلى أئمة من كبار الشيعة، ولا يمكن أن يحدث تقارب إلا بالوقوف على تلك القبائح وبيان موقف التقريبيين منها، واتخاذ قرار صريح ونافذ بشأنها.

كما إنني لا أستطيع إنكار أن لأهل السنة شتائم وتكفيريات تخرج معظم الشيعة من ملة الإسلام، والفوارق واضحة بين شتائم الطرفين؛ فالشيعة يسبون أهل القرون الأولى وهم خير القرون، بينما يسب السنة طائفة الشيعة بعينها، ولا يجرؤون على سب أحد من القرون الأولى حتى أهل الهفوات والكبائر.

نماذج شيعية معتدلة:

بعيداً عن خلط جميع الأوراق، واتهام كل الشيعة باتخاذ التقية ستاراً أقول إنه لا تخلو طائفة ما من المعتدلين وإن كانوا قلةً، كما لا تخلو كذلك من المتطرفين.

وإخواننا الشيعة من الطوائف التي لا يستطيع أحد إنكار وجودها في معظم الدول، أقليةً كانوا أم أكثرية.

والغالب على التيار الشيعي ـ كواقع نعيشه ـ هو التيار الغالي المتطرف الذي جعل محادة أصحاب النبي وأمهات المؤمنين جل همه واعتقاده، وعاش الحاضر عن طريق أخطاء ومصادمات الماضي، وجعل قضية الخلافة أهم طريق للطعن في سادتنا الصحابة، والمصيبة الكبرى أنهم يظنون بذلك أنهم يحسنون بذلك صنعاً؛ ولكن هذا لا ينفي أن هناك من المعتدلين من وقفوا أمام تلك الأخطاء على أنها واردة بين البشر، وأن الاختلاف بل والاقتتال وارد حتى بين الأخوة وقد قرأنا كتاباتٍ لبعض هؤلاء المعتدلين من التيار الشيعي، وأثنينا عليهم، وأحببناهم في الله دون أن نراهم؛ فهم نماذج مشرفة للاعتدال؛ إذا صح القصد وحسنت النوايا، والله عليم بذات الصدور، فمنهم على سبيل المثال:

العلامة الدكتور موسى الموسوي:

من النماذج الشيعية المعتدلة الدكتور موسى الموسوي، وقد قرأنا له كلاماً طيباً مليئاً بالود والرحمة في كتابه (الشيعة والتصحيح الصراع بين الشيعة والتشيع) فوجدناه يضع يده بمهارة على مواطن الخلاف وأسباب الفرقة فيقول: "...فإن الخلاف الفكري تجاوز حدود البحث العلمي والاختلاف في الرأي، بل اتخذ طابعاً حادا وعنيفا عندما بدأت الشيعة تجرح الخلفاء الراشدين وبعض أمهات المؤمنين، وذلك بعبارات قاسية وعنيفة لا تليق بأن تصدر من مسلم نحو مسلم، ناهيك عن أن تصدر من فرقة إسلامية نحو صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وأزواجه، صحابة لهم مكانة كبيرة في قلوب المسلمين، وأزواج للنبي عبر الله عنهن

بأمهات المؤمنين.

وهنا ظهر على ساحة الخلاف عدم التكافؤ بين الفريقين في طريقة التفكير والعقيدة، فالفرق الإسلامية كلها تحب علياً وتكرمه شأنه شأن الخلفاء الذين سبقوه وتحترم أهل بيت رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - وتصلي عليهم في الصلاة في كل صباح ومساء، ولكن الشيعة لها موقف آخر من خلفاء المسلمين موقف فيه العنف والقسوة والكلام الجارح.

فكانت النتيجة ظهور رد فعل عنيف من قبل علماء الفرق الإسلامية الأخرى للدفاع عن أعز وأكرم خلفائهم، فألّف ودوّن كتاب السنّة وعلماؤها في الشيعة الكتب المطولة والمختصرة معيرة إياها بالكفر مرة وبالخروج عن الإسلام مرة أخرى وهكذا شغلت فكرة الخلافة حيزاً كبيراً من الكتب الإسلامية عند الفريقين ولا زالت الأقلام تكتب والمؤلفات تنتشر وكأن المسلمين بكل طبقاتهم لا يواجهون مشكلة في هذه الدنيا المليئة بالأحداث والمكاره إلا مشكلة الخلافة فحسب.

لكن الحيرة كل الحيرة هي الطريقة التي اتبعتها الشيعة في معالجتها لمشكلة الخلافة فهي تتناقض كل التناقض مع سيرة الإمام علي وسيرة أولاده من أئمة الشيعة، ولذلك تتملكني الحيرة والدهشة عندما أرى أن شعار الشيعة هو حب الإمام علي وأولاده ولكنهم يضربون عرض الحائط سيرة علي والأئمة من ولده".

الشيخ القمي، مؤسس دار التقريب في مصر:

الشيخ القمي معروف عنه أنه من أهم دعاة التقريب، وهو الذي سعى في تأسيس دار تحمل اسم (دار التقريب) في مصر، ونشر بعض الكتب التي تدعو إلى التقريب، وعن الدار صدرت كذلك مجلة رسالة الإسلام التي استكتبت كوكبة من العلماء الكبار من السنة والشيعة، وقد بذل جهودا كبيرة أثنى عليها أكابر علماء الأزهر الذين كانت له بهم صداقات

ودودة، وكان يرى أنه لابد من التقريب والوحدة بين أبناء الأمة الإسلامية عن طريق نشر الوعي الثقافي المشجع على ذلك بعيداً عن ثقافة العنف والتطرف فالثقافة الإسلامية في رأيه هي سبيل وحدة المسلمين حيث يقول في العدد الأول من (رسالة الإسلام، ص٣٩، ٣٨) "وهكذا تحولت الثقافة الإسلامية من عامة جامعة إلى مذهبية ضيقة . ومن قومية شائعة إلى طائفية محدودة. وعكف كل عالم على مراجع مذهبه وأغضى عما في المذاهب الأخرى، وتعصب لما درس، واستراب في كل ما جهل؛ وتأثرت كل طائفة بعلمائها وتمسكت بنهجهم ونفرت من كل من يخالفهم في الرأي بل ذهبت إلى الشك في عقائد الطوائف الأخرى وانتهر كثير من غير المسلمين هذه الظلمة، وتسللوا إلى الصفوف، وتسموا باسم المسلمين، واستغلوا جهل الطوائف بعضها ببعض، يزعمون لكل طائفة أنهم من الأخرى، يقولون للشيعة نحن من أهل السنة، ويقولون لهؤلاء نحن من أولئك، واستطاعوا في غفلة المسلمين وجهلهم أن يسيئوا إلى الإسلام قروناً عديدة.

كل هذا حصل بسبب التعصب المذهبي الذي تريد جماعة التقريب القضاء عليه، وبتأثير النزعات الشعوبية التي ترمي إلى تقسيم هذا التراث باعتبار العنصرية.

فلو أننا فتحنا صدورنا من جديد، واعتبرنا الثقافة الإسلامية، مجموعة يكمل بعضها بعضاً، وتفاهمنا فيما بيننا على هذا الأساس، وأدركنا أن هذه الثقافة الإسلامية، بنيت على أن تكون للإسلام قبل كل شيء، وليست ملكاً لفرد ولا لمذهب أو طائفة كما أنها ما أوجدت لتكون عنصرية، لجددنا بناء هذا القصر المنيف ولمحونا عن كل طائفة باطل الاتهامات الموجهة إليها، ولأخرجنا من بيننا من ليسوا بمسلمين كأولئك الأدعياء الذين انتسبوا كذباً إلى الإسلام وهم معاول هدم في الكيان الإسلامي.

وفي رأيي أن ثقافة إسلامية موحدة ـ إذا التف حولها المسلمون ـ كفيلة بتوحيد صفوفهم، ولا يخفى ما تؤدي إليه الوحدة من عز ومجد وسؤدد.

وما دامت هذه الثقافة موجودة، فإن من الميسور بلوغ هذا الهدف، وهو ما نعمل له ونسعى إلى تحقيقه، والله ولي التوفيق.

الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء:

ويقول الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء في مجلة رسالة الإسلام، العدد السابع، ص٢٧٣ معرفاً بأهداف جماعة التقريب، تحت عنوان (بيان للمسلمين): "جماعة التقريب تريد أن تقرب بين الطوائف الإسلامية وتبعثهم وتحثهم على الأخوة والوحدة التي أمرهم بها الله في

كتابه العزيز ولكن يلزمهم ويلزمنا تمهيداً لهذه الغاية الشريفة أن ينصحوا لإخوانهم من الكتاب وحملة الأقلام ألا يتحرشوا ويطعنوا بإخوانهم الإمامية، فما يكاد يأتي عام إلا ونسمع أو نرى

كتاباً أو رسالةً ترمي الشيعة بالفظائع وتهجم عليهم بالمطاعن، وبحكم الضرورة يلتجئ هؤلاء إلى الدفاع عن أنفسهم فتثور الأحقاد وتستمر الحفائظ وتكون أكبر خدمة للأعداء والمستعمرين.

كما أن اللازم على كل فرقة من المسلمين من الشيعة وغيرهم أن يوصدوا باب المجادلات المذهبية وما يثير الحفائظ والعصبية فإنها إن لم تكن محرمة بنفسها ومضرة بذاتها فهي من

أعظم المحرمات في هذه الظروف التي أحاط بنا فيها الأعداء. أعداء الإسلام من كل جانب ومكان حتى من المسلمين ومدعي الإسلام العدو الداخلي الذي ضرره أعظم من العدو

الخارجي فهل في هذا كفاية وبلاغ أيها المسلمون: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾.

كما أن للعلامة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء تصريحات في الدعوة إلى التقارب وتضييق مجال الخلاف تعد من أهم التصريحات التي تمس واقع الحال عند الطرفين مما يشير

أموراً خلافية، وكيفية الوصول إلى حلول جذرية لها؛ فهو يقول في صراحة ووضوح كما نقل ذلك عنه الأستاذ الشيخ عفيف عبد الفتاح طبّارة في كتابه (روح الصلاة في الإسلام): "إن أعظم فرق جوهري بل لعله الفارق الوحيد بين الطائفتين: السنة والشيعة هو قضية الإمامة، حيث وقفت الفرقتان منها على طرفي الخط، فالشيعة ترى أن الإمامة أصل من أصول الدين وهي رديفة التوحيد والنبوة وأنها منوطة بالنص من اللّه ورسوله، وليس للأمة فيها من الرأي والاختيار شيء، كما لا اختيار لهم في النبوة، بخلاف إخواننا من أهل السنة فهم متفقون على عدم كونها من أصول الدين ومختلفون بين قائل بوجوب نصب الإمام على الرعية بالإجماع ونحوه، وبين قائل بأنها قضية سياسية ليست من الدين في شيء لا من أصوله ولا من فروعه، ولكن مع هذا التباعد الشاسع بين الفريقين في هذه القضية، هل تجد الشيعة تقول إن من لا يقول بالإمامة غير مسلم؟ (كلا ومعاذ اللّه) أو تجد علماء السنة تقول إن القائل بالإمامة خارج عن الإسلام - لا وكلا - إذن فالقول بالإمامة وعدمه لا علاقة له بالجامعة الإسلامية وأحكامها من حرمة دم المسلم وعرضه وماله ووجوب أخوته وحفظ حرمته، وعدم جواز غيبته إلى كثير من أمثال ذلك من حقوق المسلم على أخيه. نعم ونريد أن نكون أشد صراحة من ذلك ولا نبقي ما لعله يعتلج أو يختلج في نفس القراء الكرام فنقول: لعل قائلا يقول: إن سبب العداء بين الطائفتين أن الشيعة ترى جواز المس من كرامة الخلفاء أو الطعن فيهم، وقد يتجاوز البعض إلى السب والقدح مما يسيء الفريق الآخر طبعا، ويهيج عواطفهم فيشتد العداء والخصومة بينهم. والجواب أن هذا لو تبصرنا قليلا ورجعنا إلى حكم العقل بل والشرع أيضاً لم نجده مقتضياً للعداء أيضا.

أما (أولاً) فليس هذا من رأي جميع الشيعة وإنما هو رأي فردي من بعضهم، وربما لا يوافق عليه الأكثر، كيف وفي أخبار أئمة الشيعة النهي عن ذلك، فلا يصح معاداة الشيعة أجمع لإساءة بعض المتطرفين منهم.

و(ثانياً) إن هذا على فرضه لا يكون موجباً للكفر والخروج عن الإسلام... بل أقصى ما هنالك أن يكون معصية، وما أكثر العصاة في الطائفتين، ومعصية المسلم لا تستوجب قطع رابطة أخوة إسلامية معه قطعاً.

و(ثالثاً) قد لا يدخل هذا في المعصية أيضاً، ولا يوجب فسقاً إذا كان ناشئاً عن اجتهاد واعتقاد وإن كان خطأ، فإن من المتفق عليه عند الجميع في باب الاجتهاد: أن للمخطئ أجراً وللمصيب أجرين، وقد صحح علماء السنة الحروب التي وقعت بين الصحابة في الصدر الأول كحرب الجمل وصفين وغيرهما، بأن الزبير وطلحة ومعاوية اجتهدوا وهم وإن أخطأوا في اجتهادهم ولكن لا يقدح ذلك في عدالتهم وعظيم مكانتهم، وإذا كان الاجتهاد يبرر ولا يستنكر قتل آلاف النفوس من المسلمين وإراقة دمائهم فبالأولى أن يبرّر ولا يستنكر معه - أي مع الاجتهاد - تجاوز بعض المتطرفين على تلك المقامات المحترمة.

والغرض من كل هذا أننا مهما تعمقنا في البحث ومشينا على ضوء الأدلة: عقلية أو شرعية، وتجردنا من الهوى والهوس والعصبيات فلا نجد أي سبب مبرر للعداء والتضارب بين طوائف المسلمين، مهما اتسعت شقة الخلاف بينهم في كثير من المسائل...".

حوار هام مع الملحق الثقافي الإيراني بالقاهرة

الجهل عدو التقريب:

الحوار أهم لغة للتفاهم بين جميع الأطراف، وفي حوار اتسم بالشفافية والوضوح، والوقوف على معظم المواجع التي تسبب خلافاً بين السنة والشيعة، كالموروثات الذميمة، والاعتقادات الخاطئة، والعيش على خلافات الماضي الذي لم نحضره، والخلافات السياسية التي هي شر البواعث لتلك الخلافات. وتحت هذا العنوان السابق نشر الدكتور مدحت حماد - أكاديمي مصري متخصص في الشأن الإيراني - ما دار بينه وبين الملحق الإيراني السابق السيد "حجة الله جودكي" في موقع إسلام أون لاين نت. الخميس ٢٨ يونيو ٢٠٠٧

كالآتي:

"الحوار السني / الشيعي غالباً ما تحكمه بعض القيود والمواريث، لكن إذا كان هذا الحديث يقوم على أساس السعي نحو صحيح الفهم، فمن المؤكد أن جميع الأطراف ستتجه إلى التخلي عن تلك المغالطات والأخطاء والتراكمات العقيمة..

هذا الحوار مع السيد "حجة الله جودكي" المستشار الثقافي الإيراني السابق بالقاهرة له أهمية خاصة، نظراً لطبيعة العلاقات بين مصر وإيران، ومحاولات الكثيرين إيجاد أي مجال للعمل لرأب أي تصدع في علاقات البلدين.

يؤكد السيد جودكي على أهمية العلم في إيجاد التقارب السني الشيعي، نظراً لأن الجهل يؤدي إلى توتر العلاقات بين المذاهب والفرق الإسلامية؛ إذ إن هناك نوعا من الأمية الدينية منتشرة في العالم الإسلامي..

ودعا جودكي إلى نبذ خلافات الآباء والأجداد، رافضا أن يكون الفقهاء والعلماء أداة في يد السلطة توظفهم في صراعاتها السياسية.

وأشار إلى وجود حالات من الاحتقان بين المذاهب والفرق في التنشئة الاجتماعية وعرض لتجربته الشخصية، حيث كانت أمه تعطيه في صغره دمية باسم "عمر" كي يلعب بها.. وأعرب عن أسفه لحدوث ذلك، مؤكدا أنه يُكنُّ حبا عميقا لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وللفاروق عمر رضي الله عنه..

مصحف فاطمة:

● وجه البعض اتهامات للشيعة بتحريف القرآن وبأنه لدى الشيعة قرآن يختلف عن القرآن الموجود لدى أهل السنة! فما قولكم في هذا الأمر؟

- الإسلام بوصفه دينا يتجلى بوضوح في "كتاب الله" أي القرآن الكريم. ومن ثم فإن كتاب الله هو فقط المصدر الإسلامي الذي لم يحدث فيه أي تحريف، وإذا كان البعض من

الجهلاء المتأسلمين يقول بعكس ذلك ويعتقد في أو يتكلم عن تحريف القرآن وهو الكلام الذي يتناقض مع قوله تعالى: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فإن كلامه هذا ليس من واقع وهو يتناقض مع صحيح الدين من هنا لا يوجد أي اختلافات بين القرآن الموجود الآن والقرآن الذي كان موجوداً من ١٤٠٠ سنة.

● لكنكم تعلمون أن من آيات الله اختلاف الألسن والألوان.. إلخ، ألا يمكن اعتبار أن الاختلاف بين المذاهب الإسلامية جزء من منظومة هذه الاختلافات؟.

ـ في الإسلام اختلاف الفكر واللغة واللون والاعتراف بهذه الأمور تعد من آيات الله ومعجزاته وهو اختلاف معترف به، لقد خلق الله عز وجل الإنسان حراً وقال للناس إنه ﴿ لاإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ فالجميع أحرار في اختيار فكرهم وعقيدتهم.

أعتقد أن المشكلة الأساسية لا تكمن في تعدد المذاهب الإسلامية، بل توجد في داخل أصحاب هذه المذاهب وهل ينظرون إليها بوصفها مصدراً للرحمة، أم ينظرون إليها من منطلق أنها سبب للشفاء والأصل في ذلك كله يمكن أن نحصره في عامل أساسي هو انتشار الجهل الديني والعلمي فيما بين المسلمين.

الأمية الدينية:

● معنى ذلك أن لديكم تصوراً ما عما يمكن بتسميته أو وصفه بـ "الأمية الدينية" وأن هذه "الأمية الدينية" هي المصدر الرئيسي للشقاء فيما بين المسلمين؟

ـ إن واحدة من أخطر مشكلات المسلمين منذ عصور طويلة مضت هي "الأمية" و "الأمية الدينية" بشكل خاص. ولهذا فإن بعض المسلمين معرفتهم بالأشياء بل حتى معرفتهم بأنفسهم وببعضهم البعض لا تعد معرفة غير علمية وغير واقعية وحسب وإنما هي معرفة ظنية وغير حقيقية.

هذه النكبة الكارثية مصدرها ثلاثة عوامل هي:

جهل المسلمين بدينهم:

علماء الدين الذين ينقلون تفسيرهم إلى الناس على أنه صحيح الدين ويشجعون الناس على إتباع أحكام الفقهاء بدلاً من إتباع وتنفيذ "أحكام الله"

حكام الدول الإسلامية الذين يرون مصالحهم في جهل المسلمين ويبذلون جميع جهودهم من أجل الحيلولة دون حدوث صحوة إسلامية معرفية حقيقية وصحيحة.

في اعتقادكم كيف تشكلت هذه "الأمية الدينية"؟ وما هي العناصر التي تكونت منها؟

- من أهم المشكلات التي صارت سبباً لافتراق الأمة الإسلامية وجود تراث محرف وغير منقح، فالتراث غير المنقح والقائم على الجهل صار سبباً للغلو والتعصب، وهذان الأمران صارا سبباً لمفاهيم غير حقيقية وغير صائبة، فالشخص المتعصب والمغالي لا يرى الحقائق ولا يعمل العقل ويرضى فقط بما هو في يده، فهو يرى أن وجوده في عدم وجود الآخرين، ولهذا فإنه يُقدم على تكفير الآخرين، وهو بذلك يبتعد عن التفكير يوما بعد يوم ويقترب من التكفير بقوة أيضاً يوماً بعد يوم.

● إلى أي مدى ترتبط هذه الأمية الدينية بصدر الإسلام؟ وهل يمكن القول بأنها ولدت في عصر الخلفاء الراشدين أم أن تاريخ نشأتها جاء تاليا لهذا العصر؟

- في صدر الإسلام.. وبعد الخلفاء الراشدين وقعت اختلافات أساسية بين المسلمين وبين ملوك بين أمية. لقد عمد الأمويون من أجل إسباغ حكمهم غير الشرعي وغير القانوني بصبغة شرعية إلى خلق مادتين غير جائزتين هما:

أ- سب علي بن أبي طالب والذي كان قد وضع مشروعيتهم موضع تساؤل بوصفه خليفة المسلمين.

ب- وضع وتلفيق آلاف الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدف هو التقليل

من شأن ومكانة أعدائهم وسبغ تصرفات بني أمية بالمشروعية والقانونية، عبر هذه الممارسات أخذ ينتقل التراث المحرف والمزيف شفاهة بين الناس، وأصبح الناس بصدد مجموعة من الروايات عن رسول الله تتحرك جنباً إلى جنب مع القرآن؛ وهو ما أدى إلى غلبة الروايات والأحاديث الموضوعة والمزيفة على ما سواها.

المشكلة تكمن في أن المسلمين بعد ذلك اعتبروا مجموعة الأحاديث هذه هي سنة رسول الله، ثم قاموا منذ القرن الهجري الثاني بكتابة وتدوين هذه الأحاديث، وشيئا فشيئا صارت تتشكل جوامع الحديث النبوي.

لقد كثر عدد هذه الأحاديث إلى درجة مرعبة أجبرت علماء المسلمين بعد ذلك على القيام بعملية تنقية لها واقتطاف الصواب منها حتى يقللوا من حجم الضرر الواقع على عاتق المسلمين العوام.

منذ القرن الثاني الهجري أخذت تظهر "المذاهب الفقهية" اعتماداً على القرآن والسنة المذكورة، فازدادت الخلافات بين المسلمين وصارت أكثر عمقاً بعبارة أصح فإن هذه الاختلافات أخذت لنفسها طابعاً إيديولوجيا.

من ناحية أخرى كان لبني أمية وبني العباس رقيبان أي منافسان قويان هما "الخوارج" و "العلويون" إذ كان كلاهما (الأمويون والعباسيون) ينظرون إليهما بوصفهما منافسين كبيرين، ولهذا كانوا يعملون دائماً من أجل القضاء عليهم.

في البداية تم القبض على ـ وسجن ـ زعماء المذاهب الإسلامية بسبب معارضتهم التي كانت تظهر منهم للعباسيين؛ لأنهم لم يكن لديهم قناعة أن الفقه يجب أن يكون في خدمة الملوك من هنا ظهرت المذاهب الفقهية الأربعة لأهل السنة ومعهم فقهاء الزيدية والإمامية كانوا يشكلون المعارضة الحقيقية لبني العباس وكانوا يؤيدون مطالبة المسلمين باستعادة حقوقهم، أي حتى ذلك الوقت لم يكن لدى المسلمين أي معرفة أو دراية أو وجود تقسيم أو تصنيف

خاص بالشيعة وآخر خاص بالسنة.

لقد فطن الخلفاء العباسيون بعد هذه التطورات إلى هذه الاختلافات الفقهية فعمدوا للاستفادة منها وسحق أعدائهم بها.

لقد ظهر الدور السلبي للمذاهب الفقهية عندما تحول الفقهاء ليصبحوا "آلة" في أيدي الحكومات هدفها إسعادهم وحسب، حتى وإن تم ذلك على حساب تكفيرهم المعارضين لهم؛ وهو ما شكل فرصة ذهبية لأصحاب السلطة؛ لأنهم تمكنوا من قيادة وتوجيه أكثرية الناس الذين لا يتمتعون بدراية علمية كبيرة وإقناعهم بما يريدون وهو الأمر الذي أسفر عن نتيجة خطيرة مفادها تحول "الفقهاء" ليصبحوا مجرد "علماء دين".

وفرق كبير بين "الفقيه" وبين "العالم" لقد تمكن الملوك والحكام عبر هذه الوسائل من قمع الناس بعضهم ببعض واستقطاب فئة على حساب فئة أخرى وهو ما كان سبباً قويًّا لاندلاع ونشوب حروب "الفرق" و "المذاهب" التي يعلمها الجميع.

لقد ظن البعض أن الشيعة هم من المعارضين لبني العباس وأن أهل السنة هم من أتباع ومؤيدي العباسيين في حين أن هذا الظن والاعتقاد يعد باطلاً، حيث صارت الناس هي الأخرى ضحايا سياسات بني العباس منذ القرن الهجري الثالث حين أصبح الفقهاء في خدمة العباسيين.

الصحوة الإسلامية والتقريب:

● ما هو - برأيكم - العامل المسبب لظهور الحركات والتسميات الخاصة بالإسلام السياسي في العصر الحديث؟ وما هي علاقة الصحوة الإسلامية؟

- الواقع أن التسميات والتصنيفات الموجودة الآن والتي تحمل أسماء مثل الإسلام السياسي، الإسلام المعتدل، الإسلام الشيعي، الإسلام السني، الإسلام الأصولي، الإسلام الجهادي.. وغيرها هي التسميات والتصنيفات من جانب غير المسلمين ومعظمهم من أعداء

المسلمين الذين يكرهون الإسلام وأهله.

خلال القرن الأخير ونتيجة لمظاهر التقدم التكنولوجي والعلمي الذي سيطر على العالم ظهرت حالة من "اليقظة الإسلامية" هذه "اليقظة" أو "الصحوة" الإسلامية لو أنها صارت سبباً لتفاعل الدين مع العقل فستكون لها آثار ونتائج مذهلة للغاية، وستصبح سبباً لنمو ورقي وتقدم المسلمين وصعود نجمهم ووحدة صفوفهم.

من الطبيعي أن تقود هذه الصحوة إلى نمو فكري وإلى الحرية ومن الطبيعي أن المسلمين سوف يتمكنون من السيطرة على مجريات حياتهم ومستقبلهم وهو ما من شأنه فرملة ووأد الظلم والاستبداد وكل مساعي الاستعمار وجهوده.

هذا الأمر نفسه صار سبباً؛ لأن يصبح "الاستبداد الداخلي" حليفاً للاستعمار، وولد رؤية بأن الصحوة الإسلامية عقبة في سبيل تحقيق مصالحهم، وهو ما جعل الصحوة بصدد قمع ووأد وتفريغ من مضامينها وطموحاتها.

الواقع يقول إن "المتطرفين" الموجودين الآن وعلى الرغم من عدائهم الظاهري مع الغرب فإنهم صاروا في ذاتهم سبباً لتشويه صورة المسلمين وتهيئة المناخ المطلوب لقمع المسلمين على أيدي الغرب وأعوانه في داخل الدول الإسلامية من هنا فإن "الصحوة الإسلامية" تواجه

أخطاراً عدة هي:

١ـ الاستبداد والظلم الداخلي.

٢ـ التطرف الناتج عن الغلو والتعصب.

٣ـ الاستعمار الخارجي.

● ما سبق يكشف أن الصحوة الإسلامية لها وجوه ومظاهر عديدة ومتنوعة ومن أهم مظاهرها ضرورة إحداث تقارب حقيقي بين المسلمين السنة والمسلمين الشيعة، كيف تنظرون إلى هذه القضية ومن الرواد الذين دقوا على طبول هذه الخلافات؟

ـ الدكتور "علي شريعتي" واحد من الرواد اليقظة الإسلامية وفكرة التقريب بين السنة والشيعة. وأكد شريعتي وجود "تسنن أموي" عام يقابله "تشيع صفوي" ووجود "تسنن محمدي" يقابله "تشيع علوي" قد فتح الطريق بقوة نحو التقارب والتقريب بين الشيعة والسنة.

والواضح أن تعامل وتفاعل الإسلام والمذاهب الإسلامية مع "الجهل" كان سبباً مباشراً في ترسيخ التسنن الأموي والتشييع الصفوي على حساب التسنن المحمدي والتشييع العلوي؛ ومن ثم فإن إحلال "العقل" مكان "الجهل" في معادلة التفاعل الإسلامي والمذهبي سوف يؤدي بالضرورة إلى تصحيح الصورة والمسار فالحقيقة التي لا خلاف عليها هي أن العقل هو المفتاح الرئيسي لتقدم المسلمين تماماً مثلما أن الجهل هو العدو الرئيسي لهم.

● إذا ما اقتربنا من لب القضية أكثر هل يمكننا أن نعتبر ما يحدث من عمليات قتل متبادل في العراق دليلاً على تفاعل الدين مع الجهل؟ أم أنه نتيجة طبيعية لحسابات أكثر تعقيداً؟

ـ ما نراه في العراق الآن هو خير دليل لتعامل وتفاعل الإسلام والجهل وهو ما سوف يصبح سبباً للقضاء على العراق وهلاكه، فكل طائفة أو فرقة أو جماعة سوف تحقق النصر في حربها على الآخرين ستكون ـ في واقع الأمر ـ قد تلقت هزيمة قاسية من "الناحية الأخلاقية".

وللأسف الشديد فإنه بسبب سيطرة الأعداء على وسائل الأعلام فإن المواقف المخلصة التي تخرج وتصدر عن العلماء المسلمين بشأن هذه التجاوزات والانحرافات التي تحدث في العراق لا تجد الصدى اللائق بها ومن هنا لا تصل للناس، وعلى سبيل المثال قام آية الله علي خامنئي بإصدار فتوى تقول: "إن سب الصحابة والخلفاء حرام وحرام مؤكد"، هذه الفتوى على الرغم من أهميتها وخطورتها فيما يخص الصراع، أو الخلاف القائم بين البعض من المسلمين الشيعة والسنة نشرت بشكل مختصر للغاية في الصفحة الثانية من جريدة الأهرام إلى جانب الأخبار

الخاصة بالنساء!! وهو ما لم يمكن الكثير من الناس من الوقوف عليها والعلم بها.

تجديد الخطاب التقريبي:

● هل معنى ذلك أنكم محبطون من الجهود المبذولة الآن للتقريب بين السنة والشيعة؟ إن لديكم تفسيراً آخر يبتعد كثيراً عن نظرية الإحباط التي تشبه كثيراً من حيث الأثر والدافع نظرية المؤامرة التي يتعمد البعض استدعائها بين الحين والحين؟

ـ الواقع أن فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية بشكلها الحالي لن تكون قادرة على إيجاد التقريب المنشود الذي يسعى إليه المخلصون من الطرفين. فهذه الفكرة في حاجة إلى تجديد خطابها ولهجتها ولو أن كل طرف توقف تكرار أخطاء الماضي وفي نفس الوقت يسعى ويتحرك بإخلاص نحو التقارب والتقريب من ومع الآخر هنا فقط سيحدث وسيتحقق الهدف المنشود، لكن أن يصر كل طرف على التمسك بميراثه بما فيه من أخطاء ثم يتحدث عن رغبته في إيجاد التقريب فأبدا لن ينجح في تحقيق أي شيء ولن يصل إلى نتيجة ما.

يجب على أصحاب المذاهب أن يجلسوا إلى أنفسهم في البداية لكي ينقذوا ذاتهم ولكي يقرروا انتهاج الأسلوب والمنهج العلمي والعقلي وأن يفكروا في تراثهم ـ المحرف ـ في إطار القرآن الكريم وأن يعملوا العقل بين ذلك التراث وبين القرآن. الذي أقصده هنا هو أن يعملوا عقلهم لا عقل آبائهم وأجدادهم الذي هو مصدر الخراب والدمار الذي نعيشه جميعاً الآن.

يجب على الجميع أن يجدد النظر ويعمل عقله فيما ورثه عن آبائه وأجداده من أفكار ومعتقدات وممارسات ثم يزن ذلك كله بميزان القرآن الكريم في إطار عقله هو.

النقطة الثانية التي يجب علينا أن ندركها جيداً وأن نؤكد عليها هي ضرورة أن نؤمن بأننا لسنا مسئولين عن أعمال وأفعال آبائنا وأجدادنا. وفي الوقت نفسه لن نكون قادرين على تغيير "الماضي"، إن الاختلافات والصراعات الجزئية القديمة هي جزء من تاريخنا المرير الذي يجب علينا أن نعتبر منه فقط لا أن نؤمن به، لكي لا نكرر أخطاءهم المُرة.

يجب علينا أن نصل لقناعة مفادها أنه بإمكاننا أن نعتبر ونتعظ من تاريخنا فقط نعتبر ونتعظ منه ومن أخطاء آبائنا وأجدادنا لا أن نجلس لكي نحاسب السابقين أو لكي نحاكم آباءنا وأجدادنا المخطئين.

● وماذا عن إصرار الشيعة القول بكراهية عمر وعثمان وأبي بكر وعائشة؟ ولماذا- ما دام الأمر كما تقولون- لا يقوم الشيعة بإطلاق أسماء: أبو بكر، عمر، عثمان وعائشة على أبنائهم؟ ألا ترى أن تجاوز هذا الأمر هو في مقدمة الخطوات الفاعلة نحو التقريب؟

-إذا قمنا بمطالعة تاريخنا فسوف ندرك أن التسامح والحب كانا هما المسيطرين على فكر المسلمين في صدر الإسلام. لكن مع مرور الوقت، ومع ابتعاد المسلمين عن القرآن الكريم وعن العقل ومع الاعتماد على أقوال الفقهاء والمشايخ أخذت الممارسات والأساليب الخاطئة تعرف طريقها في حياة المسلمين.

لقد ورد في كتب التاريخ أن شخصين من أحفاد الإمام علي بن أبي طالب اسمهما أبو بكر وعمر قد استشهدا في كربلاء. كما أن السيدة عائشة- الموجود قبرها الآن في القاهرة هي ابنة الإمام جعفر الصادق.

لكن للآسف الشديد لا أحد يستطيع تصديق هذه الحقائق نتيجة لتعصب أبائنا، بالقطع لا يستطيع أي شيعي الآن أن يدعي بأن عقله أرجح من عقل علي بن أبي طالب. لكن نظراً للميراث الذي كان آبائنا قد أوجدوه وخلقوه فإن أحداً من الشيعة لا يقدر اليوم على أن يقوم بتحطيم تلك السنن والعادات السيئة.

هذه المشكلة نفسها موجود أيضاً لدى أهل السنة فهم يعلمون أن كثيرا من الصحابة قد لوثوا ولطخوا أيديهم بدماء بعضهم البعض، وهم من ناحية أخرى يعلمون أن القرآن يحرم قتل النفس، ومع ذلك كله فإن الكثيرين من أهل السنة ما زالوا يصرون على اعتقادهم بأن القاتل والمقتول من صحابة الرسول سوف يذهبون إلى الجنة سواء بسواء!!

على أي حال، التقريب بين وجهات النظر يحتاج في الوهلة الأولى إلى أن يقرر المسلمون

الأخذ بمبدأ "المعرفة العلمية" وأن يبتعدوا ويتخلوا عن الآخذ بمبدأ "المعرفة الظنية"

سنة إيران:

● إيران متهمة بعدم السماح للسنة بإقامة مساجد خاصة بهم ألا يعد ذلك انتهاكاً لحقوق أهل السنة؟ وما دام الأمر كذلك.. إذن عن أي تقريب تتحدثون؟

ـ مما لا شك فيه أن بناء مساجد للشيعة أي خاصة بهم فقط بين -وسط - أهل السنة وكذلك بناء مساجد للسنة بين الشيعة يعد أمراً خطيراً للغاية، حيث من شأن ذلك تجذير وترسيخ الخلاف بين الطرفين، ولهذا يجب الاحتراز من هذا الأمر والتخلي تماماً عن هذه الفكرة فالكل مسلمون لهم رسول واحد وقبلة واحدة وبالقطع إله واحد.

نحن المسلمين ندعي أمام أتباع الأديان الأخرى بأن كتابنا السماوي لم يحرف، ونقول بأن قبلتنا واحدة ونقول وندعي بهذا أمام الآخرين ثم نأتي ونخالفه فيما بيننا؛ فتتهم كل فرقة منا بأن الفرقة الأخرى قد حرفت أو تحرف في القرآن الذي تعهد الله الواحد أن يحفظه.

أنقول وندعي بهذا ثم يتهم بعضنا البعض بأن الآخر يدعي أن الرسالة كان من الواجب أن تنزل على شخص آخر غير محمد صلى الله عليه وسلم ونوجه التهم إلى جبريل الأمين بأنه قد ضل الطريق.. إذن أين الله الذي نؤمن به وبقدرته على حفظ رسالته ودينه وقرآنه؟

من هنا ولهذا كله بعدنا بل أصبحنا بعيدين عن رحمة الله تعالى، بل ونظن بجهل وحماقة أننا سوف نذهب إلى الجنة!! نقوم بتحزيم خصائرنا بأحزمة المتفجرات ثم نفجر أنفسنا بين أهلنا من أصحاب المذاهب الأخرى ونظن أننا بهذا قد أحسنا صنعاً وأننا قد ابتعدنا عن جهنم واقتربنا من الجنة!!

● أنتم تقولون ذلك وما زال الشيعة يخالفون السنة في الكثير من الأمور مثلما نرى في الحج، حيث يعتزل الشيعة إخوانهم السنة عند الوقوف بعرفة وفي أشياء أخرى.. فما قولك في هذا؟

ـ لن أجيبك عن هذا وإنما سأخبرك ببعض الفتاوى الصادرة عن الإمام الخميني يرحمه الله في هذا الصدد. لقد قال الآتي:

أـ إذا ما ثبت ظهور هلال الأول من ذي الحجة لدى علماء أهل السنة وأصدروا حكمهم في الأمر وجب على أهل الشيعة الحجاج أن يتبعوهم في ذلك ويجب عليهم أن يصعدوا عرفات في نفس الوقت الذي يصعد فيه المسلمون إلى عرفات ويكون حجهم صحيحا.

ب ـ الخروج من المسجد الحرام أو المسجد النبوي وقت صلاة الجماعة أمر غير جائز للشيعة ويجب على الشيعة أن يصلوا مع غيرهم من المسلمين السنة صلاة الجماعة.

جـ قيام الشيعة -عند صلاتهم مع أهل السنة- في صلاة الجماعة ألا يجعلوا لأنفسهم فرشاً خاصاً بهم في الصلاة وتكون صلاتهم صحيحة حتى وإن وقفوا في الصلاة وقفة أهل السنة من حيث وضع اليد اليمنى على اليسرى ولا يجوز لهم إعادة الصلاة.

حـ السجود على "حصى" في المسجد الحرام وفي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله حرام ويفسد الصلاة. (المقصود بالحصى هنا هو تلك القطعة من الطوب التي يستخدمها الشيعة في صلاتهم).

خالقول بأن عليًا ولي الله لا يعد جزءاً من الأذان والإقامة والقول بذلك حرام.

دالصلاة خلف الإمام السني في المسجد النبوي وفي المسجد الحرام صحيحة. ولا تجب إعادتهم ولا يجوز إقامة صلاة الجماعة بإمام شيعي داخل المسجد النبوي أو داخل المسجد الحرام ما دام هناك إمام سني قد قام بالصلاة.

متى يسمى الشيعة عمر؟

تؤكدون ضرورة التقارب بين أهل السنة وبين أهل الشيعة فلماذا لا - أو متى - نرى شيعيًا اسمه أبو بكر أو عمر أو عثمان؟ ولماذا لا نرى امرأة شيعية اسمها عائشة؟

السيد جودكي ماذا عنك شخصيًا؟ أي ما هي رؤيتك الشخصية للخلاف بين الشيعة

والسنة؟ وإذا كنت من الذين يدعون للتقريب فما هو دورك وواجبك الذي تعتقد أنه من الواجب أن تقوم به وتفعله؟

ـ عندما كنت صغيراً كانوا قد أحضروا لي "دمية" لألعب بها. هل تعلم ماذا كان اسم هذه الدمية كان اسمها عمر!! الآن وبعد الثورة الإسلامية وبعد الجهود الضخمة التي بذلها الإمام الخميني يرحمه الله تتألم أمي وتلوم نفسها على أنها تركتني ألعب بتلك الدمية، إنها قد ساهمت في عمل سيئ كهذا.

حادثة أخرى أرويها لك.. ذات مرة كنت في لقاء مع الدكتور "أحمد الطيب" رئيس جامعة الأزهر، وقد سألني الرجل مباشرة. وماذا عن سب الشيعة لعائشة رضي الله عنها؟ فقلت له لا.. إن هذا لا يحدث.. ثم سألته قائلاً: هل يمكن أن أسب أمي؟ إن عائشة أمي؟ هي أمي بنص القرآن الكريم أليست هي زوجة من زوجات الرسول الكريم؟ أليس زوجات الرسول هن أمهات المؤمنين؟ هل يمكن أن يسب مؤمن أمة؟

إن بعض الجهلاء لا يسبون أمهم فحسب بل يقتلونهن أيضاً!! هذا يحدث بين المسلمين السنة والمسلمين الشيعة. لكن السؤال هل يعقل أن يقوم مسلم مؤمن بقتل أمه أو سبها؟ إن عائشة رضي الله عنها هي أمي فكيف أسبها أنا مسلم وأظن أنني مؤمن؟

الواقع أن ما يحدث من سب للصحابة والسيدة عائشة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ إنما هو نتاج لأمرين اثنين لا ثالث لهما: انتشار ثقافة الجهل والجهلاء، والثاني انتشار ثقافة الاستعمار.

سأذكر مثالاً على ثقافة الجهل والجهلاء. ذات يوم قام الناس في منطقة "سبزوار" بضرب شخص. ثم ذهبوا به إلى القاضي فسألهم القاضي لم تضربونه؟ قالوا لأن اسمه "عمر" فسأله القاضي، ما اسمك أيها الرجل؟ فأجابه الرجل: اسمي "عمران" فقال القاضي اضربوه ثانية لأن في اسمه "ان" أي عثمان! لقد كان القاضي شيعياً جاهلاً يحكم بين شيعة جهلاء.

● أنت إلى الآن لم تقل لي ما هو دورك؟ وما الواجب الذي تعتقد أنه من الواجب عليك أن تقوم به وتفعله؟

ـ سأقول لك أمراً قد لا تتخيله. إنني شيعي يحب عائشة بوصفها أم المؤمنين. نعم أنا أحبها لأنها زوجة الرسول الكريم، وأنا أحب الرسول وحبي لعائشة هو جزء من حبي للرسول الكريم. لكنني أكره فيها أعمالها في موقعة "الجمل" فقط هذا هو ما أكرهه فيها. وإن أعطاني الله تعالى بنتاً فسأسميها عائشة فقط من أجل توحيد صفوف المسلمين، ولكي أعطي القدوة والدليل على إيماني بضرورة القضاء على ثقافة الجهل والجهلاء".

انتهى الحوار الذي هو من أهم الحوارات؛ فصحابه شيعي قد تحمل مسئولية سياسية، كما أنه أحد الذين يتحملون عبء التقريب، وهو يبدو من خلال آرائه في هذا الحوار قمة الاعتدال، كما أنه من الذكاء بمكان؛ فهو يوجه نقده للطرفين: سنة وشيعة، كما يسرد أحداثاً ومواقف بعينها ويحدد معالمها، ولا يتحرج من ذكر مواقف اجتماعية ودينية تدل على التعصب الأعمى حتى من جهة أهل مذهبه، بل من أهله وبيئته، وهذا الحوار يذكرني بمحاضرة الشيخ الصفار في المبحث السابق، وأتمنى أن يكون هذا الحوار هو حقيقة الموقف، لا تقية ولا مداراه. وبحق لو كان إخواننا الشيعة على هذا الموقف حقيقة (كما في حوار السيد السفير هنا. ومحاضرة الشيخ الصفار في مبحث سادتنا أهل البيت)؛ لما رأينا خلافاً بين السنة والشيعة.

التقريب بين السنة والشيعة وإنشاء دار للتقريب:

التقريب بين السنة والشيعة أمر يحلم به كل مسلم محب لدينه وعقيدته ولكن التقريب المنشود هو التقريب الذي يجمع ولا يفرق، الذي يعتمد على الحب والصفاء، لا على البغض والجفاء، التقريب الذي يجعلنا نحب سادتنا أهل البيت، ولا نكره سادتنا الصحابة، التقريب الذي يجعلنا نلتف حول كتاب الله، هذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا

من خلفه، ولا نشكك فيه بعد أن تعهد المولى ـ عز وجل ـ بحفظه، ولا أن ندعي أن هناك قرآنا آخر فيه المزيد من السور تواطأ أحباب رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ على إخفائها، التقريب الذي لا ينظر للسني ـ كنظرة اليهود ـ على أنه عنصرٌ نجس مستباح الدم والمال.

لقد تأسست في مصر دارٌ للتقريب قامت على الحب والوفاء والإخاء الديني بين أهل السنة والشيعة بفرقتيها الشهيرتين: الإمامية والزيدية، وكانت هذه الدار تمثل الكثير والكثير من الأمل الذي يتطلع إليه كل مسلم غيور على دينه وأمته، ولقد صدرت عن هذه الدار مطبوعة هامة استكتبت أعلام العلماء من سنة وشيعة (مجلة رسالة الإسلام) وكان الهدف المنشود والأمل المطلوب للجميع أن يصل المسلمون إلى تقريب حي يعتمد على وحدة الصف والهدف كما أمر الله وبما أمر، وما أسهل التقريب إذا خلصت النوايا وتُرك التعصب! وما أجمله من موردٍ صافٍ إذا لم تعكره دلاء الاستغلال والمذهبية الحمقاء!!

إطلالة تاريخية على التقريب:

ولا يزال المحبون مصرين على التقريب أفراداً وهيئاتٍ؛ فقد قامت وزارة الأوقاف المصرية بطباعة كتاب (دعوة التقريب تاريخ ووثائق) ويعد هذا الكتاب من أهم الوثائق التي تدل على حب التقريب والتآلف بين المسلمين من جهة أهل السنة التي يمثلها أكبر معقل علمي سني (الأزهر الشريف) وتمت طباعة الكتاب في عام، ١٤١٢هـ- ١٩٩١ وننقل عن هذا الكتاب الموثق الآتي: "إن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بدأت أعمالها في القاهرة قبل أكثر من نصف قرن (١٣٦٨هـ- ١٩٤٧م). وآتت أكلها على مدى عقود من السنين، وهي من مظاهر التعاون والتفاهم بين شرق العالم الإسلامي وغربه، أو قل بين إيران ومصر بالذات، وطالما أثمر هذا التعاون على مرّ التاريخ، وخاصة منذ منتصف القرن التاسع عشر عن ثمار طيبة ساهمت في دفع مسيرة أمتنا على ساحة التاريخ.

مؤسس الدار:

أسس هذه الدار الشيخ محمد تقي القمي، رجلٌ عاش هموم العالم الإسلامي، ورأى ضرورة ما بدأه السيد جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالأفغاني في كسر الحواجز الإقليمية والمذهبية بين المسلمين، وعرف ما في نفسه من قدرة على هذا العمل الجبّار. فانطلق من إيران متجهاً إلى نفس محط رحال السيد. واتصل بمن يشاركونه الفكرة من كبار علماء الأزهر؛ فوجد الاستجابة المدهشة من رئيس هذا المركز الديني الكبير إلى بقية علمائه وسائر المثقفين والجامعيين في أرض كنانة المسلمين.

مرئيات الشيخ شلتوت:

يتحدث الشيخ محمود شلتوت أحد شيوخ الأزهر السابقين عن قصة مؤسس الدار: "ذلك العالم المجاهد الذي لا يتحدث عن نفسه، ولا عما لاقاه في سبيل دعوته. وهو أول من دعا إلى هذه الدعوة، وهاجر من أجلها إلى هذا البلد، بلد الأزهر الشريف.. فعاش معها والى جوارها منذ غرسها بذرة مرجوة على بركة الله، وظل يتعهدها بالسقي والرعاية بما آتاه الله من عبقرية وإخلاص، وعلم غزير، وشخصية قوية، وصبر على الغير، وثبت على صروف الدهر، حتى رآها شجرة سامقة الأصول، باسقة الفروع، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويستظل بظلها أئمة وعلماء ومفكرون في هذا البلد وفي غيره..." .ص ١٨

ويشير الشيخ شلتوت إلى "الاجتماعات في دار التقريب" حيث يجلس المصري إلى الإيراني، أو اللبناني أو العراقي أو الباكستاني، أو غير هؤلاء من مختلف الشعوب الإسلامية، وحيث يجلس الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي بجانب الإمامي والزيدي، حول مائدة واحدة، تدوي أصوات فيها علم، وفيها أدب، وفيها تصوف، وفيها فقه، وفيها مع ذلك كله روح الأخوة، وذوق المودّة والمحبة، وزمالة التعليم والعرفان" .ص١٩

دواعي تأسيس الدار

ويتحدث الشيخ محمد تقي القمي عن حالة العالم الإسلامي التي دعت المفكرين إلى حركة "التقريب" فيقول: "كان الوضع قبل تكوين جماعة التقريب يثير الشجن، فالشيعي والسني كل كان يعتزل الآخر. وكل كان يعيش على أوهام ولدتها في نفسه الظنون أو أدخلتها عليه سياسة الحكم والحكام أو زينتها له الدعاية المغرضة، وساعد على بقائها قلة الرغبة في الاطلاع". ص٢٤

"أجل لقد ظلت الفرقة بين المسلمين غذاء مناسبا للحكم والحكام قرونا عدة، دأب فيها كل حاكم على استغلالها لتثبيت سلطانه، ولتحطيم عدوه، ثم جاءت السياسات الأجنبية فوجدت في هذه الفرقة خير وسيلة لتدخلها، وبث نفوذها ودعم سلطانها وفرض سيطرتها". ص٢٥

صعوبات اعترضت طريق التأسيس:

وبعد أن يفصِّل الشيخ القمي في الظواهر المؤلمة التي عجَّت بها الساحة الإسلامية يومئذ، والحوافز التي دفعت إلى التفكير في التقريب يقول:

"هكذا بدأنا التفكير في التقريب، ثم سلخنا بعد ذلك شهوراً نبحث في سبل العلاج فدرسنا الدعوات التي سبقتنا وأفدنا منا كثيرا. ودرسنا المشاكل الطائفية برمتها، والكتب المعتمدة عند كل فريق لنحدد الطوائف التي تتفق في الأصول الإسلامية، ودرسنا الخلافات الفرعية الفقهية ومبلغ ما وصلنا إليه ثم حددنا أنجح الطرق للوصول بفكرتنا إلى الأعماق.

وقد أدى بنا التفكير إلى أن هذه الدعوة يجب أن تقوم بها جماعة بدل أن يقوم بها فرد يتعرض لكثير من الأخطار، وأن تكون الدعوة إلى التقريب بين أرباب المذاهب لا إلى جمع المسلمين على مذهب واحد. فيبقى الشيعي شيعيا والسني سنيا، وأن يسود بين الجميع مبدأ احترام الرأي الذي يؤيده الدليل وأن تكون الجماعة ممثلة للمذاهب الأربعة المعروفة عند أهل

السنة ومذهبي الشيعة الإمامية والزيدية، وأن يمثل كل مذهب علماء من ذوي الرأي والمكانة فيه وأن تكون الجماعة بمعزل عن السياسة وأن تكون محددة الأهداف وأن يكون سعيها على أساس البحث والعلم كي تثبت أمام المعارضة وتكسب الأنصار عن سبيل الإقناع والاقتناع، ولكي تستطيع بسلاح العلم محاربة الأفكار الخرافية الطفيلية التي لا تعيش إلا في ظل الأسرار والأجواء المظلمة. ولكي تتمكن في الوقت نفسه من مقاومة الطوائف والنحل التي ليست من الإسلام في شيء والتي يحسبها الشيعي سنية والسني شيعية بينما هي في حقيقتها حرب على الإسلام". ص٢٧

ويقف الشيخ عند أكبر عقبة واجهت الجماعة، وهي رواسب الماضي، وما أثارته من ضجيج وإرجاف، وكيف واجهت الجماعة كل ذلك فيقول:

"لكن الجماعة هيأت نفسها لهذا من أول الأمر لأنها تعلم أنها تواجه رواسب قرون، وكانت تتوقع حملات فيها الطعن والتجريح، وبدلاً من أن تضعف الهجمات العزائم؛ شحذت الهمم وقوت الجماعة على السير بالفكرة إلى النهاية.

وكانت هذه الهجمات نفسها دليلاً على ضرورة فكرة التقريب للمجتمع الإسلامي كي يتخلص من العناصر البغيضة ذات التفكير السقيم الذي يبلبل الخواطر ويصرف الأذهان عما ينفع الناس ويمكث في الأرض.

أذكر أن أحد هؤلاء المتعصبين ملأ كتابا بالطعن على الشيعة والهجوم على جماعة التقريب لقيامهم بهذه الفعلة النكراء فعلة التقريب بين السنة والشيعة.

وفي الوقت نفسه وصلنا كتاب عن الطرف الآخر من تلك الكتب المؤلفة في عهد الصفوية مليء بالهجوم على أهل السنة، وكلا الكتابين التقى مع الآخر في الهجوم على فكرة التقريب. فماذا تظن كان موقف الجماعة؟

إنهم قرءوا بهدوء تلك المهاجمات العنيفة، ولكنهم لم يتأثروا ، ولم يكفوا عن الجهاد،

كما كان المؤلفان المتجنيان المتعصبان - سامحهما الله - يأملان، بل إنهم أجمعوا على أن الحاجة ملحة إلى بذل نشاط أكبر مادام في العالم الإسلامي هذا النوع من الأشخاص، وهذا اللون من التفكير، وهذا الإصرار على محاولة التفرقة" ص ٢٨، ٢٧

ويسرد السيّد عبد اللّه نجل الشيخ القمي ذكرياته عن الهجوم الذي تعرضت له الدار في بداية تأسيسها ويقول:

"لقد تعرضت هذه الدعوة المؤمنة وقوبلت في مطلعها بهجوم ممن لم تحسن نواياهم بالعداوة والبغضاء ورميت منهم ورمي المقبلون عليها بالتهم والظنون، فمن قائل بان دار التقريب هذه هي خليقة سياسات استعمارية من صنع الإنجليز تارة. ومن صنع الروس تارة أخرى ثم من صنع أمريكا في العصر الحالي حتى لقد ظن البعض في عهد الملك فاروق أن الدار تعمل سرا لصالح الطائفة الإسماعيلية بقصد إرجاع الحكم الفاطمي إلى مصر. وأتذكر دائما في هذا الخصوص مقولة والدي (رحمه الله) بشأن تهمة انتماء الدار إلى الإنجليز حيث كانت (الموضة) السائدة وقتها تقتضي إرجاع أي عمل أو حدث في منطقتنا إلى الإنجليز وتنسبه إليهم قال: "هؤلاء الإنجليز الذين يعملون على التفرقة لو أنهم فكروا في العمل على التقريب فأهلا بهذا الذي يزعمون".

ويذكر السيّد عبد اللّه أيضا أن والده بسبب ظروف خاصة اختار الإقامة في أوربا في الثمانينات، وكان عازما على العودة إلى مصر سنة ١٩٩٠م واستئناف نشاط التقريب إلا أن القدر لم يمهله، وفي ٢٨ / ٨ / ١٩٩٠ توفي (رحمه الله) في باريس إثر حادث مشكوك، ودفن في طهران مسقط رأسه إلى جوار المرحوم والده.

وبقيت فكرة التقريب منهجا يترسمه الدعاة، وأملا يراود المخلصين، ومعلما هاما من معالم إرادة الأمة المسلمة في الوحدة والتعاضد والعودة إلى ساحة التاريخ.

آثار دار التقريب:

من أبرز آثار دار التقريب مجلتها "رسالة الإسلام" هذه المجلة كانت تنشر الفكر التقريبي بين المسلمين، وتجمع العلماء على صعيد الحوار العلمي في مختلف المجالات، كتب فيها كبار علماء الشيعة من أمثال: الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، والشيخ عبد الحليم كاشف الغطاء، والشيخ محمد رضا الشبيبي، والسيد صدر الدين شرف الدين، والسيد هبة الدين الشهرستاني، والشيخ محمد تقي القمي، ومحمد صادق الصدر، وغيرهم. وكبار علماء السنة من أمثال: الشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت (وكلاهما من أئمة الأزهر وشيوخه)، والشيخ محمد محمد المدني (رئيس تحرير المجلة)، والشيخ محمد أبو زهرة، والدكتور محمد البهي، والأستاذ محمود فياض، والشيخ محمد علي علوبة باشا، والشيخ محمد عبد الله دراز، والشيخ عبد المتعال الصعيدي، والأستاذ محمد فريد وجدي، والأستاذ أحمد أمين، والأستاذ علي عبد الواحد وافي، والأستاذ عباس محمود العقاد، وغيرهم كثير.

صدر العد الأول من هذه المجلة في ربيع الأول سنة ١٣٦٨هـ (يناير ١٩٤٩م)، وتواصلت تصدر كل ثلاثة أشهر، وتعثرت في الصدور بعض الأعوام، وصدر عددها الستون والأخير في رمضان ١٣٩٢هـ (أكتوبر ١٩٧٢م)، ومجموعة ما تضمنته من مقالات ودراسات وأخبار يشكل سفراً هاماً من أدبيات التقريب في عالمنا المعاصر، إذ إن المجلة انفتحت على كُتّاب أهل السنة والشيعة، وانعكست فيها مسيرة دار التقريب، ومسيرة التقريب في العالم الإسلامي".

وفي كتابه: الشيعة في مصر يقول الأستاذ صالح الورداني: "بدأت دعوة التقريب في مصر عام ١٩٤٦ وقد دعمتها جماعة الإخوان في ذلك الوقت بقيادة حسن البنا وتبناها الكثير من رجال الأزهر الذين ارتبطوا بعلاقات حميمة مع كثير من علماء الشيعة طوال تلك الفترة وحتى أواخر السبعينات ومن علماء الأزهر ورجاله البارزين الذين ارتبطوا بتلك الدعوة

الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد المجيد سليم والشيخ الشرباصي والشيخ الفحام والشيخ محمد المدني الذي تولى منصب السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية . . ومن علماء الشيعة الذين ساهموا في هذه الجماعة وارتبطوا بعلاقات مع رجال الأزهر والدعاة البارزين في حقل الدعوة بمصر الشيخ محمد تقي القمي صاحب الدعوة وراعيها في مصر وهو من إيران والشيخ محمد جواد مغنية إمام القضاء الشرعي الجعفري في لبنان والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء من علماء العراق والسيد مرتضى الرضوي، الذي التقى بمعظم رجالات الفكر في القاهرة والسيد طالب الحسيني الرفاعي مؤسس جمعية آل البيت في مصر، وهو من علماء العراق، ولم يكن من هدف هذه الدعوة أن يترك السني مذهبه أو يترك الشيعي مذهبه، كما يعبر الشيخ المدني، وإنما كانت تهدف إلى أن يتحد الجميع حول الأصول المتفق عليها ويعذر بعضهم بعضا فيما وراء ذلك مما ليس شرطا من شروط الإيمان ولا ركنا من أركان الإسلام ولا إنكارا لما هو معلوم من الدين بالضرورة.

المؤيدون للتقريب من العلماء والمفكرين:

وقد أيد الدعوة للتقريب بالإضافة إلى الأسماء اللامعة السابقة من مؤسسين ومفكرين وكتاب، كثرة من علماء المسلمين، وهذه بعض الآراء التي وقفنا عليها لمن أيد الدعوة للتقريب من المؤسسين والمشاركين وغيرهم:

فضيلة الأستاذ محمد المدني:

يقول فضيلة الأستاذ محمد المدني من علماء السنة ومن أعضاء (دار التقريب بين المذاهب) في غاية هذا التقارب: "ليس من غايتنا أن يترك السني مذهبه أو الشيعي مذهبه، وإنما نريد أن يتحد الجميع حول الأصول المتفق عليها، ويعذر بعضهم بعضاً فيما وراء ذلك مما ليس شرطاً من شروط الإيمان ولا ركناً من أركان الإسلام، ولا إنكاراً لما هو معلوم من الدين بالضرورة".

فضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة من كبار علماء الأزهر:

يقول فضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة من كبار علماء الأزهر في كتابه: (الإمام الصادق)

"اختلف بعد الصحابة والتابعين الإمام زيد بن علي والإمام الباقر، والإمام جعفر الصادق والأئمة أبو حنيفة ومالك والأوزاعي والليث ابن سعد ثم بعدهم الشافعي فقد اختلف مع أصحاب مالك وأصحاب أبي حنيفة ولم يكن ذلك خصومة في دين، ولا اختلافاً في يقين، بل كان من ظواهر الإيمان الصادق والإدراك الحقيقي لمعاني الإسلام، ولم تتباين وجهات النظر فيما هو من أصول الدين، بل كان التباين في فروعه التي تختلف فيها الأنظار لعدم وجود نص قاطع فيها كما تختلف الأنظار في تفسير القوانين الآن إذا لم يكن نص القانون قاطعاً أو لم يكن هناك نص... وإنه لإخلاص الفقهاء في اختلافهم كانوا يقولون: (رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب) وإننا إذا علمنا أن ما نختلف فيه الآن هو اختلاف مذاهب لا افتراق فيه صار الخلاف بين الجعفرية وغيرهم كالاختلاف بين الحنفية والشافعية، ويفرض كل صاحب مذهب أن رأيه صواب يحتمل الخطأ ورأي غيره خطأ يحتمل الصواب وبذلك تتسع الصدور لقبول الآراء المخالفة، ويتسع أفق التفكير الفقهي وتندمج النفوس وتزول النفرة، ويحل محلها أنس الوحدة الجامعة ويتحقق قوله تعالى: }وإن هذه أمتكم أمة واحدة.{وإنه إن حلت المذهبية محل الطائفية أصبح لكل إنسان أن يعتنق من الآراء الفكرية ما يشاء فيكون للجعفري أن يختار من الحنفي وللشافعي أن يختار من الجعفري".

رأي الشيخ الشعراوي في الشيعة:

"الشيعة الإمامية الاثناعشرية وإمامهم جعفر الصادق بن محمد بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو أحد أساتذة الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهم جميعا وهؤلاء الإمامية الجعفرية الذين نوضح أنهم من أرباب المذاهب النقية، وهم الذين أصدر شيخنا المرحوم شيخ الأزهر محمود شلتوت فتواه المشهورة في صحة التعبد بمذهبهم معللا

ذلك بأنه من المذاهب الإسلامية الثابتة الأصول المعروفة المصادر المتبعة لسبيل المؤمنين" .

(الأهرام ، السنة ١٠٣ ، العدد ٣٢٩٣٢) .

الشيخ محمد الغزالي:

يقول صالح الورداني: "وعلى الرغم من هذا الحصار الأمني والفكري الذي طوق الواقع الإسلامي بمصر بعد قيام الثورة الإسلامية واندلاع الحرب العراقية الإيرانية كانت لا تزال هناك أصوات تنادي بالتقريب وتحاول إنصاف الشيعة من العلماء والدعاة . وفي مقدمة هؤلاء الشيخ محمد الغزالي الذي يقول: "نعم أنا كنت من المعنيين بالتقريب بين المذاهب الإسلامية وكان لي عمل دؤوب ومتصل في دار التقريب في القاهرة وصادقت الشيخ محمد تقي القمي كما صادقت الشيخ محمد جواد مغنية ولي أصدقاء من العلماء والأكابر من علماء الشيعة. وأنا أريد فعلاً أن نذهب الجفوة أو الشقاق المر الذي شاع بين المسلمين خصوصا في أيام اضمحلالهم الفعلي" .

والأستاذة الداعية السيدة زينب الغزالي:

أجابت حين سئلت عن رأيها في مشكلة التفريق بين المذاهب الإسلامية قائلةً: "فلا شك أن هذه مؤامرة صهيونية إنني أرى أن الشيعة الجعفرية والزيدية مذاهب إسلامية مثل المذاهب الأربعة لدى السنة وعلى عقلاء السنة والشيعة وعلى قيادات السنة والشيعة أن يجتمعوا في صعيد واحد وأن يتفاهموا وأن يتعارفوا على ربط المذاهب الأربعة والمذهب الشيعي بعضها ببعض وكذلك مذهب الظاهرية لابن حزم وأدعو إلى اجتماع علماء الإسلام من كل المذاهب للتصدي لتلك المؤامرة الصهيونية. ولي أنا شخصيا تجربة في هذه المسألة فقبل عام ١٩٥٢ كان هناك جماعة التقريب بين المذاهب والتي كان يشرف عليها . الشيخ محمود شلتوت والشيخ القمي وقد شاركت في عمل هذه الجماعة وبمباركة الإمام حسن البنا الذي كان يرى أن المسلمين سنة وشيعة أمة واحدة وأن الخلاف المذهبي لا يفرق وحدة الأمة، وكان الإخوان

المسلمون متعاونين مع هذه الجماعة على أساس أن الإسلام يد واحدة، إله واحد، كتاب واحد، رسول واحد، حلال واحد، حرام واحد، نظام سياسي واحد، اقتصاد واحد، نظام اجتماعي واحد، دولة واحدة، من أجل تطهير العالم من الظلم والزور والخديعة التي تمارسها القوتان الكبريان ويجب أن يكون الشيعة والسنة على قلب واحد".

الدكتور علي عبد الواحد وافي:

والدكتور علي عبد الواحد وافي عميد كلية التربية جامعة الأزهر الذي يقول في كتابه (بين الشيعة وأهل السنة) "... وإنما الغرض من تأليف هذا الكتاب التقريب بين طوائف أهل السنة وطوائف الشيعة الجعفرية وبيان أن الخلاف بينهما خلاف اجتهادي يسمح به الإسلام بل يرحب به ولا يصح أن يدعو إلى قطيعة ولا إلى تنافر".

الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الراحل:

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الراحل: "إن الأزهر لا يحمل إلى إخواننا الإمامية وإلى إخواننا الزيدية إلا كل ود ونحن الآن في دور ندعو فيه إلى الوحدة والأخوة".

الشيخ الفحام شيخ الأزهر الراحل

ويقول الشيخ الفحام شيخ الأزهر الراحل: "المعروف أن المسلم هو كل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ولا يخرجه من إسلامه تمسكه بمذهب من المذاهب وقد استفدت أو أفدت من زياراتي لكل البلاد الإسلامية استعداد الجميع لهذا التقارب".

الشيخ أحمد حسن الباقوري:

ويقول الشيخ الباقوري: "الخلاف بين السنيين والشيعيين خلاف يقوم أكثره على غير علم حيث لم يتح لجمهور الفريقين اطلاع كل فريق على ما عند الفريق الآخر من آراء وحجج.. وإذاعة فقه الشيعة بين جمهور السنيين وإذاعة فقه السنيين بين جمهور الشيعة من أقوى الأسباب وآكدها لإزالة الخلاف بينهما. فإن كان ثمة خلاف فإنه يقوم بعد هذا على رأي له

احترامه وقيمته" .

الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف:

ويقول الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف المدرس بالأزهر : "الفقه الإسلامي لكل المكلفين شريعة واحدة يتعبد بها أهل الأمصار على اختلاف الأنظار فيا حبذا لو تبادل الشيعة وأهل السنة ما عندهم من العلم حتى إذا امتزج البحران ظهر منهما اللؤلؤ والمرجان" .

الشيخ عبد الرحمن النجار:

ويقول الشيخ عبد الرحمن النجار: "لا يمكن أن يغفل رأي الشيعة لأنهم يمثلون نصف المسلمين في العالم فليس من المعقول أن يهمل اجتهادهم أو يتخذ منهم موقف الرفض والعداء في الوقت الذي ننادي فيه بتجميع كلمة المسلمين.. والشيعة لهم اجتهادات طيبة في الفقه، ولا أدري لماذا يتغافل المسلمون السنيون عنها أو يهملونها. مع أن الكثير منها يحقق التفاعل مع المجتمع في عصرنا الحديث" ا. هـ.

علماء ومفكرون معارضون للتقريب:

كما سبق وأسلفنا انه لا يوجد مسلم يحب دينه وأمته إلا ويسعى إلى كل ما فيه تقارب وتآلف بين المسلمين في شتى أرجاء المعمورة. وما حدث أن إخواننا الشيعة استفادوا من التقريب أكثر من استفادة أهل السنة منه، بل ومنهم من نقض عهد وعقد التقريب من أساسه؛ فقد تم إفساح المجال لهم لنشر كتبهم، وتدريس مذهبهم، ولم يقوموا في مقابل ذلك بنشر كتب السنة أو تدريس مذاهبهم، والأدهى من ذلك أنهم استمروا في خرق أول وأهم ما في التقريب من اتفاق؛ فلا زالوا على ما هم عليه من سب الصحابة وأمهات المؤمنين، واتهموا العقلاء منهم (عقلاء الشيعة) الذين دعوا إلى تناسي ذلك في دينهم أو تدينهم؛ مما دفع كثرة من العلماء والمفكرين إلى اليأس منهم؛ ولذلك لا نجد غرابة أن نجد لبعض العلماء رأيين مختلفين في هذا المبحث؛ بسبب الانقلاب على ما تم الاتفاق عليه، وبسبب يأس هؤلاء

العلماء والمفكرين من تقريب حقيقي على أرض الواقع.

رأي الشيخ محمد حسين مخلوف في التقريب

نص رسالة مفتي الديار المصرية الأسبق الشيخ محمد حسين مخلوف إلى الشيخ الشعراوي حينما كان وزيراً للأوقاف بخصوص الشيعة وجماعة التقريب ..

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل/ الشيخ الشعراوي حفظه الله

تحيات واجلال .. وبعد ..

فقد هال الناس ما نشرته الصحف بما دار بينكم وبين داعية الشيعة الإمامية من الحديث والآراء، ومعلوم على ما أجمع عليه أهل السنة بشأن الإمامة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم من أن الخليفة بعده هو أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي وأن ما ذهب إليه الشيعة الإمامية من الإمامة بعد الرسول لعلي بن أبي طالب ثم لمن يليه إلى الإمام الثاني عشر باطل في القول وزور.

وكذلك من الباطل ما يزعمونه بشأن الإمام الثاني عشر وخروجه آخر الزمان قرب الساعة ومعه ما حذف من القرآن بشأن خلافة علي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى آخر ما هو مكتوب في كتب الشيعة الإمامية في هذا الشأن.

كما أنه معلوم لفضيلتكم ما قام به هذا الداعية من إنشاء (جماعة التقريب) وإنشاء مجلة لها بمصر وانطواء الشيخ شلتوت لها مع نفر من المنحرفين عن أهل السنة والجماعة وما حرص عليه من وجوب تدريس مذهب الشيعة الإمامية بالأزهر أسوة بالمذاهب الأربعة وما تبع ذلك من أقوال وأعمال.

إن افتراق أمة الإسلام إلى ثلاث وسبعين فرقة وإنها كلها في النار إلا واحدة وهي أهل السنة والجماعة وهم من كانوا على ما عليه الرسول وأصحابه معلوم لفضيلتكم وان بلادنا مذ حماها الله من التشيع الضال وأقام أهلها على مذهب أهل السنة والجماعة ينصحون بكتاب

الله وسنن رسول الله ويفعلون السنن عن الرواة الأمناء كما في كتب السنة وغيرها من كتب الحديث.

ومعلوم لفضيلتكم ما يقوله الشيعة الإمامية وغيرهم من فرق الشيعة البالغة خمس عشرة فرقة في شأن الخليفة الحق أبي بكر الصديق وأصحابه الذين بايعوه ومنهم عمر بن الخطاب من الطعن الشديد.

وما يفعلونه ويقولونه في المدينة المنورة إلى الآن حين يحضرون للزيارة من الكلام والأعمال التي ينكرها الإسلام بإجماع ويحكم عليها بالبطلان، ونحن جميعاً ندعو إلى الإسلام الحنيف والى الاعتصام بكتابه العزيز وسنن نبيه الكريم، ونعتمد في رواية السنن على الكتب الستة المعروفة وعلى الكتب الجارية على سننها ونقرر في كتب الفقه على المذاهب الأربعة كل ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة وننبذ ظهرها كل ما افترته الشيعة جميعاً من أمامية وزيدية وغيرهما.

ونعيش مع الفرق ذوي الأهواء والنحل التي لم تخرج عن الإيمان بالله ورسوله معيشة هادئة طيبة لا تكفير فيها لفريق من الفرق.

أما مع الفرق الضالة التي تزعم ما هو كفر وضلال فلا يمكن أن نقرها على شيء من مزاعمها، بل ننبذه تماما، ونرفع راية الإسلام عالية نقية.

لذلك نقول إن الشيعة الإمامية مبطلة في مزاعمها بشأن الخلافة، وفي حكمها بجواز نكاح المتعة، مخالفة لما ثبت في السنن من بطلانه. ونقول إنهم مسلمون ولكن مبطلون في مخالفة أهل السنة والجماعة، وحسبهم وحسبنا ذلك. ويجب أن نكون وهم قوة واحدة للدفاع عن الإسلام وصد هجمات أعدائه من أهل الأديان الأخرى، ومن ذوي الملل والنحل الضالة الأخرى المذكورة في كتب الفرق قديماً وفي التاريخ الحديث كالقاديانية والبهائية والماسونية وغيرهم من فرق الضلال والجحود.

ولا أريد أن أطيل على فضيلتكم في الحديث.

وإنما أريد إكرام الضيف لكن ليس على حساب أهل السنة والجماعة، ولا على حساب نشر مذهب التشيع الإمامي في بلادنا التي برأها الله من الضلال والابتداع في الدين.

وإن مساعيه لإقامة مذهبه بمصر في مشيخة الشيخ شلتوت للأزهر وترغيب بعض علماء السنة والجماعة، منكرا ما ذهب إليه أهل البدع والأهواء. ومن الخير لكم بل من الواجب عليكم بعد كل هذا أن تبين للناس رأيكم في التشيع عامة والتشيع الإمامي خاصة، وإنكم لازلتم نصير أهل السنة والجماعة قولا وعملا والله يوفقك.

وأخشى ما أخشاه أن يستغل الشيعة الإمامية موقفكم للدعوة إلى نحلتهم ويقولوا إن إماما من أئمة المسلمين قد انضم إلى مذهبهم وهو الداعية المعروف الشيخ الشعراوي.

أعاذك الله من ذلك، وأبقاك عزاً للإسلام، وداعياً قوياً إلى نصر أهل السنة والجماعة القائمين على قدم الرسالة العظمى بحق ويقين وإخلاص قوي متين.

والله الموفق. محبكم / حسين محمد مخلوف

مقالٌ وافٍ وموثق حول التقريب

وللشيخ أشرف عبد المقصود مقال رائع نشره في جريدة (المصريون) بتاريخ ١٦-٨-١٤٢٧هـ تحت عنوان: (فتوى الشيخ شلتوت - رحمه الله - وخدعة التقريب بين السنة والشيعة) !!

ومن جميل الصدف أن أقرأ هذا المقال الذي يعد بحثاً وافياً وأنا أكتب عن هذا الموضوع؛ فأرسلت للشيخ أشرف عبد المقصود أشيد بمقاله، وأستأذنه في الاستعانة به ضمن كتابي هذا؛ فرحب بذلك، والمقال يحتاج إلى رد واقعي وعملي من مراجع الشيعة، ودعاة التقريب؛ فهو موثق ومدعم بآراء أكابر العلماء السنة وإليكم جزءاً هاماً من هذا المقال:

عوام السنة هم ضحية التلبيس من دعاة التقريب:

والمشاهد اليوم لما يجري على الساحة يجد من دعاة التقريب من السنة حماسًا منقطع النظير لا يقتصر فحسب على الدعوة للتآلف بل تعدى الأمر إلى التلبيس وتعمية الأمر على عوام أهل السنة بالقول بأنه لا يوجد خلاف بين أهل السنة والشيعة في الأصول بالرغم من وجوده، وهذا يُعَدُّ أمرًا خطيراً ومزلقا صعبًا !!

والأسباب التي أوقعتهم في هذه الخدعة تتنوع بحسب حال الدعاة وهي في تقديرنا ترجع لعدة أمور:

أولهما: الجهل الشديد بعقائد القوم. فتجد الواحد من هؤلاء متخصص في فن معين بعيد عن العقائد والفرق والملل والنحل، ولا يطلع على معتقدات القوم أو اطلاعه قاصر. والأمر كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "من تحدث في غير فنه أتى بالعجائب".

وثانيها: التقيَّة التي يُلبس بها الشيعة على هؤلاء الدعاة من السنة فيخدعونهم. ومن المعلوم أن للتقية عندهم شأن عظيم حتى جعلوها تسعة أعشار الإيمان.

وثالثها: بعض هؤلاء العلماء لهم صداقات ومصالح مع بعض علماء الشيعة، ولا يريدون لها أن تتعكر إثر تصريح منهم بنقد أو كشف زيف مما يروج له هؤلاء.

ورابعها: شراء بعض الأقلام خاصة في مجال الصحافة والإعلام لنشر باطلهم حيث خصصت بعض الصحف صفحات كاملة لبعضهم وما من مناسبة يستطيعون أن ينفذوا من خلالها ليروجوا سمومهم إلا واستغلوها أتم استغلال، ولا أنسي يوم أن تهجم كاتب المسلسلات على شخصية عمرو بن العاص وإذا بالصحف الصفراء تنقل صفحات من مواقع الشيعة في إلصاق البهتان والكذب بالصحابي الجليل. وكتابات المتشيع أحمد راسم النفيس بجريدة القاهرة ـ لسان وزارة الثقافة بمصر للأسف ـ خير دليل على ما نقول فقد كتب بها سلسلة مقالات عن صلاح الدين الأيوبي وصفه فيها بأقذع الألفاظ وأنه قاتل وسارق وفي

الوقت نفسه يكتب بعد ذلك سلسلة مقالات أخرى للدفاع عن ابن العلقمي الخائن الذي تآمر مع التتار ضد الخلافة الإسلامية ببغداد.

والحاصل: أن عوام أهل السنة هم الضحية لهذا التلبيس من جانب دعاة التقريب من السنة، وهذا ما دفع العلامة الصوفي النبهاني لتأليف كتاب يذود به عن الصحابة ويدفع به تلبيس الشيعة قال فيه: "سوء حال هؤلاء الجهلة من أهل السُنَّة هو الذي حَمَلني على تأليف هذا الكتاب؛ ليعرف من قرأه منهم أنه في خطأ عظيم وخطل ذميم، وأنه في ذلك ليس على هدى من الله بل هو على شفا جرف من الهلاك إن لم يتداركه باللطف مولاه. أما الشيعة: فليس لي أمل في رجوعهم بقراءته عن مذهبهم القديم وإن كان غير مستقيم؛ لأنهم ورثوه عن الآباء والأجداد وَسَيُوَرِّثونه الأبناء والأحفاد!! فإن صاحب البدعة والمذهب المخالف مهما أقمت عليه الحجة وألزمته الدليل وعجز هو عن الردّ ولم يجد للجواب من سبيل لا يحمل ذلك على أن مذهبك حق ومذهبه باطل، وإنما يحمله على أنك أمهرُ منه بترتيب الحجج وإقامة الدلائل. فهو لا يترك مذهبه لزخرفة أقاويلك بزعمه، وزيادة علمك عن علمه، وقد يهدى الله لنوره من يشاء ويوافق العلةَ الدواءُ فيحصل بإذن الله الشفاء وهذا إذا قدَّر الله حصوله بهذا الكتاب وظهر به لبعض الشيعة الصواب فأرضى الله ورسوله بالجمع بين محبة الآل والأصحاب يكون ذلك نعم الفائدة ولكنها فائدة زائدة. ومقصودي الأصلي: هو المحافظة على رأس مالنا وهم عوام أهل السُنَّة .. فوجب علينا أن ننصحهم بالألسنة والأقلام ونشرح لهم ما يلزمهم اعتقاده في حق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من عقائد الإسلام. فإذا فعلنا ذلك أدينا ما وجب لهم علينا وإذا وفَّقهم الله للرجوع إلى الحق نقول هذه بضاعتنا ردت إلينا" اهـ من (مقدمة الأساليب البديعة).

شهادات موثقة تبين زيف التقريب بين السنة والشيعة:

ويوثق الشيخ أشرف مقاله بمجموعة من آراء العلماء المعارضين أو الذين كانوا من المؤيدين

وبعد يأس ذهبوا إلى المعارضة؛ قائلاً: "وأقدم للقارئ الحصيف شهادات موثقة ممن دخل معترك التقريب ونادى بالوحدة تدلل على أنه زيف وخداع ووَهْمٌ كبير:

١ـ العلامة الشيخ محمد رشيد رضا مؤسس مجلة المنار (ت ١٣٥٤هـ)

يتحدث عن مساعيه في سبيل التقارب والتأليف بين السنة والشيعة فيقول: "إنني جاهدت في سبيله أكثر من ثلث قرن" ثم يذكر مساعيه وأعماله في هذا الشأن ثم يقول: "وقد ظهر لي باختباري الطويل وبما اطلعت عليه من اختبار العقلاء وأهل الرأي أن أكثر الشيعة يأبون هذا الاتفاق أشد الإباء إذ يعتقدون أنه ينافي منافعهم الشخصية من مال وجاه". (المنار ج ٣١ ـ ص ٢٩٠).

وفي تاريخ الشيخ محمد عبده (١ / ٩٣٤) يذكر عن شيخه محمد عبده أنه كان يرى الشيعة من أحوج الفرق إلى التقريب إلى الحق لأنه كان يحكم عليها بحكم أشد من حكم شيخ الإسلام ابن تيمية ولم يبين هذا الحكم لأن شيخه محمد عبد استكتمه إياه.

٢ـ العلامة الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه الله (ت ١٩٦٤هـ) ـ أول مراقب عام للإخوان المسلمين بسوريا

وهو من دعاة التقريب والمهتمين به وسعى لعقد مؤتمر إسلامي بين الفريقين.

يقول رحمه الله: "دعاة التقريب من الشيعة من علماء الشيعة إذ هم بينما يقيمون لهذه الدعوة الدور وينشئون المجلات بالقاهرة ويستكتبون فريقا من علماء الأزهر لهذه الغاية، لم نر أثراً لهم في الدعوة لهذا التقارب بين علماء الشيعة في العراق وإيران وغيرهما، فلا يزال القوم مصرين على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف كأن المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة لا تقريب المذهبين كل منهما إلى الآخر". (السنة ومكانتها في التشريع: ١٠).

٣- الشيخ عمر التلمساني- رحمه الله- المرشد العام للإخوان المسلمين سابقا

في حوار له بمجلة المصور ١٩٨٢م قال: "حين قام الخميني بالثورة أيدناه ووقفنا بجانبه، مع ما بين أهل الشيعة وأهل السنة من خلاف جذري في العقائد، أيدناه لوجود شعب مظلوم كان حاكمه يظلمه أشنع الظلم وأبشعه.. وحين يتمكن هذا الشعب من التخلص من ذلك الاضطهاد لا نملك أن ننكر ذلك عليه، نحن أيدناه من الوجهة السياسية لأن شعباً مظلوما استطاع التخلص من حاكم ظالم واستعاد حريته، ولكن من ناحية العقيدة السنة شيء، والشيعة شيء آخر، ما يجري الآن في إيران من مذابح وأمور خطيرة كنت أظن أنه مبالغ في وصفه، ولكن ممن أثق بهم كل الثقة، وممن يترددون بين إيران وبين أماكن أخرى أكدوا أن كثيراً جدا مما ينشر في الصحف حقيقة، وأنا لا أقر هذا" اهـ.

٤- يوسف ندا رجل الأعمال ومنسق العلاقات الدولية بالإخوان المسلمين

والذي ساعد الخميني في ثورته على أساس أنها إسلامية ثم تنكر الخميني له ولغيره وجعلها طائفية شيعية خالصة لا تسمح لغيرها بالوجود، فلا أنسى دموعه وبكائه الحارق في برنامج (شاهد على العصر بقناة الجزيرة) منذ سنوات، وهو يحكي عن صديقه السني الشيخ أحمد مفتي زاده وما تعرض له من تعذيب أفضى إلى موته على يد الخميني وأتباعه مدللا على أن مساعدته لهم ومساعدة أهل السنة لهم قوبلت بالجحود والإنكار!!.

٥- الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي

القاصي والداني يعلم مدى حرص الشيخ على التقريب والدعوة إليه ولكن ما يحدث اليوم على الساحة جعل القرضاوي يتكلم بعفوية في نقابة الصحفيين منذ أيام ولمدة ربع ساعة تقريباً عما يفعله القوم من تهجم على السنة واختراق لمصر وليس الأمر كما ظنه الدكتور محمد سليم العوا الذي سارع بإصدار بيان بأن ما صدر من القرضاوي سبق لسان!!

والحقيقة المرة التي لا يريد أن يصدقها الدكتور الفاضل: أن هذا تقرير لواقع أليم مرير!!

واستياء القرضاوي من تصرفات دولة الشيعة في إيران تظهر في حواراته.

ففي حوار له عن التقريب قال: "ومما قلته للإخوة أيضا في إيران: إن أهل السنة في طهران يقدرون بمليونين أو أكثر، وهم يطالبون منذ سنين بإقامة مسجد لهم، يجتمعون فيه لأداء فريضة صلاة الجمعة، ويشاركهم في ذلك السفراء العرب والمسلمون، فلم تستجب السلطات لهم حتى الآن" اهـ. (نقلا عن إسلام أون لاين).

فهل استجابت إيران لدعوة القرضاوي وهي راعية المؤتمرات الوهمية المظهرية للتقريب؟

ما رأيناه هو تسليط أذنابها ممن تشيعوا للهجوم عليه. فالمتشيع أحمد راسم النفيس ـ ومن يسمي نفسه بالمتحدث الرسمي للشيعة بمصر ـ ألف كتابا بعنوان: (القرضاوي وكيل الله أم وكيل بني أمية) كال فيه التهجم والسباب للقرضاوي ووصفه بقوله: "نراه نحن رمزاً من رموز مدرسة التلفيق والتوفيق التي وضعت يدها على رقاب الأمة منذ عديد القرون" ص (١٣). وأنه "من جمعية عشاق القتلة من بني أمية" ص (١٢) ويقول عن نفسه متهكما أنه: "مندوب الدولة الفاطمية الذي يريد أن يهيل التراب على رموز الأمة المقدسة فضلا عن أنه من طلاب الشهرة على حساب العظماء من أمثال القرضاوي وعمارة وهويدي والعريان ويا للعجب" اهـ ص (١٤) ووصف ص (٩٥) معاوية رضي الله عنه بأنه رأس الإجرام الأموي!! نعوذ بالله من الخذلان.

صيحة نذير من علماء ومفكرين للتحذير من خطر التشيع:

١ـ الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله شيخ الجامع الأزهر

"رأينا في الشيعة، الشيعة.. حزب.. وهم لذلك يزيفون كل ما يقف عقبة في سبيل توطيد مركزهم ويتهافتون على كل ما يتوهمون أنه يساعدهم ويؤولون التاريخ حسب ما تهوى نفوسهم.. والحق أن الأمة الإسلامية على اختلاف طبقاتها تقدر علياً تقديراً كريما وتنزله من نفسها منزلة سامية، أما ما وراء ذلك من آراء الشيعة الغالية منهم والمعتدلة فليس

دينا وليس ضرورة عقلية وإننا لنعتقد في إخلاص أن الزمن كفيل برد الشيعة إلى السنن القويم" (فتوى الإمام عبد الحليم محمود ١ / ١١٤و١١٥).

٢ـ الأديب أحمد أمين رحمه الله (ت ١٩٥٤م)

قال: "والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزردشتية وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم؛ فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة، وقال الشيعة: إن النار محرمة على الشيعي إلا قليلا كما قال اليهود: لن تمسنا النار إلا أياما معدودات، والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم: إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه وقالوا إن اللاهوت اتحد بالناسوت في الإمام وإن النبوة والرسالة لا تنقطع أبدا، فمن اتحد به اللاهوت فهو نبي، وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس قبل الإسلام، وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأموية وما في نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم والسعي لاستقلالهم .. والذي أرى كما يدلنا التاريخ أن التشيع لعلي بدأ قبل دخول الفرس في الإسلام ولكن بمعنى ساذج، وهو أن عليا أولى من غيره من وجهتين: كفايته الشخصية وقرابته للنبي، والعرب من قديم تفخر بالرياسة وبيت الرياسة، وهذا الحزب كما رأينا وجد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ونما بمرور الزمن وبالمطاعن في عثمان، ولكن هذا التشيع أخذ صبغة جديدة بدخول العناصر الأخرى في الإسلام من يهودية ونصرانية ومجوسية، وأن كل قوم من هؤلاء كانوا يصبغون التشيع بصبغة دينهم، فاليهود تصبغ الشيعة يهودية، والنصارى نصرانية، وهكذا. وإذا كان أكبر عنصر دخل في الإسلام هو العنصر الفارسي كان أكبر الأثر في التشيع إنما هو للفرس" اهـ (فجر الإسلام ص ٤٣٧ ـ ٤٣٩). وراجع أيضا له:

(ضحى الإسلام ص٣٥١ ـ ٣٥٤) . وعندما زار العراق عام ١٩٣١م وفي الكرخ تحديداً كاد الشيعة أن يقتلوه فيدفع حياته ثمنا لما كتب. راجع القصة في كتابه (حياتي ص ٢٦٨) .

٣ـ العلامة محب الدين الخطيب رحمه الله

"إن الثمن الذي يطالبنا به الشيعة للتقرب منهم ثمن باهظ، نخسر معه كل شيء ولا نأخذ به شيئا .. ومما لا ريب فيه أن الشيعة الإمامية هي التي لا ترضى بالتقريب ولذلك ضحت وبذلت لتنشر التقريب في ديارنا، وأبت أن يرتفع لها صوت أو تخطو في سبيله أية خطوة في البلاد الشيعية أو أن نرى أثراً له في معاهدها العلمية .. ولذلك فإن كل عمل في هذا السبيل سيبقى عبثا كعبث الأطفال ولا طائل تحته إلا إذا تركت الشيعة لعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما والبراءة من كل من ليس شيعيا منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة، وإلا إذا تبرأ الشيعة من عقيدة رفع أئمة آل البيت الصالحين عن مرتبة البشر الصالحين إلى مرتبة الآلهة اليونانيين؛ لأن هذا كله بغي على الإسلام وتحويل له عن طريقه الذي وجهه إليه صاحب الشريعة الإسلامية صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ومنهم علي بن أبي طالب وبنوه رضي الله عنهم، فإن لم تترك الشيعة هذا البغي على الإسلام وعقيدته وتاريخه؛ فستبقى منفردة وحدها بأصولها المخالفة لجميع أصول المسلمين ومنبوذة من جميع المسلمين" اهـ الخطوط العريضة ص (٤٤ : ٤٦).

٤ـ العلامة محمد أبو زهرة رحمه الله (ت ١٣٩٣م)

وقال وهو يُعَدِّد مظاهر غلو الشيعة الاثني عشرية في أئمتهم: "ويظهر أن الإمامية جميعا على رأيهم في هذا النظر، وليس مقام الإمام ومقاربته لمقام النبي عندهم موضع خلاف فإنهم يصرحون تصريحا قاطعا بأن الوصي لا يفرقه عن النبي إلا شيء واحد وهو أنه يوحى إليه، وإن القارئ لهذا الكلام الذي اشتمل على دعاوى واسعة كبيرة لشخص الإمام لم يقم دليل على صحته والدليل قائم على بطلانه، لأن محمداً أتم بيان الشريعة فقد قال تعالى: } اليوم

أكملت لكم دينكم {ولو كان قد أخفى شيئا فما بلغ رسالة ربه وذلك مستحيل ولأنه لا عصمة إلا لنبي ولم يقم دليل على عصمة غير الأنبياء" (تاريخ المذاهب ص ٥٢) .

وقال وهو يتحدث عن الإمام جعفر الصادق وابتلائه بالشيعة الذين غالوا فيه : "ابتلي بالدعاة الذين كانوا يدعون الانتماء إليه . قد كان في العراق وما وراءه في الشرق من الديار الإسلامية دعاة لآل البيت فرخت في رءوسهم أفكار فاسدة وآراء باطلة أهونها تكفير الصحابة ولعن الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأثابهما عما عملا للإسلام، وأعلاها ادعاؤهم الإلوهية لآل البيت" اهـ (تاريخ المذاهب ص ٦٨٥) . وقال: "أولئك الذين غالوا وحاولوا أن يفسدوا دين الناس باسمه رضي الله عنه وقد كان يصحح ما وسعه التصحيح ولكن أولئك كانوا يريدون الكيد للإسلام بهذه المغالاة"اهـ ص (٦٨٨) .

وقال وهو يعدد أسباب الفتن في عهد عثمان رضي الله عنه: "ومن الأسباب، وهو أعظمها: وجود طوائف من الناقمين على الإسلام الذين يكيدون لأهله ويعيشون في ظله وكان أولئك يلبسون لباس الغيرة على الإسلام وقد دخلوا في الإسلام ظاهرا وأضمروا الكفر باطنا فأخذوا يشيعون السوء عن ذي النورين ويذكرون علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخير وينشرون روح الفتنة في البلاد ويتخذون مما يفعله بعض الولاة ذريعة لدعايتهم، وكان الطاغوت الأكبر لهؤلاء: عبد الله بن سبأ" اهـ ص (٢٩) .

٥ـ سعيد حوى رحمه الله ـ من أبرز علماء الإخوان المسلمين بسوريا

يقول رحمه الله: "وهؤلاء الخمينيون ظالمون. ومن بعض ظلمهم أنهم يظلمون أبا بكر وعمر، فكيف يواليهم مسلم والله تعالى يقول: ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾ إنه لا يواليهم إلا ظالم، ومن يرضى أن يكون ظالماً لأبي بكر وعمر وعثمان وأبي عبيدة وطلحة والزبير، ومن يرضى أن يكون في الصف المقابل للصحابة وأئمة الاجتهاد من هذه الأمة؟ ومن يرضى أن يكون أداة بيد الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم؟ ألا يرى

الناس أنه مع أن ثلث أهل إيران من السنة لا يوجد وزير سني؟! ألا يرى الناس ماذا يُفعل بأهل السنة في لبنان سواء في ذلك اللبنانيون أو الفلسطينيون؟ ألا يرى الناس ماذا يفعل حليف إيران حافظ الأسد بالإسلام والمسلمين؟ أليست هذه الأمور كافية للتبصير؟ وهل بعد ذلك عذر لمخدوع؟ ألا إنه قد حكم المخدوعون على أنفسهم أنهم أعداء لهذه الأمة وأنهم أعداء لشعوبهم وأوطانهم وأنهم يتآمرون على مستقبل أتباعهم .. فهل هم تائبون؟؟ اللهم إني أبرأ إليك من الخميني والخمينية ومن كل من والاهم وأيدهم وحالفهم وتحالف معهم اللهم آمين) اهـ. (الخمينية ص ٥٧، ٥٨).

٦ـ الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله

ينقل عنه الشيخ محمد حسنين مخلوف أنه خطب على منبر الجامع الأزهر قائلا: "إن هذا الأزهر قدر له أن يتحول إلى غير ما أسس من أجله. فلقد أسس من أجل تدريس المذهب الشيعي الفاطمي، ولكن الله استنقذه ليصبح معقلا للمذهب السني" اهـ مجلة الاعتصام مايو ١٩٧٧م.

٧ـ الشيخ محمد علي الجوزو مفتي جبل لبنان

ففي حوار له بمجلة آخر ساعة عدد٤٩ أغسطس ٢٠٠٦م قال: "هناك محاولة للإبادة وطمس الهوية السنية نهائيا في العراق وعدم إشراكهم داخل الجيش ولا في الشرطة، فلماذا تحاول إيران أن تتدخل في الشأن العراقي والشأن اللبناني والشأن السوري تحاول أن تمد يدها لكثير من الدول العربية عن طريق التشيع حتى وصل الأمر ـ للأسف الشديد ـ إلى مصر، وعندي الآن كتب تهاجم أهل السنة وتهاجم الصحابة وتتطاول على عقيدة أهل السنة في عاصمة الأزهر الشريف في مصر. هذه سياسة تخيفنا جميعا لأنها تنذر بأخطار لا حدود لها .." اهـ.

وبعد فهذه صيحة نذير أردنا بها أن نحذر من الخطر الحالي لا أقول القادم فما يحدث اليوم

في العراق من تدمير لمئات المساجد وقتل لمئات الآلاف من أبناء السنة في إبادة منظمة على يد الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران راعية مؤتمرات التقريب يدلل على خطورة الوضع وعلى التقريب الذي يريدونه منا . نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن." اهـ

انتهى مقال الشيخ أشرف عبد المقصود ـ أكرمه الله ـ وفيه الكثير والكثير ما يتطلب الإجابة عليه من طرفي دعاة التقريب .

فتاوى وأبحاث ومقالات وآراء حديثة:

وقد وجدت مزيداً من الآراء والفتاوى لعلماء ومفكرين وباحثين حاليين لا مانع من ذكر بعضها ، منها المعارض للتقريب ، ومنها المؤيد له ؛ ولكلٍ أسبابه ووجهة نظره .

فتوى فضيلة الشيخ المستشار فيصل مولوي نائب رئيس المجلس الأوربي للبحوث والإفتاء

حتى لا تكون فتنة .. الشيعة وفتوى أهل العلم الجمعة ٢٨ يوليو ٢٠٠٦

وقد نشرت هذه الفتوى على موقع (إسلام أون لاين) بتاريخ ٢٠ ٦ ٢٠٠٠ يقول فضيلته :

١- اتفق جمهور العلماء في الماضي والحاضر على اعتبار الشيعة الاثني عشرية مسلمين ومن أهل القبلة ، لأنّهم يشهدون أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجّون البيت ، رغم أنّهم يخالفون أهل السنّة والجماعة في بعض فروع العقيدة ، وكثير من فروع الفقه . أمّا من قال من العلماء بتكفيرهم فهم قسمان :

الأول :يرى تكفيرهم لأنّهم وقعوا في نواقض الإيمان بعد إعلان الشهادتين ، وينقلون عن كتبهم كثيراً من العبارات التي قد يترجّح فيها التكفير لكنّها تحتمل تفسيراً لا يؤدّي إلى ذلك . وهذه مسألة خلافية بين علماء الأصول ، وأكثرهم يرى عدم التكفير في كلّ مسألة

يمكن تأويلها، ولو بوجه واحد من مائة وجه كما يذكر ابن عابدين في حاشيته.

الثاني: يرى تكفيرهم بناءً على نقول مذكورة في كتبهم المعتبرة، وهي صريحة لا تقبل التأويل، كمن يقول منهم بتحريف القرآن. وجمهور العلماء (من السنّة والشيعة) يرون تكفير من يقول كلاماً صريحاً يؤدّي إلى الكفر ولا يمكن تأويله، كمن يقول بتحريف القرآن. لكنّ القلّة من علماء أهل السنّة حملوا هذا التكفير على جميع الشيعة رغم معارضة جمهور علمائهم لذلك. وقد عقد في طهران منذ سنوات مؤتمر كبير أجمع فيه علماء الشيعة على تكفير من يقول بتحريف القرآن. أمّا جمهور علماء أهل السنّة قديماً وحديثاً فيرى أنّ التكفير مختصّ بمن يقول بتحريف القرآن وهم الغلاة من الشيعة الذين يكفّرهم الشيعة أنفسهم.

٢- بناءً على ذلك وجدنا أنّ الشيعة الاثني عشرية خاصّة كانوا على مدار التاريخ يسمح لهم بالحج إلى بيت الله الحرام باعتبار أنّهم مسلمون، ولم ينكر ذلك أحد من العلماء، كما يدخلون مساجد أهل السنّة والجماعة، ويدخل أهل السنّة مساجدهم باستثناء حالات نادرة يغلب فيها التشنّج والمغالاة.

٣- ونحن نرى أنّ منهج التسرّع في التكفير منهج خاطئ مخالف للسنّة النبوية، فقد صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم عشرات من الأحاديث التي تعتبر (تواتراً في المعنى) أنّ من قال: لا إله إلاّ الله دخل الجنّة، وأنّ من قال لا إله إلاّ الله حرّم الله عليه النار، وأنّ من قال لا إله إلاّ الله عصم دمه، وأنّ من صلّى إلى قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلم، كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلّم في كثير من أحاديثه الصحيحة عن تكفير المسلم. وننصح إخواننا العاملين للإسلام والدعاة أن لا يقعوا في هذا المنزلق الخطير الذي يؤدّي إلى تمزيق الأمّة وتمكين عدوّها منها.

٤- أمّا سبّ الصحابة فهو من الكبائر، لأنّه يناقض وصف الله لهم في قرآنه الكريم بأنّهم

﴿خير أمّة أخرجت للناس﴾ وكلمة الأمّة تشمل جميع الصحابة. فكيف لو توجّه السباب إلى خيار الصحابة الكرام الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم في كثير من أحاديثه الصحيحة بأنّهم من أهل الجنّة.

ورغم أنّ سبّ الصحابة قد يؤدّي إلى الكفر إذا كان فاعله يقصد تكذيب القرآن (وهذه هي حجّة من يرى تكفير من سبّ الصحابة) إلاّ أنّ الذين يقعون في هذه الكبيرة يؤوّلونها عادة حتّى لا يقعوا في تكذيب القرآن، وإن كان تأويلهم غير مقبول في العقول، ولكن وجود هذا التأويل يجعلنا نحجم عن التكفير ونكل أمرهم إلى الله.

٥- القول أنّهم أخطر على المسلمين من اليهود، مبالغة خاطئة لا يجوز أن يقولها مسلم، فخطر اليهود على الإسلام والمسلمين خطر مطلق يشمل العقيدة أساساً وفروعاً، ويشمل الشريعة كلّها، ويمتدّ ليشمل الأرض والعرض والثروات والأوطان. ولا يمكن أن يكون خطر الشيعة وهم مسلمون إجمالاً على السنّة إلاّ نتيجة تكبير الاختلاف في بعض الجزئيّات، وتناسي التوافق في الأمور الأخرى، وهو أكبر بما لا يقاس. إنّ هذا المنهج يفتح الخصومات بين المسلمين أوسع ما يكون، ويمزّق الأمّة إلى شرائح مذهبية كما كانت في الجاهلية ممزّقة بين مجموعات قبلية، ولا يستفيد من ذلك إلاّ الأعداء، بينما أمر الله تعالى لنا: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾، وهو يوجّهنا عند الاختلاف أن نرعى حقّ الأخوّة فيما بيننا ونسعى إلى الإصلاح ﴿إنّما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾

٦ - أمّا أنّهم سيتفرّغون لأهل السنّة، فهو كلام خطير جداً بحق السنّة والشيعة، إنّهم اليوم يواجهون اليهود فعلاً بكلّ قواهم. والمفروض أنّ هذا الأمر يستثير مشاعر الوحدة بيننا وبينهم ضدّ العدوّ المشترك، فهل يعقل أن نستثير نحن مشاعر العداوة بناءً على أمر أقصى ما فيه أنّه محتمل، ونعطّل مشاعر الوحدة التي يأمر بها الله تعالى، ويفرضها أمر قائم وهو العدوّ اليهودي؟ نعم قد يوجد منهم من يغلب الخلاف معنا على خلافهم مع اليهود، كما

يوجد بيننا من يغلب خلافنا معهم على خلافنا مع اليهود، ولكنّ هؤلاء قلّة والحمد الله عندنا وعندهم. والتعاون بين الشيعة والسنّة في لبنان وفلسطين قائم بكلّ ثقة. وأحسن هدية تقدّم لليهود إشاعة أجواء الخلاف والعداوة بين السنّة والشيعة. بل هي مناقضة لصريح القرآن ﴿لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا..﴾ فكيف يقال بعد ذلك أنّ الشيعة أخطر من اليهود؟

٧- قال الله تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا. اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾.

كيف يقول إنسان عاقل: إنّ النصر الذي تحقّق على يد المقاومة الإسلامية في لبنان، وانسحاب العدو الصهيوني نصر مزعوم؟ والعالم كلّه شهد بذلك، فضلاً عن العرب والمسلمين، حتّى المستسلمين فيهم والمهرولين للتطبيع مع العدو. وماذا نقول لإخواننا (السنّة) وعددهم في المناطق المحرّرة حوالي ثمانين ألفاً، وقد عاد المهجّرون منهم إلى بيوتهم وأهلهم بفضل المقاومة الإسلامية التي قاتل الجميع في ظلّها. رغم أنّ إخواننا الشيعة هم قادتها وجمهورها الأكبر، بحكم أنّ الأكثرية الساحقة من المناطق التي كانت محتلّة يسكنها شيعة. ومن المعروف أنّه عندما كانت إسرائيل تحتلّ مدينة صيدا، كانت المقاومة الإسلامية سنّية. ألا يفترض بكلّ مسلم غيور أن يدعو للتعاون بين السنّة والشيعة في مواجهة العدو الصهيوني وسائر الأعداء، بدل أن يستثير كوامن الخلاف بيننا وبينهم فيزداد العدوّ تسلّطاً علينا وتمكّناً منّا؟

وكيف لا نفرح بالنصر الذي تحقّق بطرد اليهود من بيوتنا، ورجوع أهلنا وشعبنا إلى ديارهم. والله تعالى يقول: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله..﴾ وهذا النصر كان للروم على الفرس، وكان المسلمون ضعفاء في مكّة المكرّمة، ومع ذلك فقد شرع الله لهم الفرح بهذا الانتصار. فكيف يجوز لنا أن لا نفرح بانتصار إخواننا الشيعة وتحرير أرضهم من المحتّلين اليهود؟ إنّه من الواجب أن نفرح، ليس فقط لأنّ لنا إخوة من السنّة تحرّرت أرضهم من رجس

الاحتلال، وليس فقط لأنّ إخواننا الشيعة حرّروا أرضهم أيضاً من رجس الاحتلال، وهم يقاتلون عدوّنا وعدوّهم من اليهود، الذين احتلّوا فلسطين قبل لبنان، ولا يزالون فيها، والمعركة بيننا وبينهم مستمرّة حتّى تحقيق النصر الكامل إن شاء الله. بل لقد علّمنا الإسلام أن نفرح لكلّ إنسان يرفع عنه الظلم، مهما كان دينه.

٨- قد يكون بين إخواننا الشيعة في لبنان والمقاومة الإسلامية علاقات خاصّة مع سوريا وإيران. فإذا كان فيها علاقات مشبوهة، فليتفضّل الأخ السائل بفضحها. أمّا نحن في لبنان فنشهد أنّ هذه العلاقات هي التي مكّنت المقاومة الإسلامية من تحرير أرض الجنوب. والعالم كلّه يشهد بذلك. وإذا كان لبعض الناس رأي في سوريا وفي إيران فهذا شأنهم لأنّ (نصف الناس أعداء لمن ولي الأحكام، هذا إن عدل). ولكنّا نقول: إذا لم تتوحّد الأمّة كلّها حول قضاياها المصيرية وأهمّها قضية الصراع مع العدو الصهيوني فمتى تتوحّد؟ وإذا كان الإسلام في الماضي سبب وحدة هذه الأمّة، فسيظلّ في الحاضر وفي المستقبل من أهمّ عناصر هذه الوحدة، خاصّة عندما يكون صراع الأمّة مع أعدائها في الخارج صراع وجود كما هو شأننا مع اليهود. والله أعلم.

مبحث هام للدكتور مصطفى الشكعة:

ومن أجمل ما قرأت في هذا الشأن ما كتبه الدكتور مصطفى الشكعة، عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، في كتابه القيم: (إسلام بلا مذاهب) حيث نقل عن معتدلي الشيعة ومتطرفيهم ما فيه البيان. وقد قدم لهذا الكتاب الإمام الأكبر الأسبق شيخ الأزهر الإمام محمود شلتوت؛ فقال عن الكتاب والكاتب: "إن كتاب إسلام بلا مذاهب هو محاولة من تلكم المحاولات التي اضطلع بها المصلحون أخيراً للم الشعث وتأليف القلوب وتوحيد الصف الإسلامي. أكثر الله تعالى من أمثال الدكتور مصطفى الشكعة ممن يدعون إلى الله بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة. وقد بلغت عدد الطبعات الشرعية للكتاب خمس عشرة طبعة لما لقيه من قبول عند الباحثين والمنصفين، وبما امتاز به من أدب في الطرح ووضوح في

العرض وصدق في النقل" .

واليكم ما ذكره أستاذنا الدكتور مصطفى الشكعة تحت هذا العنوان:

الشيعة الإمامية:

هم جمهور الشيعة الذين يعيشون بيننا هذه الأيام، والشيعة الإمامية يشملون ثلثي سكان إيران تقريباً، ونصف سكان العراق، ومئات الآلاف من سكان لبنان، وبضعة ملايين في الهند، والجمهوريات الإسلامية التي تحتلها دولة روسيا. والعقيدة العامة للإمامية هي نفس عقيدة الشيعة التي ألمحنا إليها في مستهل هذا الباب، وهي إيمانهم المطلق بإمامة علي بن أبي طالب إيماناً ظاهراً كاملاً ووصفه بالوصي، وانتقال الوصية إلى أبنائه من بعده.

والإمامية ليست فرقة واحدة كما قد يتبادر إلى الذهن، بل هي فرق كثيرة متعددة، كالباقرية والجعفرية الواقفة، والناووسية التي قالت بأن جعفر الصادق حي لم يمت، ولن يموت حتى يظهر، والأفطحية الذين قالوا بإمامة عبد الله الأفطح بن جعفر الصادق، والإسماعيلية الواقفة الذين قالوا بإمامة إسماعيل، إلا أنهم اختلفوا على أنفسهم، فمنهم من قال إنه مات في حياة أبيه، ومنهم من قال إنه لم يمت، وإن أباه أظهر موته خشية أو تقية من الخلفاء العباسيين.

والموسوية المفضلية الذين يقولون بإمامة موسى بن جعفر الصادق، وقد نسب إلى جعفر أنه قال في الوصاية لمن يخلفه من أبنائه: "سابعكم قائمكم ألا وهو سمي صاحب التوراة"، وقد سموا كذلك نسبة إلى موسى وإلى المفضل بن عمر أحد أعلام الفرقة. ومن الموسوية هؤلاء من يقول: إن موسى لم يمت وسيخرج بعد الغيبة، ومنهم من سلم بموته. والاثني عشرية وهم الذين قطعوا بموت موسى الكاظم، وظلوا يؤمنون بإمامة سلالة موسى حتى الإمام محمد القائم المنتظر، وهو الثاني عشر من حيث الترتيب العددي.

على أن أشهر كل تلك الفرق الإمامية التي ذكرنا هي فرقة الاثنا عشرية المعاصرة لنا والتي

تعيش - كما ذكرنا - في أكثر البلدان الإسلامية، خصوصاً إيران والعراق، وهذه الفرقة نفسها يطلق عليها أيضا الجعفرية من باب تسمية العام باسم الخاص، كما يطلق عليها الإمامية من باب تسمية الخاص باسم العام، كما يطلق عليها الاسم العام وهو الشيعة، فحينما نقول الشيعة الآن يتجه القصد إليهم.

ولقد سموا الاثني عشرية لأنهم يؤمنون باثني عشر إماماً متتابعين هم: علي بن أبي طالب، ثم ابناه الحسن فالحسين، ثم علي زين العابدين بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم محمد بن الحسن.

ولكل إمام من هؤلاء الأئمة الاثني عشر لقب عرف به، وهذه الألقاب هي على الترتيب: عليٌ المرتضى، والحسن المجتبى، والحسين الشهيد، وعلى زين العابدين السجاد، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلي الرضا، ومحمد الجواد التقي، وعلي الهادي النقي، والحسن العسكري الزكي، ومحمد المهدي القائم بالحجة.

فهذه الفرقة إذن: تسمى الجعفرية حيناً، والإثني عشرية حيناً آخر، والإمامية حيناً ثالثاً، ولعلها من أبعد الفرق الإمامية عموماً عن الاتصاف بالغلو، إلا في حالات بعينها كما سوف نوضح فيما يستقبل من حديث. وإذا كانت قد سميت بالجعفرية من باب تسمية العام باسم الخاص، كما مر بنا قبل قليل، فإنها سميت بذلك لأمر أهم، وهو أنها تستمد أمور دينها من فقه الإمام جعفر الصادق، فلقد كان إماماً لجميع المسلمين بالمعنى العام، كأبي حنيفة والشافعي والأوزاعي ومالك وابن حنبل، وكان من ذوي الرأي الصائب والفتوى الصالحة في أمور الدين، فضلاً عن أنه كان إماماً لدى الإمامية، له ما لبقية أئمتهم من الولاية والوصاية.

لقد كان جعفر الذي تنتسب إليه الجعفرية غزيرَ العلم في الدين، وافر الحكمة، كامل الأدب، زاهداً ورعًا متسامحاً بعيداً عن الغلو، ولم يكن يؤمن بالغيبة أو الرجعة أو التناسخ،

كما أنه كان بعيداً عن الاعتزال. وكان السيد الإمام ينتسب من ناحية الأب إلى العترة النبوية المباركة، ومن ناحية الأم إلى أبي بكر الصديق، وله أقوال بالغة حد الجمال في الإيمان والصلة بالله والبعد عن التطرف.

فمن أقواله: "إن الله تعالى أراد بنا شيئاً وأراد منا شيئاً، فما أراده بنا طواه عنا، وما أراده منا أظهره لنا، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا"؟ وكان يقول في القدر: "هو أمر بين أمرين: لا جبر ولا تفويض". ومن أقواله في الدعاء: "اللهم لك الحمد إن أطعتك، ولك الحجة إن عصيتك، لا صنع لي ولا لغيري في إحسان، ولا حجة لي ولا لغيري في إساءة".

والإمامية يزيدون على أركان الإسلام الخمسة ركناً آخر، هو الاعتقاد بالإمامة، أي أنهم يعتقدون أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، فإنه كذلك يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيه بالنص عليه، وأن ينصبه إماماً للناس من بعده للقيام بالوظائف التي كان على النبي أن يقوم بها، سوى أن الإمام لا يوحى إليه كالنبي، فالنبي مبلغ عن الله والإمام مبلغ عن النبي، ويتمسك الإمامية بهذا الركن تمسكًا شديداً لا سبيل إلى التهاون فيه.

ويعتقد الإمامية في اثني عشر إماماً متسلسلين، وهم الذين مر ذكرهم؛ على أن هناك من المؤرخين - بل من الشيعة أنفسهم - من ينكر وجود الإمام محمد الثاني عشر إنكاراً كلياً ويعتبره شخصية خرافية لا وجود لها. وكل إمام سابق لا بد أن ينص على اللاحق، وهم يرون أن الإمام معصوم كالنبي عن الخطأ، والإمام دون النبي وفوق البشر.

ويرى الإمامية أن من يشاركهم من المسلمين اعتقادهم في الأئمة على هذا النحو الذي ذكرنا كانوا من المؤمنين، وإذا اقتصر الاعتقاد على أركان الإسلام المعروفة دون الاعتراف بالإمامة كانوا من المسلمين المؤمنين بالمعنى العام، فعدم الاعتقاد بالإمامة لا يخرجهم عن الإسلام، ولكن تتفاوت درجات المسلمين في الآخرة؛ الشيعة أولاً ثم يأتي بقية المسلمين.

وعلى هذا الأساس تختلف الإمامية عن سائر الفرق الإسلامية بالاعتقاد في الأئمة الاثني عشرية، وهم يرون هذا الركن جوهرياً في العقيدة، وأن الله يختار الإمام بسابق علمه كما يختار النبي.

فالإمامة إذن: منصب إلهي، كذلك يرون أن الله لا يخلي الأرض من حجة على العباد من نبي أو وصي ظاهر مشهور أو غائب مستور، ويروون الأحاديث الكثيرة التي يذهبون من خلالها إلى أن النبي أوصى علياً، وأن علياً أوصى ولده الحسن، وأن الحسن أوصى الحسين، وهكذا حتى الإمام الثاني عشر محمد القائم بالحجة، ولذلك فإنهم لا يزالون ينتظرون هذا الإمام الثاني عشر المستور لكي يظهر في أي وقت حتى يملأ الأرض عدلاً.

والاثنا عشرية بهذه المناسبة لا يقبلون الأحاديث من أي من الرواة أو المحدثين، بل لابد أن تكون قد رويت من طريق أهل البيت عن جدهم علي بن أبي طالب.

أما ما يرويه أبو هريرة وغيره من المحدثين والرواة فليس لأحاديثهم عند الشيعة من الاعتبار- على حد تعبير السيد كاشف الغطاء - مقدار بعوضة، ولعل هذا سبب كبير من أسباب الخلاف بين الشيعة والسنة.

وتبعاً لذلك فهم لا يعترفون بكبريات كتب الحديث؛ مثل "موطأ الإمام مالك"، و"مسند" الإمام أحمد، و"الصحيحين"، وكتب السنن الأربعة المعروفة، ولما كان الحديث هو المصدر الثاني للتشريع كان من الواضح أن تتسع الهوة نتيجة للخلاف على الرواة وتتزلزل الثقة بكل فريق.

لعل هذه المبادئ من أهم ما يفرق بين السنة والإمامية، ولكن هناك أشياء أخرى يتمثل فيها الخلاف، فبعض هذا الخلاف في العبادات، وبعضه في المعاملات، وبعض آخر في موضوعات لها خطورتها وحرجها، نحاول عرضها في دقة ووضوح.

وآية الله الخميني - كبير مراجع الشيعة وعلمائها - ليس بعيداً عن هذا الاتجاه المؤسف،

ففي مجال حديثه عن الإمامة يقول: "والنبي لم يقل شيئاً بشأن مسألة ذات صلة ببقاء أسس الدعوة والنبوة، وثبات دعائم التوحيد والعدالة، وترك الدين والمبادئ الإلهية لعبة في أيدي حفنة من القراصنة الوقحين، فإنه سيكون هدفاً لاعتراض علماء العالم وانتقادهم، وسوف لا يعترف بنبوته وعدله".

إن آية الله الخميني يصف صحابة رسول الله بأنهم قراصنة وقحون، بل إنه بهذه الصيغة من التعبير يتجاوز صحابة رسول الله إلى نفسه بالإساءة والتخلي عن أدب الخطاب. ويمضي آية الله الخميني في إطار أسلوب يتسم بالعنف الشديد فيقول: "إننا لا نعبد إلهاً يقيم بناءً شامخاً للعبادة والعدالة والتدين، ثم يقوم بهدمه بنفسه، ويجلس معاوية وعثمان وسواهم من العتاة في مواقع الإمارة على الناس، ولا يقوم بتقرير مصير الأمة بعد وفاة نبيه".

إن هذا العنف في مخاطبة رب العزة، وفي وصف معاوية وذي النورين عثمان صهر الرسول بكونهما من العتاة غني عن التعليق.

وفي زحام حملة آية الله الخميني على الراشدين الأولين. أبي بكر وعمر يقول: "إننا هنا لا شأن لنا بالشيخين وما قاما به من مخالفات للقرآن، ومن تلاعب بأحكام الإله، وما حللاه وحرماه من عندهما، وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي وضد أولاده. ولكننا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين".

إننا نعترف بأن هذا التجاوز الشديد في سبّ صحابة رسول الله لا يصدر عن جميع الشيعة وإنما عن قلة منهم، ومن بين هذه القلة كبير علمائهم في هذا الزمان. إننا نعرف أن الشيخ حسين كاشف الغطاء، والشيخ محمد جواد مغنية، والسيد موسى الصدر، وغيرهم من علماء الشيعة المعاصرين، قد نزهوا فكرهم وأقلامهم عن التردي فيما تردى فيه غيرهم من سب صحابة رسول الله.

وفي ذلك يقول الدكتور موسى الموسوي: "إن الاختلاف في الرأي بين الشيعة والسنة اتخذ

طابعاً حاداً وعنيفاً عندما بدأت الشيعة تجرح الخلفاء الراشدين وبعض أمهات المؤمنين بعبارات قاسية وعنيفة، لا تليق بأن تصدر من مسلم في حق مسلم، ناهيك أن تصدر من فرقة إسلامية نحو صحابة الرسول وأزواجه اللاتي لقبهن الله بأمهات المؤمنين".

سيدنا علي والخلافة:

لم يؤثر عن الإمام علي كرم الله وجهه أنه ذهب إلى تقديس الخلافة، أو أنه جعل الإمامة ركناً من أركان العقيدة، ولكن الذي أثر عنه - طبقاً للمصادر الإسلامية من شيعية وغير شيعية - أنه كان زاهداً فيها، غير حريص عليها، هذا فضلاً عن حبه للخلفاء الراشدين الذين سبقوه، ومودته لهم، وإصهاره إليهم، ورثائه إياهم عندما توفوا إلى رحمة الله.

يروي ابن أبي الحديد هذا القول عن الإمام علي في الخلافة: "دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً".

وفي كلمات أخرى يرويها ابن أبي الحديد عن سيدنا علي قوله: "والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها، فلما أفضت إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا، وما أمرنا بالحكم به فاتبعته، وما استسن النبي صلى الله عليه وعلى آله فاقتديته".

وهكذا تحمَّل سيدنا علي أمانة الخلافة استجابة لطلب المسلمين، ولم يخطر بباله أنها منصب إلهي أو ركن من أركان العقيدة الإسلامية.

إن الدكتور الشيعي المجتهد موسى الموسوي يرى أن علياً أولى بالخلافة - وليس بالإمامة على الصورة التي رسمها الشيعة المتأخرون زماناً - ولكن المسلمين بايعوا الخلفاء الراشدين، وعلي بايعهم، ثم بايع المسلمون عليّا بعد عثمان، فلا غبار على شرعية خلافة الخلفاء

الراشدين من أبي بكر إلى علي.

ويمضي المجتهد الإيراني الشيعي الدكتور موسى الموسوي في القول بأن الإمام علياً كان يؤكد على شرعية بيعة الخلفاء الراشدين قائلاً: "إن هناك فرقاً كبيراً بين أن يعتقد الإمام علي والذين كانوا معه أنه أولى بخلافة رسول الله من غيره ولكن المسلمين اختاروا غيره، وبين أن يعتقد أن الخلافة حقه الإلهي ولكنها اغتصبت منه".

ثم يقول: "والآن فلنسمع إلى الإمام علي وهو يحدثنا عن هذا الأمر بكل وضوح وصراحة، ويؤكد شرعية انتخاب الخلفاء، وعدم وجود نص سماوي في أمر الخلافة، ويردد قولاً للإمام - ذكره ابن أبي الحديد - وهو: "إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضا، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين".

وفي موضع آخر من كتابه التصحيح يعود الدكتور المجتهد الشيعي موسى الموسوي ليؤكد على شرعية الخلفاء الراشدين وبيعة الإمام علي لهم قائلاً: "إذا كانت الخلافة بنصّ سماوي، وكان هذا النص في علي، فهل كان بإمكان الإمام أن يغض النظر عن هذا النص، ويبايع الخلفاء ويرضخ لأمر لم يكن من حقهم؟".

رأي الإمام علي في الخلفاء الراشدين:

كان الإمام علي شديد الحب للخلفاء الراشدين، كثير التعاون معهم في دراسة مشاكل المسلمين، وتحمل مسئولية الحكم إبان أسفارهم، وكانوا يندبونه إلى ذلك، ولعل أبلغ ما يمكن أن يصور مكانة أبي بكر في قلب الإمام علي، هي خطبة الإمام حين وقف على بابه يخاطبه يوم وفاته قائلاً: "رحمك الله يا أبا بكر! كنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأعظمهم غناءً، وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، وأنسبهم برسول

الله خلقاً وفضلاً وهدياً وسمتاً، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيراً. صدّقت رسول الله حين كذبه الناس، وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، وأسماك الله في كتابه صديقاً: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، يريد محمداً ويريدك. وكنت والله للإسلام حصناً، وعلى الكافرين عذاباً، لم تفلل حجتك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك، وكنت كالجبل الذي لا تحركه العواصف، كنت كما قال رسول الله ضعيفاً في بدنك، قوياً في أمر الله، ولم يكن لأحد عندك مطمع، ولا لأحد عندك هوادة، فالقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه، والضعيف عندك قوي حتى تأخذ الحق له، فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك".

هذا هو رثاء أمير المؤمنين علي لأمير المؤمنين أبي بكر، أو بالأحرى هذا رأيه فيه، وتلك دمعة سكبها لفراقه، أ فمثل هذا الذي رثاه سيدنا علي بهذه المعاني يمكن لأتباع سيدنا علي أن يرموه بالكفر والردة، وأن يصفوه بالجبت والطاغوت؟! والرأي نفسه قاله أمير المؤمنين علي في عمر وعثمان، وهو كلام جميل كله صدق وأدب، وهو كلام موثق لا كذب فيه ولا تلفيق".

إن المجتهد الدكتور الموسوي يستعرض الكثير من هذه المواقف ويرددها ثم يقول: "لا يجوز تجريح الخلفاء وذمهم بالكلام البذيء الذي نجده في أكثر كتب الشيعة، الكلام الذي يغاير كل الموازين الإسلامية والأخلاقية، ويناقض كلام الإمام علي ومدحه وتمجيده في حقهم، ويجب على الشيعة أن تحترم الخلفاء الراشدين، وتقدر منزلتهم من الرسول، فالنبي صاهر أبا بكر وعمر، وعثمان صاهر النبي مرتين، وعمر بن الخطاب صاهر علياً فتزوج من ابنته أم كلثوم".

ويستطرد المجتهد الشيعي الجليل قائلاً: "ولا أطلب من الشيعة في هذه الدعوة التصحيحية أن تقول وتعتقد في الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا الإمام علياً أكثر مما قاله الإمام في حقهم، فلو التزمت الشيعة بعمل الإمام علي لانتهى الخلاف، وساد الأمة الإسلامية سلام فكري عميق

فيه ضمان الوحدة الإسلامية الكبرى".

هذا كلام عالم شيعي مجتهد جليل. يشاركه في رأيه في هذا الموضوع كثير من علماء الشيعة وأعيانهم المعاصرين الذين تربطنا بكثير منهم روابط من الود والمحبة. وإذا كان العالم المجتهد الدكتور الموسوي قد فصل الأمر في علاقات الحب والاحترام المتبادل بين الإمام علي والخلفاء الراشدين السابقين عليه، فإننا نضيف إلى قوله: إن الإمام عليًّا لشدة تعلقه بالخلفاء الراشدين الثلاثة الذين سبقوه قد سمى ثلاثة من أبنائه بأسمائهم، فلقد سمى أحد أولاده أبا بكر، وسمى ولداً ثانياً عمر، وسمى ولداً ثالثاً عثمان وهذه قرينة كبرى على حب سيدنا علي لإخوانه الراشدين صحابة رسول الله.

الإمامة كمنصب إلهي قضية اخترعت في زمن متأخر:

هذا العنوان الجانبي الطويل ليس من عندي، فإنه من الوضوح بمكان أنني لم أشترك في هذا الموضوع وغيره من موضوعات المذاهب الإسلامية كطرف مباشر، ولكني أستنطق الوثائق والأحداث والأشخاص. وقد حرصت في هذا الباب أن يكون الحوار في شئون المذهب بين الشيعة وبين أنفسهم.

إن العالم المجتهد موسى الموسوي يلغي مبدأ أن الإمامة منصب ديني سماوي إلغاءً تاماً ويقول ما نصه: "فحتى في أوائل القرن الرابع الهجري، وهو عصر الغيبة الكبرى. لا نجد أي أثر لفكرة اغتصاب الخلافة من الإمام علي، أو أنها حق إلهي اغتصب منه، أو أن صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اشتركوا أو ساهموا في هذا الأمر، وهكذا تغيرت فكرة الأولوية بخلافة علي إلى فكرة الخلافة الإلهية، ومخالفة النص الإلهي".

وتبعاً لذلك يستطرد المجتهد الشيعي الدكتور الموسوي قائلاً: "لو كانت الإمامة إلهية كما تذهب الشيعة، وأنها في أولاد علي حتى الإمام الثاني عشر، لعيّن الإمام علي ابنه الحسن خليفةً وإماماً من بعده، وهو ما لم يحدث، فقد اتفق الرواة والمؤرخون على أن الإمام عندما

كان على فراش الموت بعد أن ضربه ابن ملجم المرادي بالسيف المسموم، وسئل عن الشخص الذي يستخلفه قال: "أترككم كما ترككم رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وبعد وفاة الإمام اجتمع المسلمون واختاروا ابنه الحسن، وبايعوه خليفة على المسلمين، ولكن الإمام الحسن صالح معاوية وتنازل له عن الخلافة، فهل يا ترى! لو كانت الخلافة منصباً إلهياً هل كان يستطيع الإمام الحسن أن يتنازل عنه بذريعة حقن دماء المسلمين؟!

ويستشهد الدكتور الموسوي بمواقف لأئمة آخرين مرموقين، كعلي بن الحسين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق فيقول: "إننا لم نجد في أقوال الإمام علي بن الحسين الملقب بالسجاد أية عبارة تدل على كون الخلافة إلهية، وبعد السجاد يأتي دور الإمام محمد الباقر، والذي في عهده بدأ يتبلور مذهب أهل البيت الفقهي، الذي أكمله ابنه الإمام جعفر الصادق، فنحن - والكلام للدكتور الموسوي- لا نجد أثراً لفكرة الخلافة الإلهية في عهدهما، ولا في عهد أئمة الشيعة الآخرين حتى الغيبة الكبرى".

هكذا ينفي بعض علماء الشيعة الكبار المبدأ الذي اخترعه فريق من الشيعة، وهو القول بأن الإمامة منصب إلهي، وأنها إحدى دعائم الإسلام، هذه القضية التي فرقت شمل المسلمين، وبددت جهودهم، وجعلتهم فرقاً متنافرة متحاربة، بعد أن كانوا إخوة متحابين، أشداء على الكفار رحماء بينهم.

سماحة الشيخ أبو الحسن علي الندوي والثورة الخمينية:

سماحة الشيخ أبو الحسن علي الندوي الداعية المعروف، مؤسس ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ينتهي نسبه إلى سيدنا الإمام الحسن بن علي - رضي الله عنهما - ولسماحته بحث رائد يحمل عتاباً ونقداً للثورة الخمينية، وسلوك الخميني تجاه الإسلام وأهل السنة، وقد كان هذا البحث مقدمة لكتاب: (الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام) تأليف: الشيخ محمد منظور نعماني؛ فإليكم ما جاء في هذا البحث الرائد بحق وهو تحت عنوان:

حقيقة ثورة الخميني:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد: فإن السؤال الذي أطرحه في بداية هذه المقدمة: كيف كان العصر الإسلامي الأول؟! كيف كان ذلك العصر المثالي الذي شهد مولد الإسلام؟! كيف كان عصر الأسوة الحسنة؟! وما النتائج العملية التي تمخضت عن التعاليم النبوية، وعن التربية المحمدية التي شرف بها المسلمون آنذاك؟ وكيف كانت أحوال أولئك الناس الذين نشئوا وترعرعوا في أحضان النبوة، وفي ظل الرسالة المحمدية؟.

كيف كانت أعمال ذلك الرعيل الأول؟ وكيف كان سلوك هذا الجيل الذي شهد شروق شمس الإسلام الوضاءة..؟ ما الخصائص التي ميزت النبي الكريم عن غيره من مؤسسي الديانات الأخرى؟ وكيف كانت نظرة الأسرة إليه؟ كيف كانت نظرة الأسرة إلى هذه الشخصية العظيمة؟! ماذا كانت نظرة آل البيت؟ وماذا كان سلوكهم العملي فيما يتعلق بالعمل من أجل الدعوة إلى دين الحق، ومن أجل إظهاره للعالمين؟ كيف كانت عزائمهم؟.

ثم ما نوعية العلاقات التي كانت تربط المسلمين الأوائل بعضهم ببعض، وهم المجموعة التي نالت شرف التربية النبوية، والتي كانت صحابته الذين عرفوا في التاريخ الإسلامي باسم "الصحابة" رضوان الله عليهم، وهم المجموعة التي كانت تضم أيضاً أفراد بيته الشريف والذين عرفناهم باسم "آل البيت"؟.

كيف أثبت لنا التاريخ بوضوح وجلاء سلوك أولئك الناس الذين ملكوا زمام الأمور والسلطة في ذلك العصر المثالي، عصر الإسلام الأول، ممن سموا بالخلفاء الراشدين؟ وكيف أثبت هؤلاء وهؤلاء ورعهم وتقواهم وخوفهم من خالقهم، وذلك من خلال حياتهم العملية الشخصية، أو من خلال حياتهم العملية داخل أسرهم، إذ عاشوا حياة المسلم الورع التقي، رغم إمكانيات الترف والرفاهية المتوفرة، ورغم ما كانوا يملكونه من سلطات لا حد لها..؟!

إن الإجابة على هذه التساؤلات جميعها تتخذ صورتين متضادتين متعارضتين:

الصورة الأولى : هي تلك التي تعرض للعالم على ضوء عقائد أهل السنة.

والصورة الثانية: هي تلك التي ظهرت من خلال عقائد وأقوال الفرقة الإمامية الاثني عشرية، من خلال شرحها للدين، وتفسيرها للتاريخ الإسلامي، وتصورها الخاص له.

ولا يوجد هناك أي اتفاق أو تشابه بين الصورتين السابقتين. ويمكن لمن وهبه الله عقلاً سليماً، وقدرةً على الحكم والإنصاف، ومعرفةً بالتاريخ الإنساني، أن يحكم بسهولة، ويستنتج الصورة التي تتناسب مع هذا الدين الذي أرسل رحمة وهداية للعالم أجمع. كما يمكنه أن يدرك في الوقت نفسه أن العمل بهذا الدين يمكن أن يتم عبر كل زمان، وفي كل عصر، ويمكن أن يأتي بأعظم النتائج.

كما يدرك تماماً بأن النبي الذي جاء برسالة الإسلام إلى العالمين، قد حقق أعظم النتائج وأطيبها في زمانه، وأن ما وصل إليه هذا الدين في زمانه وفي عهده المبارك، وما وصلت إليه الدعوة الإسلامية، يفوق ما وصلت إليه في أي عهد، ويجب أن يكون الأمر كذلك من الناحية العقلية والنقلية. وأي صورة أطيب وأفضل من تلك الصورة التي شهدتها الإنسانية زمان بعثته صلى الله عليه وسلم، وهو ما لم يتحقق للإنسانية من قبل عبر عصورها الطويلة؟!

فالعصر الإسلامي الأول شهد تاريخاً للأفراد، بل شهد تاريخاً للمجتمع البشري كله، تاريخاً للمجتمع الحضاري، تاريخاً لنظام الحكم المثالي، وأسلوب الحياة الأمثل، شهد تاريخاً يقوم على أساس المثل السامية التي تهدف إلى هداية البشر وفلاح الإنسانية. ولقد صدق الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز حين قال في إحدى المناسبات: "إن محمداً صلى الله عليه وسلم إنما بعث هادياً، ولم يبعث جابياً"، كتاب الخراج للإمام أبي يوسف.

وعلى العكس من هذا: الصورة التي تعكسها معتقدات الفرقة الإمامية الاثني عشرية وأقوالها، فالصورة التي تعرضها هذه الفرقة، والتي تتراءى للناظر من أول وهلة عن المسلمين

الأوائل، تجعل الشخص المثقف الفطن يتساءل - وهو على حق في تساؤله -:

إذا كانت الدعوة الإسلامية لم تتمكن من ترك آثارها الواضحة، أو تثبيت أقدامها في دور نهضتها على يد داعيها الأول .. وإذا كان المؤمنون بهذه الدعوة لم يتمكنوا من البقاء أوفياء أمناء للإسلام بعد وفاة نبيهم .. وإذا كان لم يبق من بين من تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صراطه المستقيم إلا بضعة رجال - وهذه كلها آراء الشيعة؛ فكيف إذن نسلم بأن في هذا الدين وفي هذه الدعوة صلاحية تزكية النفوس الإنسانية وتطهيرها، وصلاحية تهذيب الأخلاق ورفعتها؟ وكيف نسلم بأن هذا الدين يمكن أن يرفع الإنسان من حضيض الحيوانية إلى سمو الإنسانية؟!

ولنفترض أن أحد ممثلي المسلمين قام يلقي خطاباً رائعاً يأخذ بالألباب حول الإسلام، وحول الدعوة الإسلامية، وذلك في عاصمة إحدى البلدان الأوروبية، أو في أي بلد غير مسلم، ثم قام أحد الأشخاص ممن قرءوا كتب المذهب الاثني عشري بمخالفته ومعارضته ومواجهته، قائلاً: انظر إلى بيتك أولاً ... واطلع على أمره، لقد تمخض جهاد نبيك طوال ثلاثة وعشرين عاماً عن أربعة رجال فقط اتبعوا طريقه، ومشوا على خطاه بعد وفاته، فبأي وجه يمكن أن تدعو غير المسلمين إلى الإسلام؟! فماذا يكون رد هذا المسلم الذي وقف يدعو الناس إلى الإسلام بعد أن سمع هذا الكلام الذي يرسمه تصور الفرقة الإمامية للإسلام ولتاريخ الإسلام؟!

في السنوات الماضية، وحين قام آية الله وروح الله الخميني بالدعوة إلى الثورة الإسلامية، وقضى على عرش الإمبراطورية البهلوية، وأقام - كما قال - الحكومة الإسلامية، وأوجد عهداً جديداً. كان من المتوقع -وآثار ذلك وقرائنه كانت موجودة - ألا يقوم بتقليب صفحات النزاع التاريخي القديم المتواصل بين الشيعة والسنة، وذلك حتى تنتشر دعوته وتعم، وكان من المتوقع - إن لم يكن قادراً على أن ينزع هذه الصفحات - أن لا يقلبها على أقل تقدير.

وإذا لم تكن الفرقة الإمامية الاثنا عشرية قادرة على إعلان براءتها من تلك العقائد لهدف سياسي أو لمصلحة محلية، فعلى الأقل لم يكن من الواجب إظهارها وإعلانها، بل كان الأمل المرجو من هذا الزعيم الذي حمل رأيه على كفه، والذي قام بلا خوف وبلا تحسب لأية عواقب أو نتائج، وبلا مبالاة، وبخطب نارية أثار بها حماس الجماهير، فقلب نظام حكم الإمبراطورية البهلوية التي كان لديها من القوة العسكرية ومن الرسوخ والسلطة ما يشهد به العالم كله، كان الأمل أن يعلن على أساس من فكره العميق ودراسته المستفيضة، ومن أجل اتحاد المسلمين، وبوازع من الشجاعة الأخلاقية؛ أنه لم تعد هناك ضرورة لإثارة تلك العقائد الهدامة التي تضرب بشدة على أصول الإسلام، والتي تسيء إليه وتقلل من شأنه، ووقفت حجر عثرة في طريق الدعوة للإسلام بين غير المسلمين، تلك التي كانت نتيجة مؤامرة خبيثة دبرها أعداء الإسلام في القرن الأول، وفي عهد الصحابة رضوان الله عليهم، والتي ظهرت نتيجة لعاطفة الانتقام لزوال الإمبراطورية الفارسية التي كانت قائمة في ذلك الوقت.

كان المرجو من آية الله أن يعلن: أنه لم تعد هناك ضرورة لكل هذه المعتقدات، وأن علينا أن ننسى الماضي من أجل رفعة الإسلام، ومن أجل إصلاح البلاد الإسلامية، والقضاء على الفساد المتفشي في المجتمع الإسلامي. وكان المرجو منه أيضاً أن يعلن: بأنه من الواجب الآن أن نبدأ معاً رحلة جديدة، وأن ترتفع أمام أنظار العالم الصورة المزدهرة لماضي الإسلام وحاضره، وأن نعمل معاً على أن نجذب بقية أمم العالم إلى الإسلام.

إلا أن كتابات آية الله الخميني ورسائله التي كتبها لشرح ولتوضيح العقائد الشيعية وبكل وضوح وبكل عنف، جاءت على خلاف كل التوقعات والقرائن، فقد وردت في كتابه (الحكومة الإسلامية) أو (ولاية الفقيه) تلك الأفكار ذاتها في حق الإمامة والأئمة، تلك الأفكار التي تصل بالأئمة إلى مقام الإلوهية، وتثبت أفضليتهم على الأنبياء والرسل والملائكة، وأن الكائنات في مرحلتها التكوينية تابعة لهم، خاضعة لسيطرتهم.

وهكذا، أيضاً في كتابه (كشف الأسرار) وهو بالفارسية، لا يجرح فقط صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاصة الخلفاء الثلاثة، بل يتطاول عليهم بالسب والشتم بألفاظ لا تصلح إلا أن تطلق على جماعة ضالة مضللة، فاسقة فاجرة، فاسدة مفسدة.

ولقد ارتبطت قضية الإمامة والأئمة بدعوته، ولم تتخذ شكل إرشادات سرية أو شكل مناهج خاصة، بل اتخذت شكل رسائل مطبوعة ومنشورة. وما يخص الخميني في أمر الإمامة والأئمة - أي: أفكاره الخاصة بالإمامة والأئمة، وطعنه واتهامه للصحابة - لم يكن بالشيء المستتر الذي يخفى على الجميع، فقد انتشرت كتبه بأعداد تصل إلى مئات الآلاف في إيران، وفي خارجها.

وبناءً عليه فقد كان من المتوقع تماماً ألا تلقى دعوته هذه أي قبول، وألا تنال أية استجابة، وألا يفهم على أنه زعيم الثورة الإسلامية، ومؤسس الحكومة الإسلامية، والقائد الزعيم المثالي، وخاصة بين دوائر أهل السنة وهم الذين يمثلون الأكثرية المسلمة في العالم، وخاصة بعد أن أعلن عن اختلافه مع عقيدة الأمة الأساسية، ألا وهي عقيدة التوحيد، وبعد أن أعلن عن رأيه في مشاركة النبوة، وهي النتيجة الطبيعية لتعريف الإمامة وتحديد أوصاف الإمام.

وبعد أن جرح وطعن كبار شخصيات الصحابة الكرام الذين يحتلون مكانة تالية لمكانة رسول الله في قلوب المسلمين، والذين يمثل عصرهم، ليس فقط في تاريخ الإسلام، بل في تاريخ العالم الإنساني، وفي ضوء التاريخ الثابت وبشهادة المؤرخين المسلمين وغير المسلمين؛ أعظم فترة حكم في تاريخ العالم، وأعظم نموذج للحياة مر به العالم، إلا أن ما حدث كان خلاف ذلك، وهو أمر لا يصيب الإنسان بصدمة، بل يصيبه بالحيرة.

ففي بعض الدوائر وضعه بعض أعلام الفكر الإسلامي، وبعض الإسلاميين الذين يدعون إلى رفعة الإسلام وغلبته، وضعوه في مكانة الإمام المنتظر، وأظهروا له حباً، وتعصبوا له إلى درجة جعلتهم لا يقبلون في حقه أي نقد أو ملاحظة!

من خلال هذه التجربة، ومن خلال هذه الملاحظات يمكن تقدير أمرين:

أولهما: أنه لم يعد هناك أي معيار للنقد، ولم يعد هناك أي معيار موضوعي للمدح أو الذم في كثير من الدوائر الإسلامية التي تضم أهل القرآن والسنة، وأسوة السلف الصالح، وأصحاب العقائد الصحيحة والمسلك الصحيح. ففي هذه الدوائر، يكفي حتى يكون القائد محبوباً أن ينادي فقط بإقامة حكومة حرة باسم الإسلام، أو يهتف ضد أية قوة غربية، أو يخلق بعض المشكلات لها، حتى يغتفر له كل شيء، ولو كان هذا الشيء خروجه على أصول الإسلام!

ثانيهما: أن أهمية العقيدة قد تدهورت إلى حد خطير لدى جيلنا المثقف المتعلم، وهذا أمر جد خطير يدعو للقلق، ويستلزم إعمال الفكر.

إن أهم الحدود الفاصلة بين دعوات الأنبياء وغير الأنبياء من الأدعياء، وبين أهداف وأعمال الأنبياء وأعمال غيرهم، هي عقيدة لا تقبل أي هدنة أو مهادنة، ولا تقبل أي تسويف أو مساومة.

فمعيار الرفض والقبول، ومعيار الإعجاب والبغض، وشرط الوصل والقطيعة، يتمثل فقط عند المسلم في تلك العقيدة، وفي هذا الدين، الذي هو رغم ضعف المسلمين قائم وثابت في شكله الأصلي، وطالما بقيت هذه العقيدة صلبة مستقيمة، وطالما تمسك بها أهلها، وأخذتهم الحمية والغيرة عليها إن مسها أحد بضر، وطالما لم يهن ولم يضعف مفسرو الدين وشارحوه والحافظون عليه أمام أي جبروت أو طاغوت، أو أمام أية إمبراطورية مهما وصلت قوتها، وطالما لم يسمحوا لأحد أن يمس هذه العقيدة من قريب أو بعيد، وطالما رأوا عدم جواز السكوت على أية عقيدة خاطئة أو دعوة تشوبها شائبة من خطأ أو تحريف مهما كان الأمر يمس المصالح الدنيوية للمسلمين، ومهما كان الأمر يحمل التلويح بالابتعاد عن تفرقة المسلمين أو البعد عن إيجاد اختلاف بينهم. فالعقيدة الصحيحة هي الأساس، وما عداها باطل

باطل.

وها هو الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، المتوفى سنة ٢٤١هـ، يعارض ويواجه مواجهة شديدة، ليس فقط حاكماً من أكبر الحكام المسلمين، بل أعظم حكام عصره، ألا وهو الخليفة المأمون ابن الخليفة هارون الرشيد، والمعتصم بن هارون الرشيد، فيتحمل السياط وعذاب السجن في سبيل الدفاع عن الإسلام في صورته النقية الطاهرة، وذلك حين ظهرت فكرة خلق القرآن.

وهاهو مجدد الألف الثانية، الشيخ أحمد فاروقي رحمة الله عليه المتوفى سنة ١٠٣٤هـ، يقوم بالدفاع عن نقاء الإسلام، فيقف في وجه الإمبراطور الأكبر، ويعارض أفكاره وعقائده، والدعاوى الباطلة والاجتهادات التي تمس نقاء الدين، وفكرة وحدة الأديان، واستمر في جهاده في هذا حتى زمان جهانكيز، حين تغير مسار الحكومة والإمبراطورية المغولية.

هذان مثالان فقط، وإلا فالتاريخ الإسلامي مليء بعشرات، بل بمئات الأمثلة المضيئة لمن تمثلوا بـ"لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"، و"أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر".

والسلطان الجائر هذا يكون أحياناً في صورة فرد، كملك أو حاكم، أو في صورة رأي عام، ويكون أحياناً في صورة نجاح وتوفيق كاذب، أو شهرة كاذبة، كما يكون أحياناً في صورة ادعاءات بإقامة جمهورية إسلامية، أو غير ذلك ... ويشهد التاريخ وتشهد التجارب على أن الأمرين الأخيرين هما أكثر الأمور التي تطالعنا اليوم. والحقيقة أن التعاليم الحقيقية للإسلام، والعقيدة الصحيحة للإسلام، هي ذلك النهر الذي يمضي لا يغير مساره أبداً، ولا يمكن أبداً أن تتداخل فيه مياه مجار أخرى من أي نوع.

فالقوى السياسية، والثورات المؤقتة، وقيام الحكومات وسقوطها، والدعوات والحركات الأخرى، ما هي إلا أمواج تأتي وتمضي.

فإذا ما كان النهر في مساره الصحيح، وإذا ما كان ماؤه ينساب دائماً، فلا خطر ولا

خوف، ولكن إذا كان في العقيدة فساد، فكأن نهر الدين قد غير مساره ومجراه، وكأن مياهه الصافية قد نضبت وحل محلها ماء آسن قذر. ومن هنا، فإن أية حركة أو دعوة لا يمكن أن تقدم وعوداً تقبل مع فساد عقيدتها، ومع ضلال وبطلان ما تدعو إليه من الوصول ببلد ما إلى التقدم والرقي، كما لا يمكنها أن تحقق لأي مجتمع أي إصلاح ولو جزئي، ولا يمكن أن تبعد عنه أي فساد أو خراب.

تلك هي الحقيقة التي يكمن بداخلها سر بقاء الأمة، وسر الحفاظ على الدين. وتلك هي الحقيقة التي تفرض على علماء عصرنا، ودعاة ديننا، والمحافظين على شريعتنا وعلى سنة نبينا مواجهة الصعوبات وتحملها، ومواجهة المتاعب التي تعترضهم والصبر عليها".

المفكر الإسلامي الدكتور محمد عمارة وأوهام الشيعة:

بعد أن كثرت كتابات الشيعة في أكثر من كتاب وموقع على الشبكة العالمية عن تشيع بعض علماء السنة ومنهم بعض أئمة الأزهر؛ كتب المفكر الإسلامي الدكتور محمد عمارة مقالاً في جريدة (المصريون) الألكترونية تحت هذا العنوان:

(أكاذيب وأوهام من العيار الثقيل) بتاريخ ١٤ - ٥ - ٢٠٠٧

إن الأوهام درجات ..منها البسيط ...والمتوسط ..والثقيل !..

ولقد تمثلت ذروة الأوهام الشيعية في ذلك الذي ادعاه بعض الكذبة من تحول عدد من أئمة علماء أهل السنة والجماعة إلى المذهب الشيعي ..لقد ادعوا ذلك على شيخ الأزهر، ومفتي المالكية الشيخ سليم البشري [١٣٣٥ - ١٢٤٨هـ ١٨٣٧-١٩١٧م] وعلى الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت [١٣٨٣ - ١٣١٠هـ ١٨٩٣-١٩٦٣م] بل وبلغ بهم "الوهم - الكاذب" إلى حد ادعاء ذلك على الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٣٢٣ - ١٢٦٦هـ ١٨٤٩-١٩٠٥م !!]

وإذا كان هذا "الفن" من فنون "الأوهام الكاذبة" و"الأكاذيب الوهمية" يحتاج في الرد عليه

وتفنيده إلى دراسات متخصصة ومطولة فإننا نشير هنا ـ مجرد إشارات ـ إلى مكانة هذه الدعوى عن تحول محمد عبده إلى التشيع.. مكانتها من الحقائق البدهية، التي تمثلت وتجسدت ـ ولا تزال ـ في حياة الرجل وفي فكره ـ المجموع والمحقق في أعماله الكاملة.

لقد أعلن الشيخ محمد عبده عن مذهبه ومذهب أستاذه جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤-١٣١٤هـ ١٨٣٨-١٨٩٧م) ومذهب (جمعية العروة الوثقى) التي رأسها الأفغاني وكان محمد عبده نائب رئيسها أعلن عن مذهبهم فقال في رسالة كتبها إلى أحد أعضاء هذه الجمعية: ".. وليعلم سيدي أننا سنيون أشعريون أو ما تريدون وأننا في أعمال العبادات دائرون بين المذاهب الأربعة فمنها المالكي والشافعي والحنبلي والحنفي".

فهل يجوز أن يقال عن صاحب هذا "الإعلان" إنه تشيع، وتحول عن مذهب أهل السنة والجماعة إلى المذهب الشيعي؟!..

وقال الإمام محمد عبده عن مذهب أستاذه الأفغاني ـ وهو يترجم له في مقدمته رسالة الرد على الدهريين ـ إن مذهبه "حنفي" كأهل أفغانستان السنة ـ وأنه كان من أشد الناس محافظة على مذهب إمامه أبي حنيفة النعمان (٨٠-١٥٠هـ ٦٩٩-٧٦٧م) وبنص عبارة الشيخ محمد عبده عن مذهب الأفغاني ـ الذي زعموا أنه هو الآخر شيعي ـ: " أما مذهب الرجل فحنيفي حنفي وهو إن لم يكن في عقيدته مقلدا لكنه لم يفارق السنة الصحيحة مع ميل إلى مذهب السادة الصوفية ـ رضي الله عنهم ـ وله مثابرة شديدة على أداء الفرائض في مذهبه، وعرف بذلك بين معاشريه في مصر أيام إقامته بها، ولا يأتي من الأعمال إلا ما يحل في مذهب إمامه (أبي حنيفة) فهو أشد من رأيت في المحافظة على أصول مذهبه وفروعه".

فهل يجوز لعاقل أن يدعي ـ بعد قراءة هذه الشهادات ـ أن محمد عبده أو الأفغاني كان شيعيا؟!

وإذ كانت نقطة انطلاق التشيع، ومعيار افتراقه عن مذهب أهل السنة والجماعة، هو رفض

الشيعة إقامة الدولة والإمامة على الشورى والاختيار وسلطة الأمة والادعاء بإقامتها على النص والوصية والتعيين من السماء وبعبارة العلامة محمد باقر الصدر: "فإن النبي لم يمارس عملية التوعية على نظام الشورى ولم يطرح الشورى كنظام للأمة". فهل يجوز لعاقل أن يدعي على محمد عبده التشيع، وهو الذي امتلأت صفحات أعماله الكاملة بالحديث عن الشورى باعتبارها روح النظام الإسلامي، وعماد تأسيس الدولة الإسلامية، والسبيل لاختيار الخلفاء وولاة الأمر بين المسلمين؟! أم أننا بإزاء أكاذيب وأوهام من العيار الثقيل؟!" انتهى مقال الدكتور عمارة؛ أكرمه الله.

ولا زال التقريب هدفاً وحلماً:

هذا وإذا كانت مسيرة التقريب هذه قد توقفت وقتا ما بسبب بعض الخلافات ومنها الظروف السياسية فقد تجددت الدعوة إلى مسيرة التقريب في هذه الأيام.

وقد نشرت الصحف المحلية والعالمية وشبكات الأخبار وغيرها من الشبكات والفضائيات خلال هذين العامين ٢٠٠٧، ٢٠٠٨م عن كثرة من المشروعات التقريبية، ومنها قبول طلاب شيعة في جامعة الأزهر، وإنشاء فرع لجامعة الأزهر في طهران، وترحيب قبلة أهل السنة (الأزهر الشريف) بذلك، وهذا ما تم نشره مؤخرا عن استقبال شيخ الأزهر للسفير الإيراني والملحق الثقافي:

شيخ الأزهر الحالي يدعو إلى تبادل العلماء مع إيران:

دعا إمام الأزهر الشيخ محمد سيد طنطاوي إلى التقريب بين السنة والشيعة مقترحا تبادل العلماء بين الأزهر وإيران.

وشدد شيخ الأزهر ، بحسب جريدة "الرياض" السعودية، على التقريب بين السنة والشيعة والانفتاح والحوار العقلاني والايجابي بينهما مع توافر حسن الظن وصدق النية للعمل سويا لما فيه خير الأمة الإسلامية ووحدتها ودرء أي فتن عنها.

وأكد الشيخ طنطاوي خلال استقباله رئيس بعثة رعاية المصالح الإيرانية بالقاهرة السفير حسين رجبي والملحق الثقافي في السفارة محمد حسن زماني الأربعاء عدم وجود أي خلاف في الأركان أو الجوهر أو الأصول بين السنة والشيعة، فكلاهما مسلمون ويؤمنون بالله واحد وبأركان الإسلام الخمسة ويتجهون لقبلة واحدة".

وهذا ما نشرته صحيفة الوفاق الإيرانية:

شيخ الأزهر الحالي: لا فرق بين مسلم سواء كان شيعيا أم سنيا

الجزائر / قال محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر انه يسعى دائما للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ويجتمع مع مسؤولي وعلماء الشيعة في أي وقت، وكلما اقتضت الضرورة.

وأضاف طنطاوي في تصريحات لصحيفة (المصري اليوم) المصرية المستقلة: التقي علماء الشيعة وأسعى دائما للتقريب بين المذاهب، لان كل من يشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويؤدي التكاليف الشرعية التي كلفه بها المولى عز وجل، ويحترم الرسول - صل الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - سواء كان سنيا أو شيعيا.

وقال: عندما نجتمع يعرض كل فرد وجهة نظره، ونتناقش حولها فنحن جميعا مسلمون نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وإذا وجدت خلافات أو اجتهادات فهي في الأمور الفرعية فقط وليست في الثوابت والأسس التي يقوم عليها الدين.

ونفى طنطاوي توقف لجنة التقريب بين المذاهب في الأزهر، التي أنشاها الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق، عن أداء دورها وقال: إن دور اللجنة لم يتوقف وتنشيط هذا الدور موجود لأنني أعمل دائما على التقريب بين المذاهب وفي الأزهر نقوم بتدريس مختلف المذاهب ومنها المذهب الشيعي.

وحول مدى تأثر التقريب بين المذاهب بالعلاقة بين مصر وإيران قال طنطاوي: أتكلم على أنه لا فرق بيننا كمسلمين سواء كنا سنة أو شيعة، لأننا نتفق جميعا في نطق الشهادتين والعمل بكل ما جاء في القرآن الكريم، وإنما الاختلافات في الفروع فقط.

كما زار مصر في بداية العام الماضي وفد إيراني برئاسة المرجع الشيعي آية الله التسخيري، وقد حضره شيخ الأزهر ومفتي مصر، وهذا ما نشرته شبكة أقلام الثقافية عن اللقاء:

مصر: آية الله التسخيري يعلن عن انطلاقة مسيرة التقريب بين المذاهب الإسلامية

شبكة أقلام الثقافية ١٤٢٧ـ٢٠٠٦

خاص بشبكة أقلام الثقافية: انعقد في بيت السفير الإيراني بضاحية مصر الجديدة وعلى شرف وفد إيراني رفيع المستوى برئاسة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري الأمين العام لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية في يوم الأربعاء التاسع من محرم ١٤٢٧ الموافق من ٨ فبراير ٢٠٠٦ حفل استقبال حضره كل من الشيخ محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر والشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية وحضور عدد من الشخصيات العامة والصحفيين المصريين وبعض الوجوه الشيعية المصرية.

وقد جرى الإعلان عن انطلاقة جديدة من القاهرة هذه المرة لمسيرة التقريب بين المذاهب الإسلامية تأسيسا على قرارات قمة مكة المكرمة كما تبادل الحضور الكلمات الودية التي أكدت على وحدة المسلمين ونبذ التكفير فضلا عن مكانة أهل البيت السامقة لدى جميع المسلمين.

وقد سبق وان انطلقت مسيرة التقريب بين المذاهب الإسلامية من خلال مصر من قبل السيد جمال الدين الأفغاني الأسد أبادي مع الشيخ محمد عبده وكذلك أنشئت دار التقريب بين المذاهب في منتصف القرن الماضي لمواجهة حالات التشرذم والشحن الطائفي التي فرضتها القوى الاستعمارية لتمزيق الأواصر وإعاقة الانطلاقة الحقيقية للأمة الإسلامية

دعوة مفتي مصر الحالي إلى الاعتذار المتبادل بين السنة والشيعة بين التأييد والمعارضة

هل يحقق الاعتذارُ التقاربَ بين السنة والشيعة؟. (هل يحقق الاعتذارُ التقاربَ بين السنة

والشيعة ؟) تحت هذا العنوان كتب الصحافي المصري الأستاذ مجاهد ؛ محاوراً ومعلقاً على دعوة مفتي مصر الدكتور علي جمعة ، إسلام أون لاين نت الأربعاء ٢٨ فبراير ٢٠٠٧

أيد عددٌ من علماء أهل السنة والشيعة اقتراحَ الدكتور علي جمعة -مفتي مصر- بإيجاد نوع من الاعتذار المتبادل بين السنة والشيعة ، والذي أعلنه في حوار خاص مع موقع "الجزيرة.نت" قائلا : "أقترح على السنة والشيعة : أن يعتذر بعضهم لبعض عما حدث في التاريخ ، ويكون الاعتذار في بيان موحَّد" ، وعلل اقتراحه بالقول : "إن الشكوى من الطرفين : هي وجود تاريخ مليء بالمحن والمصائب والأحداث ، ونحن لم نكن سببا في هذا التاريخ ، ويجب علينا أن نتجاوزه ، وأول خطوة للتجاوز كما تعلّم البشر هي الاعتذار" .

وتقديم الاعتذار المتبادل يتطلَّب عددا من الخطوات العملية ؛ حتى لا تتكرر أخطاء أخرى تعكر العلاقات السنية الشيعية ، وهو ما ألمح إليه العلامة الدكتور يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين أكثر من مرة بأن يتخذ الشيعة موقفا صريحا وواضحا في مسألة (سبِّ الصحابة) ، مؤكدا أنه لن يحدث تقارُب مادام هناك سب للصحابة ، أو استمرت عمليات التبشير الشيعي المنظم في بعض المجتمعات السنية ، كذلك البعد عن الاستفزاز المتبادل من الجانبين ، ومثال ذلك احتفاظ إيران بقبر "أبو لؤلؤة المجوسي" الذي قتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه . يُضاف إلى ذلك ما اقترحه الشيخ حسين المؤيد أحد علماء الشيعة المعتدلين من ضرورة عدم إيجاد أي نوع من الاستفزازات ، وألا يعتبر الشيعة أنفسهم منعزلين عن السنة ، مستدلا بمقولة الإمام "جعفر الصادق" وهو من أئمة آل البيت عندما نهى أصحابه عن أن يتبنُّوا تيارا اعتزاليا بين المسلمين ، وقال لهم : "صلُّوا في مساجدهم ، وعودوا مرضاهم ، وليروا منكم الأدب والسكينة والوقار" .

تحديد الجرائم:

وبرغم التأييد الذي أبداه علماء السنة والشيعة لدعوة المفتي ، فإنهم طالبوا بتحديد

الجرائم السابقة في تاريخ كلا الطائفتين حتى يكون الاعتذار في محله، فمن جانبه الدكتور مصطفى الشكعة-عضو مجمع البحوث الإسلامية، وأحد العاملين في مجال المذاهب الإسلامية ـ يعتبر دعوة الدكتور علي جمعة إلى الاعتذار بأنها أقرب إلى أن تكون عملية مصالحة على أخطاء عند أحد الجانبين، وأكد أن "هذا الاقتراح لا بأس به لكن ينبغي أن يُضاف إليه ضرورة عقد مؤتمرات تُقرِّب بين المذاهب المتباعدة مثلما حدث منذ خمسين عاما، فيما يسمى بلجنة التقريب بين المذاهب التي يمكن التقريب بينها وهي السنة وفرقة الشيعة الإمامية".

وأضاف الشكعة أن الاعتذار لن يأتي إلا بحوار ومعرفة هل حدث من أهل السنة جرائم اعتداء على الشيعة تستوجب الاعتذار، والعكس من قبل الشيعة تجاه السنة، حيث لابد من تحديد الجرائم أولا قبل الاعتذار.

ومع ذلك فإن الدكتور الشكعة يرى أن أهل السنة يعتذرون فيما لو كانوا قد اعتدوا، حيث إنهم لم يعتدوا على الشيعة، كما أن الاعتداءات الواقعة عبر التاريخ اعتداءات سياسية مصدرها الصراع على الحكم، أما ما يتعلق بالعقيدة فلم يكن هناك صراع فيه.

وأوضح أنه "يبقى الجرائم التي ترتكب هذه الأيام في الساحة العراقية، فيجب معالجتها، من أجل إنهاء الخصومة، كما لا بد من توضيح عدة نقاط خلافية، إذ يقوم المذهب الشيعي على أن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وصي، والوصيّ كالنبي ينص عليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير أنه لا يوحى إليه، وهنا المشكلة الكبرى، وهذا أمر بحاجة إلى شرح".

وطالب الدكتور الشكعة بضرورة تكوين لجنة من عقلاء السنة، ولجنة أخرى يقابلها من عقلاء الشيعة، وتكون بينهما حوارات إسلامية عميقة، لتوضيح ما يتعلق بالعقيدة في الإمام علي رضي الله عنه، وفي زواج المتعة الذي يعتبر تصريحاً شرعياً بالزنا في المذهب الشيعي.

والدكتور محمد رأفت عثمان عضو مجمع البحوث الإسلامية يؤيد فكرة الاعتذار السني

الشيعي، ويوضح أنه إذا كان العالم الإسلامي بكل طوائفه وفئاته ودوله وثوابته مستهدفا من القوى المعادية للإسلام، فإن ذلك يعد داعياً للتعامل كأتباع طائفتين على أننا جميعا مسلمين لنا كيان واحد، واتخاذ كافة السبل المؤدية لذلك". أضاف أنه إذا كان هناك ما يستدعي للاعتذار من كل طرف للآخر عما حدث خلال العصور المختلفة من تجاوزات من طرف تجاه الآخر فليس هذا ممنوعا، خاصة أن الواقع الإسلامي مؤلم جدا.

وألمح الدكتور محمد رأفت عثمان إلى أن الاعتذار لا يقلل من قيمة المعتذر، بل يرتفع به ويعلي من شأنه، خاصة إذا كنا في ظرف يستدعي الكف عن سفك الدماء، وإتلاف الأموال، وإهلاك الصغار والكبار.

وشدد على أن العلماء المعاصرين في الطائفتين عليهما واجب مستمر في تبصير الناس بأن يتركوا تناول المسائل الخلافية بين السنة والشيعة في كتب البحث العلمي، حتى يمكن أن نُنهي هذا الكابوس البغيض الذي يسيطر على العلاقة بين السنة والشيعة.

لا داعي للاعتذار

أما الدكتور عبد الحميد العبيدي - عميد كلية الأحقاف سابقا بالعراق - فيرفض مسألة الاعتذار المتبادل بين السنة والشيعة، ويعلق قائلا ليس من المقبول أن يعتذر بعضنا لبعض؛ لأننا - سنة وشيعة - مسلمون، كما أنه لا يوجد بيننا خلاف مذهبي، وإنما هناك خلاف سياسي راجع إلى أكثر من ١٢٠٠ عام.

وأشار إلى أن ما يجري الآن في الخلاف بين السنة والشيعة، ليس دينيا لأن الأمور الدينية الأساسية متفق عليها بين السنة والشيعة، وقال: "لقد جمعنا فقه آل البيت جميعا، وقرنَّاه بآراء الآخرين من الفقهاء، فلم نجد خلافا مذهبيا"، وأوضح أن الخلافات السياسية بين السنة والشيعة هي من أيام "علي بن أبي طالب" فبعد وفاته اعتبر العلويون أن الخلافة اغتُصبت من الإمام علي، ومما فاقم الأمر هو أن كثيراً من المؤرخين أبرزوا الجوانب الخلافية في حياة المسلمين

حول هذه القضية، وما حدث بين العلويين والأمويين من أجل الحكم، بالرغم من وجود جوانب تاريخية مضيئة في الدولة الإسلامية.

وشدد العبيدي على أن الاعتذار المتبادل لا يمكن أن يحقق مصالحة حقيقية، وأن الأهم هو تحقيق التصافي، والتأكيد على أننا في وضع إسلامي واحد في ظل صحوة إسلامية تجمع السنة والشيعة، وأن المطلوب ليس الاعتذار. وإنما ترك الجوانب الخلافية التي تؤدي إلى النفور، والتمسك بالأمور التي تجمع بيننا، وأن نشخص سلبياتنا من كل طرف ثم نسير يداً بيد ضد أعدائنا، وعلى رأسهم اليهود، والمحافظين الجدد.

وجهة نظر شيعية:

وعن وجهة النظر الشيعية يقول الشيخ "عبد الله محمد تقي الدين القمي" أحد علماء الشيعة بمدينة قم بإيران: "أعتقد أن هذه الدعوة فكرة صائبة، وجديدة ولكن التعصب سيلعب دوره، فمع واقعنا المؤلم لن يتم هذا، وإن كنت أؤيده". وأضاف: "إن الاعتذار سيلطف من الأجواء لأنه سيطوي صفحة الماضي، خاصة وأننا نتشاجر في أمور تاريخية وننسى واقعنا، ونحن بحاجة إلى شيء لغلق هذا الباب، خاصة وأن حال الأمة أصبح كبيت يحترق وشركاؤه يتنازعون عليه بدلا من إطفائه".

وأكد الشيخ عبد الله أنه في حالة قبول الاعتذار، فإنه لابد من تعيين ما يجب الاعتذار عليه، أما إذا كان الاعتذار غير مقبول، فإنه يكون غير مجدٍ، وقال: "إننا بحاجة الآن لأن ننسى الماضي قليلا لمصلحتنا، وليس من العقل أن ندخل في مواجهات نحن اليوم لسنا طرفا فيها، ونترك مواجهتنا الموجودة الآن".

رأي المؤلف في الاعتذار:

الدعوة التي أطلقها فضيلة الأستاذ الشيخ علي جمعة مفتي مصر تستحق النظر والتأمل؛ لما لها من قيمة عالية، ولمركز صاحبها الديني؛ فقد اكتوى الفريقان بنار الفرقة والتشرذم،

والأغرب أن السبب شيء لم نحضره ولا نملك إعادته ؛ لأنه أمر قد مضى وانتهي ، وصار تاريخاً .

ومن ناحيتي أؤيد دعوة فضيلة المفتي ؛ حتى لا تكون هناك حجة لدى أحد الطرفين على الآخر ، ولكن على ماذا ، وعن أي شيء سيكون الاعتذار؟

هل يعتذر علماء السنة عن بعض الأمور التي تعد خطايا جسيمة عند متطرفي الشيعة كاجتماع الثقيفة وبيعة سيدنا أبي بكر ، وبعده سيدنا عمر وبعده سيدنا عثمان ؟ ومظلومية ميراث سيدتنا السيدة فاطمة ، أم يكون الاعتذار عن موقعة الجمل ؟ أم عن الحرب بين سيدنا الإمام علي ومعاوية ؟ أم استشهاد سيدنا الحسين على أيدي الفجرة من الأمويين وأعوانهم ؟ .

إنني وبصفتي سني محب لسادتنا أهل البيت وسادتنا الصحابة ، وبعيداً عن العواطف الموروثة بطريق الخطأ لدى بعض السنة والشيعة ؛ أرى أن الخلافة سارت كما أرادها الله ـ عز وجل ـ وأن سادتنا الخلفاء الثلاثة ـ رضي الله عنهم ـ يستحقونها عن سابق إيمان وجهاد ، وأنهم أقطاب العشرة المبشرين بالجنة ، كما أن سيدنا الإمام علي لم يطلبها ، ولم يتنازع عليها ، بل كان من أشد الراغبين عنها والرافضين لها ، كما أنه عاش عهود الخلفاء الراشدين الثلاثة وزيراً ومستشاراً لهم ، وفي أيام الفتنة أواخر عهد سيدنا عثمان ، نصح للجميع وما قصر ، بل أنه عند حصار الثوار لسيدنا عثمان أرسل أحب الناس إليه سيدي شباب أهل الجنة ؛ دفاعاً عن ذي النورين . كما أن الإمام علي هو أعلم الصحابة ، وأشجعهم في النزال ، وأولاهم بالنبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وأخو النبي ؛ فهو منه بمنزلة هارون من موسى ـ عليهما السلام ـ إلا أنه لا نبي بعده ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وزوج أحب بناته إليه سيدتنا الزهراء البتول سيدة نساء العالمين ـ على أبيها وزوجها وبنيها أفضل الصلاة وأتم السلام ـ وأنه أحد أقطاب العشرة المبشرين بالجنة ، ولا أشك أنه لو كان الإمام علي في فريق ، وكان غيره في فريق ؛ لاخترت فريق أبي الحسنين ، كيف لا وهو أحد أهل الكساء الخمسة

الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا، هو وزوجه وولداه، وإمامهم سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

- أما خلافه مع معاوية؛ ما في قلبي أن الإمام علي هو الخليفة الأحق بالخلافة، ومعاوية خارج عليه محارب له، ولا يمكن أن أقارن بين سيدنا الإمام علي ومعاوية؛ علماً أو جهاداً أو ورعاً أو نسباً. نعم لا يمكن أن أقارن بين رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ونصلي عليه في صلاتنا، وبين طليقٍ لم يكن من السابقين إلى الإيمان والجهاد، ولم يكن أحد العشرة المبشرين بالجنة كالخلفاء الراشدين الثلاثة قبل الإمام علي.

- أما عن استشهاد سيدنا الإمام الحسين، أحد سيدي شباب أهل الجنة؛ فإني أقول: يكفي أنه مبشر من جده بالجنة وأنه سيد شبابها، وأنه سبط رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - وأنه المعظم المكرم من جميع سادتنا الصحابة.

نطالب بمجلس أعلى لعلماء السنة والشيعة:

أعتقد أن هذا المبحث قد غطى موضوع التشيع والتقريب بين السنة والشيعة في معظم جوانبه؛ فقد قرأنا للمؤيدين والمعارضين، كما قرأنا نداءاتٍ بل سمعنا صيحات تدعو إلى الوحدة والتآلف، كما وجدنا أيضاً ما يدعو، ومن يدعو إلى التحذير والتنفير، ونعذر الجميع؛ فكل باحث نظر إلى الموضوع من زاوية معينة، ومعظمهم له حب وغيرة؛ ولكن لا بد من التقاء الطرفين حول الثوابت المشتركة؛ فالعدو على الأبواب يريد أن يلتهم الجميع، وأكبر ما يسر العدو أن يلتهم الجميع أنفسهم بأنفسهم وبهذا يُكفى مشقة خوض الحروب مباشرة؛ ولذلك سعى لضرب الكل بالكل، وإشعال الفتن بين الجميع، وفي أكثر من موقع، ويسعد العدو كثيراً ما يراه من خلافاتٍ يتمنى اتساع هوتها، وإلا تدخل بالحرب المباشرة كما يحدث الآن في أكثر من موقع، والأخطر من ذلك أن جميع الساسة والقادة والمفكرين يعرفون ذلك تمام المعرفة!!!.

إننا في هذا التوقيت بالذات نحتاج أن نكون يداً واحدة في مواجهة ما يحاك لنا سراً وعلانية.

إن الكل يعلم أن أكثر ما يخشاه العدو هو وحدتنا وتوحدنا؛ فمن الواجب على الجميع تفويت الفرصة على العدو في التهام كل فريسة منفردة فالذئب يأكل من الأنعام القاصية.

أيها العلماء والمفكرون والساسة، الطوفان قد اقترب من الجميع ولا بد من صيحة نذير عامة؛ توحد الصف، وتواجه الواقع المؤلم لعدوٍ لا يغفل، وخطط جاهزة للتنفيذ؛ فأفسدوا على العدو خططه وطموحاته بما وهبكم الله من دينٍ يجمع ولا يفرق.

فإذا حسنت النوايا، وصحت العزائم، وشُحذت الهمم؛ أمكن حدوث الخير الكثير. وقد تكفل المولى - عز وجل - بتغيير الأحوال؛ إذا بدأ الناس فعلياً في تغيير ما بأنفسهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد ١١] وأقول في نهاية هذا المبحث إنني أطالب بإلحاح - رغم وجود ما سبق من مجالس أو دورٍ - أنه لا بد من تشكيل مجلس أعلى يتكون من كبار علماء ومفكري السنة والشيعة، ويكون مقره الرئيس دار التقريب في القاهرة، ويكون له أفرع في أكثر من بلد يختارها هؤلاء العلماء والمفكرون في اجتماعهم الأول. كما يكون هذا المجلس هيئة إسلامية عليا مستقلة عن جميع الحكومات والسياسات.

وكم من مرة يجتمع العلماء من الطرفين، ويتحدثون في كل شيء، ويصدرون التوصيات التي تشعر الجمهور أن الخلافات في طريقها إلى الحل؛ ولكن سرعان ما تتبدد تلك الآمال بخروج أحد هؤلاء العلماء على الناس بمحاضرةٍ أو مقال أو كتاب أو لقاء في إحدى الفضائيات ضارباً ببعض أو كل ما اتفق عليه عرض الحائط.

ما لابد منه للتوافق:

أولاً: الإقرار من الجميع أن القرآن الكريم الموجود بين دفتي المصحف هو كتاب الله عز وجل، وهو بعينه المحفوظ من الله - عز وجل - دون زيادة أو نقصان.

ثانياً : عدم سب أصحاب النبي ، أو التعدي على حرمات سيد الخلق ؛ بسب أو لمز نسائه عامة .

ثالثا : عدم تبادل التكفير بين الطرفين ، أو سب أي طرف للآخر .

رابعاً : وجوب التماس الأعذار للجميع فيما جاز الاختلاف فيه .

خامساً : تنقية ما شاب التراث من عصبية مذهبية ؛ لتجفيف منابع الخلاف ، مع عدم تجديد إثارة الخلافات مستقبلاً .

سادساً : إذا جد أمرٌ أو حدث خلافٌ أو شذ أحدٌ عما اتفق عليه ؛ فيكون هذا المجلس هو موضع النقاش وصدور القرار المناسب ، والبيان الواضح حول الحدث المستجد .

سابعاً : البدء الجدي والفوري في تنفيذ تلك القرارات ، وكل ما تم الاتفاق عليه سابقاً من جانب الطرفين وإصدار مطبوعات بهذا الشأن توزع على جميع المقرات ، وعلى العلماء والمفكرين في شتى مجالات العلم والبحث ، اللهم اجمع الشمل ، وأزل الغشاوة عن القلوب ، وبالله التوفيق .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



المبحث الثالث: التصوف

تعريف عام للتصوف

التصوُّف: على وزن (تفعُّل) مصدر خماسي للفعل الماضي تصوَّف (تفعَّل)، مثل: تعلَّم تعلُّم، وهو يدل على حدوث الأمر بعد الطلب. تصوُّف، أي صار صوفياً بعد سلوك الطريق الصوفي.، مثل: تعلَّم تعلُّم: صار عالماً بعد طلب العلم، وتقدَّم تقدُّم.

وقيل: (الصوفي) اسم منسوب إلى الصوف، أو الصوفة؛ لأن الصوف من أشهر لباس الزهاد، ولذلك قاسوه على (تقمَّص فلان) بمعنى: لبس القميص، وتقمَّش بمعنى لبس القماش؛ فتصوَّف معناها لبس الصوف.

وقيل إنه يتكون من (ال) الموصولة الداخلة على الفعل المبني للمجهول (صُوفِيَ) للعلم بالفاعل، أي: الذي صافاه الله فصوفي، مثل عافاه الله فعُوفِيَ. يقول أبو الفتح البستي:

تخالف الناس في الصوفي واختلفوا .·. وكلهم قال قولاً غير معروف

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى .·. صفا فصُوفِيَ حتى سُمِيَ الصوفي

وقيل: إنه وصفٌ صار علماً على كل من سلك طريق الصوفية.

وخلاصة ما قاله العلماء عن التصوف: إنه سلوك إيماني عملي وتربية خلقية روحية؛ تدفع المتصوف للسير على الطريق المستقيم؛ طلباً لمرضات الله ـ عز وجل.

وقد تحدث العلماء قديماً، وحديثاً عن تعريف معنى التصوف، وعن المدلول اللفظي، والمقصود الشرعي والسلوكي منه. وسنورد ـ بتوفيق الله تعالى ـ في ثنايا هذا المبحث بعض التعريفات لشيوخ التصوف أنفسهم.

وكنت قد نشرت مقالاً لي بينت فيه معنى التصوف الصحيح، والمآخذ على التصوف والصوفية منذ ما يقرب من عامين في جريدة (صوت العروبة) ط. القاهرة باريس، بعنوان (التصوف بين البراءة والاتهام) ولما نشرته في بعض المواقع على الشبكة؛ ثارت حوله وحول شيوخ التصوف بعض الردود، مما سترونه ـ إن شاء الله تعالى ـ في المبحث الأخير.

وتلك مقدمة مقالي: "التصوف حال من السلوك الفردي والجماعي يرقى به الإنسان إلى

المقام الرفيع (مقام الإحسان) الذي أبانه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى أله وصحبه وسلم عندما حاوره سيدنا جبريل - عليه السلام - عن الإسلام والإيمان والإحسان؛ فقال صلى الله عليه وعلى أله وصحبه وسلم: "الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". ليتم بذلك الوصول إلى الهدف الذي خلق الله هذا الإنسان من أجله ألا وهو: تحقيق مقام العبودية الخالصة لله تعالى، والمشار إليه في قوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات ٥٦ : ٥٨]. وذلك عن طريق تربية النفس وتهذيب السلوك وتطهير الوجدان وحراسة الحواس وتطييب الروح، والسمو الأخلاقي بصفة عامة. ويبنى التصوف على علاقة بين أستاذ التربية وتلاميذه أو شيخ الطريقة ومريديه تنظمها أسس عامة وقواعد معلومة حققها سادتنا الصوفية الأوائل خلال سلوكهم الطريق وتجاربهم الفعلية ومنازلاتهم الروحية في هذا المجال والتي خرجوا منها بنتيجة سلوكية وتربوية هامة لابد من مباشرتها لكل سالك ألا وهي "جهاد النفس ومحاربة هواها" وهم يستمدون ذلك من قول الله تعالى: "وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى" ومن الأثر الوارد الذي يتمسكون به "الجهاد الأكبر جهاد النفس".

الصوفية وسط في حب السادة أهل البيت

الصوفية هم الرجال المحسوبون على السادة أهل البيت - عليهم مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام - والمحبون لهم بتميز، وهم أكثر طوائف أهل السنة تذكراً للسادة أهل البيت، وزيارة لهم، ونشرا لتراثهم، وإحياءً لذكراهم، واحتفالاً بموالدهم، ولولا بعض الخروقات الخارجة عن آداب التصوف من بعض المدعين المنتسبين للتصوف؛ لحاز السادة الصوفية الإجماع على مرتبتهم الأولى في حب السادة أهل البيت.

ومن خلال معايشتي للسادة الصوفية؛ وجدت أنهم بالفعل يهتمون جداً بحب السادة أهل

البيت، بل إن معظم جلساتهم التعليمية، وإرشاداتهم الروحية تنصب على حب هؤلاء السادة، وهذا أجمل وأحلى وأعلى ما في السادة الصوفية. ومن الملاحظ أن معظم شيوخ الطرق الصوفية هم من السادة الأشراف أهل بيت سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ فلو نظرنا إلى مؤسسي الطرق الصوفية السابقين كالسادة: الرفاعي، البدوي، الدسوقي، الجيلاني، الشاذلي، الحبيبي؛ وجدناهم من السلالة الطيبة المباركة التي تصل بهم إلى جدهم سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ ووجدناهم أئمة من أئمة أهل السنة، وكذلك من توارثوا تلك الطرق وما تفرع عنها.

ورواد السادة الصوفية أهل علمٍ ومعرفة ومن المشهورين بالعلم من السادة الصوفية: سيد الطائفة الإمام الجنيد، والعز بن عبد السلام، وأحمد بن عطاء الله السكندري، وابن حجر الهيتمي المكي؛ قديماً. والإمام الدرديري الشهير بمالك الصغير، وعلامة وواعظ الأزهر الشيخ يوسف الدجوي،، والشيخ عبد ربه سليمان، والشيخ صالح الجعفري، والإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق الدكتور عبد الحليم محمود، والسيد محمد زكي إبراهيم، والشيخ الشعراوى، والسيد يوسف الرفاعي، والدكتور الحسيني هاشم، والدكتور الحسيني أبو فرحة، والدكتور أحمد عمر هاشم، والسيد محمد علوي المالكي؛ حديثاً.

ومن خلال ممارستي ومدارستي؛ رأيت أن السادة الصوفية هم ممثلو الحب الصحيح للسادة أهل البيت. فهم عدول في حبهم؛ حيث لم يكونوا أهل غلو كالشيعة، ولم يكونوا أهل جفاء كالمتطرفين إلا من شذ عنهم، وليس للشاذ حكم سوى أنه شاذ عن الأغلبية.

الفرق بين الصوفية والشيعة:

اتسم الصوفية بحبهم الكبير للسادة أهل البيت، وحب أهل البيت فريضة إيمانية، كما أنه من شعائر الله ـ عز وجل ـ ومن وصايا سيد الخلق ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وكيف لا نحبهم وهم صنو كتاب الله ـ عز وجل ـ كما اخبر المعصوم ـ صلى الله عليه وعلى

آله وصحبه وسلم ـ بأنهما (أهل البيت والقرآن الكريم) لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض؟!

وكثيراً ما نسمع أو نقرأ عن وجود تشابه بين الصوفية الشيعة، أو أن الصوفية هم الممثلون للشيعة بين أهل السنة، أو أن التصوف قنطرةٌ للتشيع، وغير ذلك مما ردده البعض. وفي الحقيقة أنه إذا وجد من الشيعة من يحب سادتنا أهل البيت ولا يبغض سادتنا الصحابة؛ فهو صوفي سني معتدل، وإن تسمى بالشيعي. وإن وجد من الصوفية من يحب سادتنا أهل البيت، ويبغض سادتنا الصحابة؛ فهو شيعي متطرف، وإن تسمى بالصوفي؛ فالمسميات لا تحكم العقائد، ولنا الظاهر والله يتولى السرائر كما قيل؛ وبالتالي لا يجوز أن نصدر أحكاما عامة على الصوفية، أو الشيعة إلا من خلال ما يبديه المرء ويقره.

نعم هناك جامع مشترك بين الطرفين وهو: حب السادة أهل البيت ـ عليهم مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام ـ مع اختلاف الصوفية عن الشيعة في موضوع سادتنا الصحابة.

ومن الواجب ملاحظة أن من أحب السادة أهل البيت الحب الحقيقي؛ لا يمكن أن يبغض سادتنا الصحابة، ولكننا نتكلم عن الظاهر لنا على وجه العموم؛ فإن من سادتنا أهل البيت من سمى أولاده بأسماء الصحابة وبأسماء أمهات المؤمنين؛ فحب السادة أهل البيت مع بغض السادة الصحابة حبٌّ أحمق مُدَّعَى، وليس حباً صادقاً.

فالصوفية والشيعة يجتمعان على حب السادة أهل البيت، ويفترقان في مسألة بغض السادة أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ ولم أسمع ولم أر ـ من خلال معايشتي، وقراءاتي ـ عن صوفي سب أو كره أحداً من سادتنا الصحابة، أو سيداتنا وأمهاتنا أزواج النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ بل إن من آداب الصوفي أن يكون محباً لله ورسوله وآل البيت والصحابة، وهذا معلوم ومعروف لكل من سلك أو عايش طرق التصوف والصوفية.

ولا شك أن هناك مغالين من جهلة الصوفية لهم سلوك يشبه سلوك الشيعة من ناحية الغلو

في حب السادة، ولكنهم في الوقت نفسه لا يبغضون سادتنا الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فعيبهم غلوٌ في حب لا شذوذٌ في بغض، وهؤلاء خارجون عن آداب طريق القوم، ولا يوجد لهم سندٌ أو مستند عند المربين من السادة الصوفية السابقين منهم واللاحقين.

تعدد الطرق الصوفية:

أقول دائماً في ردودي على المعترضين على التصوف، وتعدد الطرق الصوفية: إن الطرق الصوفية بمثابة مدارس تربوية تتنوع في قياداتها وهياكلها؛ إلا أنها تقوم على منهج واحد، وقاسم مشترك أعلى يتمثل في حب السادة أهل البيت، والتربية الروحية على هذا الحب، مع بعض الأذكار والأدعية (الأوراد) التي مارسها الشيخ المربي، وورثها عن شيوخه، وصار خبيراً بها وبمنافعها، وما لها من مذاق روحي مؤثر في سلوكه الإيماني، وسعيه في الحياة.

ومهما تعددت الطرق وتنوعت مدارسها؛ فإنها لا بد أن تكون في إطار من الشرع الشريف، بعيداً عن كل ما يخالف الشريعة المباركة؛ وإلا فصاحبها مبتدعٌ دجال، أو مسترزق محتال، مع ملاحظة أن الأوائل من السادة الصوفية لم يكونوا ولم يؤسسوا مدارسهم تلك أو طرقهم إلا على العلم بالشرع والسلوك القويم، وقد تبرأوا من كل من يخالفهم سلوكهم الراشد، كما سنرى وصاياهم وأقوالهم من خلال هذا المبحث.

وبعد أن كتب الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق كتاباً أسماه (الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة) ملأه بالطعن على التصوف والصوفية؛ قام سليل بيت النبوة، ووزير شئون مجلس الوزراء الأسبق بدولة الكويت، أستاذي العلامة المفكر السيد يوسف هاشم الرفاعي ـ متعه الله بالصحة والعافية ـ بالرد عليه، وعلى أشباهه بكتاب: (الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة) احتوى على ردود شافية على كل ما أثاره الشيخ عبد الرحمن، وغيره من أعداء التصوف والصوفية.

ومن أجمل ما في كتاب السيد يوسف أنه استطاع ببراعة أن يوثق كتابه باستفتاء جملة

من العلماء المفتين الذين يمثلون جمهور علماء السنة في العالم، لقد استفتاهم السيد يوسف في فتاوى رسمية موثقة عن طريق عرض الأسئلة مكتوبة والرد عليها كذلك، كما جمع السيد يوسف من المراجع ما قاله أئمة المذاهب الإسلامية وجمهور علماء السنة السابقون منهم واللاحقون، وقد جعلت ما أورده السيد يوسف الرفاعي عمدة مبحثي هذا عن التصوف؛ ففيه الكفاية كما سترون، وقد شرفت بالاتصال بالسيد، وبارك مشروع كتابي هذا، وسمح لي بالنقل عنه؛ فإليكم جزءاً مما جاء في كتاب السيد يوسف؛ أكرمه الله في الدارين:

رأي الأئمة الأربعة في التصوف والصوفية:

وخلافاً لما يكتب ويقال عن موقف الأئمة الأربعة رضوان الله تعالى عليهم من التصوف والصوفية، أثبت العارف بالله تعالى الشيخ أحمد العلوي المستغانمي في كتاب (رسالة الناصر معروف في الذب عن التصوف) محبتهم لهم واعتقادهم فيهم، فقال: "أما جمهور الأئمة وأكابر الملة فجميعهم مطبقون على أن التصوف هو زبدة الدين والغاية القصوى من سنن الموحدين، وكفاه فضلاً أنه عبارة عن السير في (مقام الإحسان) الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة المصرح بها في حديث جبريل عليه السلام" .

وقال: "وماذا عسى تقوله الأئمة ومن لهم اطلاع على أحوال قوم وهبوا أنفسهم لله وبذلوا جهدهم في طاعة الله، وأسسوا قوائم مجدهم على تقوى من الله إلى أن عرفوا بين الخصوص والعموم بأنهم أهل الله وخاصته من خلقه، دانوا إلى الله بخالص التوجه؛ فدانت لهم العباد وأشرقت بأنوار هداهم النواحي والبلاد" أ.هـ

للعلامة المحقق الشيخ عبد القادر عيسى كتاب سماه (حقائق عن التصوف) نَقل فيه شهادات وآراء أكابر العلماء والحفاظ حول التصوف والمتصوفة والصوفية ننقل بعضاً منها هنا تتميماً للفائدة وبغاية الاختصار والإيجاز:

١ـ طريقة الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (توفى سنة ١٥٠ هـ)

نقل الفقيه الحنفي الحصفكي (صاحب كتاب الدر المختار) أن أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى قال: "أنا أخذت التصوف من الشبلي وهو من السري السقطي وهو من معروف الكرخي وهو من داود الطائي، وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة رضي الله عنه وكل منهما أثنى عليه وأقر بفضله".

يقول ابن عابدين في (حاشيته على الدر المختار) عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى: "وهو فارس هذا الميدان، فإنه بنى علم الحقيقة على العلم والعمل وتصفية النفس وقد وصفه بذلك عامة السلف".

وقال الأستاذ عبد القادر عيسى: "لعلك تستغرب عندما تسمع أن الإمام الكبير أبا حنيفة النعمان رحمه الله تعالى، يعطي الطريقة لأمثال هؤلاء الأكابر من الأولياء والصالحين من الصوفية. فهل تأسى الفقهاء بهذا الإمام فساروا على نهجه وجمعوا بين الشريعة والحقيقة لينفع الله بعلمهم كما نفع بإمامهم الأعظم الإمام الكبير معدن التقوى والورع أبي حنيفة رحمه الله تعالى" أ هـ.

٢ـ الإمام مالك بن أنس (توفى سنة ١٧٩ هـ)

يقول الإمام مالك رحمه الله تعالى:ـ

"من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق". (نقلاً عن حاشية العلامة العدوي، وشرح (عين العلم، للملا علي القاري).

٣ـ الإمام الشافعي (توفى سنة ٢٠٤ هـ)

ذكر الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه: (تأييد الحقيقة العلية) أن الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى قال: "صحبت الصوفية فلم أستفد منهم سوى حرفين، وفي رواية سوى ثلاث كلمات قولهم: "الوقت كالسيف إن لم

تقطعه قطعك" وقولهم: "نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل" وقولهم: "العدم عصمة" أي: الفقر عصمة للمرء من الترف المفضي للإسراف أو الإنحراف.

٤ـ الإمام أحمد بن حنبل (توفى سنة ٢٤١هـ)

نقل الإمام الشيخ أمين الكردي عن الإمام أحمد في كتابه (تنوير القلوب، صـ٤٠٥) إنه كان يقول لولده عبد الله قبل مصاحبة الصوفية: "يا ولدي عليك بالحديث، وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم بالصوفية، فإنهم ربما كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه" فلما صحب (أبا حمزة البغدادي الصوفي) وعرف أحوال القوم أصبح يقول لولده: "يا ولدي، عليك بمجالسة هؤلاء القوم، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد، وعلو الهمة".

ونقل العلامة محمد السفاريني الحنبلي رحمه الله تعالى عن (إبراهيم بن عبد الله القلانسي) رحمه الله تعالى أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى قال عن الصوفية: "لا أعلم أقواماً أفضل منهم فقيل له: إنهم يستمعون ويتواجدون قال: دعوهم يفرحوا مع الله ساعة، قيل: فمنهم من يموت، ومنهم من يغشى عليه قال: "وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون". راجع: غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ج١ صـ١٢٠

أبو الحسن الندوى:

يقول أبو الحسن (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ومعتمد ندوة العلماء بالهند) في بحث: (الصوفية في الهند وتأثيرهم في المجتمع) من كتابه: (المسلمون في الهند): "إن هؤلاء الصوفية كانوا يبايعون الناس علي التوحيد والإخلاص واتباع السنة والتوبة عن المعاصي وطاعة الله ورسوله ويحذرون من الفحشاء والمنكر والأخلاق السيئة والظلم والقسوة ويرغبونهم في التحلي بالأخلاق الحسنة والتخلي عن الرذائل: مثل الكبر والحسد والبغضاء والظلم وحب الجاه مع تزكية النفس وإصلاحها. ويعلمونهم ذكر الله والنصح لعباده

والقناعة والإيثار وعلاوة علي هذه البيعة التي كانت رمز الصلة العميقة بين الشيخ ومريديه، إنهم كانوا يعظون الناس دائماً ويحاولون أن يلهبوا فيهم عاطفة الحب لله سبحانه وتعالي والحنين إلي رضاه، ورغبة شديدة لإصلاح النفس وتغيير الحال ...".

واختتم الأستاذ الندوي بحثه قائلا: "لقد كانت هناك بجهود هؤلاء الصوفية أشجار كثيرة وارفة الظلال في مئات من بلاد الهند استراحت في ظلها القوافل التائهة، والمسافرون المتعبون، ورجعوا بنشاط جديد وحياة جديدة ...".

الشاعر الفيلسوف: محمد إقبال:

تحدث الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه (روائع إقبال) عند زيارته للشاعر،.. فبعد أن أسهب الشاعر إقبال في الحديث عن التصوف ورجاله، والتجديد الإسلامي في الهند بواسطتهم، قال للأستاذ أبي الحسن الندوي: "إنني أقول دائماً لولا وجودهم وجهادهم لابتلعت الهند وحضارتها وفلسفتها الإسلام ..." . وراجع للشيخ السيد الندوي كتابه القيم عن التصوف والصوفية بعنوان (ربانية لا رهبانية).

رأي علماء الإسلام المعاصرين وفتاواهم في التصوف والصوفية:

هذه آراء العلماء المعاصرين ومَن هم أصحاب الرأي والفتوى (في التصوف والصوفية) كان السيد يوسف قد استفتاهم حول الموضوع بأسئلة خطية وجهها إليهم ثم تفضلوا بالإجابة الوافية عليها وهم:-

١ - سماحة الإمام الأكبر الشيخ / محمد السيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف (وكان حينئذ مفتي الديار المصرية).

٢ - سماحة الشيخ / أحمد كفتارو المفتي العام للجمهورية العربية السورية

٣ - سماحة الشيخ / محمد بن أحمد حسن الخزرجي - وزير الأوقاف والشئون الإسلامية السابق بدولة الإمارات المتحدة - ومن كبار علمائها

٤ ـ سماحة الشيخ / نوح سلمان مفتي القوات المسلحة الأردنية

٥ ـ سماحة المرحوم الشيخ / حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية

٦ ـ سماحة المرحوم الشيخ / السيد محمد عبد الرحمن آل أبو بكر بن سالم ـ مفتي جمهورية جزر القمر .

وتوجهت (السيد يوسف) إليهم بالأسئلة الآتية:-

١ ـ ما مدي مشروعية التصوف ؟

٢ ـ ما رأي العلماء في السادة الصوفية الأوائل أمثال الجنيد البغدادي، وبشر بن الحارث، والحارث المحاسبي، ومعروف الكرخي، والشيخ عبد القادر الجيلاني، والسيد أحمد الرفاعي وغيرهم من أعلام الأمة ؟

٣ ـ ما حكم من يكفر جميع الصوفية أو ينسبهم إلي الشرك ؟

٤ ـ هل للصوفية عقيدة خاصة تخالف وتجفو عقيدة أهل السنة والجماعة ؟

٥ ـ ما حكم التشهير بهم ؟

فتلقيت الردود التالية من كل منهم ؛ جزاهم الله عنا وعن الإسلام والحق خير الجزاء :

رد دار الإفتاء المصرية:

التصوف الحقيقي معناه : الحرص التام علي الإكثار من ذكر الله تعالي ـ وعلي أداء التكاليف التي كلف ـ سبحانه ـ بها عباده، وعلي تصفية الروح والقلب من كل ما يتنافى مع آداب الإسلام وعقائده، مع التقيد التام بقوله تعالي

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة القصص، الآية ٧٧]

ورأي العلماء في السادة الصوفية الأوائل أمثال : الجنيد البغدادي، وبشر بن الحارث،

والحارث المحاسبي . . . وغيرهم .

أنهم كما قرأنا عنهم ـ رجال صالحون ، حافظوا علي فرائض الله تعالي ، وعلي التحلي بمكارم الأخلاق وبذلوا ما بذلوا من جهود في سبيل نشر دعوة الحق وتذكير الناس بما يجب عليهم نحو خالقهم ، ونحو أنفسهم ونحو غيرهم ، وبنوا حياتهم علي قولة تعالي : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [سورة المائدة ٢] وعلي قوله تعالي سبحانه وتعالي :﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [سورة الرعد ٢٨] .

وقد عاشوا حياتهم لنشر العلم والمعرفة ، علي حسب فهمهم واجتهادهم .

وحكم من يكفر جميع الصوفية أو ينسبهم إلي الشرك ، أنه إنسان مخطئ وآثم لأن تكفير من ينطق بالشهادتين ومن لم ينكر أمراً ثبت من الدين بالضرورة لا يجوز ولا يليق بعاقل وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله تعالي عنهما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه" وفي الصحيحين أيضا عن أبي ذر رضي الله تعالي عنه أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ يقول : "من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه" ,أي رجع عليه وفي حديث ثالث : "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" .

لا نعرف للصوفية الحقيقية التي هي بمعني تطهير النفس وتزكيتها عقيدة خاصة تخالف وتجافي عقيدة أهل السنة والجماعة ، لأن الدعوة إلي تطهير النفس وتزكيتها ، من أركان عقيدة أهل السنة والجماعة ، وإذا وجد أناس ينسبون أنفسهم إلي الصوفية ولكنهم يقولون أو يفعلون ما يخالف عقيدة الإسلام وآدابه فالصوفية الحقيقية برئيه منهم وهم برءاء منها . لا يصح التشهير بالمنتسبين إلي الطرق الصوفية الذين يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله

واليوم الآخر والذين يحرصون علي الاقتداء بالنبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ في قوله وفعله، والذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والذين يجتمعون علي طاعة الله تعالي وذكره.

ومن يشهر بمن هؤلاء حالهم فانه يكون آثما، ومرتكباً لجرم عظيم يستحق عليه العقاب من الله تعالي، والشأن في المسلم الصادق أنه يبني حياته مع أخيه المسلم علي حسن الظن لا علي سوء الظن.

وصدق الله إذ يقول: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الحجرات الآية ١٢].

كما أن من شأن المسلم الصادق أيضا أن ينصح غيره بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادله فيما يختلفان فيه من أمور، بالطريقة المهذبة والتي ترضي الله تعالي، هذا وبالله التوفيق.

مفتي جمهورية مصر العربية

د. محمد طنطاوي إمام الأزهر الشريف حالياً

المفتي العام للجمهورية العربية السورية

التصوف: منهج يستهدف التمسك بالقرآن الكريم قولاً وعملاً وخلقاً وسلوكاً قويماً مستهدياً بسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ ومتأسياً بشريف أخلاقه الكريمة. ولابد من معلم حاز إجازة في التربية والسلوك ليدل المتعلم علي أمرين هامين جداً:

الأول: تزكية النفس المشار إليها بقوله تعالي: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾.

وكثرة ذكر الله تعالي المشار إليه بقوله تعالي: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ ﴾.

الثاني: معرفة الإحسان المشار إلية بقول النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

"أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" والذي دعا إليه القرآن بقوله تعالي:
﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ﴾ .

كما أن التصوف هو اصطلاح نشأ في عصر المصطلحات حين أصبح كل فن وعلم له مصطلحات خاصة كاللغة العربية وقواعد النحو والفرائض وسائر العلوم والفنون إلي عصرنا الحاضر تعرف بمصطلحات خاصة تمهيداً لدراسة أي علم.

وكما يوجد في كل حرفةٍ وكل علم وفن من لا يحسن الوصول إلي الهدف الأسمى ويعتبر دخيلاً علي العلم أو الفن المقصود إتقانه؛ فيأتي الفقيه في ذلك العلم أو الفن فيجلي الحقيقية وينفي الدخلاء والجهلاء ليميز الخبيث من الطيب.

كذلك التصوف، منهم من يعاديه ومنهم من يطعن فيه عن طريق المزورين له أو الدخلاء الجهلاء بحقيقته الذين شوهوه بجهلهم به علماً وعملاً وسلوكاً.

أما التصوف بحقيقته وجوهره فسيبقى مزداناً بالثناء عليه ممن علمه وعلم رجاله الصادقين في حقيقة العلم، ولا يهاجمه إلا فئتان :-

● فئة لا تعمله وتجهل حقيقة العلم، وتجهل علماءه والعارفين به.

● وفئة تهاجم الدخلاء وما حشوا به أفكار العامة من أمور ومن أعمال وسلوك وبدع لا يقرها الشرع الشريف، ولا الفكر الإسلامي الصحي، أو ما دسه المغرضون الحاسدون في كتب التصوف قبل أن تظهر المطابع حيث كانت المؤلفات تكتب باليد (أي وينسخ منها باليد كذلك).

أما آثار التصوف الحقيقي فقد استبان نهجها القويم وظهر أثرها في كثير من الفتوحات الإسلامية المجيدة، وفي آفاق مختلفة من شعوب العالم.

تلك التربية السلوكية الأخلاقية عرف رجالاتها بمواقفهم البطولية في ميدان جهاد أعداء الإسلام، كما عرفت آثار التصوف بمعرفة سلوك وأخلاق هؤلاء الصوفية المتحققين بمعرفة الله

ومحبته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ومن الدعاة ممن اصطفي الله وأخرج من النماذج من الأبناء الأبرار أبناء الإسلام الحقيقيين عبر الأجيال.

والتاريخ أكبر شاهد علي هذه الآثار الحميدة، فكان أهل التصوف الحقيقي السراج المنير في أخلاقهم وأعمالهم وسلوكهم ومعاملتهم للناس: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ (سورة الأحقاف ١٩).

إذا نسب قول لأحد، فالمرجع لا كلامه ولا قوله، ولكن المرجع هو الكتاب والسنة، وقد يكون ما نسب إليهم مدسوساً عليهم، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد". رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد".

وبذلك يتبين أن المنهج هو القرآن الكريم والسنة المشرفة وعلي ضوء ذلك يكون كل من سلك هذا المسلك فقد تربي علي حقيقة معرفة الله ومحبته وتطبيق كتاب الله والتأسي برسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - وأخلاقه المشار إليها بالقرآن الكريم، فذلك ما عليه حقيقة أهل السنة والجماعة.

وأما التشهير والتكفير لمن ذكر فإنه يدخل تحت عنوان (سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر) نسأل الله تعالي أن يجمع كلمة المسلمين علي كتاب الله وسنته وما كان عليه سلفنا الصالح وأن لا نحكم علي موضوع أو مبلغ خبر حتى نتحققه ونتيقنه، كما قال الله تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (سورة الحجرات ٦).

أما قولكم ما رأي العلماء في السادة الصوفية الأوائل أمثال: (الجنيد البغدادي، وبشر بن الحارث، والحارث المحاسبي، ومعروف الكرخي، والشيخ عبد القادر الجيلاني، والسيد أحمد الرفاعي) وغيرهم من أعلام الأئمة فمن المعلوم أن آثارهم تدل عليهم وقد قيل:

تلك آثارنـا تدل علينـا . . انظروا بعدنـا إلي الآثـار

وكما ذكرنا آنفاً فقد نُشر الإسلام علي أيديهم وعلي أيدي أتباعهم في مشارق الأرض ومغاربها ولا يحاربهم ليلا ونهاراً إلا دعاة التبشير وعملاء الاستعمار، ولا يغمط حقهم أو يقصر في حقهم والثناء عليهم إلا من لم يدرس تاريخ الدعاة ولم يطلع علي أعمالهم وآثارهم. وقد أوضح (الشيخ أبو الحسن الندوي) رئيس ندوة العلماء في الهند وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق في كتابه الحديث (رجال الفكر والدعوة في الإسلام) نبذة يسيرة عن مسعاهم الخيِّر وآثارهم فقال في صفحة ٣٤٩ عنهم تحت عنوان (دعاة الإسلام ومشاعل الإيمان): "كان لهؤلاء فضل كثير لنشر الإسلام في الأمصار البعيدة التي لم تغزها جيوش المسلمين أو لم تستطع إخضاعها للحكم الإسلامي، وانتشر بهم الإسلام في أفريقيا السوداء وفي أندونيسيا وجزر المحيط الهندي وفي الصين وفي الهند، وفي سيبيريا وإلي شواطئ البحر المتجمد الشمالي". ويقول في هذا الكتاب أيضا: "لما فتح التتار العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري وأثخنوه جراحاً وقتلاً ولم يتركوا فيه إلا روحاً ضعيفة ونفساً خافتاً، وفل سيف الجهاد والمقاومة فأصبح لا يؤثر ولا يعمل وأغمده المسلمون يأساً وقنوطاً، وآمن الناس بأن التتار لا يمكن إخضاعهم، وأن العالم الإسلامي قد كتب عليه أن يعيش تحت حكم هؤلاء الهمج وأن الإسلام انتهي ولا مستقبل له.

هنا قام هؤلاء الدعاة المخلصون الذي لا يزال تاريخ الدعوة والإصلاح - علي إحصائه واستقصائه - يجهل كثيراً منهم قاموا يتسربون في هؤلاء الطغاة من التتار يفتحون قلوبهم للإسلام حتى تفتحت له وأحبته وصاروا يدخلون في دين الله أفواجا، ولم يمض علي زحفهم علي العالم الإسلامي وإذلالهم له كثير من الزمان حتى أسلم جلهم أو كلهم وصاروا من حمله الإسلام وحمله لوائه ورايته وكان منهم فقهاء وزهاد ومجاهدون.

أما رأي العلماء في السادة الصوفية الأوائل فنلخص طرفا منه:-

أبو القاسم الجنيد بن محمد ذو الجناحين وإمام الطائفتين: (الفقهاء والصوفية) كان فريد زمانه ومن أعظم فقهاء الشريعة وأكابر أقطاب الحقيقة، تفقه علي أبي ثور. وتصوف علي خاله السري السقطي، قال (الإمام السبكي) في جمع الجوامع: "ونري أن طريقة الشيخ الجنيد وصحبه طريق قوم مستقيمين لا اعوجاج فيه لكونه جامعاً بين الأحكام الشريعة والأخلاق المصفية للقلوب من أعراض النفوس الأمارة بالسوء". ومن كلام الإمام الجنيد قوله: "علمنا ومذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة". وقال أيضا: "الطريق كلها مسدودة إلا علي من اقتفي أثر الرسول عليه الصلاة والسلام".

وقال عبد الله بن خفيف: "اقتدوا بخمسة من شيوخنا الباقين وعد منهم (الحارث بن أسد المحاسبي والجنيد بن محمد) لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق، قال شيخ الإسلام زكريا في شرحه: "أي جمعوا بين الشريعة والحقيقة ومن جمع بينهما كلم الناس بما تقتضيه أحوالهم".

وجاء في كتاب (حليلة الأولياء وطبقات الأصفياء) للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (الجنيد بن محمد الجنيد): "المربي بفنون العلم، المؤيد بعيون الحلم، المنور بخالص الإيقان وثابت الإيمان العالم بمودع الكتاب، والعامل بحكم الخطاب، الموافق فيه للبيان والصواب، كان كلامه بالنصوص مربوطاً، وبيانه بالأدلة مبسوطاً، حيث فاق أشكاله بالبيان الشافي واعتناقه للمنهج الكافي ولزومه للعمل الوافي".

وجاء في كتاب(حليلة الأولياء وطبقات الأصفياء) للحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله شرح أحوالهم وأقوالهم من بيان علمهم وزهدهم وتصوفهم ومواعظهم وإرشادهم المؤثرة وعباداتهم وقيامهم الليل وتهجدهم.

كما أوضح مكانه الشيخ عبد القادر الجيلاني وأعماله في الإصلاح والإرشاد ونصرته للسنة الشريفة والمؤهلات العلمية التي حاز عليها بما يستبين به الحق لكل منصف، محقق،

باحث عن الحقيقة.

أما معروف الكرخي فقد ترجم له في (حلية الأولياء) وفي (وفيات الأعيان) و (شذرات الذهب) و(سير أعلام النبلاء) وفي (طبقات الصوفية) بما فيه الكفاية.

وقال الإمام العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الفقيه الحنبلي المتوفى سنة ٧٠٣ هـ في كتابه (أحسن المحاسن) عن معروف الكرخي: "كان قد أمده الله تعالي بالاجتباء في حال الصبا".

وقال السري السقطى بحقه: "هذا الذي أنا فيه إنما هو من بركات معروف" وكان الجنيد يقول بحق عن السري السقطي: "ما رأيت أعبد لله من سري السقطي".

وكذا إذا نظرت إلي من تسأل عنهم تري في كتاب العلامة الشيخ أبي إسحق الآنف الذكر ما يسرك.

وجاء في كتاب (حليلة الأولياء وطبقات الأصفياء) للحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفي في سنة ٤٣٠ هـ نبذه عن (الحارث بن أسد المحاسبي) بين فيها أقواله وأحواله مع الله ونبذه يسيره عن مكانته أنقلها كما وردت: "كان الحارث المحاسبي لألوان الحق مشاهداً ومراقباً ولآثار الرسول ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ مساعداً ومصاحباً، وتصانيفه مدونه مسطورة، وأقواله مبوبة مشهورة، وأحواله مصححة مذكورة، كان في علم الأصول راسخاً وراجحاً وعن الخوض في الفضول جافيا وجانحا، وللمخالفين الزائفين قامعاً ناطحاً وللمريدين والمنيبين قابلاً وناصحاً".

ومن أقواله: "العلم يورث المخالفة، والزهد يورث الراحة، والمعرفة تورث الإنابة. من صحح باطنه بالإخلاص والمراقبة زين ظاهرة بالمجاهدة واتباع السنة" لقولة تعالي: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(سورة العنكبوت ٦٩).

ومن أقوال الجنيد: "علمنا مضبوط بالكتاب والسنة، ومن لم يحفظ القرآن ولم يكتب

الحديث ولم يتفقه لا يقتدي به".

وجاء في كتاب الحلية المذكور: "أبو نصر بشر بن الحارث الحافي، من حياه الحق بجزيل الفواتح وحماه عن وبيل الفوائح".

ومن أقواله: "لقي حكيمٌ حكيماً فقال أحدهما لصاحبه: لا يراك الله عندما نهاك ويفقدك عندما أمرك". أقول لو رجعنا إلي أقوالهم وأحوالهم مع الله لرأينا العجب العجاب وفي أقوالهم الروح والريحان والكثير الطيب ما يشرح الصدور.

أما الشيخ (الشيخ عبد القادر الجيلاني) قال بحقه شهاب الدين السهروردي: "الشيخ عبد القادر سلطان الطريق".

وقال عبد الله القرشي: "الشيخ عبد القادر سيد أهل زمانه عارفين وأولياء وعلماء ومشايخ".

وقال الشيخ أحمد الرفاعي عنه: "بحر الشريعة عن يمين الشيخ عبد القادر وبحر الحقيقية عن يساره أيهما شاء أعترف".

وبالإجماع فالشيخ عبد القادر الجيلاني كان يجلس في مجلسه الألوف وكانت تكتب في مجلسه ما يقول أربعمائة محبرة. لقي أكابر الشيوخ وتلقي عنهم العلوم الشريعة، وأعطاه الله المواهب وأوقع له القبول والهيبة وأظهر الحكمة من قلبه علي لسانه، وقصده الطلبة من العلماء والصلحاء، وانتهت إلية تربية المريدين بالعراق وسلمت إلية أزمة المعارف ولقب بإمام الفريقين وموضح الطريقتين وتتلمذ له خلق كثير.

وقال له الشيخ العارف بالله يوسف الهمذاني: "يا عبد القادر، تكلم علي الناس حفظت الفقه وأصوله ومسائل الخلاف والنحو واللغة وتفسير القرآن، فكيف لا يصح لك أن تتكلم، اصعد علي الكرسي فإني رأيت فيك عذقاً سيصير نخلة".

وبالإجماع فالشيخ الإمام دليل الطريقة وترجمان الحقيقة أستاذ الشيوخ، قدوة العارفين وعمدة السالكين وحصلت له المواهب وصار شيخ زمانه بلا نزاع ولا دفاع وانتهت إلية

الرياسة في تربية المريدين يكفي في معرفته ـ كتاب العوارف ـ المشتمل علي مكنونات المعارف ومصونات المحاسن واللطائف المشتملة علي درر المعارف ويواقيت الحكم وما به من حياة القلوب وشفائها من السقم للشيخ شهاب الدين أبي السهروردى (ص ٥٧٠).

أما الشيخ (أحمد الرفاعي) ولادته سنة ٥٠٠ هـ إلي وفاته سنة ٥٧٨ هـ جاء في كتاب شرح العينية لناظمها (عبد الله بن علوي الحداد باعلوى) تأليف (السيد الشريف أحمد بن زين باعلوي) في ترجمته ما يلي: "تاج العارفين شيخ الشيوخ صدر المقربين قطب الأولياء وإمام الأصفياء أحمد أبو العباس بن أبي الحسن الرفاعي".

وما قاله اليافعي عفيف الدين بحقه: "والذي أدين الله به أن السيد أحمد بن الرفاعي الشريف الفاطمي الحسيني كان جبلاً راسخاً ووليًّا عظيماً وبحراً من بحار السنة عجاجاً".

وقال بتقديمه وتقدمه رجال عصره كافة ومشي أكابر من قادة عصره تحت لواء إرشاده وانتهي إليه التواضع ومكارم الأخلاق وحسن التأسي والاتباع للنبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

(وللإمام السيوطي) بيان واضح عن رفعه شأنه، وبالإجماع فالشيخ أحمد الرفاعي ممن عرف قدره الحفاظ والأعيان، وانتشرت طريقته وأحرز قصب السبق، وكان جبلاً راسخاً في الاستقامة علي الشريعة وفي التربية وتعليم الكتاب والحكمة وتزكية النفوس.

وقد نفع الله علي يديه خلقاً لا يحصيهم إلا الله وكان لخلفائه وتلاميذه فضل كبير في نشر الإسلام.

ومع ذلك فسير هؤلاء الذين تسأل عنهم وأمثالهم مبسوطة في الكتب المطولة مثل كتاب: (البداية والنهاية) لابن كثير، وكتاب (حلية الأولياء) وكتاب (طبقات الصوفية) لأبي عبد الرحمن السلمي، وكتابي (طبقات الشعراني وقلائد الجواهر) وفي كتاب (العبودية) لابن تيميه وفي كثير من كتب التراجم، وفي كثير من الكتب الحديثة أوسعت البحث في مختلف

نواحي حياتهم.

وما أجمل البحث عنهم بالتزام المعرفة بآثارهم ونتاج أعمالهم وشد الرحال للأقطار التي عمرت بهم، وغني عن التعريف وجوب الإشادة بهؤلاء الأفذاذ الذين ملأوا الدنيا بأعمالهم النيرة وبمفاخر مساعيهم الحميدة في لواء الدعوة إلي الله وكانوا الأئمة الأعلام في التزامهم شرع الله جهاداً في سبيله ودفاعاً عن دينه.

والله الموفق ،،،

مفتي ديار الجمهورية العربية السورية

الشيخ / أحمد كفتارو

وزارة الشئون السلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة:

أولاً: لابد من معرفة التصوف لغةً واصطلاحا ومن خلال أربابه وأساتذته: ورد في (الرسالة) للإمام العالم أبي القاسم القشيري قوله: "قال الأستاذ: "الصفاء محمود بكل لسان وضده الكدورة وهي مذمومة"، وعن أبي جحيفة قال خرج رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - متغير اللون فقال: "ذهب صفو الدنيا وبقي الكدر فالموت اليوم تحفة لكل مسلم".

قال الأستاذ: "هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفي وللجماعة صوفية ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفة، وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس والأظهر فيه أنه كاللقب، فأما قول من قال: أنه من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص، فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف، ومن قال أنهم منسوبون إلى أصحاب الصفة في صفة مسجد رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - فالنسبة إلى الصفة لا تجئ على نحو الصوفي.

ومن قال إنه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة. ثم إن هذه

الصفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ، أو استحقاق اشتقاق.

وقد تكلم الكثيرون في التصوف ما معناه؟ وفي الصوفي من هو؟ فكل عبر بما وقع له واستقصاء جميعه يخرجنا عن المقصود وسنذكر بعض مقالتهم فيه على التلويح، وكما قال حجة الإسلام الإمام الغزالي في (مقصده الأسني): "ولقد نبهت بالرمز والإيماء إن كنت من أهله، وأما أنت أيها الأخ الكريم المقصود بالشرح فلا أظنك إلا مستبصراً بسر الله في القدر مستغنياً عن هذه التحويمات والتنبيهات".

سئل أبو محمد الجريري المتوفي سنة ٣١١ هـ عن التصوف فقال: "الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني".

وقال محمد بن علي القصاب: "التصوف أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام".

وقال معروف الكرخي: "هم أهل بيت واحد لا يدخل فيهم غيرهم، والصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح".

ويقول أبو سعيد الخراز المتوفى سنة ٢٦٨ هـ بعد ما سئل عن الصوفي: "من صفَّي ربُه قلبَه فامتلأ قلبه نوراً، ومن دخل في عين اللذة بذكر الله".

ويقول جعفر الخلدي المتوفى في سنة ٣٤٨ هـ: "التصوف طرح النفس في العبودية والخروج من البشرية والنظر إلي الحق بالكلية".

سئل الشبلي عن التصوف فقال: "بدؤه معرفة الله ونهايته توحيده" ويقول الغزالي في كتابه الخالد (إحياء علوم الدين) المتوفى سنة ٥٠٥ هـ: "الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة علي الله تعالي ومهما حصل ذلك كان الله المتولي لقلب عبده المتكفل له بتنويره بأنوار العلم، وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن

وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية فإذا ما حصل ذلك كانت المشاهدة".

حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخل حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : "إن الله عز وجل قال: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته".

وفي هذا الحديث تهديد لأن من حاربه الله أهلكه، قال الفكهاني: "وهو من المجاز البليغ لأن من كره من أحب الله؛ خالف الله ومن خالف الله عانده ومن عانده أهلكه، وإذا ثبت هذا في جانب المعاداة ثبت ضده في جانب الموالاه فمن والى أولياء الله؛ أكرمه الله".

وفي حديث أنس: "ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً". وهو مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها ولذا وقع في رواية: "فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي".

وعن أبي عثمان الحبري أحد أئمة الصوفية مما أسنده عنه البيهقي في الزهد معنى الحديث: "كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي".

وفي حديث حذيفة عن الطبراني: "ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة".

يقول (القسطلاني) في شرحه للصحيح: "ومناسبة الحديث للترجمة أي باب التواضع

تستفاد من لازم قوله: "من عادي لي ولياً" لأنه يقتضي الزجر عن معاداة الأولياء المستلزم لموالاتهم، وموالاة جميع الأولياء لا تأتي إلا بغاية التواضع إذ منهم الأشعث الأغبر الذي لا يؤبه له. أو أن التقرب بالنوافل لا يكون إلا بغاية التواضع لله والتذلل له تعالى.

الرأي في السادة الصوفية:

وأما عن الرأي في السادة الصوفية فيكفي الوقوف على سلوكهم ومعرفة أحوالهم من خلال طبقاتهم وتراجمهم وأنهم جمعوا بين الشريعة الحقيقية إذ يقول ابن الملقن في (طبقاته): "فهذه جملة من طبقات الأعلام وأوتاد الأقطاب في كل قطر وأوان جمعتهم لأهتدي بمآثرهم وأقتفي بآثارهم؛ رجاء أن أنظم في سلكهم فالمرء مع أحب، وأحيا بذكرهم ويزول عني النصب".

وحينما ذكر الجنيد قال: "أبو القاسم شيخ وقته ونسيج وحده أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه ببغداد صحب جماعة من المشايخ ودرس الفقه على (أبي ثور) وكان يفتي في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة ومن أقواله: "علامة إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه".

وقوله: "من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر لأن علمنا مقيدٌ بالكتاب والسنة" وقال: "من طلب عزاً بباطل أورثه الله ذلاً بحق".

وقال: "الأدب أدبان: أدب السر وأدب العلانية، فالأول طهارة القلب من العيوب، والعلانية حفظ الجوارح من الذنوب".

وفي ذكر (بشر الحافي) يقول: "أحد رجال الطريقة ومعدن الحقيقة مثل الصلحاء وأعيان الورعاء". مناقبه جمة أفردها ابن الجوزي بالتأليف ومن أقواله: "لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوك وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك".

وقال: "إن العبد إذا قصر في الطاعة سلب ما يؤنسه".

أما (معروف الكرخي) "فهو أحد السادات مجاب الدعوة وقبره ظاهر يتبرك به وأهل بغداد يستسقون به".

قال أبو عبد الرحمن الزهري: "قبره معروف لقضاء الحوائج" ومن كلامه: "إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الفترة والكسل".

وقال (السري السقطي) سألت معروفاً عن الطائعين لله بأي شيء قدروا على الطاعة لله قال: "بخروج الدنيا من قلوبهم ولو كانت في قلوبهم ما صحت لهم سجدة".

أما (السيد أحمد الرفاعي) فهو أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي الرفاعي نسبة إلى جده السابع الحسن الأصغر الذي كان يلقب برفاعة والذي ينتهي نسبه إلى (علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) أستاذ الطائفة المشهور كان حقه التقديم فإنه أوحد وقته حالاً وصلاحاً فقيهاً شافعياً.

ومن كلامه: "من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه والأنس بالخلق انقطاع عن الحق والأدب سنة الفقراء ووراثة الأغنياء".

وسئل عن الفتوة فقال: "هي الصفح من عثرات الإخوان وألا ترى لنفسك فضلاً على غيرك".

وهكذا نعلم أن التصوف له ظاهر وباطن، فظاهره استعمال الأدب مع الخلق بالأخلاق الحسنة معهم، وباطنه منازلة الأحوال والمقامات مع الحق، فالظاهر علامة الباطن، والباطن حقيقة الظاهر ألا ترى أن النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ لما نظر إلى المصلي وهو يعبث قال: "لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه" ونختم بما قال (أبو نصر السراج): "أدب أهل الدنيا بالفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم والتاريخ والشعر، وأدب أهل الدين معرفة

العلم به ورياضة النفس وتأديب الجوارح وتهذيب الطباع وحفظ الحدود وترك الشهوات والمسارعة إلى الخيرات، وأدب أهل الخصوصية من أهل الدين حفظ القلوب ومراعاة الأسرار واستواء السر والعلانية".

والله ولي التوفيق ...

وزير الشئون الإسلامية والأوقاف

دولة الإمارات العربية المتحدة

الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الخزرجي

القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية

مديرية الإفتاء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من نوح علي سليمان إلى أخيه في الله السيد يوسف بن السيد هاشم بن السيد أحمد الرفاعي حفظه الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد :-

وصلتني رسالتكم الكريمة التي تسألني فيها عن التصوف والصوفية. وقبل أن أجيب عليها أبين للأخ الكريم أنني لست "علامة" كما ظننتني بل طالب علم، ولا أقول هذا تواضعاً بل هي الحقيقة أحب بيانها حتى تكون على بينة من الأمر، وكلمة "علامة" كبيرة عليّ جداً.

- وأما الصوفية فإن مثلي لا يسأل عن مثلهم ففيهم أعلام الأمة المشهود لهم بالخير والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله، ونحن في زمن الفتن التي يبيع فيها الإنسان دينه بعرض من الدنيا قليل، ونسأل الله حسن الختام، ولكن نزولاً عند رغبتكم أستعين بالله وأذكر لمعاليكم ما أعتقده في الموضوع.

- أما مدى مشروعية التصوف: فيجب أن نحدد أولاً معنى التصوف: وقد عرفه بعض

علمائه بأنه : "العمل بالعلم وقال لو أن الفقهاء عملوا بعلمهم لكفونا" .

وعرفه بعضهم بأنه : "قلة الأخلاق الذميمة وغرس الأخلاق الحميدة ، وهو ما يسمى بالتخلية والتحلية" وعرفه بعضهم بأنه : "الأخلاق فمن زاد في الأخلاق زاد في التصوف" فهو بهذا أسلوب تربوي فيه تطبيق الأحكام الشرعية الظاهرة والباطنة ، والأساليب التربوية تختلف في الطريقة والمقصود واحد ، وهذا ما نجده في كتبهم ، فإذا فهمناه بهذه المعاني ؛ لا يشك مسلم بأنه خير وبركة وعمل يقتضيه الإسلام . ولا يهمنا بعد ذلك من أين جاءت كلمة "تصوف" ولكن لا ننكر بأن البعض انحرف في فهم التصوف فجعل فيه حلولاً (واتحادا) وإباحية وسقوطاً للتكليف وكلاماً لا يقره الإسلام وهؤلاء يجب التبري منهم فهم ليسوا مسلمين أصلاً والدفاع عنهم دفاع عن باطل ، وتأويل كلامهم إقرار خفي بما يقولون ، وهم الذين شوهوا التصوف ولولاهم لما تجرأ أحد على ذم أهل التصوف فهم أول أعداء التصوف .

أعلام التصوف:

ـ أما الإمام الجنيد البغدادي ، والشيخ عبد القادر الجيلاني والسيد أحمد الرفاعي فهم أعلام الأمة وبمراجعة كتب التراجم يظهر ما كان لهم من شأن كريم وتقدير عظيم عند علماء الأمة المعاصرين لهم واللاحقين رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا بحبهم آمين .

حكم تكفير الصوفية:

ـ الذي يكفر كل الصوفية وينسبهم إلى الشرك متعجل في حكمه ولو تريث لفرق بين صالحهم وطالحهم وصادقهم والمدعي فيهم . فالذم جملة خطأ والمدح جملة خطأ والتفصيل أولى ، ولا أريد التفصيل في ذكر الأشخاص بل ذكر جملة العقائد . فيقال من أعتقد كذا فهو محق ومن أعتقد كذا فهو مبطل . إلا أن يكون رجلاً جاهر بالضلال فيذكر ليحذر ويذكر معه الصالح ليتبع .

عقائد الصوفية:

ـ أما عقائد أهل التصوف فهي عقائد أهل السنة والجماعة ومنهم من يسلك في فهم العقيدة مسلك الحنابلة ومن هؤلاء الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه (الغنية) ومنهم من يسلك مسلك الأشاعرة ومنهم الإمام الغزالي، والحنابلة والأشاعرة والسلفية من دقق في عقائدهم وجد الأمر قريباً وهو اختلاف في طريقة التعبير عن الشيء الواحد أو وجهتا نظر لكل منهما ما يبررها، وتنزيه المولى عما لا يليق به محل اتفاق ومن أحب الخلاف نفخ في هذه المسائل فكبرها ونحن نعتقد بالجميع الخير .

حكم التشهير بالصوفية:

ـ لا يجوز التشهير بالمسلمين ولا الافتراء عليهم ولا تصديق كل ما يقال عنهم، وإذا قدمنا حسن الظن بالمسلمين اتضحت لنا الأمور وحملناها على محمل حسن وعندها يكون التشهير بأهل الكفر الصراح لكي يتجنبه الناس ويحذروا المزالق التي وقعوا فيها .

ونحن بحاجة إلى تنقية الصفوف ورصها في سبيل ذلك لابد من الاتفاق على نبذ الذين حرفوا الدين وشوهوا سمعة المسلمين وعقائدهم .

ولو توفر الإنصاف وتخلينا عن حب الظهور والعصبية بالباطل؛ لهان الأمر وأمكن الاتفاق لكن يبدوا أننا وصلنا إلى الزمن الذي قال عنه المصطفى ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : " ... إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام" .

ولا شك أن الغلو من جهة يؤدي إلى التطرف من الجهة الأخرى والله المستعان، وقد ظلم التصوف من طائفتين: الأولى طائفة الذين شوهوه بأفعالهم وشطحاتهم ودعاويهم، والثانية طائفة الذين فهموه على أنه أفعال وعقائد وشطحات أولئك المشوهين؛ فذموا كل أهل

التصوف وسبوا الصالح والطالح معاً.

ولا حول ولا قوة إلا بالله، لكن من طلب الحق بصدق هداه الله إليه...

نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نوح علي سلمان

مفتي القوات المسلحة الأردنية

مفتي الجمهورية اللبنانية:

تناول كثير من العلماء والمفكرين الحديث في التصوف والصوفية وأصل هذه النسبة كما تكلموا في منزلة بعض المتقدمين منهم والمتأخرين من الإيمان والكفر، وإتيان الصواب والخطأ في أقوالهم وأفعالهم وفي طريقهم ومدي ما هي عليه من المجافاة أو الموافقة لما عليه أهل السنة والجماعة.

وإني إذ أجيب علي أسئلتكم المطروحة، أدرك أني لن أزيد في جلاء صورتها ولا في توضيح الملابسات التي حفت أو تحف بها وأن كل ما سأقوم به هو تلبية حاجة معاصرة تتطلب العودة إلي مثل تلك المعالجات للحالات الاجتماعية والسلوكية الحديثة الشبيهة بما كان لأولئك المتصوفة من سلوك ونهج.

وقد ثبت أن لفظ "الصوفية" وما يشتق منه في المعني المستخدم فيه لم يكن متداولاً في تعابير العلماء قبيل مطلع القرن الرابع الهجري، وكان قد انتشر ظل أولئك الصالحين من العاملين ومن ذوي الرأي الحكيم والفكر السليم والرواية والدراية من الصحابة التابعين وأتباعهم ممن اقتصوا أثرهم واتبعوهم بإحسان، وكثيراً ما كانت تقع لهم الكرامات الربانية وتظهر منهم وعليهم سيما الولاية ومظاهر النصرة من الله، وليس هذا مقام سردها وبيان جلالها وروعتها.

ولم ينقل عن أحد من المؤرخين وكاتبي السير ورواتها، أنهم تصوفوا أو اتخذوا لأنفسهم صفة "الصوفية" وإن كانوا سَمَوا في سلوكهم إلي مراتب لا تداني من الخشوع لربهم والخشية منه فكثير منهم البكاءون والراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله الذين كانت تقشعر جلودهم وقلوبهم لذكر الله.

وإن إمامنا جميعاً رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وسيد الأولين والآخرين ونبراس المتقين والصالحين والسالكين، لم يعرف عنه إصراره علي شيء من تلك الأوصاف، ولا أنه اتخذ لنفسه ما اتخذه رجال التصوف من الأسماء والألقاب والصور والأشكال. اللهم إلا ما تلقب به العبادة المشروعة وإلا ما أحله الله من الملبس والمظهر والأوصاف والأسماء ولم يقل أحد من السابقين الأولين ولا أتباعهم ولا من المتأخرين أن أولئك الصوفية أعرف من الرسول ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ أو من صحبه من بعده بما يقرب إلى رضوان الله ويبعد عن سخطه أو بما يغني النفوس ويحيي القلوب من أقوال وأفعال أو من أشكال أو أساليب التعبد، ولا أنهم أحسن سلوكاً أو أهدي سبيلاً.

ـ من أجل هذا فإنا إذا شئنا تحديد مشروعية التصوف في الإسلام لم يكن بمقدورنا التغافل عن المعاني التي طرحناها من قبل، ويكون التصوف في نظرنا أسلوباً اجتهادياً من أساليب ممارسة العبادة الدينية في الإسلام، ومذهباً من مذاهب التدين وتطبيق شرع الله وتعظيم حرماته وشعائره، والتقرب إليه بالنوافل والطاعات حتى الفوز بمحبته ورضاه لا يحيد قيد شعره عما جاء في الكتاب أو عما بينه ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ بقوله وفعله لأن من يري أن طريق هؤلاء الصوفية أو النساك هو أفضل من طريق الصحابة وتابعيهم مبتدع ومخطئ، وذلك أن طريق رسول ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وصحابته من بعده هي طريق التوسط وهي الطريق المثلي التي جعل الله تعالي المؤمنين عليها وبينها ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ لأولئك الثلاثة الذين تقالُوا عبادته صلي الله عليه وسلم إلي

عبادتهم عندما عزم أولهم علي صوم الدهر كله، وثانيهم علي قيام الليل كله، وثالثهم علي العزوف عن النساء، وإذ قال لهم: "إني لأتقاكم لله وأخشاكم له، ولكني أقوم الليل وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني" ، وهي الطريق الواضحة التي ثبتها الله تعالي بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (سورة البقرة ١٤٣)

وبقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (سورة التغابن ١٦)

وقوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم" .

هذا وإن أفضل الأمم أمه محمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ لقوله تعالي:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (سورة آل عمران ١١٠).

وقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (سورة فاطر ٢٣).

وقد ثبت عن رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ قوله: "خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" .

وإن جمهور العلماء متفقون علي أن أفضل السابقين الأولين هم الخلفاء الأربعة وأن أفضلهم أبو بكر وعمر، كما اتفقت طوائف أهل السنة والجماعة علي أن أفضل الناس من أمة محمد بعد محمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ هم الخلفاء الراشدون.

هذا وإن أفضل أولياء عند الله هو أحسنهم إدراكاً واتباعاً لما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ قولاً وعملاً، ولهذا فإن كمال الواصلين إلي مقامات الولاية مستمد من اتباعهم لرسول الله وانتهالهم من معينه الصافي علماً وأدباً، وإن عدم حصول بعض الكشوف لأحدهم، أو عدم تسخير شيء من الكونيات لهم لا يزيد أو ينقص في مرتبتهم عند الله، ولا يغير من حقيقة الواقع شيئا لأن الصالح صالح حصل له الكشف أو لم يحصل،

والفاسد فاسد حصل له الكشف أو لم يحصل، وإن كان مسلماً بالسلوك عندنا أن التدين القوي والتقوى العامرة بالخشية من الله المزينة بالسلوك الحسن والشمائل الرفيعة يمهدان لكثير من ظهور الكرامات علي المتلبس بهما وذلك طبقا لقوله تعالي: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (سورة الطلاق ٢ : ٣) وقوله تعالي: ﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (سورة الأنفال ٢٩) وقوله تعالي: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ (سورة الطلاق ٤) .. الخ، ما هنالك من الآيات الكريمة يقربان إلي الله ويهبان للعبد من مظاهر رضوان الله وتكريمه في الحياة الدنيا، ما يكن له حسابه وتقديره، وحسبنا توضيحاً قوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- عن ربه في الحديث القدسي: "من عادي لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده يبطش بها ورجله التي يمشي عليها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش، وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه".

كما كان كثير من الكفار والملحدين والوثنيين الخارجين علي منهج الحق وسنن الأنبياء والمرسلين والخارجين علي عقيدة الإسلام ومناهجه الصحيحة من عرفوا في التاريخ وفي هذا العصر الحديث في الشرق والغرب يقع لهم أو يملكون أن يوقعوا إذا شاءوا بقدرات يملكونها فيصنعون الكثير من الخوارق، وعجائب التصرفات، ومع ذلك فإن هذا لا يغير من حقيقة معتقداتهم الفاسدة شيئاً، ولكن الفرق بين هؤلاء وأولئك واضح وهو أن هؤلاء تحصل لهم هذه الخوارق والعجائب بمساعدة من قوي أرواح شريرة من الشياطين وأعوانهم، وأولئك تقع لهم بفضل الله وتكريم منه.

أحب هنا أن أذكر بأن ما سلكه بعض من نسبوا أو انتسبوا إلي الصوفية من السابقين للخيرات أو المقتصدين ممن اختاروا هذا المذهب في تطبيق الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا، لم يختاروه علي أنه أفضل مما كان عند رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وعند صحابته، بل اختاروه علي أنه سلوك في الطريق ذاتها مع شيء من التصوف الاجتهادي الذي لا يسئ طلبه ولا يعدل بهم عن أصوله وحدوده.

وإن المغالاة في الزهادة والرهبنة والقول بأن السعي وراء الكسب حرام لا يحل إلا عند الضرورة لأنه ينفي التوكل أو ينقص منه (الاكتساب في الرزق المستطاب لمحمد الشيباني١٨) والانقطاع في المغارات وأعمال الصحارى، ولبس المرقعات، وكشف الرؤوس، وتغسيل الشعر وحمل الحيات، والنوم في المقابر وعند الأضرحة والصمت الدائم، ولبس الصوف والتصوف في طاعة الشيوخ وتعطيهم أحياءً وأمواتاً إلي حد منحهم بعض امتيازات الألوهية وصفاتها، والوقوف في الحلقات للذكر مع الطبول وضرب الدفوف وغيرها ليست عامة إمارات صلاح، ولا وسائل طاعة وقربي إلي الله. بل إن بعضها قد يكون خطراً علي العقيدة وسلامتها إذ يخشى أن يكون سبباً للانحراف بها عن الحق.

ـ وهكذا فإن التصوف يمكن أن يكون في حدود ما شرعه الله، وفي حدود ما جاء به رسول الله الكريم ما لم يحل حراماً أو يحرم حلالاً، وما لم يمكن فيه ابتداع لسلوك أو عبادة تتعارض مع نص أو مع ما اتفق عليه جمهور علماء المسلمين، وما دام المتصوف مستلزماً بالأركان مقيماً للشعائر محلاً للحلال ومحرماً للحرام، ومعتقداً بصورة عامة بمنهج الرسول ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وصحبه من بعده وتابعيهم ومن لحقوا بهم بإحسان، فهو مسلم مؤمن يحسن أجره ويطيب ثوابه، وربما رقي بإيمانه وسلوكه إلي درجة الصالحين والمقربين.

ـ ولا يمكننا أن نقول إن التصوف علي ما عليه المنتسبون إليه وعلي اختلاف طرقهم

مشروع علي إطلاقه، لأن فيه كما أشرنا من قبل ما يتفق مع الإسلام وما تقره شريعته وما لا يتفق، وفيه ما يرضاه وما ينكره، وقد أحسن كثير من المتصوفة بالتزامهم حدود ما أنزل الله وحدود آدابه، وغالي الكثيرون منهم أيضاً وانحرفوا وضلوا وأضلوا. ولذلك فإنه لا بد من تناول كل طريقة وكل صوفي وشيخ وما يحمل من فكر وعقيدة وتشريع وأدب، ومناقشته في ضوء الكتاب والسنة، وفي ضوء ما كان عليه السابقون الأولون من الاعتقاد والسلوك.

ـ وإن السادة الصوفية الأوائل من أمثال الجنيد البغدادي، وبشر بن الحارث، والحارث بن أسد المحاسبي، ومعروف الكرخي، وعبد القادر الجيلاني، والسيد أحمد الرفاعي، وغيرهم هم من الذين سبقوا فولجوا هذا الطريق وأخذوا أساليب المتصوفة واشتهروا بها، ومع ذلك لم يقل أحد منهم بأن لهم الحق في ابتداع ما يخرج من منهج النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وحكمه، وسنن المرسلين وسنن السابقين الأولين المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وقد روي عن الفضل بن عياض أنه فسر قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (سوره الملك ٢) أخلصه وأصوبه ذلك لأن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل. والخالص أن يكون لله وحده والصواب أن يكون علي النهج الذي بينه الله في كتابه والرسول ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ في سنته.

علي أنه من مراجعة كتب التراجم وسير الرجال التي وضعها العلماء المنصفون المتقون، لم نطلع علي ما يعاب علي أحد من هؤلاء في عقيدته أو دينه أو سلوكه وإن صاحب طبقات الأولياء، والرسالة القشيرية، وصفوة الصفوة وغيرهم استعرضوا سيرهم وأوسعوا الحديث عن صادق هدايتهم وحكيم أقوالهم وبعض ما كان لهم من كشوف وكرامات، وقد تتبعنا بالذات ما كتبه عنهم العلامة ابن تيميه وما نقله عن بعضهم في كتابه (مجموع الفتاوى وكتابه الاستقامة) لما نعرفه عنه من شدة في هذه الأمور وتمحيص في النظر فرأيناه ينقل عن

الجنيد قوله: "علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ولم يكتب الحديث لا يصلح أن يتكلم في علمنا". (مجموع الفتاوى ١١، ٥٩٥) ثم يصفه في موضع آخر بقوله: "بخلاف الجنيد فإن الاستقامة والمتابعة غالبة علية (مجموع الفتاوى ٤٩٤) ثم يثني عليه وعلي أمثاله من علماء وكبار المتصوفة في معرض نقده الشديد لابن عربي، فيصفهم بأنهم من مشايخ أهل الكتاب والسنة ويدعو لهم بالرضوان من الله ذاكراً الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم وأبا سليمان الداراني ومعروفاً الكرخي، والحفيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري والشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ عدي والشيخ أبا مدين والشيخ أبا البيان (مجموعة الفتاوى/ ٦٠٤ج١١) وينقل عن سهل بن عبد الله التستري قوله: "كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل" وقوله: "كل علم على ابتداع فإنه عذاب علي النفس وكل عمل بلا اقتداء فهو غش للنفس" (مجموعة الفتاوى/ ١١، ٥٨٥) ويتحدث عن الشيخ السيد أحمد الرفاعي فيقول: "أما كشف الرؤوس وتغسيل الشعر وحمل الحيات، فليس هذا من شعار أحد من الصالحين لا من الصحابة ولا التابعين ولا شيوخ المسلمين لا المتقدمين ولا المتأخرين ولا الشيخ أحمد الرفاعي ولا غيره وإنما ابتدع هذا بعد موت الشيخ أحمد بمدة طويلة، وابتدعته طائفة انتسبت إليه فخالفوا طريق المسلمين وخرجوا من حقائق الدين وفارقوا طرق عباد الله الصالحين" (مجموعة الفتاوى/ ٤٩٤ / ١١) ولا ينجو بعض اتباعه من حملة شديدة ربما بسبب أخطاء فادحة وقع فيها بعض من انتسبوا إلي طريقته، ثم نقل عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: "لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي علي الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف وقوفه عند الأوامر والنواهي".

وهكذا فإنه يمكننا الخلوص إلي القول بأن المذكورين الذين تسألنا عن بيان الرأي فيهم، في سلوكهم ومعتقداتهم هم من المشهود لهم أيضاً في الانصراف عن الدنيويات والزهادة فيها حباً لله وانشغالاً بآياته الربانية، علي أنه لا يجوز إطلاق الحكم علي المتصوفين جميعهم

بالكفر لمجرد أنهم متصوفون كما أنه لا يجوز إطلاق الحكم عليهم جميعاً بالصلاح والولاية لمجرد أنهم متصوفون بل ينبغي من خلال عرضها علي الكتاب والسنة، فإن وافقتها فنعمت هي السيرة والأقوال والمعتقدات وإلا فيمكن إصدار الحكم عليها وعلي صاحبها في ضوء ذلك.

ولقد قرأنا لكثير من هؤلاء وهؤلاء، وتبين لنا أن منهم من خلط عملاً صالحاً بآخر سيئ، ومنهم من انحرف، ومنهم من استقام حتى كان في سلوكه وعقيدته وقوله مثلاً رائعاً في النقاء والصفاء وحسن السيرة، فهم بشر ممن خلق الله، وعلي الناس، وأتباعهم بالذات ألا ينجرفوا وراءهم علي عمي وغير هدي، بل بعد مناقشة ومحاكمة ودراسة، وبخاصة عندما ينحرف أحدهم مع هواه، ويسقط في بعض مغريات النفس وأضاليل الشيطان فيقع في الكذب أو النفاق أو الاحتيال أو الابتزاز، ويطلب من أتباعه من المطالب ما لا يتفق مع منهج الإسلام وما يوردهم موارد الزيغ والضلال مثل: أن يتوجهوا إليه بالاستشفاع أو الاستعانة أو الدعاء كما يستغيثون بالله ويدعونه، فإن مثل هذه الأمور هي ضروب من التغرير بالناس وتضليلهم لاستغلالهم وابتزازهم يستحلون بها بعض ما حرم الله ويخرجون بها عن مناهج الأنبياء والمرسلين والصالحين من عباد الله كما أن فيها انحرافاً عن الاعتقاد السليم وسقوطاً في متاهات الزندقة أو الشرك، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يراجعون رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ ويسألونه وينصحون له ويستنصحونه، وكانوا يناقش بعضهم بعضاً ويراجع بعضهم بعضاً ولذلك فإنه يلزم من يطلع علي مثل هذه التصرفات المبادرة إلي إنكارها والتبرؤ منها ومن الداعي إليها ومن معتقداته وسلوكه ومطالبته بالتوبة عنها والعودة إلي النهج القويم، وفي حال إصراره عليها الاستعانة بأولي الأمر لوضع حد لذلك حسبما تقتضيه أحكام الشريعة الغراء، وتنبيه الغافلين إلي فساد تلك التصرفات والمعتقدات خوفاً من انخداعهم وتأثرهم بها.

وهكذا فإن التصوف سلوك ولكنه لا يجوز أن يخرج عن حدود ما جاء به الكتاب والسنة من عقيدة وشريعة وحكمة وأدب. والمتصوفة الصالحون المخلصون من أعلام هذه الأمة لا يسعهم إلا الأخذ بما أخذ به الأولون والاهتداء بهديهم، وبخاصة وهم يحملون رسالة الإسلام وينبرون لتربية الأجيال وتعليمهم وتهذيبهم وذلك ليستمر هذا الدين مناراً للقلوب والعقول يتوارثونه كابراً عن كابر حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهم على خير ما يحب ويرضى.

والله ولي التوفيق ،،،

مفتي الجمهورية اللبنانية

حسن خالد

جمهورية جزر القمر الاتحادية

دار الإفتاء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله هداية ورحمة للأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ـ أما بعد:

فهذا ما سمح بكتابته اليراع استجابة لنداء فضيلة الشيخ السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي الكويتي في الأسئلة التي وجهها إلى أصحاب السماحة والفضيلة العلماء طلباً للإدلاء بآرائهم فيها وهي كما تلي :-

تدور حملة مكثفة للتشهير بالصوفية عموماً دون التفرقة بين الصالحين منهم والمنتسبين ونحن نقدم إلى لجنتكم الموقرة الإجابة على هذه الأسئلة :-

١ - ما مدى مشروعية التصوف؟

٢ - ما رأي العلماء في السادة الصوفية الأوائل أمثال الجنيد البغدادي، وبشر بن الحارث المحاسبي، ومعروف الكرخي، والشيخ عبد القادر الجيلاني، والسيد أحمد الرفاعي وغيرهم من أعلام الأمة؟

٣- ما حكم من يكفر جميع الصوفية أو ينسبهم إلى الشرك؟

٤- هل للصوفية عقيدة خاصة تخالف وتجفو عقيدة أهل السنة والجماعة؟

٥- ما حكم التشهير بهم؟

الإجابة :-

أولاً قبل كل شئ أود أن أذكر شيئاً من كلام العلماء في تحديد معنى كلمة الصوفية ومأخذها في اللغة العربية، فقد تفننوا في ذلك فقال بعضهم: إن الكلمة مأخوذة من كلمة صوفيا وهي كلمة يونانيا معناها الحكمة، وقال آخرون إنها منسوبة إلى الصُفَّة بتشديد الفاء محل في المسجد النبوي كان منزلاً لطائفة من الصحابة انقطعوا بقلوبهم وقوالبهم لعبادة الله وهم المعنيون بقوله تعالى مخاطباً لرسوله الأعظم ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ بقوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (سورة الكهف٢٨).

والمعنى في نسبة الصوفية إلى هؤلاء أنهم كانوا أمثلة لهم في الزهد والتخفيف من متاع الحياة، وهناك قولٌ في الصوفية منسوب إلى قبيلة كانت منقطعة لخدمة الكعبة أسمها الصوفية، وقال جمع إن كلمة الصوفية مأخوذة من الصفاء والمصافاة وبهذه الآراء يعلم أن الصوفية باعتبار مأخذها ونسبتها كلمة دينية يراد بها معنى ديني، ولا يقدح في ذلك ولا يعد ابتداعاً كون الصوفية والتصوف باعتبار الاسم لم يكن في عهد الرسول ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ ولا في عهد الصحابة وعهد التابعين ما دامت عقيدتهم وأقوالهم وأعمالهم جارية وموافقة تماماً لما في الكتاب والسنة. كما لا تعد أسماء المذاهب التي لم تكن تذكر في العهود الأولى ابتداعاً في الدين كالأشاعرة والماتريدية والمذهب الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وغيرهم.

التصوف الذي يقول به الصوفية اصطلاحاً

التصوف هو إيمان صادق في عقيدة صحيحة، وعلم لما في الكتاب وما جاء في السنة المطهرة، وعبادات خالصة وأخلاق كريمة ومجاهدات ورياضات لنفوسهم، وتهذيب وتأديب لأتباعهم بالآداب الشرعية، وسلوك تطبيقي يهدي إلى (مقام الإحسان) الذي فصله النبي - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - في الحديث بقوله: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

وبهذا يتضح أن التصوف الصحيح حصيلة لاتباع ما جاء في الكتاب والسنة ويتضح أيضاً إن أئمة الصوفية هم سيدنا محمد - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - وأصحابه والتابعون ومن سار على نهجهم واقتدى بهم في العقيدة والقول والأعمال كالجنيد البغدادي وبشر بن الحارث والحارث المحاسبي ومعروف الكرخي والشيخ عبد القادر الجيلاني والسيد أحمد الرفاعي والسيد أبي الحسن الشاذلي وغيرهم من أعلام الأمة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ويتضح بهذا أيضاً الجواب عما جاء في الأسئلة (ما مدى مشروعية التصوف).

كما يظهر جلياً للمنصف أنه ليس للسادة الصوفية عقيدة تخالف وتجافي عقيدة أهل السنة والجماعة فمن تعرض لهم بالتكفير والتشهير ونسبة الشرك إليهم بلا تفرقة بين الصادقين منهم والمدعين الكاذبين والمشعوذين الماكرين فقد عرض نفسه للتهديد الشديد والوعيد الصارم الذي ورد عن الله تعالى في الحديث القدسي: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب" رواه البخاري. أعلن سبحانه وتعالى بالهلاك والدمار على من عادى أولياءه وحارب أحباءه لكونه عانده وحاربه ومن عاند الله وحاربه أهلكه لأنه الغالب عز وجل ولأنه عزيز ذو انتقام ومن سنته - جل وعلا - أن ينصر المؤمنين على أعدائهم كما قال جل وشأنه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الروم ٤٧)

وقد نوه سبحانه وتعالى بالذكر للأولياء الذين تجب موالاتهم وتحرم معاداتهم بقوله:

﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة يونس ٦٢ : ٦٤)

وقسمهم تعالى في الحديث القدسي السابق الذكر في قسمين: القسم الأول: المقتصدون وهم الذين قال فيهم: وما تقرب إلى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم، والقسم الثاني: هم السابقون المقربون وهم الذين قال فيهم: ولا يزال عبدي يقترب إلي بالنوافل أي بعد أداء ما افترضت عليه حتى أحبه وإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها إلى آخر الحديث، وفي النهي والتحذيرعن تشهير المسلم بالمسلم وسبابه قال ـ صلى الله عليه وعلى آله : "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" رواه الطبراني عن ابن مسعود. أما الكرامات وخوارق العادات ليست من لوازم الولاية ولا من الدلائل عليها وجوداً وفقداً.

هذا ونسأل الله تعالى القدير أن يحيينا ويميتنا ويبعثنا على دين الإسلام وأن يجعلنا في زمرة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ـ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

محمد بن عبد الرحمن آل الشيخ أبو بكر بن سالم

مفتي جمهورية جزر القمر الإسلامية

وبعد هذه الفتاوى التي تلجم أهل التنفير والتكفير ختم السيد يوسف كتابه بمبحثين هامين لعالمين جليلين من أكابر علماء السنة المشهود لهم:

الأول: (موقف السلف الصالح من الصوفية) كتبه ونشره الشيخ الدكتور العلامة محمد سليمان فرج كبير الوعاظ بوزارة الأوقاف الشئون الإسلامية والداعية الإسلامي المعروف في دولة الإمارات المتحدة في مجلة الوزارة المسماة: (منار الإسلام) الصادرة في أبو ظبي بتاريخ

ربيع الآخر سنة ١٤١٢ هـ الموافق أكتوبر ١٩٩١ ـ العدد الرابع السنة (١٧) .

الثاني : بحث قيم للشيخ العلامة محمد بن الصديق الغماري الحسني من كتابه (حسن التلطف في بيان وجوب سلوك التصوف علي جميع المسلمين) .

حيث يقرر أن التصوف هو الأصل الثالث من أصول الدين يجب علي الأمة القيام به لا يكتمل الدين إلا به حيث هو (مقام الإحسان) بعد مقام الإيمان ومقام الإسلام ، ويقدم لذلك ثمانية براهين دامغة .

أولا : بحث الشيخ الدكتور العلامة / محمد سليمان فرج

موقف السلف الصالح من الصوفية:

" قد يخطئ كثير من الناس في الحكم علي الصوفية ويظن أنهم طائفة خارجة على الإسلام وذلك ربما يكون بحسن نية لما يسمعه ممن لا علم لهم بحقائق الأمور ولذلك لا بد من تجلية هذا الأمر في أذهان من التبس عليهم شأنهم ، فأستعين بالله تعالي وأتبرأ إليه من حولي وقوتي قاصداً وجه الله تعالي متحرياً الحق ما استطعت إلي وجهات النظر ملتمساً العذر للباحثين عن الحقيقة في هذا الموضوع مادام قصدهم الوصول إلي الصراط المستقيم ، لأن صادق النية له أجر إذا كان متجرداً من الهوى والتعصب باحثاً عن الحقيقة مذعناً لها أينما كانت ، وأن الهدف الأساسي من هذا البحث هو جمع كلمة المسلمين ووحدتهم وإيجاد روح المحبة والتعاون بينهم حتى نتفرغ لأعدائنا ونستجمع قوتنا لتخليص (بيت المقدس) وأرضنا السليبة ومؤازرة إخواننا المسلمين في أفغانستان وفي كل مكان من أرض الله التي يذكر فيها اسمه لأن عدونا واحد ، ثم إن عقيدتنا واحدة فإلاهنا واحد وديننا واحد وقبلتنا واحدة ونبينا واحد ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وكتابنا واحد ، ولا يريد أعداؤنا منا أكثر من الخلاف وضياع الوقت في الجدال وتمزيق الأمة حتى لا ننشغل بهذه الأمور الكبيرة التي يجب علينا أن نجاهد من أجلها . وإنه من الأمور البديهية والمسلمات الثابتة التي لا اختلاف فيها أن المسلم يجب أن

يُحمل حاله علي أحسن الوجوه، وأن تلتمس له المعاذير لتبرير وجهة نظره إذا وجدنا إلي ذلك سبيلا، وخاصة إذا نفى عن نفسه الباطل وأعلن ولو بصفة إجمالية أنه يريد الحق ويؤمن به، وذلك يتجلى فيما قال ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ لأسامة ابن زيد: وقد قتل رجلاً بعد أن نطق بالشهادة: (أفلا شققت عن قلبه؟)، ولم يقبل تعليل أسامة بأنه قالها خوفاً من السيف.

وظل ـ صلى الله عليه وعلى آله ـ يعنفه ويلومه علي ذلك مع أن حالة الرجل ونطقه بالشهادة بعد أن تمكن منه أسامة بن زيد توحي بأنه قالها تقية بعد أن تمكن منه، وانتصر عليه، ولكن الإسلام يضع لنا منهجاً ربانياً قومياً ولأن نخطئ في العفو خير من أن نخطئ في العقوبة، وأنه يجب علينا أن نكل بواطن الأمور إلي الله ونحكم للمسلم بما أعلنه عن نفسه وجعله شعاره وعنوان عقيدته وليس لنا أن نحمل حاله علي شيء آخر مهما كانت الأسباب.

وهذه الأمور تنطبق علي حالة الصوفية وما يصلنا من أقوالهم وأحوالهم، فإنك لو سألت أي أحدٍ من هؤلاء القوم أو ممن ينتسب إليهم هل هناك أدني مخالفة للكتاب والسنة يعتقدها الصوفية لأجابك الجميع بشدة ويقين أنه ليس للصوفية أي ابتداع في الدين أو مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وعلى آله ـ وإجماع السلف الصالح وسيرتهم.

أتبـاع الكتـاب والسنـة:

١ـ واليك بعض أقوالهم: يقول (الإمام أبو القاسم الجنيد) الملقب بسيد الطائفة: "الطرق كلها مسدودة علي الخلق إلا علي من اقتفي آثار رسول الله صلى الله وسلم عليه وعلى آله".

وقال: "من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدي به في هذا الأمر ـ أي التصوف ـ لأن علمنا مقيد الكتاب والسنة".

٢ ـ وقال (الإمام سهل التستري): "كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء: أي بالمعصوم ـ صلى الله عليه وعلى وآله ـ فهو عيش النفس أي من هوي النفس لا يقبله الله تعالي". وسهل من

كبار أئمة الصوفية.

٣ ـ وقال (أبو العباس أحمد بن أبي الحواري) : "من عمل عملاً بلا اتباع سنة رسول الله ـ صلى الله وسلم وعلى آله ـ فباطل عمله".

٤ ـ وقال (أبو الحسن النوري) : "من رأيتموه يدعي مع الله عز وجل ما يخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربوا منه" (وأبو الحسن من أئمة الصوفية).

٥ ـ وقال (ابن عطاء الله السكندري) : "من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب ـ صلى الله عليه وعلى آله ـ في أوامره وأفعاله وأخلاقه".

٦ ـ وقال (أبو حمزة البغدادي) : لا دليل علي الطريق إلي الله إلا متابعة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وعلى آله ـ في أحواله وأقواله وأفعاله.

٧ ـ وقال (أبو القاسم النصر آباذي) عالم خراسان : "أصل التصوف ملازمه الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وترك الرخص والتأويلات".

٨ ـ وقال (حجة الإسلام أبو حامد الغزالي) عن الصوفي : "إن سالك سبيل الله قليل والمعني فيه كثير ونحن نعرفك علامتين له :

الأولي : أن تكون جميع أفعاله موزونة بميزان الشرع موقوفة علي توقيفاته إيراداً وإصداراً وإقداماً وإحجاماً إذ لا يمكن سلوك هذا السبيل إلا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها.

والثانية : لا يصل فيه إلا من واظب علي جملة من النوافل فكيف يصل إليه من أهمل الفرائض".

وقال (لإمام التستري) : "أصول طريقتنا ـ أي الصوفية ـ سبعة : التمسك بالكتاب، والاقتداء بالسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى، وتجنب المعاصي، ولزوم التوبة، وأداء الحقوق".

٩ ـ وقال (أبو حفص) أحد كبار الصوفية : "من لم يزن أفعاله وأحوله في كل وقت

بالكتاب والسنة ولم يهتم بخواطره فلا يعد في ديوان الرجال".

١٠ـ وقال (الشيخ محيي الدين بن عربي): "لا يرجو الوصول من لم يتابع الرسول ـ صلى الله عليه وعلى آله".

١١ـ ويقول (أبو يزيد البسطامي): "لو نظرتم إلي رجل أعطي من الكرامات حتى يرقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة".

١٢ـ ويقول (أبو الحسن الشاذلي): "إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك إن الله تعالي ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضها علي الكتاب والسنة".

إلي غير ذلك من الأقوال الكثيرة التي تبين أن الاستقامة علي الشريعة المطهرة هي أفضل من أي كرامة وهو ما أكده أئمة الصوفية الكرام.

أدعياء التصوف:

وبناءً علي ذلك نري أن كل ما يخالف الإسلام في شيء فلا تصح نسبته إلي الصوفية والتصوف وإنما هو من ضلالات المدعين الذين انتسبوا للتصوف زوراً وبهتانا، أو من الأمور المدسوسة علي كتبهم بقصد الطعن في هؤلاء القوم وتشويه صورتهم والتهجم عليهم كما حدث في كتب التفسير من الإسرائيليات التي تتنافى مع ما عرف عن هؤلاء المفسرين من حرص علي بيان الحق والبعد عن هذه المرويات الملفقة، وكذلك ما جاء في كتب الحديث من الأحاديث الموضوعة وقام العلماء الأجلاء ببيانها، ولذلك فإني أري أن الهوة بينا وبين المعارضين للتصوف نشأت من اقتناعهم بأن هذه الأقوال الباطلة هي من صميم آرائهم ولو أنهم وضعوا الأمور في نصابها ونظروا نظرة فاحصه مستبصرة لوجب عليهم ألا يلصقوا هذه

الأقوال الشنيعة بهؤلاء القوم ويحسنوا الظن بهم، وخاصة أنهم قد لقوا ربهم وأصبحوا بين يدي الله تعالي وأفضوا إلي ما قدموا علية.

افتراء وكذب:

وإليك بعض الأمثلة علي ذلك الدس والافتراء علي هؤلاء القوم يقول (الشيخ عبد الوهاب الشعراني) في كتابه لطائف المنن: ومما مَنّ الله تبارك وتعالي عليّ صبري علي الحَسدة والأعداء لما دسوا في كتبي كلاماً يخالف ظاهر الشريعة وذلك لما صنفت كتاب: (البحر المورود في المواثيق والعهود) وكتب علية علماء المذاهب الأربعة بمصر مؤيدين تسارع الناس لكتابته فكتبوا منه نحو أربعين نسخة من نسخته، وكتبوا لهم منها بعض كراريس ودسوا فيها عقائد زائفة. ومسائل خارقة لإجماع المسلمين وحكايات وسخريات عن جحا وابن الراوندي وسبكوا ذلك في غضون الكتاب في مواضيع كثيرة حتى كأنهم المؤلف، ثم أخذوا تلك الكراريس وأرسلوها إلي سوق الكتب في يوم السوق - وهو مجمع طلبة العلم - فنظروا في تلك الكراريس ورأوا اسمي عليها فاشتراها من لا يخشى الله تعالي ثم دار بها علي علماء جامع الأزهر؛ فأوقع ذلك فتنه كبيرة، ومكث الناس يدورون في المساجد والأسواق وبيوت الأمراء نحو سنة وانتصر لي الشيخ (نصر الدين اللقاني وشيخ الإسلام الحنبلي والشيخ شهاب الدين بن الحلبي) كل ذلك وأنا لا أشعر. فأرسل لي شخص من المحبين بالجامع الأزهر وأخبرني الخبر فأرسلت نسختي التي عليها خطوط العلماء مؤيدين لي فنظروا فيها فلم يجدوا فيها شيئاً مما دسه هؤلاء الحسدة ... الخ". وذلك في كتابه: (لطائف المنن والأخلاق) ج٢ ص١٩٠، وقد ذكر ذلك أيضاً (المؤرخ الكبير عبد الحي بن العماد الحنبلي) في كتابه (شذرات الذهب ج٨ ص٣٧٤) حيث قال: "وحسده طوائف فدسوا عليه كلمات تخالف ظاهر الشرع وعقائد زائغة ومسائل تخالف الإجماع فخذلهم الله وأظهره الله عليهم وكان مواظبا علي السنة مبالغاً في الورع ... الخ". ودسوا علي الشيخ محيي الدين بن عربي.

ومن ذلك يتبين واضحاً جلياً أن كل ما نراه في الكتب منسوباً إليهم وهو مخالف للشرع كما في (الطبقات الكبرى للشعراني) فهو من وضع الزنادقة وقد جاء في كتاب (حقائق عن التصوف للشيخ عبد القادر عيسي) ص ٥٠٨ "وكذلك دسوا علي الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله" قال (الشعراني) : "كان رضي الله عنه متقيداً بالكتاب والسنة ويقول : كل من رمي ميزان الشريعة من يده لحظة هلك . فقد دسوا عليه كما أخبرني بذلك (سيدي أبو طاهر المغربي) ثم أخرج لي نسخة الفتوحات المكية التي قابلها علي نسخة الشيخ التي بخطه في مدينة قونية فلم ير فيها شيئاً مما كنت توقفت فيه وحذفته حين اختصرت الفتوحات كما جاء في اليواقيت والجواهر ج١ ص٩.

وذكر (العلامة ابن عابدين) الفقيه الحنفي وصاحب أكبر موسوعة في الفقه الحنفي أن الراجح عنده بالسنة لما ورد في كتب الشيخ محيي الدين بن عربي مما يخالف الشرع بأنه مفترى عليه، ولذلك تجد نص عبارة (صاحب الدر المختار ج٣ ص٣٠٣ خ) "لكن الذي تيقنته أن بعض اليهود افتراها علي الشيخ قدس الله سره" . بل إن ابن تيميه نفسه يعترف بالدس علي السيدة رابعة العدوية حيث يقول : "وأما ما ذكر عن رابعة من قولها عن البيت الحرام إنه الصنم المعبود في الأرض فهو كذب علي رابعة المؤمنة التقية" . وذلك في كتاب مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيميه ج١ ص ٨٠

كلمة الصوفية وسببها:

وأما بالنسبة للتسيمة التي كثر حولها الخلاف فنكتفي بما قاله الإمام الشاطبي ناقلاً عن أبي القاسم القشيري في كتاب (الاعتصام) ج١ ص٨٩ ما يلي : "إنهم إنما اختصوا باسم التصوف انفراداً به عن أهل البدع فذكر أن المسلمين بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ لم يتسم أفاضلهم في عصرهم باسم علم سوي الصحبة إذ لا فضيلة فوقها ثم سمي من يليهم بالتابعين ورأوا هذا الاسم أشرف الأسماء، ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ثم

اختلفت الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية في الدين: الزهاد والعباد قال: ثم ظهرت البدع وادعي كل فريق أن فيهم زهاداً وعباداً فانفرد خواص أهل السنة المراعين أنفاسهم مع الله الحافظين قلوبهم عن الغفلة باسم التصوف الصوفية".

وقد ذكر الشيخ محمد الحافظ التيجاني في كتابه: (أهل الحق) قال الشيخ ابن تيميه في رسالته (الصوفية والفقراء) ص ١٨ طبع المنار سنة ١٩٢٨م عن اصطلاح القوم: "وهم يسيرون بالصوفية إلي معني الصديق وأفضل الخلق بعد الأنبياء الصديقون ولا مشاحة في الاصطلاح فمن جمع بين صفاء العلم في أعلي مرتبه من الشهود الجامع لعلم اليقين وعين اليقين وصفاء العمل في أسمي مرتبه من الإخلاص وصفاء الحال في ذروة الصدق والحب الإلهي والمحبوبية فادعه من الربانيين أو قل من الصديقين أو ادعه صوفياً فلا جناح عليك فالمسمي واحد وإن اختلفت الأسماء".

شهادة علماء الإسلام: -

وهذه شهادة علماء الأمة الإسلامية لمنهج التصوف والصوفية ونبدؤهم بالأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى فقد نقل الفقيه الحنفي الحصكفي صاحب الدار المختار: أن أبا علي الدقاق رحمه الله تعالي قال: "أنا أخذت هذه الطريقة من أبي القاسم النصرآبادي وقال أبو القاسم: أنا أخذتها من الشبلي، وهو من السري السقطي وهو من معروف الكرخي، وهو من داؤد الطائي، وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة رضي الله عنه وكل منهم أثني عليه وأقر بفضله، ثم قال: صاحب الدار معلقاً: فيا عجباً لك يا أخي! ألم يكن لك أسوه حسنة في هؤلاء السادات الكبار؟ أكانوا متهمين في هذا القرار والافتخار وهم أئمة هذه الطريقة وأرباب الشريعة والحقيقة؟ ومن بعدهم في هذا الأمر فلهم تبع، وكل ما خالف ما اعتمدوه مردود مبتدع". وذلك في كتاب (الدر المختار) ج١ ص٣٧٤ وعليه حاشية ابن عابدين.

- وقال الإمام مالك: "من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق

ومن جمع بينهما فقد تحقق" وذلك في كتاب: (الشفا للقاضي عياض) شرح ملا علي القارئ ج٥ ص ٤٠٨ وذكرها أيضا في كتابه (عين العلم زين الحلم) ج١ ص٢٣ ونقلها كذلك العلامة العدوي علي شرح الإمام أبي الحسن في الفقه المالكي ج٢ ص١٩٥ وجاء عن الإمام الشافعي قوله: "حبب إلي من دنياكم ثلاث: ترك التكلف وعشرة الخلق بالتلطف والاقتداء بطريق أهل التصوف" وذلك في كتاب: (كشف الخفا ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث علي ألسنه الناس) للعجلوني ج١ ص٣٤ وقال العلامة محمد السفاريني الحنبلي عن إبراهيم بن عبد الله بن حنبل قال عن الصوفية: "لا أعلم أقواماً أفضل منهم قيل: إنهم يستمعون ويتواجدون؟ قال دعوهم يفرحوا مع الله ساعة" وهذا في كتاب: (غذاء الألباب شرح منظومة الآداب) ج١ ص١٢٠ فهذه أقوال الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالي في بيان فضل علم التصوف ومنزلة السادة الصوفية في الإسلام.

نماذج علي سبيل المثال:

وقال المفسر الكبير فخر الدين الرازي في كتابه (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) ج٢ الباب الثامن في الأحوال الصوفية: "المتصوفة قوم يشغلون بالتفكر وتجرد النفس عن العلائق الجسمانية ويجتهدون ألا يخلو سرهم وبالهم عن ذكر الله تعالي في سائر تصرفاتهم وأعمالهم، منطبعون علي كمال الأدب مع الله تعالي، وهؤلاء هم خير فرق الآدميين". والإمام الفخر الرازي هو من تعرف الأمة مكانته العلمية وفقهه ومؤلفاته وعقيدته الإسلامية الصحيحة.

وجاء في كتاب (نور التحقيق) للشيخ حامد صقر ص٩٦: قال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالي: "قعد القوم من الصوفية علي قواعد الشريعة التي لا تنهدم دنيا وأخري وقعد غيرهم علي الرسوم ..". والعز بن عبد السلام هو العالم العظيم والمجاهد الكبير والفقيه المعروف وقد شهد له كل علماء الإسلام بأنه سلطان العلماء. وقال الشيخ تاج

الدين السبكي عالم الأصول في كتابه (مفيض النعم ومبيد النقم) ص١٩٩ متحدثا عن الصوفية : "والحاصل أنهم أهل الله وخاصته الذين ترتجي الرحمات بذكرهم، ويستنزل الغيث بدعائهم فرضي الله عنهم بهم" . والإمام السبكي من كبار الفقهاء وعلماء الأصول المدافعين عن السنة بإجماع كثير من العلماء. وقال الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه : (تأييد الحقيقة العلية) ص٥٧ : "وقد تأملت الأمور التي أنكرها أهل الشرع علي الصوفية فلم أر صوفياً محققاً يقول شيء منها وإنما يقول بها أهل البدع والغلاة الذين ادعوا أنهم صوفية وليسوا منهم" . والإمام السيوطي هو المحدث والمفسر والفقيه وعالم القراءات والحافظ الذي شهد له الجميع ويقول أبو الأعلى المودودي في كتابه (مبادئ الإسلام) ص١١٤ : "فليس التصوف الإسلامي الخالص بشيء مستقل عن الشريعة وإنما هو القيام بأحكامها بغاية من الإخلاص وصفاء النية وطهارة القلب" . وأبو الأعلى المودودي ليس متهماً بالتحيز لهؤلاء الصوفية. ويقول الشيخ محمد أبو زهره في مجلة (لواء الإسلام) العدد ١٢ سنة ١٩٦٠ ص٧٥٨ "وذلك يوجب علينا أن نتجه إلي الصوفية كعلاج أخير لوقاية الشباب من الفساد ولا أعتبر أن هناك علاجاً أجدى من ذلك" . والشيخ أبو زهره من الفقهاء المعاصرين المشهورين بالحيدة والإنصاف وقد كان أستاذ الشريعة في كلية الحقوق جامعة القاهرة.

هذا وقد جاء في كتاب : (العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق) للشيخ محمود خطاب السبكي مؤسس الجمعية الشريعة بمصر ص٣٠ : "اعلم أن التصوف المتقدم ذكره عرف أيضا بتعاريف أخر منها : "أنه الجد في السلوك إلي ملك الملوك مع الأخذ بالأحوط من الأحكام إلي أن قال : ولذا قالوا : الصوفية قعدوا علي الدعائم الأصلية ووقف غيرهم علي الرسوم ومن هنا فازوا فوزا عظيما وبلغوا من الكمالات ما لم يصل إليه غيرهم، ولكن لا سبيل لك أيها الإنسان إلي ذلك إلا بمجاهدة النفس ليلا ونهارا بهمة قوية" . والشيخ خطاب السبكي من الذين عرف عنهم واشتهر بمحاربته للبدع والخرافات. وقال الإمام النووي شارح صحيح

مسلم وصاحب كتاب (رياض الصالحين): "أصول طريق التصوف خمسة: تقوي الله في السر والعلن، واتباع السنة في الأقوال والأفعال، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، والرضي عن الله في القليل والكثير، والرجوع إلي الله في السراء والضراء". وذلك في كتابه (المقاصد في التوحيد والعبادة وأصول التصوف) ص٢٠ والإمام النووي هو علامة عصره وحجة كبري في الفقه الشافعي علم الحديث. وجاء في كتاب (الصوفية والسلفية) للشيخ إبراهيم اليوسف: "ثم تكلم ابن تيميه رحمه الله تعالي عن المتصوفة فقال في المجلد الحادي عشر من الفتاوى الكبرى وسيرتهم وأخلاقهم كقول بعضهم: الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر. وهكذا إلي أن قال ابن تيميه في ص١٧ في المجلد الحادي عشر من (الفتاوى الكبرى): "فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وطائفة غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء وكلا طرفي هذه الأمور ذميم، والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه وعاصٍ لربه وقد أنتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم". وقد تكلم ابن تيميه عن بعض أحوال المتصوفة الصادقين كما جاء في المجلد العاشر من الفتاوى الكبرى ص٢١٨ فقال: "إن الفناء ثلاثة أنواع: نوع للكاملين من الأنبياء والأولياء، ونوع للقاصدين من الأولياء والصالحين، ونوع للمنافقين الملحدين المشبهين. الأول: هو الفناء عن إرادة ما سوي الله بحيث لا يحب إلا الله ولا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه، ولا يطلب غيره، وهو المعني الذي يجب أن يقصد بقول الشيخ أبي يزيد البسطامي حيث قال "أريد أن لا أريد إلا ما يريد".

وأما النوع الثاني: فهو الفناء عن شهود السوي هذا يحصل لكثير من السالكين وذلك

لفرط انجذاب قلوبهم لذكر الله وعبادته ومحبته وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد، وتري غير ما تقصد، ولا يخطر بقلوبهم غير الله. ويراجع نص كلامه هنا إلي أن قال: وأما النوع الثالث: مما قد يسمي فناء: أن يشهد أن لا موجود إلا الله وإن وجود الخالق هو وجود المخلوق فلا فرق بين الرب والعبد فهذا فناء أهل الضلال والإلحاد الواقعين في الحلول والاتحاد" .. وبذلك يتضح موقف ابن تيمية من التصوف وأنه يحارب المدعين فقط.

وجاء في كتاب (عوارف المعارف) للسهروردي عن الصوفية: "ثم إن إيثاري لهدي هؤلاء القوم ومحبتي لهم لشرف حالهم وصحة طريقهم المبينة علي الكتاب والسنة".

وكذلك جاء في (رسائل الإخوان المسلمين) عن الإمام الشهيد حسن البنا: "فقد كان أخذ الطريقة الشاذلية من الشيخ الحصافي". ويظهر ذلك جليا في أوراده ومأثوراته.

أثر الصوفية في المجتمع:

ويقول أبو الحسن الندوي في كتابه: (المسلمون في الهند) ص١٤٠: "إن هؤلاء الصوفية كانوا يبايعون الناس علي التوحيد والإخلاص واتباع السنة .." وقال أيضا في كتابه: (روائع إقبال) ص٧: "ولولا وجودهم لابتلعت الهند بحضارتها وفلسفتها الإسلام". والشيخ أبو الحسن ليس من يخدع بزيف من القول بل هو العالم المحقق والمجاهد الكبير. وقال الأمير (شكيب أرسلان) في كتابه: (حاضرة العالم الإسلامي) ج٢ ص٣٩٣: "وأن أسباب هذه النهضة الأخيرة - في أفريقيا - راجعة إلي التصوف والاعتقاد بالأولياء". والأمير شكيب أرسلان من المجاهدين والعقلاء المعروفين والمشهورين، ويقول (رشيد رضا) في (مجلة المنار) السنة الأولي ص٧٢٦: "لقد انفرد الصوفية بركن عظيم من أركان الدين لا يطاولهم فيه مطاول وهو التهذيب علماً وخلقاً وتحققاً". والشيخ رضا لم يكن متحيزاً لهؤلاء القوم بل كان

منصفاً في قولة كلمة الحق التي لا بديل عنها.

ويقول الشيخ (محمد عبده): "ظهر التصوف في القرون الأولى للإسلام فكان له أثر عظيم وكان المقصود منه في أول الأمر تقويم الأخلاق وتهذيب النفوس وترويضها بأعمال الدين وجذبها إلية .. ". وهذا ما ذكره الشيخ علي محفوظ في كتابه (الإبداع في مضار الابتداع) والشيخ محمد عبده لم يكن مبالغاً في هذا القول بل قال كلمة حق لما رآه من صدق الصوفية واتباعهم للكتاب والسنة، وكذلك الشيخ علي محفوظ كان من المحاربين للبدع ويقول الإمام عبد القاهر البغدادي في كتاب (الفرق بين الفرق) ص١٨٩: في بيان أصناف أهل السنة والجماعة: "والصنف السادس منهم الزهاد والصوفية الذين أبصروا فأقصروا واختبروا فاعتبروا دينهم التوحيد ونفي التشبيه... إلي أن قال: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة الجمعة ٤). والإمام البغدادي هو من أجل العلماء قدراً وكتابه هذا من أوثق الكتب المعتمدة.

أئمة الحركة السلفية:

وقد كتب الشيخ عبد الحفيظ المكي من علماء مكة المكرمة كتابه: (موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية) وذكر أقوال الشيخ محمد عبد الوهاب وابن تيميه وابن القيم وابن رجب الحنبلي وابن كثير والحافظ الذهبي وأخيراً ذكر رأي الإمام أحمد بن حنبل وقد قال في المقدمة:-

"وهكذا نسمع بين حين وآخر من ينادي بأن التصوف كله باطل وأن الصوفية طائفة زائفة لا علاقة له بالإسلام، بل إنهم أعداء للدين وأن أصلهم من اليونان أو بوذية الهند .. إلي آخر ذلك من الترهات. وهذا أيضا مع الأسف الشديد باسم (السلفية المسكينة). مع أن الواقع بخلاف ذلك، فإن الصوفية عند أئمة الحركة السلفية وسادتهم طائفة إسلامية مثل بقية الطوائف الإسلامية الأخرى كالمحدثين والفقهاء والمتكلمين والمؤرخين والمجاهدين وغيرهم،

فيهم المصيب والمخطئ، والصالح والطالح، والأصلي والمزيف ولكن إذا أطلق اللفظ فإنه يراد به دائماً: الصالح والمصيب والصحيح منهم. فمثلا لو قلنا: (المحدثون) فالمراد بهم عند المجتمع. المحدثون الصالحون الذين حفظوا علي الأمة أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وخدموها وبلغوها ونشروها بالطريقة المرضية كالأئمة: البخاري ومسلم والترمذي وابن حجر العسقلاني والسيوطي والكاندهلوي وغيرهم، ولا يراد بكلمة (المحدثون) مطلقاً عند أي أحد أولئك (الدجالون الكذابون الوضاعون) المنتسبون زوراً إلي هذه الطائفة الكريمة، والذين قد بين فسادهم ودجلهم أئمة الجرح التعديل في كل عصر وزمان هذا كما هو معلوم للجميع، وهكذا هو الحال في الفقهاء والمتكلمين والمجاهدين والمؤرخين وغيرهم من طوائف المسلمين. وهكذا يجب أن يكون المراد منهم: الفضيل بن عياض ومعروف الكرخي وأبو سليمان الداراني وبشر الحافي وعبد القادر الجيلاني والجنيد البغدادي وغيرهم ممن سار علي نهجهم القديم فهم فقهاء وصوفية معاً لاهتمامهم بالعلمين. ولا يراد الصوفية البتة أولئك الدجالون المخرفون المخالفون لكتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ الدخلاء علي التصوف وقطاع الطريق إلي الله والدار الآخرة. فهذا هو قول الحق ومنهج الصدق وسلامة الفكر والإنصاف التام لهؤلاء الذين هم علماء الأمة ومجاهدوها ولن تجد عالماً أو مجاهداً أو تقياً قدم للإنسانية أعظم النفع بعد التابعين إلا وينطبق عليه ذلك الوصف العظيم" أ هـ.

رأي الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

وهذا هو رأي (الشيخ محمد عبد الوهاب) في (التصوف والصوفية) وثناؤه عليهم كما جاء في القسم الثالث من مؤلفات الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب جزء (فتاوى ورسائل) في الصفحة ٣١ المسألة الخامسة: وسئل رحمه الله عن مسائل مفيدة فأجاب: "اعلم أرشدك الله أن الله سبحانه وتعالي بعث محمداً ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ بالهدي

الذي هو العلم النافع، ودين الحق الذي هو العمل الصالح. فإذا كان من ينتسب إلي الدين: منهم من يتعاني بالعلم والفقه ويقول به كالفقهاء ومنهم من يتعاني العبادة وطلب الآخرة كالصوفية، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين (أي الفقه والتصوف).

وهكذا يثبت الشيخ محمد عبد الوهاب أن الصوفية سندهم هو رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وإليه ينتسبون.

وجاء أيضاً: في (ملحق المصنفات) "هذه مسائل" في صفحة ١٢٤ قوله:

"ولهذا كان مشايخ الصوفية العارفون يوصون كثيراً بمتابعة العلم، قال بعضهم: "ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه".

الإمام ابن القيم:

وهذا هو العلامة ابن القيم يعتبر من كبار الصوفية كما ذكر الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي في الذيل علي طبقات الحنابلة (الجزء الثاني) صفحة ٤٤٨ عن ترجمة ابن القيم بقوله: "وكان عالماً بعلم السلوك وكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولي".

وجاء في كتاب: (مدارج السالكين) عن تعريف التصوف لابن القيم في الجزء الثاني من صفحة ٣٠٧ ما نصه: "الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين، وكذلك التصوف قال الكتاني: التصوف: هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في التصوف، وقال أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت محمد بن مخلد يقول سمعت جعفراً يقول سمعت الجنيد يقول: "المريد الصادق غني عن العلماء" وقال أيضا: سمعت الجنيد يقول: "إذا أراد الله بالمريد خيراً أوقعه إلي الصوفية ومنعه صحبه القراء" قلت: إذا صدق المريد وصح عقد صدقه مع الله، فتح الله علي قلبه ببركة الصدق وحسن المعاملة مع الله ما يغنيه عن العلوم التي هي نتائج أفكار الناس وآرائهم وعن العلوم التي هي فضلة ليست من زاد

القبر" .

وفي الجزء الثالث صفحة ١٢٨ ما نصه : قال الشافعي رضي الله عنه : صحبت الصوفية فما انتفعت منهم إلا بكلمتين سمعتهم يقولون : الوقت سيف فإن قطعته وإلا قطعك ، ونفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل . قلت : يا لهما من كلمتين ، ما أنفعهما وأجمعهما وأدلهما علي علو همة قائلهما ويقظته ، ويكفي في هذا ثناء الشافعي علي طائفة هذا قدر كلماتهم" .

الإمام الذهبي:

وهذا هو الإمام الحافظ الذهبي يذكر في ترجمته للمحدثين كثيراً من الصوفية : ننقل منهم ما جاء في (تذكرة الحفاظ) الجزء الثالث صفحة ٨٥٢ عن (ابن الأعرابي) الإمام الحافظ الزاهد شيخ الحرم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي صاحب التصانيف وكان ثقة ثبتاً عارفاً ربانياً كبير القدر بعيد الصيت .

وكذلك في صفحة٩٦١ : (غندر) وأما غندر الثالث فهو صوفي محدث جوال ، لقي الجنيد وطبقته وكتب الحديث وسكن مصر . وفي صفحة ١٠٧٠ (الماليني) الحافظ العالم الزاهد أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن حفص الأنصاري الهروي الماليني الصوفي ، ويعرف أيضاً بطاووس الفقراء . . وجمع وحصل من المسانيد الكبار شيئاً كثيراً ، وكان ثقة متقناً صاحب حديث ومن كبار الصوفية . وفي صفحة ١٠٨٨ : (عطية بن سعيد) الحافظ شيخ الإسلام أبو محمد الأندلسي المغربي القفصي الصوفي . وفي صفحة ١٠٩٢ (أبو نعيم) الحافظ الكبير محدث العصر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أسحاق بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني الصوفي . وفي صفحة ١١٧٠ : (الكتاني) الإمام المحدث مفيد دمشق ومحدثها أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن علي التميمي الدمشقي الصوفي سمع الكثير وجمع فأوعى .

وفي الجزء الرابع صفحة ١٣٥٦ : (الشيرازي) الإمام الحافظ الرحال أبو يعقوب يوسف بن أحمد بن إبراهيم الصوفي مفيد بغداد وشيخ الصوفية بالرباط الأرجواني . وفي نهاية الجزء الرابع وهو الأخير من تذكرة الحفاظ ما نصه : ولزمت الشيخ الإمام المحدث مفيد الجماعة أبا الحسن علي بن مسعود بن نفيس الموصلي وسمعت منه جملة، وكان ديناً خيراً متصوفاً متعففاً . وسمعت من مفيد الطلبة المحدث الإمام المتيقن اللغوي صفي الدين محمود بن أبي بكر الأرموي ثم القرافي الصوفي . وسمعت من الإمام المحدث الأوحد الأكمل فخر الإسلام صدر الدين إبراهيم محمد بن المؤيد بن حموية الخرساني الجويني شيخ الصوفية" . أهـ

وقد لاحظت أن أمثال الحافظ الذهبي أيضاً له عدة مشايخ من الصوفية بل إنه ما ذكر في أحد منهم أنه "لزمه" إلا الذي وصفه منهم أنه كان "ديناً خيراً متصوفاً متعففاً" وإليك أيضاً الحافظ بن رجب الحنبلي في ترجمته في الذيل على طبقات الحنابلة وهو يذكر كثيراً منهم بأنه صوفي فقد جاء في الجزء الأول صفحة ٢١١ في ترجمة الإمام أبي محمد عبد الله بن علي البغدادي .

قال الحافظ الضياء المقدسي : أخبرنا أبو الفضل عبد الواحد بن سلطان ببغداد ، أخبرنا محمد المقرئ، أجاز لهم وأنشدنا لنفسه :

ترك التكلف في التصوف واجب .·. ومن المحال تكلف الفقراء

قوم إذا امتد الظلام رأيتهم .·. يتركعون تركع القراء

فإذا رأيت مخالفاً لفعالهم .·. فأحكم عليه بمعظم الإغواء

وذكر أيضاً الجزء الثاني صفحة ٣٢٩ إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل (الواسطي) الصالحي الفقيه الزاهد العابد شيخ الإسلام بركة الشام قطب الوقت تقي الدين أبو إسحاق .

وفي صفحة ٣٥١ علي بن مسعود بن نفيس بن عبد الله الموصلي ثم الحلبي الصوفي المحدث . وفي صفحة ٣٥٣ محمد بن عبد الله بن عمر بن أبي القاسم البغدادي المقرئ المحدث

الصوفي وكذلك ما ذكره أبو يعلي عن تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل فكثيراً ما يثنى على بعضهم بأنه صوفي، فقد ذكر الإمام الحافظ القاضي أبو الحسن بن أبي يعلي أبو الحسن في طبقات الحنابلة في الجزء الأول صفحة ٣٦ : "أحمد بن الحسن بن عبد الجبار بن راشد، أبو عبد الله الصوفي سمع علي بن الجعد وأبي نصر التمار ويحيى بن معين مع آخرين، نقل عن إمامنا أشياء". وكذلك في صفحة ٤١٨ يوسف بن الحسن بن علي أبو يعقوب الرازي من مشايخ الصوفية، كان كثير الأسفار. وصحب ذا النون المصري وأبا تراب النخشبي وأبا سعيد الخراز وحكى عن ذي النون، وسمع إمامنا أحمد.

وبذلك يتجلى واضحاً للأعيان من هذه النقول التي أوردناها من كتب رجال الحديث والفقه أن كلمة صوفي تعني أن صاحبها بلغ درجة كبيرة في التقوى ولا يمكن أن يتصور أبداً أن هؤلاء الأئمة الذين قبلت الأمة أحكامهم على صحة الأحاديث النبوية كالإمام الذهبي أن يصفوا بها رجال الحديث والفقه على إنها دخيلة على المنهج الإسلامي كما يدعي بعض الناس ذلك ويقولون لماذا نسميهم صوفية والله تعالى يقول : ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾

فهل غاب عن هؤلاء الأجلاء فهم هذه الآية حتى يتركوا العمل بها ويطلقوها بلا تبصر ورؤية؟ إنهم علموا وتيقنوا أن إطلاق هذه الكلمة لا يتعارض مع الآية الشريفة. كما سبق أن شرح الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام عن سبب هذه التسمية وبدء ظهورها وإنها وصف لقوم التزموا بكل مبادئ الإسلام من العبادة والجهاد في سبيل الله والجهر بكلمة الحق كالعز بن عبد السلام الذي شارك في جهاد التتار وأفتى ببيع المماليك وكذلك أبو الحسن الشاذلي الذي شارك في معركة المنصورة وغيرهم كثير وذلك ليبطل القول إنهم يلتزمون بالعبادة والزهد ولا يشاركون في معترك الحياة بل هم في الحقيقة رهبان بالليل فرسان بالنهار فإطلاق لفظ الصوفية كما أطلق على الصحابة أو التابعين ولم يقتصروا على كلمة المسلمين.

وأخيراً بعد هذه الحجج الدامغة من أقوال العلماء الأجلاء الذين يعتد بشهادتهم ولا

يستغنى باحث عن الاستدلال بآرائهم في شتى العلوم المختلفة كالفقه والأصول والتفسير والحديث . هل يشك عاقل في نسبة التصوف والصوفية إلى أهل السنة والجماعة؟! اللهم إلا إذا كان الهوى والتعصب هو الذي يحول بينه وبين البحث العلمي الصحيح والحقيقة، وإنه إذا كنا نسمع إن الصادقين من الصوفية هم كبار العلماء الذين خدموا الأمة بمؤلفاتهم في مختلف فروع علوم الدين الإسلامي الحنيف، وإذا أردنا أن ننسب أحداً إلى السلف الصالح فلن نجد غيرهم، فالقول بوجود خلاف بين الصوفية والسلفية غير صحيح وإنما الخلاف بين من انتسبوا إلى التصوف كذباً وافتراء وبين غيرهم ممن يدعون الانتساب إلى السلفية.

ألا فليتق الله كل مسلم باحث عن الحقيقة والأحرى به أن يراجع تلك النصوص التي أوردتها من الكتب المختلفة ليقف على حقيقة أمر هؤلاء الرجال ولا يسارع إلى الحمل عليهم إلا بعد التثبيت والتمحيص فالحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها ولا داعي للهجوم عليهم. كما أن التسمية التي كثر الخلاف حولها وهل هي لقب نسبة؟ فلا مشاحة في الاصطلاح كما قال الشيخ ابن تيمية والذي يعنينا هو الجوهر والمضمون وما هو عليه هؤلاء القوم من عقائد وأراء.

ونظراً لأن الموضوع يشتمل على أدلة كثيرة فسأكتفي بهذا القدر لضيق المجال وأدعو الله تعالى أن يرزقنا الصدق في الأقوال والأفعال وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا أتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يجنبنا الزلل ويحفظنا من الزيغ والضلال إنه سميع مجيب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب".

ثانياً: رأي العلامة الشيخ / محمد الصديق الغماري الحسني التصوف الركن الثالث في حقائق الإسلام (مقام الإحسان):

وقال العلامة الشيخ محمد بن الصديق الغماري التصوف الركن الثالث في حقائق دين

الإسلام (الإسلام والإيمان والإحسان) والدليل على وجوب سلوك التزكية والتصوف إنه واجب محتم وإنه لا يكمل دين المرء إلا به وبيان ذلك من وجوه :ـ

(الوجه الأول) : إنه (مقام الإحسان) الذي هو (أحد أركان الدين الثلاثة) المبينة في حديث جبريل الطويل ولا شك أن الدين يجب اتباعه بجميع أركانه : الإيمان، والإسلام، والإحسان .

وجاء في إحدى فتاوى والدي رضي الله عنه في هذا الموضوع ما نصه : "وأما أول من أسس الطريقة وهل ثبت تأسيسها بوحي؟ فتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي إذ هي بلا شك مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ بعد ما بينها واحداً واحداً ـ ديناً فقال : "هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم" فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه إنما هو مقام الإحسان بعد تصحيح الإسلام والإيمان ليحرز الداخل فيها والمدعو إليها مقامات الدين الثلاثة الضامنة لحرزها والقائم به السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، والضامنة أيضاً لحرزها كمال الدين فإنه كما في الحديث عبارة عن الأركان الثلاثة فمن أخل (بمقام الإحسان) الذي هو الطريقة فدينه ناقص بلا شك لتركه ركناً من أركانه، ولهذا نص المحققون علي وجوب الدخول في الطريقة وسلوك طريق التصوف وجوباً عينياً، واستدلوا علي الوجوب بما هو ظاهر عقلاً ونقلاً لسنا الآن بصدد بيان ذلك بالتفصيل .

وقد بين القرآن العظيم من أحوال التصوف والطريقة ما فيه الكفاية فتكلم علي المراقبة ١ والمحاسبة ٢ والتوبة ٣ والإنابة ٤ والذكر ٥ والفكر ٦ والمحبة ٧ والتوكل ٨ والرضي ٩ والتسليم ١٠ والزهد ١١ والصبر ١٢ والإيثار ١٣ والصدق ١٤ والمجاهدة ١٥ ومخالفة الهوى والنفس ١٦ وتكلم علي النفس اللوامة والأمارة والمطمئنة ١٧ وعلي الأولياء والصالحين والصديقين والمؤيدين ١٨ وغير هذا مما يتكلم فيه أهل التصوف والطريقة رضي الله

عنهم فاعرف وتأمل. أ هـ وهو نفيس جدا.

(الوجه الثاني): أن التصوف هو العلم الذي تكفل بالبحث عن علل النفوس وأدوائها وبيان علاجها ودوائها لتصل إلي مرتبه الكمال والفلاح تدخل ضمن في قوله تعالي:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ (سورة الشمس آية ٩).

ولاشك أن علاج النفس من أمراضها وأدرانها أمر يوجبه الشرع القويم ويستحسنه العقل السليم، ولولا ذلك لما كان هناك فرق بين الإنسان والحيوان.

(الوجه الثالث): أن التصوف عني بتهذيب الأخلاق وتزكيتها ومخالفة هوى النفس والأخذ بعزائم الأمور والارتفاع بالنفس عن حضيض الشهوات إلى حيث تستمتع بما تورثه الطاعة من لذة روحية تصغر بجانبها كل لذة مهما عظم قدرها.

(الوجه الرابع): أن التصوف هو خُلق الصحابة والتابعين والسلف الصالح الذين أمرنا بالاقتداء بهم والاهتداء بهديهم. وقد بين ذلك والدي رضي الله عنه في فتواه التي نقلنا منها آنفاً فقال عقب كلامه السابق ما نصه: "وأما قولك هل أسست الطريقة بالوحي؟ .. الخ فجوابه يعلم مما قبله فإنها إذا كانت من الدين بل هي أشرف أركانه كانت بوحي كما قلنا وكان الصحابة بالحالة التي بلغتنا عنهم تواتراً من المسارعة إلى امتثال أمر الله، كانوا بالضرورة أول داخل فيها وعامل بمقتضاها وذائق لأسرارها وثمراتها ولهذا كانوا على غاية ما يكون من الزهد في الدنيا والمجاهدة بأنفسهم في محبة الله ورسوله والدار الآخرة والصبر والإيثار والرضا والتسليم وغير ذلك من الأخلاق التي يحبها الله ورسوله وتوصل إلى قربهما وهي المعبر عنها بالتصوف و الطريقة.

وكما كانوا رضي الله عنهم على هذه الحالة الشريفة كان أتباعهم أيضاً عليها وإن كانوا دونهم فيها وكذلك كان أتباع الأتباع وهلم جرا إلى أن ظهرت البدع وتأخرت الأعمال وتنافس الناس في الدنيا وحييت النفوس بعد موتها فتأخرت لذلك أنوار القلوب ووقع ما وقع

في الدين وكادت الحقائق تقل وكان ابتداء ذلك في أواخر المائة الأولى من الهجرة ولم يزل ذلك يزيد سنة بعد سنة إلى أن وصل ذلك إلى حالة تخوف منها السلف الصالح على الدين فانتدب عند ذلك العلماء لحفظ هذا الدين الشريف فقامت طائفة منهم بحفظ (مقام الإسلام) وضبط فروعه وقواعده وقامت أخرى بحفظ (مقام الإيمان) وضبط أصوله وقواعده على ما كان عند سلفهم الصالح وقامت أخرى بحفظ (مقام الإحسان) وضبط أعماله وأحواله فكان من الطائفة الأولى الأئمة الأربعة وأتباعهم رضي الله عنهم (وهم الفقهاء) فهم المهتمون بأصول أركان الإسلام الخمسة، الصلاة والزكاة والصيام والحج بعد الشهادتين. وكان من الطائفة الثانية الأشعري وأشياخه وأصحابه (وهم علماء الكلام أو التوحيد) . وكان من الثالثة الجنيد وأشياخه وأصحابه (وهم الصوفية الكرام) فعلى هذا ليس الجنيد هو المؤسس للطريقة لما ذكرناه من إنها بوحي إلهي أي (في الكتاب ثم السنة وعمل الرسول وأصحابه هو التطبيق الحقيقي لوحي الله العظيم) وإنما نسبت إلى الجنيد وغيره من الصوفية لتصديهم لحفظ قواعدها وأصولها ودعائهم للعمل بذلك عندما ظهر التأخر عنها ولهذا السبب نفسه نسبت العقائد للأشعري والفقه للأئمة الأربعة مع أن الجميع بوحي من الله تعالى . أهـ .

وهو تحقيق بالغ يعلم منه أن ما يسمى الآن تصوفاً وطريقة لم يتجاوز ما كان عليه الصحابة والتابعون من الأخلاق الفاضلة والصفات الجميلة التي حض الله ورسوله على التخلق بها ومدح أصحابها في غير آية وحديث .

(الوجه الخامس) : أن في سلوك الطريق صحبه المشايخ الكمل والاقتداء بهم والاهتداء بهديهم قد أمر الله بذلك في قوله تعالى : ﴿ واتبعْ سبيل مَنْ أنَاب إليَّ ﴾ (لقمان ١٥) قال الإمام زروق : والإنابة لا تكون إلا بعلم واضح وعمل صحيح وحال ثابت لا ينقضه كتاب ولا سنه .

(الوجه السادس): أن سلوك الطريق ينور بصيرة الشخص ويسمو بهمته حتى لا يبقي له تعلق إلا بالله ولا يكون له اعتماد إلا عليه فيصير مصون السر عن الالتفات إلي الخلق مرفوع الهمة تأميلهم اكتفاء بالحق متحققاً بالحقيقة في جميع الأحوال متوسماً بالشريعة في الأقوال والأفعال وهذا أعلى ما يطلب من المؤمن وإليه أشار عليه الصلاة والسلام بقوله لابن عباس: "إذا سألت فأسأل الله وإذا استعنت استعن بالله" وبايع (ثلة) من الصحابة منهم ثوبان مولاه والصديق صاحبه على أن لا يسألوا الناس شيئاً وذلك لرفع الهمة عن الخلق والاكتفاء بالالتجاء إلى الحق.

(الوجه السابع): أن في سلوك الطريق بصحبة شيخ مرشد عارف خروجاً من رعونات النفس وحماية للمريد من كل ما يمنعه من الوصول إلى الله تعالى من أنواع الجهل والغرور ودواعي الهوى الموقعة في ظلمة القلب وإطفاء النور. ولهذا قال ابن عطاء الله في لطائف المنن: "شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى، شيخك هو الذي مازال يجلو مرآة قلبك حتى تتجلى فيه أنوار ربك، ونهض بك إلى الله فنهضت إليه، وسايرك حتى وصلت إليه ولازال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه فزج بك في نور الحضرة وقال: ها أنت وربك". أ هـ

وقال أيضاً: "إنما يكون الاقتداء بولي دلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوي عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته فألقيت إلية القياد؛ فسلك بك سبيل الرشاد، يعرفك برعونة نفسك، ويدلك علي الجمع علي الله ويعلمك الفرار عما سوى الله. ويسايرك في طريقك حتى تصل إلي الله يوقفك إلي إساءة نفسك ويعرفك بإحسان الله إليك فيفيدك معرفة إساءة نفسك والهرب منها عدم الركون إليها، ويفيدك العلم بإحسان الله إليك والإقبال عليه القيام بالشكر إليه الدوام علي مر الساعات بين يديه قال: فإن قلت: فأين من هذا وصفه؟ لقد دللتني عل أغرب من عنقاء مغرب! فاعلم أنه لا يعوزك وجدان الدالين

وإنما يعوزك وجدان الصدق في طلبهم. جد صدقاً ؛ تجد مرشداً. وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله تعالي ، قال الله سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ (سورة النمل آية ٦٢) وقال تعالي: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾ (سورة محمد آية ٢٢) فلو اضطررت إلي من يوصلك إلي الله اضطرار الظمآن إلي الماء والخائف إلي الأمن، لوجدت ذلك أقرب إليك من وجود طلبك، لو اضطررت إلي الله اضطرار الأم لولدها إذا فقدته لوجدت الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت الوصول غير متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك" . أ هـ .

(الوجه الثامن) : أن في سلوك الطريق الإكثار من ذكر الله والاستعانة بصحبة الشيخ علي ذلك. لا شك أن الذكر يصفي القلوب ويدعو إلي اطمئنانها كما قال تعالي:

﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (سورة الرعد آية ٢٨) فإن الله تعالي لم يقيده بحد ولا شرط ولا نهاية حيث قال تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (سورة الأحزاب الآيتان ٤١ : ٤٢)

فلهذه الوجوه التي ذكرناها وغيرها كان سلوك طريق التصوف واجباً والانخراط في سلك أهله أمراً لازماً.

ونحن لا ننكر أنه دخل في الطريق دخلاء أدعياء وجهلاء أغبياء اتخذوا الطريق سلماً لتحصيل أغراضهم وشهوتهم، وابتدعوا فيه بدعاً ما أنزل الله بها من سلطان وزعموا أنهم أهل الحقيقة يجوز لهم ما يكون محرماً في الشريعة وكذبوا ؛ فإن الشريعة والحقيقة صنوان وما خالفت الشرعية الحقيقة قط إلا في نظر جاهلٍ فمثل هؤلاء ليسوا من الصوفية في شيء وأول من يبرأ منهم الصوفية.

ومن الظلم البين أن يعترض بعض الناس بفعل هؤلاء الجهلة ويجعله حجة علي التصوف والصوفية.

فما التصوف إلا اتباع الكتاب والسنة .

وما الصوفية إلا قوم جاهدوا أنفسهم في الله ؛ فهداهم الله ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة العنكبوت آية ٦٩)

﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام علي المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴾ .

وصلي الله وسلم وبارك علي سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وعلي آله وصحبه وأصفياء الله أجمعين. والله ولي النعمة والتوفيق" .

ما أعتقده في السادة الصوفية:

أعتقد ـ ويعتقد معي معظم المنصفين ـ أن ما صدر عن هذين العالمين العلمين : الشيخ محمد سليمان فرج ، والسيد محمد الصديق الغماري ، فيه ما يميط اللثام عن الوجه الحقيقي للتصوف المشرق بأنوار الهداية ، المولود من رحم الإسلام ، والمغذى بلبان الإيمان ، والمستقر في مقام الإحسان .

أعتقد أن التصوف مدرسة إسلامية سنية تهدف إلى تخريج جيل من الذين يجاهدون أهواء أنفسهم ؛ فينتصرون عليها . فمن انتصر على شهوات نفسه ؛ يوشك أن ينتصر على عدوه :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ (النازعات ٤٠ : ٤١)

أعتقد أن ما قام به السيد يوسف هاشم الرفاعي من استفتاءات لمعظم علماء أهل السنة ، وما قام به من توثيق تلك الفتاوى في كتابه ؛ لهو خير دليل على خروج شرذمة المتطرفين على أهل السنة والجماعة ، ووضع لهؤلاء المتطرفين في مواجهة جمهور علماء السنة ؛ وبهذا ينكشف زيفهم ، ويتضح لجمهور المسلمين حال هؤلاء المتنطعين المدعم بسوء الظن ، والمبني على التكفير والتشريك والتبديع .

إن ما يقوم به متطرفو النحلة الوهابية في المملكة العربية السعودية ، وفي الحرمين الشريفين وما يجاورهما ، وما يقوم به أذنابهم ، مثل : جمعية التراث في الكويت . وجماعة

أنصار السنة في مصر، وغيرهم من المدعين للسلفية، إن ما يقوم به هؤلاء شيء مخالف لدعوة الإسلام، بل إنه فظاظة في الدعوة، وفجور في الخصومة.

إن الإمام الشيخ عبد الوهاب الشعراني يقرر أن كتبه تعرضت للدس والتشويه، ويقرر ذلك في كتبه، ويتبرأ مما دُس فيها؛ إلا أن الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، لم ينظر إلى هذا؛ إنما بحث في المدسوس وجعله أصلاً يتهم به من تبرأ منه ويصر على نسبة هذا المدسوس إلى الشيخ الشعراني الذي تبرأ منه كتابةً، ويطلب الشيخ عبد الرحمن ـ ونطلب معه ـ إظهار هذا التبرؤ علانية للمسلمين.

وقد طلب الشيخ عبد الرحمن من السيد يوسف ـ بصفته الرائد للصوفية في الكويت ـ أن يتبرأ من هذا علانية؛ السيد فتبرأ من ذلك في المناظرة نفسها. وطلب منه السيد يوسف ـ بصفته الممثل للسلفية في الكويت ـ أن يفعل الشيء نفسه بأن يتبرأ من التكفير السلفي في كتاب، واقترح السيد يوسف أن يكتب كلاهما كتاباً بهذا الخصوص، ورغم أن في كتابات السيد يوسف نقد للدخيل على التصوف، وتبرؤ منه، إلا أننا نطلب كتاباً يخصص لهذا الموضوع بالذات؛ ليحل بذلك إشكاليات كثيرة، وحتى لا يجد المتطرفون مبرراتٍ للتكفير ـ وأظنهم سيبحثون عن مكفراتٍ أخرى ـ وبصفة عامة فإن السيد يوسف أبدى استعداده لنقد كل دخيل على التصوف. فهل يستطيع الشيخ عبد الرحمن عبد نقد التكفير المتسلف في كتاب باسمه؟! كم نتمنى أن يتم ذلك قريباً!!.

إن أعلام علماء السنة يقررون في تلك الفتاوى الرسمية، وفي أبحاثهم المتعددة أن الصوفية من أهل السنة والجماعة، بل من صفوتهم؛ بينما يقرر عبد الرحمن عبد الخالق أن التصوف دين يخالف دين الإسلام، وهذا مسجل عليه بالصوت والصورة والكتابة.

إن أهم قضية تشغل هؤلاء المتطرفين هي البحث في الكتب القديمة ـ المدسوس فيها الكثير، باعتراف أصحابها، وبأبحاث المنصفين ـ لإخراج ما يوحي بكفر السادة أعلام التصوف.

ليت هؤلاء قد انشغلوا بتوحيد الأمة، وعدم تفريقها وتمزيقها، والبحث عن المشترك الذي يجمع، وليس عن الشاذ الذي يفرق.

إن أعلام التصوف الحق - القدامى والمعاصرين - يعترفون صراحة بأن هناك من أساءوا إلى التصوف من الدخلاء المدعين المتزيين بزي رجاله، المخالفين سلوك أهله، وهؤلاء الأعلام أول من ينكر عليهم هذا الادعاء الزائف.

أيها المنصفون: علينا أن ننظر في فتاوى وتقارير هؤلاء السادة العلماء المنصفين الذين أجادوا وأفادوا، وأفصحوا وأوضحوا، وأتوا بالأدلة القاطعة .والبراهين الساطعة على أن التصوف منهج الإحسان الذي دعا إليه ديننا وحبب ورغب فيه.

علينا أن ننظر في أدلتهم التي أخذوها عن أئمة الإسلام الأعلام السابقين: من فقهاء ومحدثين ومؤرخين، بل من الرواد الأوائل للمدرسة السلفية القديمة، ومن كلام الإمام ابن تيمية وكيف مدح أعلام التصوف، وأثنى عليهم في أكثر من موضع وفتوى، ووصفهم بأنهم من صديقي الأمة، وكذلك كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في وصف الصوفية في فتاواه بأنهم ممن يعتني بأمر الآخرة. ويأتي بعدها متطرفو الوهابية والمدعون للسلفية في أكثر من موطن؛ فيخالفون شيوخهم في هذا، ويخرجون الصوفية من الملة، بل ويتهمون من يقول رأيا محايداً يشبه رأي شيوخهم؛ فليتهموا إذن شيوخهم؛ وفقا لهذا المنهج التكفيري السقيم.

إن كل ذلك موجود في هذا المبحث الهام، وسأوافي المكتبة الإسلامية قريباً - إن شاء الله تعالى، وبحوله وتوفيقه - بالجديد من الأبحاث المفصلة - التي قمت بها، وعايشت بعضها - في بيان مدى تضليل هؤلاء المتطرفين للكثير من شباب الأمة، ومدى تكفيرهم للسواد الأعظم من المسلمين. وأقرب هذه الأبحاث - بعون الله وتوفيقه - كتاب: (متطرفو الوهابية في مواجهة جمهور علماء السنة)؛ أسأل الله أن ينفعنا جميعاً بكل خير في ديننا ودنيانا.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الرابع: التطرف

التطرف في اللغة والاصطلاح

التطرف في اللغة: هو الذهاب إلى الطرف؛ انحرافاً وبعداً عن الوسطية. سواءٌ ذهب المتطرف إلى اليمين أو إلى اليسار؛ غلواً في الدين، أو تحللاً عنه.

والتطرف الديني في الاصطلاح: يطلق ويراد به الغلو في الدين والتنطع فيه، والمشادة له. والتطرف ليس جديداً على كل المجتمعات بل إنه سبق هبوط الإنسان الأول على الأرض؛ فأول المتطرفين هو إبليس اللعين حين اغتر بعنصره؛ فاستكبر، وحكم لنفسه بأنه خير من سيدنا آدم ـ عليه السلام مفتخراً بذلك: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف ١٢) ودفعه هذا التطرف العنصري إلى استنكار أمر الله بالسجود لآدم، واحتقار هذا العنصر الطيني: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (الأسراء ٦١) والمتطرفون يمارسون نوعاً من هذا السلوك الإبليسي؛ لأنهم يرون أنفسهم أنهم هم وحدهم أهل الحق، وأنهم المدافعون عن العقيدة الحارسون لحدود الدين. وهذا نوع من الاستكبار، وعندما يتركون معظم علماء الإسلام، وما اتفق عليه معظم المسلمين من تقليد الأئمة أصحاب المذاهب الأربعة، أو غيرهم من الذين وصلوا إلى درجة الاجتهاد؛ نراهم يتعصبون ويتعنصرون لثلاثة أئمة من أئمتهم كالإمام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب، رغم أن على هؤلاء الثلاثة ـ رحمهم الله ـ مآخذ قوية عند كثرة من العلماء الراسخين في العلم، إلا أن المتطرفين رفضوا غيرهم، بل تناولوهم بالسباب، وذهبوا إلى ما ينهون عنه من الغلو؛ فغالّوا في مشايخهم هؤلاء ومن سار على دربهم. وفي هذه الأيام لا يوجد إلا الشيخ ابن باز والشيخ ابن عيثمين ـ رحمهما الله ـ والآن الشيخ الفوزان.

فكرت، وأصررت منذ كنت طالباً في السنة الجامعية الثالثة أن أكتب كتاباً عن التيارات الإسلامية التي شعرت أنها تخالف دعوة الإسلام والسلوك الإسلامي الرشيد. وعرضت على شيوخي وأساتذتي موضوع الكتاب؛ فرحبوا بالفكرة، وكان عنوان الكتاب المقترح (وسطية الإسلام بين الميل والالتزام) وكان الغرض منه إلقاء الضوء على انحراف سلوك تيارين من أهم

التيارات الموجودة بقوةٍ على الساحة المصرية والعربية والإسلامية هما : تيار التصوف وما فيه من غلوٍ في الشيوخ وتعصب لهم، وتحلل عن آداب الإسلام، وتيار التطرف الذي أبدى أنصاره الغلظة والشدة في وجوه الناس، وظنوا أنهم هم وحدهم الذين يسلكون الصراط المستقيم. ثم تم تأجيل الكتاب، وزاد انتشار تيار التطرف وما يحمله من اتهامات للمسلمين تبدأ بالتبديع وتنتهي بالتكفير، وكنت أرى كيف وصل التطرف بالشباب إلى تكفير الأهل وعوام المسلمين، ووقفت كثيراً أمام مصادر التطرف ومنابع التكفير؛ فوجدتها أفكاراً وهابية، والغريب أن بعض صغار الشباب كانوا يرددون دائماً هذه العبارة (يقول ابن باز) مستدلين بها على تبديع أو تشريك أو تكفير من يخالفهم، بل سمعت أحدهم في رده على أحد المعترضين على استدلالهم بابن باز يقول : "إن ابن باز هو الوحيد الذي له حق الاجتهاد المطلق" ـ رحم الله الشيخ ابن باز ـ بل إن أحدهم قال بكفر الشيخين: الشعراوي والغزالي ـ رحمهما الله ـ مما زاد الهموم هموما.

وبعد ذلك تبدى لي أن أكتب عن هذا التيار المتطرف؛ متناولاً فيه ما دار بيني وبين المتطرفين من حوارات ولقاءات وندوات في المساجد وغيرها من المنتديات والجلسات العامة والخاصة، وبالفعل اخترت عنوان الكتاب (الجماعات المتطرفة، معايشة وحوارات) بناءً على الرصيد الفكري والحواري. وتم تأجيل الكتاب أكثر من مرة إلى أن أصدر قادة الجماعة الإسلامية في السجون المصرية كتب المراجعات الفكرية؛ فأصدرت الكتاب، وكان قد طلبه أحد الناشرين؛ فامتنعت؛ لأنهم كانوا قد دخلوا السجون، وقلت للجميع من المطالبين بنشره : "كنت أجابههم وهم طلقاء أقوياء أما وقد أصبحوا ضعفاء أسرى؛ فإنني أعف عن منازلة الأسرى" . وجاءني أحد الذين ألحوا في نشر الكتاب وقال لي: هل أنت تحارب أفكاراً أم أشخاصا فقلت : أحارب أفكاراً؛ فقال إذن يجب عليك نشر الكتاب؛ فقلت : إن أصحاب هذه الأفكار قد غيبوا في السجون. وكفاهم ما هم فيه، وليس من المروءة أن نحارب الغائبين عنا،

وقد نشرت الكتاب كمذكرات وذكريات شخصية بيني وبينهم اتصفت بطابع العموم؛ لتكون عظةً وعبرة وتحذيرا وتعليما للشباب .

أكتب هذا لنعلم كيف تعاملنا مع هؤلاء المتطرفين بالرفق والرحمة؛ فما كان منهم إلا اتهامنا بما ليس فينا، ولنعلم كيف تغلغل هذا الفكر الوهابي المتطرف في قلوب شبابنا، وإليكم الدليل والبرهان على ما أقول من خلال الكتب الوهابية المستوردة التي توزع مجاناً في الحرمين الشريفين وخارجهما؛ والتي يستقي منها هؤلاء الشباب فكرهم، ويستمدوا منها سلوكهم .

تكفير البلاد والعباد، وإنكار التكفير:

حدثني أحد الزملاء العاملين في المملكة العربية السعودية ـ وكان متأثراً شيئا ما بهذا الفكر المتطرف ـ حدثني عن كتاب اسمه (دمعة على التوحيد) وما فيه من اتهامات لزوار أضرحة السادة أهل البيت، والصالحين من عباد الله، ووصفهم للزوار بأنهم: قبوريون (أي: يعبدون تلك القبور التي يزورونها) وغير ذلك من الاتهامات التي يشقون بها عن القلوب، ويبحثون بها عن السرائر؛ فطلبت من الزميل إحضاره معه بعد سفره والعودة بسلامة الله، وعاد الزميل ولم يحضر معه الكتاب؛ خوفاً من سلطات التفتيش، وألححت عليه في إحضاره في المرة القادمة، وقلت له لا تخف، وإن كنت متخوفاً من شيء؛ فضعه في مظروف واكتب عليه اسمي فإن كان هناك حساب؛ فسيقع عليَّ، وأحضر الزميل الكتاب بطريقة ما .

ومن خلال قراءتي رأيت عجباً!! فقلت وأقول: إن كتابات ومحاضرات متطرفي الوهابية مليئة بتكفير، وتشريك، وتبديع المسلمين، ولم يكتفوا بتكفير الأفراد والفئات المختلفة، إنما ذهبوا إلى أبعد من ذلك؛ حيث امتدت شظايا تكفيرهم لتشمل الدول كذلك، ومن أغرب ما قرأت لهم أنهم يقولون بعدم تكفير المسلمين، وكذلك قولهم بأنهم لا يُكَفِّرون معيناً، وللأسف فإن كتبهم طافحة بتكفير المسلمين بلادا وعباداً، وإليكم بعض نصوصهم

التكفيرية ؛ ففي سلسلة (كتاب المنتدى الإسلامي) عدد ١٤١٩هـ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر صدر كتاب(المنتدى الإسلامي) عنوانه : (دمعة على التوحيد . . حقيقة القبورية وآثارها في واقع الأمة) وفي الصفحة الخامسة والخمسين، وتحت عنوان(من لهذه الوثنية المتعددة) كتب الشيخ : إسماعيل بن سعد بن عتيق ما يلي : "كتب الله لي أن ازور كثيراً من عواصم العالم الإسلامي، ورأيت في كل صقع من أصقاعه من يتهافت على تلك الأوثان : حباً وتعظيما وخشية وإنابة وتضرعاً وافتقاراً، ولا حرج في التمثيل وذكر بعض الأمثلة لتلك الدول التي تبنت الإسلام شعاراً لا عقيدة . ومع الأسف فهي محسوبة على الإسلام ! ! والله المستعان .

وأترك أسماء المدن لفطنة القارئ ؛ ليستنتج مواقع هذه الأوثان ومواطنها .

١ـ قبر مزعوم للحسين يحج له الناس، ويتقربون إليه بالنذر والقربات، وتجاوزوا ذلك إلى الطواف به، والاستشفاء، وطلب قضاء الحاجات عند الملمات .

٢ـ السيد البدوي له مواسم في السنة أشبه بالحج الأكبر، يقصده الناس من خارج البلاد وداخلها، سنة وشيعة . .

وهذان نموذجان في دولة واحدة من أقدم الدول العربية والإسلامية في التعليم النظامي، وفيها أكبر مؤسسة تعليمية نظامية منذ القرن الثالث الهجري، والتي كان لدعاتها وعلمائها الأثر الطيب في نشر الإسلام والدعوة إليه، ولكن كما قيل :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما . ·. والماء فوق ظهورها محمول"

انتهى كلام الشيخ ابن عتيق عن مصر طبعاً، والتي ذكر فيها سيدنا الإمام الحسين وسيدنا أحمد البدوي ـ رضي الله عنهما ـ وهذا الأمر لا يحتاج إلى الفطنة التي تركها للقارئ، وكلام ابن عتيق هنا موجز إلا أنه يحمل الكثير من معالم التكفير، ولولا محاولة إظهار حقيقة المتطرفين، وبيان مدى نظرتهم إلى المجتمع : ما حللنا هذا الكلام الذي لا يصدر إلا عن زيغ،

وجهل، ولو كان هذا الكاتب الداعية الوهابي يحمل أدب الإسلام في صدره؛ ما صدر عنه مثل هذا التكفير للبلاد والعباد، ومعلوم لصغار طلاب العلم أن ألف باء الدعوة تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، كما أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكونان بمنكر أفظع؛ يتمثل في تكفير البلاد والعباد، يا شيخ إسماعيل بن عتيق.

ومن النظر في عنوان الكتاب؛ نجد ما يفيد البكاء على التوحيد الذي أصيب أو مات كما يزعم العنوان غير الموفق للكتاب، كما يوحي كذلك بأن المتطرفين الوهابيين هم من يبكي على التوحيد؛ خوفاً وحزناً، كما أن عنوان مقال ابن عتيق الذي اختاره (من لهذه الوثنية المتعددة)؟ يوحي بالتكفير حيث (الوثنية المتعددة والوثنية) نسبة للوثن (الصنم) ويوحي كذلك بأن الزائرين يتقربون بعبادة تلك الأوثان، والدليل من كلام ابن عتيق على عبادة هذه الأوثان؛ إطلاقه بعض الألفاظ التي لا تليق ولا تكون إلا لله عز وجل حيث قال: "من يتهافت على تلك الأوثان: حباً وتعظيما وخشية وإنابة وتضرعاً وافتقاراً" وربما قال بعض المدافعين عن الوهابية أمثال ابن عتيق وابن منيع وغيرهم، ربما قالوا هذا ليس تكفيرا ـ وهم دائما يتشدقون بأنهم لا يُكَفِّرون أحداً؛ نقول لهم: إذن ما معنى أن يقول شيخكم هذا عن دولة مثل مصر: " ولا حرج في التمثيل وذكر بعض الأمثلة لتلك الدول التي تبنت الإسلام شعاراً لا عقيدة. ومع الأسف فهي محسوبة على الإسلام!!" أليس هذا الكلام تكفيراً صريحاً لمصر، ووصفها بأنها: "تبنت الإسلام شعاراً لا عقيدة" ، والشعار هنا مخالف للعقيدة حيث أثبت الإسلام شعاراً ونفاه عقيدة، وكأنه شق عن القلوب، ورأى الكفر فيها ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ـ ثم ما معنى قوله، وتعجبه: "ومع الأسف فهي محسوبة على الإسلام!!". وهل يريد ابن عتيق ألا تحسب مصر على الإسلام؟!! ولننظر إلى اعترافه في نهاية نصيب مصر من التكفير بأن مصر: "من أقدم الدول العربية والإسلامية في التعليم النظامي، وفيها أكبر مؤسسة تعليمية نظامية منذ القرن الثالث الهجري، والتي كان لدعاتها وعلمائها الأثر

الطيب في نشر الإسلام والدعوة إليه" أليس في هذا تناقض منه؟ أم أن مصر كانت كذلك قديماً، وزال عنها هذا حديثاً؟!.

إن أمثال هذا الشيخ هم من دعاة الفتنة والتفريق بين أهل الإسلام، ولا أدري كيف سمحت دولة شقيقة مثل المملكة العربية السعودية بطباعة مثل تلك الكتب المُكَفِّرة للعباد والبلاد؟!! ومن العجب كذلك أن يدخل هذا الكتاب فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية!! وأن يكون ضمن سلسلة (المنتدى الإسلامي) جمعاً ونقلاً عن ثلاثة أعدادٍ من مجلة (البيان) كما جاء في المقدمة. فكلام ابن عتيق بهذا قد اتخذ وسيلتين أو أكثر من وسائل النشر الرسمية في المملكة هما: مجلة (البيان) التي نقل عنها هذه المقالات المتطرفة في التكفير، ثم هذا الكتاب الأشد تطرفاً في عنوانه ومضمونه: (دمعة على التوحيد).

المتطرفون وأهل البيت:

رأيت من خلال معايشتي للمتطرفين أنهم لا يطيقون ذكر سادتنا أهل البيت؛ ولعل ذلك بسبب ما تم غرسه في نفوسهم؛ فتشربته قلوبهم، أو أن ذلك طبعٌ فيهم، وربما علل البعض من كبرائهم بأن الخوف من الوقوع في الشرك، أو الانحراف نحو الغلو الشيعي هما السبب في ذلك.

فهم يتبرمون بمجرد ذكر السادة أهل البيت، وإذا سألتهم لماذا؟! يتعللون بأن ذلك خوفاً على العقيدة!! ثم يردفون: ومَن من المسلمين لا يحب أهل البيت؟!.

إن دعوى الحب تحتاج إلى دليل، وأبسط الأدلة أن نكثر من ذكر من نحب، وأن نربي النشء على حبهم، ونتدارس أخلاقهم وسلوكهم، وأن نفرح بذكرهم، وأن ننشر تراثهم؛ ولكن المتطرفين على العكس من ذلك تماماً. بل رأينا معظمهم يصاب بالضيق والضجر بمجرد ذكر سادتنا أهل البيت. وهذه أخلاق النواصب تماماً.

ورغم ما نعايشه من سلوكهم هذا. فإنك إذا سألتهم عن سبب هذا البعد القلبي والروحي

يقولون: "ومَن مِن المسلمين لا يحب أهل البيت؟!" . ويكتفون بهذا القول الجافي للسلوك، وكأن حب السادة أهل البيت جملة تُقال، في ردٍ سريعٍ، أو مرورٍ عابرٍ!.

وقد عانينا ذلك ـ ولازلنا نعاني ـ بالتجارب الواقعية لدرجة أني اعتقدت أن هؤلاء المتطرفين هم من ذرية بني أمية الذين لم يتوبوا، أو ينسوا الحقد والعداء للسادة أهل البيت ـ على أهل البيت مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام.

أذكر أنني كنت في أحد المؤتمرات العالمية، وأهديت أحد الحضور ـ ممن تشرب الفكر الوهابي ـ ديواني: (نفحات قلب في حب أهل البيت) فنظر في العنوان وبمجرد النظر قال لي: على فكرة مسألة أهل البيت هذه فيها كلام؛ فقلت له: أتمنى رأيك؛ فقال: سأقرأ وسيكون لي رر. فقلت وإني أرحب بأي ردٍ أو نقد أو ملاحظة، ولم أتلقَ منه شيئاً.

وفي المؤتمر نفسه أهديت الديوان أحد الأدباء العالميين المشهورين جداً؛ فقال لي: "الشعر في أهل البيت يصنف ضمن الشعر الحار" . فاستغربت الموقفين وقلت: سبحان الله!! هل وصل بنا الحال إلى هذا الحد؟! وهل ذكرنا للسادة، وشعرنا فيهم، وكتاباتنا عنهم صارت موضع اتهام، أو شك؟! ولا أدري كيف نستسيغ هذا الأمر؟! وكيف يكون ذلك مقبولاً عند السادة المثقفين؟! وكيف وصل إليهم؟!!.

ألسنا مأمورين أن نقرنهم بكتاب الله ـ عز وجل ـ لأنهم الثقل الثاني بعد هذا الكتاب العزيز كما ورد عن جدهم: "إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله، حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة" . عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم السلام؟! ألسنا نذكرهم في أهم ركن وأعظم فريضة (الصلاة) ونقرنهم مع جدهم في الصلاة عليهم معه؟! اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ومن أغرب ما حدث بيني وبين بعض المثقفين منذ وقتٍ قريب (مايو٢٠٠٨م): أنه بعد

حضورنا لقاءً أدبياً في أحد أندية أدب أسيوط ـ كنت قد ألقيت فيه قصيدة في حب السادة أهل البيت ـ وأثناء عودتنا دار بيني وبين رفيقَي العودة حوار حول موضوع حب السادة أهل البيت ؛ فذكرت لهما حديث الثقلين هذا : "إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله، حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة" ؛ فقال أحدهم هذا ليس حديثاً بل من تأليف الشيعة . فقلت له : بل هذا من الجهل بمعرفة حقوق السادة أهل البيت، ومن تقصير العلماء الأزهريين، وغيرهم من المفكرين والمعلمين في المدارس والجامعات . وبعد حوار طويل أقسما أنهما لم يسبق لهما قراءة هذا الحديث أو السماع به إلا مني في هذه اللحظات . مع ملاحظة أن الاثنين من حملة المؤهلات العليا وأن أحدهما مدرس تخصصه لغة عربية، وفي الوقت ذاته هو أحد المبدعين ـ بحق ـ ورئيس لأحد نوادي الأدب الشهيرة في المحافظة ! ! وإني أتساءل : على من تقع مسئولية تجهيل المتعلمين الحاصلين على مؤهلات عليا ـ فضلا عن غيرهم ـ بحقوق السادة أهل البيت، وهم الثقل الثاني بعد كتاب الله عز وجل ؟ ! ! وأين نصيب السادة أهل البيت من مناهجنا الدراسية في الأزهر وغير الأزهر من المؤسسات التعليمية المتنوعة ؟ ! .

شكوت بعض هذه الأحوال المتطرفة إلى أحد الأحباب من أساتذتي فقال لي : "لولا الملامة لمنعوا الصلاة على السادة أهل البيت في الصلاة" . وهو يقصد المبالغة في تطرفهم طبعاً ! !

اتهامات شيعية. واعترافات سنية:

يتهم الشيعة أهل السنة بأنهم نواصب أي : (يناصبون السادة أهل البيت العداء) لما يرونه من سلوك وتصرفات هؤلاء المتطرفين الذين يتهمون الكل (سنة وشيعة) بالشرك وعبادة القبور، وهذا اتهام ظالم من غلاة الشيعة . ولو أنهم اتهموا المتطرفين المدعين للسلفية النافرين المنفرين من مجرد ذكر السادة ؛ لكان اتهامهم على شيء من الصحة . ولكن متطرفي الشيعة جمعوا الكل في سلة واحدة، وحكموا على الكل بفعل البعض . وإننا عندما نلوم هؤلاء

المتطرفين المحسوبين على السنة، المعادين لأحباب السادة أهل البيت على هذا السلوك المشين؛ نلوم كذلك متطرفي الشيعة على هذا الاتهام غير الأمين؛ فحب السادة فرض على كل قلبٍ مؤمنٍ. والمعتدلون من أهل السنة - وهم الغالبية العظمى بحمد الله - يعرفون ذلك جيداً، وما من مؤمن باشر الإيمان قلبه؛ إلا ويهيم حباً في سادتنا أهل البيت، ويستبشر خيراً بمجرد ذكرهم. وكان الأولى بعلماء الشيعة أن يلقوا باللائمة على متطرفي السنة، وكان الأولى بعلماء السنة أن يلقوا باللائمة كذلك على متطرفي الشيعة؛ وبهذا تتجنب أمة سيد الخلق - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - كثرة من أنواع الصدامات المتنوعة.

وإذا كانت تلك اتهامات متطرفي الشيعة لأهل السنة؛ فإننا نجد بعض العلماء والباحثين من السنة يعترفون صراحة بوجود نواصب لأهل البيت من المتطرفين، ووجود تقصير في بيان حقوقهم عند معظم أهل السنة بصفة عامة.

السيد محمد علوي المالكي، والتصحيح:

السيد محمد علوي المالكي أستاذ جامعي شهير، مثّل المملكة العربية السعودية في أكثر من محفل ومؤتمر مما يخص القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة والسيرة العطرة، وله دروس في الحرم المكي، وسبقه والده في التدريس في الحرم؛ فهو من بيت علم وتدين، وله نسبه الطيب المبارك المتصل بسيد الخلق - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - حاول السيد تصحيح بعض المفاهيم المغلوطة لدى بعض المبدعاتية والمشركاتية والمكفراتية؛ مبيناً صحيح الشرع من خلال النصوص الشرعية الواضحة والآراء والاجتهادات الواردة عن أكابر العلماء على مر العصور، بل من خلال نصوص الأئمة: أحمد بن حنبل، وأحمد بن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، وغيرهم من السلفيين الذين يدعي الوهابيون أنهم يتبعونهم.

وليس السيد المالكي بدعاً في ذلك؛ فقد سبقه إلى محاولة تصحيح تلك المفاهيم جملة من العلماء الأجلاء من العلماء المبرزين وأئمة المذاهب السابقين، وكذلك من معاصري ابن

عبد الوهاب. ومن بعده، وبينوا مواطن تلك الرزايا الفكرية التي جرّت وتجر على المسلمين كثرة من المصائب الفكرية.

معلوم أن نقد هذا التيار الفكري المدعي للسلفية ـ وحده دون غيره ـ كان يتراوح بين الضعف والقوة. وقد ضعف هذا النقد مؤخراً أمام سيطرة الوهابيين على مقاليد الدين والتدين في المملكة العربية السعودية وشئون الحرمين الشريفين، وإبعادهم كل من يخالف منهجهم وإن كان من أهل الحرمين، وجذب من يتبعهم وإن كان من خارج المملكة، وكذلك محاولة زرع وتثبيت ونشر الوهابية بكثافة وتركيز؛ لتوهيب بقية بلاد المسلمين.

وأمام زيادة سيطرة الوهابيين وسطوة النفط والمال؛ زاد الضعف بل وصل إلى ما يشبه الأمر المسكوت عنه ـ وخاصة في المناطق الجديدة ذات النفوذ الوهابي ـ خوفاً من الاتهام في العقيدة والإبعاد، أو طمعاً في المنافع المادية والمعنوية.

وعندما نشر سليل بيت النبوة السيد محمد علوي المالكي رسالةً في جواز الاحتفال بالمولد النبوي، وكتاب (الذخائر المحمدية) قامت قائمة الوهابيين؛ فشكلوا اللجان واتخذوا القرارات بمنعه من إلقاء دروسه في الحرم والجامعة ـ رغم مناصرة معظم علماء السنة له على مستوى العالم الإسلامي ـ وقد ألف الوهابيون مجموعة كتب تم نشر بعضها عن طريق رئاسة لجان الدعوة والإرشاد، وقاموا بتوزيعها على الحجيج وغيرهم مجاناً، وأشهر هذه الكتب: كتاب ابن منيع الذي ضمنه تضامنهم وتضافرهم وقراراتهم: (حوار مع المالكي في رد مفترياته وضلالاته) والذي أثار معظم علماء الإسلام؛ فقاموا بالرد عليهم في أكثر من مقالٍ وكتاب، وقد جمع السيد المالكي ردود وتقاريظ العلماء في مقدمة وختام كتابه: (مفاهيم يجب أن تصحح) كما صدر كتابٌ بعنوان: (إنصاف المالكي) للفيف من العلماء، ونشر السيد يوسف الرفاعي كتابه (الرد المحكم المنيع على ابن منيع) وقد رد الوهابيون على كتاب المفاهيم بكتاب: (هذه مفاهيمنا) وكتب سفر الحوالي ـ والذي انقلب الوهابيون عليه مؤخر ـ

(الرد على الخرافيين) كما كتب أبو بكر الجزائري ـ وهو من أشد المتطرفين ـ كتابين: (وجاءوا يركضون. مهلاً يا دعاة الضلالة) و (كمال الأمة في صلاح عقيدتها) وغيرها الكثير من الردود والمناقشات.

قراءات نقدية في المنهج الوهابي للشيخ حسن فرحان المالكي:

أورد الداعية المؤرخ الشيخ حسن بن فرحان المالكي من خلال قراءاته كثيراً من مظاهر النصب الموروثة عن المتطرفين السابقين واللاحقين والتي اتكأ عليها المتطرفون الجدد. وقراءات المالكي هذه تمثل ثورة على الموروث غير المنصف الذي ظل يتسلل من خلال الحقب الزمنية إلى أن توراثه الوهابيون؛ فزادوا التكفير تكفيراً، والنصب لسادتنا أهل البيت نصباً. ونظراً لأن المالكي تجرأ على نقد مثل هذه الركائز الأساسية؛ كان لابد من وقفة وهابية حاسمة؛ تخرج الرجل من زمرة أهل السنة والجماعة بدلاً من محاورته بأسلوب إسلامي رفيع.

والمعارك بين المالكي والوهابيين طويلة ومستمرة في أكثر من موقع وكتاب؛ لقد شنوا عليه أكثر من حرب وفي أكثر من جهة؛ فحرموه من التدريس، ومنعوه من استكمال دراساته العليا في جميع جامعاتهم، ويكفي أن نقرأ بعض عناوين الكتب والأبحاث في الرد عليه مثل: (دحر افتراءات أهل الزيغ والارتياب عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- نقد لحسن المالكي) وكتاب (من انحرافات الزيدي حسن بن فرحان المالكي) وكتاب (أصول مذهب حسن بن فرحان المالكي أصول تكشف شبهات المالكي في التوحيد والشرك) و (إضرام النيران ببعض ضلالات حسن بن فرحان) و (تناقضات حسن المالكي) ومن المضحك المبكي أنهم خصصوا موقعاً على الإنترنت عنوانه: (موقع للرد على الضال المضل حسن بن فرحان المالكي) سبحان الله!! هذا جزاء من تجرأ وانتقد بعض النصوص والمناهج وطالب بفتح باب الحوار حول ما ورد فيها، وتصحيح ما جاء بها من أخطاء بشرية.

الرجل يقول عن نفسه إنه سني سلفي حنبلي، ويطلب مباهلة من اتهمه بغير ذلك، وهم

يقولون إنه ضالٌ رافضي زيدي. والمالكي يستشعر ذلك منهم؛ فيقرر أكثر من مرة ما هو عليه من منهج ومذهب؛ ففي بداية المذكرة الإيضاحية للكتاب يقول المالكي عن نفسة: "قد يكون من فضول القول التأكيد بأنني والحمد لله من طلبة الحق والعلم ومن أهل السنة والجماعة ولا أرفع من الشعارات إلا قال الله وقال رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ متحريا الحق و الصواب بحسب قدراتي واجتهادي فما أصبت فيه الحق فمن توفيق الله وفضله وما أخطأت فيه فمن ضعف أنفسنا ومن الشيطان ونستغفر الله ولا أدعي في أبحاثي السلامة من الخطأ وقد استفدت من ملحوظات بعض الأخوة فعدلت في بعض المعلومات مما سيلاحظه القارئ في النسخ الأخيرة للمذكرة، وأرجو من إخواني تصويب ما أخطأت فيه بالدليل والبرهان وسيجدوني إن شاء الله ممن يستجيب للحق أينما كان وأياً كان مصدره ورحم الله من أهدى لي عيوبي فليس ـ والله ـ بيني وبين الحق عداوة وكم تمنيت أن يظهر الحق على ألسنة المختلفين معي قبل ظهوره على لساني وقبل أن يسطره قلمي". ويختتم المذكرة بالتأكيد على عقيدته السنية السلفية الحنبلية قائلاً: "وأخيراً فيجب أن أؤكد أنني مسلم سني سلفي حنبلي ومن زعم أنني أنتمي لمذهب آخر باهلته وهذا لا يتناقض مع نقدي لأخطاء المسلمين أو السنة أو السلفية أو الحنابلة ولا يتناقض مع الاعتراف بما عند المذاهب الأخرى من حق ولا يتناقض مع قولي بأن الانتساب الشرعي إنما هو للإسلام فقط أما الانتسابات الأخرى فليست شرعية وإنما يستفاد منها للتمييز ولمعرفة منهج الشخص في المرجعية المعرفية وطرق الاستنباط وما إلى ذلك، ولم يكن أئمة المذاهب يرون شرعية الانتساب إلا للإسلام. هذا ما أحببت إيضاحه هنا و أرى قولي صواباً يحتمل الخطأ وقول مخالفي في الأمور التي بحثتها خطأ يحتمل الصواب، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك".

المتطرفون نواصب بالوراثة والتعليم:

لقد تسلل النصب لأهل البيت من خلال بعض النصوص التي ربما جاءت في مقابل الرفض

الشيعي، وهذا يذكرنا بخيبة من أراد أن يعالج ألم الرجل بوضع عصابة على العين.

لقد طالب المالكي بإعادة النظر في هذا الموروث البشري المتطرف الذي يحتوي على النصب في مقابل الرفض، وأورد الأدلة القاطعة على ما في هذا التراث من نصب وتطرف واتهام للغير في العقيدة.

وتحت عنوان: (النصب) من كتابه: (قراءة في كتب العقائد) يقول المالكي: "... وعلماء الشام مع فضلهم بشر لا ينجون من تأثير البيئة الشامية التي كانت أقوى من محاولات الإنصاف خاصة مع استئناس هؤلاء بالتراث الحنبلي الذي خلفه لهم ابن حامد وابن بطة والبربهاري وعبد الله بن أحمد والخلال وأبو بكر بن أبي داود!! ومع تذكر الصراع التاريخي الطويل مع الشيعة فهذا كله كان له أبلغ الأثر في نظرتهم للإمام علي وأهل بيته فلذلك حوكم ابن تيمية في عصره على (بغض علي) واتهمه مخالفوه من علماء عصره بالنفاق، وأخطئوا في ذلك، واتهموه بالنصب وأصابوا في كثير من ذلك لقوله: "إن علياً قاتل للرياسة لا للديانة وزعمه أن إسلام علي مشكوك فيه لصغر سنه وأن تواتر إسلام معاوية ويزيد بن معاوية أعظم من تواتر إسلام علي!! وأنه كان مخذولاً"!! وغير ذلك من الشناعات التي بقي منها ما بقي في كتابه منهاج السنة وإن لم تكن هذه الأقوال نصباً فليس في الدنيا نصب!! عفا الله عنه وسامحه.

وقد كان يعتذر بمبالغة شديدة لأهل الشام ويحمل فيه على أهل العراق باختصار حججهم هنا وتطويل حجج خصومهم هناك مع الاسترواح ببسط شبه الشاميين والاعتذار عنهم إضافة لادعاء الإجماع على أمور خاطئة والتظاهر بالإنصاف، يقول ابن حجر العسقلاني: "طالعت كتاب ابن تيمية في الرد على الرافضي فوجدته شديد التحامل في رد أحاديث جياد...". وهي تلك الأحاديث التي في فضل علي!! فقد كان متحاملاً عليها كثيراً وقد بين ذلك الألباني أفضل بيان في السلسلة الصحيحة(١٥) وذكر ابن حجر في لسان الميزان أنه: "كم

من موطن بالغ ابن تيمية فيه في الرد على الرافضي أدته إلى تنقص علي رضي الله عنه!!".

فلذلك نشأنا هنا في الخليج عامة وفي المملكة خاصة على أن الشيعة فيهم معظم صفات اليهود والنصارى وأنهم أسوأ من اليهود والنصارى بخصلتين!! حتى طبعت في ذلك الكتب ونوقشت الرسائل العلمية!! مع أن كل هذا أخذناه من ابن تيمية فقد ذكره ابن تيمية في مقدمة منهاج السنة معتمداً على رواية مكذوبة من رواية أحد الكذابين واسمه عبد الرحمن بن مالك بن مغول رواها عن والده عن الشعبي وهما بريئان من تلك الرواية. فبالله كيف نستطيع الإنصاف وهذا التاريخ كله يجثم فوق صدور الحقائق. فالسمة الغالبة على الشيعة وصف السنة بالنصب كما أن السمة الغالبة على النواصب وصف السنة بالتشيع، وهكذا خلافنا مع الإباضية والأشاعرة والصوفية وغيرهم، نتبادل الاتهامات دون حوار وبحث ودون رجوع إلى الحق الأول المتمثل في الكتاب والسنة الصحيحة المتفق عليها".

ويتابع المالكي نقده؛ مبيناً مواطن النصب، وأسبابه، ومدى تغلغله في قلوب التلاميذ الشباب: "... وللأسف أن المناهج التعليمية - عندنا في المملكة - قد أشرف عليها في الماضي أو راقبها من كان فيه انحراف واضح عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع الميل الشديد لبني أمية إما بعلم أو بجهل، فقد قُرِّر كتاب (محاضرات الخضيري) في دار التوحيد بالطائف لسنوات طويلة والكتاب يصف الإمام علي بالكبر والتعالي ويفضل معاوية عليه في إدارة شئون الدولة الإسلامية!! وقرر على المعاهد العلمية كتب محب الدين الخطيب: (الرعيل الأول) وكتاب (العواصم من القواصم) لابن العربي بتحقيقه والكتابان مليئان بالتعصب لبني أمية والانحراف عن علي بن أبي طالب والحسين بن علي فانتشر النصب بين عموم طلبة العلم عندنا وخرج لنا هذا الجيل الذي ترون!! - فلهذا لا تستغربوا الهجمة على كل من أراد التصحيح!! - وقد منع تدريس هذه الكتب في الفترة المتأخرة والحمد لله، لكن بقيت المقررات (في التاريخ الإسلامي) غير منصفة وإلا فأخبرونا أين الحكم الشرعي في قتال البغاة

وأين قوله تعالى: ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ وأين الحديث المتواتر (تقتل عمار الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)!! فأين هذا وغيره في مقرراتنا؟! أهذا جهل بهذه الحقائق (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله)؟!. ثم تتابع علماء الشام كابن تيمية وابن كثير وابن القيم - وأشدهم ابن تيمية - على التوجس من فضائل علي وأهل بيته وتضعيف الأحاديث الصحيحة في فضلهم مع المبالغة في مدح غيرهم...!! من واجبنا نحن أهل السنة ألا نتوجس من إعلان محبة صالحي أهل البيت وموالاتهم بكل وضوح وهذا لا يعني تقديساً ولا غلواً وإنما هو الحب الشرعي الذي تدل عليه النصوص الشرعية الصحيحة فما العيب في إعلان هذا الحب والولاء؟".

وكما يدعو المالكي إلى نبذ التطرف الفكري، يدعو كذلك إلى التخلص من آثاره التي شوهت سمعة المملكة العربية السعودية عند معظم المسلمين؛ فهو يقول: "وللأسف إن سمعتنا في العالم الإسلامي قد تشوهت أحياناً بل في كثير من الأحيان وعند كثير من المسلمين بسبب هذا الضيق المذهبي إذ نعد من خالفنا بين الشرك والبدعة!! ونرى عيوب غيرنا ونتناسى ما يوجد داخل كتب العقيدة عندنا!! فهذا أساء لسمعتنا حكومة وشعباً وعلماء مع أن هذا الضيق لا يوجد عند المسئولين - حقيقة صحيحة لا مجاملة فيها - وإنما يوجد عند بعض المنتسبين إلى العلم ممن يسيئون - عن جهل وحسن نية - لعلم وسمعة وإنصاف هذا البلد حكومة وشعباً وعلماء وطلاب علم... ومن خرج للدعوة في الخارج عرف هذا تماماً وعرف أن السمعة السيئة لنا عند بعض المسلمين لم تأت من فراغ كما أن السمعة السيئة عن الشيعة مثلا لم تأت من فراغ فكل هذه السمعة أو تلك لها ما يبررها للأسف؛ إذن فلنتق الله ولنحسن منهجنا وعلمنا لنحسن السمعة اللائقة بالعلم والحق لا بالباطل والمجاملات، وقبل أن نتهم الآخرين بالحقد علينا يجب أن نحسن الظن فيهم ولا نتهمهم بالمروق من الدين. إذن فالدولة كما قلت لا دخل لها بهذا فهي متواصلة مع جميع المسلمين، أما علاقاتها مع الدول

غير المسلمة فتقوم على أساس (المصالح) لا على أساس (الإخاء الديني) فهذا بحمد الله واضح ولولا خشيتي أن يستغل بعض الخصوم هذه المحاضرة لتشويه مقصدي وحبي للإصلاح لما ذكرت هذا أبداً لوضوحه لكل عاقل .

الدولة تدرك أن من مصلحتها الكبرى التصالح والتقارب مع جميع المسلمين بغض النظر عن مذاهبهم العقدية والفقهية والنظام الأساسي للحكم لم ينص على مذهب من المذاهب وإنما نص على كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) .

وأظن العقلاء من العلماء والمفكرين والباحثين مع الدولة على هذا الطريق الذي هو الخيار الاستراتيجي لمستقبل أفضل بعيداً عن (التخاصم المذهبي) الذي لم نجنِ منه ـ كما لم يجنِ منه خصومنا ـ إلا الضعف والتفرق وزرع الإحراجات والتوتر بين المسلمين بل وداخل المجتمع الواحد . لكن هذا ليس محزناً إن استفدنا من التجارب السابقة وأظن جميع المسلمين اليوم والحمد لله يلجأون للاستفادة من التجارب فقد وضع المتحاربون السلاح في الجزائر ومصر ولبنان والمغرب واليمن وغيرها من البلدان العربية الإسلامية وأصبح الناس في هذه الأيام يعرفون قيمة الاستقرار والهدوء والتنازل من أجل مصلحة الأمة والاعتصام بحبل الله والتجمع على الأساسيات وترك مساحة للحوار والعقل والاختلاف المشروع وأنا متفائل بأن المستقبل أفضل وأن العقلاء يزدادون يوماً بعد يوم في وطننا الإسلامي الكبير وفي وطننا الخاص ـ وطن الحرمين الشريفين . نعم نحن بحاجة للهدوء وبحاجة إلى البحث والتواصل والإنتاج والتسامح مع بعضنا وهذا كله لا يمنع من النقد الهادئ المنصف" .

أما عن نقده لكتب العقائد بصفة عامة مما ألفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أو توارثه الوهابيون عمن قبلهم ؛ فنرى المالكي يقول : "ولو رجعنا لسبب هذا التبادل في التكفير والتبديع لوجدنا كتب العقائد في الانتظار ! ! إذ كانت الكتب المؤلفة في (العقائد) هي ذاكرة هذا الفساد كله . ومحور شرعيته ومحطات انطلاق لكل خصومة بين المسلمين إذ أصبح لكل

فرقة من المسلمين كتبها التي يوصي بها أتباعها ويتدارسونها ويخطبون بمضامينها مع ما فيها من تجن ومظالم ضد بقية المسلمين ممن لم يكونوا معهم في الرأي أو الجزئيات، فأصبحت الدعوة لمضامين هذه الكتب لا إلى الحق، وظهر نبز الآخرين بالألقاب السيئة والتحلي بالألقاب الحسنة، وأصبح للإسلام أكثر من اسم، وأصبح الانتساب للإسلام غير كافٍ عند هذه الفرق.

والغريب أن كل الفرق الإسلامية دعواها واحدة فكل فرقة تزعم أنها امتداد للسلف الصالح وللمنهج الصحيح!! وأن الفرقة الأخرى هي المبتدعة المبتعدة عن الطريق الصحيح".

ومن الجمال بمكان أن المالكي قد توقع هذا الهجوم وتلك الاتهامات؛ لأنه خبر ذلك معه ومع غيره حيث يقول: " أقول: مع هذه الصراحة والشفافية والبياض الناصع الفطري لا أستبعد أن يقوم الانتهازيون - كالعادة - بتشويه المقاصد وبتر الأقوال لتصل هذه الصورة عن الشخص وأفكاره مشوهةً أصلاً ومبتورة ومفسرة تفسيراً سيئاً فقد رأينا حصول مثل هذا لنا ولغيرنا لكنه في تلاشٍ والحمد لله ونحن نرجو أن يكون البقاء للأصلح والأنفع والأنصع والأوضح والأكثر فائدةً لنا جميعاً ولمستقبلنا ومستقبل أجيالنا.

وأخيراً أقول صادقاً - إن شاء الله - (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) وما التوفيق إلا من عند الله عز وجل". اهـ

اعتراف الدكتور طارق السويدان:

وإذا كان المالكي قد اتهم المتطرفين - قديماً وحديثاً - بأنهم نواصب فإن الدكتور طارق السويدان، قد اتهم أهل السنة عامة بالتقصير في حب السادة أهل البيت؛ جاء ذلك على لسانه في محاضرة له بعنوان: (حوار في الساحة الإسلامية) وما أن سمع المتطرفون بالمحاضرة إلا وانهالت سهامهم عليه، بل أصدروا مقابل ذلك ما أسموه: (براءة أهل السنة والإيمان مما في محاضرة: حوار في الساحة الإسلامية لطارق السويدان) كل ذلك لأن السويدان قال ما

نصه : "واعتقد أن نقاط القصور أيضاً كثيرة ولأضرب مثالاً واضحاً من القضايا الرئيسية التي يعتز بها الإخوة الشيعة قضية : (تبجيل وتعظيم أهل البيت) عليهم السلام ـ وكنت تأملت في هذه المسألة عند أهل السنة والجماعة فوجدت ـ أيضاً ـ أن عند أهل السنة والجماعة تبجيل وتعظيم لأهل البيت لكن إظهار هذا التبجيل والتعظيم عند السنة بالتأكيد أقل مما هو عند الشيعة وهذا أنا أقوله بلا تردد قصور عند الإخوة السنة ويجب أن يعبروا عن حبهم وولائهم وتعظيمهم لأهل البيت أنا ما أقول هذا الكلام مجاملة لكم هذا دين هذا الكلام دين موجود في كلام الله موجود في السنة النبوية موجود في التطبيق الواضح فتعبيرنا نحن السنة عن قضية حبنا لأهل البيت أقل مما ينبغي ويجب أن يزداد" اهـ.

المتطرفون وتقسيم التوحيد:

كلام المتطرفين يدور دائماً حول تصحيح العقيدة ولكن بمفهومهم السابق المعتمد على سوء ظنهم بالمؤمنين الموحدين، وكأن عقيدة المسلمين الراسخة في قلوبهم يشوبها الشرك وتحتاج إلى تصحيحهم؛ ولذلك تجد أحد كبرائهم يكتب رسالة عنوانها : (التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام) ويتبعه كذلك الشيخ ناصر العمر.

ولننظر إلى قول الألباني في رسالته هذه، وكيف استعار تعبيرات الشيخ ابن تيمية وإمام الوهابية (محمد بن عبد الوهاب) ونسبها إلى نفسه ؟!!: " لقد كان المشركون يعلمون أن قول : "لا إله إلا الله" يلزم له التبرؤ من عبادة ما دون الله عز وجل، أما غالب المسلمين اليوم ؛ فقد فسروا هذه الكلمة الطيبة "لا إله إلا الله" بـ: "لا رب إلا الله!!" فإذا قال المسلم: "لا إله إلا الله"، وعبد مع الله غيره؛ فهو والمشركون سواء، عقيدة، وإن كان ظاهره الإسلام؛ لأنه يقول لفظة: لا إله إلا الله فهو بهذه العبارة مسلم لفظياً ظاهراً ... لذلك ، فإني أقول كلمة وهي نادرة الصدور مني - ، وهي: "إن واقع كثير من المسلمين اليوم شر مما كان عليه عامة العرب في الجاهلية الأولى من حيث سوء الفهم لمعنى هذه الكلمة الطيبة ؛ لأن المشركين العرب كانوا

يفهمون، ولكنهم لا يؤمنون، أما غالب المسلمين اليوم، فإنهم يقولون ما لا يعتقدون، يقولون: لا إله إلا الله ، ولا يؤمنون حقاً بمعناها ؛ لذلك فأنا أعتقد أن أول واجب على الدعاة المسلمين حقاً هو أن يدندنوا حول هذه الكلمة وحول بيان معناها بتلخيص، ثم بتفصيل لوازم هذه الكلمة الطيبة بالإخلاص لله عز وجل في العبادات بكل أنواعها..." .اهـ، ولقد تكررت تلك الفقرة بلفظها أو بمعناها : "إن واقع كثير من المسلمين اليوم شر مما كان عليه عامة العرب في الجاهلية الأولى" . والتي يقول الألباني عنها أنها نادرة الصدور منه، تكررت في كتابات شيخهم ابن عبد الوهاب .

والمصيبة الكبرى أنهم قد قسموا التوحيد إلى ثلاثة أنواع: توحيد الإلوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وقد قالوا إن الكفار السابقين موحدون توحيد الربوبية، إلا أنهم أشركوا في توحيد الإلوهية، وإنما جاء الإسلام لأجل توحيد الإلوهية؛ فاتهموا بذلك التقسيم معظم المسلمين في عقيدتهم.

كنت مع أحد أقاربي ـ وهو رئيس لأحد أفرع جماعة تتبنى هذا النوع من التوحيد ـ وتناقشنا حول هذا الأمر كثيراً، وذهبنا يوماً لصلاة العصر، وبعد الخروج وقفنا أمام المسجد، وقد أردت الرد عليه عملياً؛ فسألت أحد المصلين قائلاً: ما رأيك في توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية؟ وعلى أي التوحيدين أنت؟؛ فاستغرب الرجل ذلك مني، وقلت أ موحد أنت توحيد الربوبية أم توحيد الإلوهية؟ فقال: توحيد الله ربنا، وسألنا من هم أكثر ثقافةً؛ فكانوا ينكرون ذلك التقسيم، وكنت أقول له ولغيره: لماذا تلك المتاهات والتلبيسات على المسلمين؟! وهل تصحيح العقيدة يكون بهذا التقسيم الذي يجعل المسلمين بين موحد للربوبية يشاركه الكافرون في هذا، ومشرك في توحيد الإلوهية يشارك الكافرين في ذاك؟! أم أن المقصود هو تشريك وتكفير معظم المسلمين: عوامهم، وعلمائهم الذين يرفضون مثل تلك التوحيدات؟! أما قال أحد أئمتهم الكبار (محمد بن عبد الوهاب) في أكثر من موضع

من كتاباته وكرر تلاميذ مدرسته القول نفسه من بعده: "إن المسلمين اليوم على شرك أكبر من شرك الجاهلية"؟!!.

إن المسلمين بصفة عامة يفهمون التوحيد على ما هم عليه من حقيقة أيقنتها قلوبهم، ونطقت بها ألسنتهم؛ فهم يوحدون الرب الذي هو الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وليس لديهم تلك التقسيمات، ورحم الله من قال: "اللهم ارزقنا إيمانا كإيمان العواجيز، أو إيماناً كإيمان العوام". ويقصد الإيمان المعتمد على التصديق القلبي الذي لا يحتاج إلى فلسفات، أو مبررات، أو تقسيمات مخرجة لكثير من المسلمين من الملة السمحاء.

وقد قرأت لكثرة من علماء أهل السنة والجماعة اعتراضات شديدة على هذا التقسيم، وقالوا إن أول من تكلم في هذا الموضوع هو الشيخ ابن تيمية وتبعه تلميذه ابن قيم الجوزية، ومن بعدهما في هذا العصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتبعة تلاميذ مدرسته الوهابية إلى الآن. وما أكثر الكتب والشروحات التي تتحدث عن هذا التقسيم وتحمل العناوين نفسها (توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية) والتي توزع مجانا على الناس.

وليت من قسَّموا هذا التقسيم فطنوا إلى أنه يضع إشكاليات كثيرة في علم العقائد، وفيه تحميل للعوام والمثقفين أيضاً ما لا يطيقون من تلك الأفكار المجافية للعقيدة الإسلامية التي اعتمدت على أن الرب هو الإله وأن الإله هو الرب، وليتهم نظروا إلى بداية سورة الفاتحة: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ فمنطوقها أن الله هو الرب، وعلى ما جاء في سورة فصلت في أوصاف الأولياء الصالحين: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا...﴾ فالرب هو الله جل جلاله وتقدست أوصاف ذاته، وكثرة من الآيات الكريمة تخاطبنا ﴿إن ربكم الله﴾.

وليتهم سموا الأشياء بمسمياتها، كما فعل إمام الدعاة الشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمه الله - عندما عبر عن تلك المسائل بقوله: "عطاء الإلوهية، وعطاء الربوبية" ولم يقَسِّم

التوحيد إلى توحيد إلوهية وتوحيد ربوبية كما قسم وفرق هؤلاء.

ولقد رد العلامة الشيخ يوسف الدجوي على هذا التقسيم، وكذلك مسألة التوسل رداً مفصلا في مجلة الأزهر، وقام مجمع البحوث الإسلامية بطباعة مقالات العلامة الدجوي في مجلدين كبيرين بعنوان: (الفتاوى الدجوية) وهو من أهم الكتب التي حوت الرد المفصل على كل شبه متطرفي الوهابية وتلاميذهم. وقد تم نشر هذا الرد في أكثر من موقع، وفي أكثر من رسالة، وقد نشر رد العلامة الدجوي في موقع: (دار أهل السنّة والجماعة - من بلاد الحرمين) كالآتي:

نقد تقسيم التوحيد إلى إلوهية وربوبية

لفضيلة العلامة حجة الإسلام يوسف الدجوي الأزهري

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العلامة أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن أحمد الدّجوي المالكي الأزهري المتوفى سنة ١٣٦٥هـ: "جاءتنا رسائل كثيرة يسأل مرسلوها عن توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية ما معناهما؟؟ وما الذي يترتب عليهما؟؟ ومن ذا الذي فرق بينهما؟؟ وما هو البرهان على صحة ذلك أو بطلانه؟؟ فنقول وبالله التوفيق:

إن صاحب هذا الرأي هو ابن تيمية الذي شاد بذكره، قال: "إن الرسل لم يبعثوا إلا لتوحيد الإلوهية وهو إفراد الله بالعبادة، وأما توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله رب العالمين المتصرف في أمورهم فلم يخالف فيه أحد من المشركين والمسلمين بدليل قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ اهـ.

ثم قالوا: إن الذين يتوسلون بالأنبياء والأولياء ويتشفعون بهم وينادونهم عند الشدائد هم عابدون لهم قد كفروا باعتقادهم الربوبية في تلك الأوثان والملائكة والمسيح سواء بسواء، فإنهم لم يكفروا باعتقادهم الربوبية في تلك الأوثان وما معها بل بتركهم توحيد

الإلوهية بعبادتها، وهذا ينطبق على زوار القبور المتوسلين بالأولياء المنادين لهم المستغيثين بهم الطالبين منهم ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى .. بل قال محمد بن عبد الوهاب: "إن كفرهم أشنع من كفر عباد الأوثان" اهـ!! وإن شئت ذكرت لك عبارته المحزنة الجريئة، فهذا ملخص مذهبهم مع الإيضاح، وفيه عدة دعاوى، فلنعرض لها على سبيل الاختصار، ولنجعل الكلام في مقامين فنتحاكم إلى العقل ثم نتحاكم إلى النقل، فنقول: قولهم: (إن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية) تقسيم غير معروف لأحد قبل ابن تيمية، وغير معقول أيضا كما ستعرفه، وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد دخل في الإسلام: إن هناك توحيدين وإنك لا تكون مسلما حتى توحد توحيد الإلوهية، ولا أشار إلى ذلك بكلمة واحدة، ولا سُمِع ذلك عن أحد من السلف الذين يتبجحون باتباعهم في كل شيء، ولا معنى لهذا التقسيم، فإن الإله الحق هو الرب الحق، والإله الباطل هو الرب الباطل، ولا يستحق العبادة والتأليه إلا من كان رباً، ولا معنى لأن نعبد من لا تعتقد فيه أنه رب ينفع ويضر، فهذا مرتب على ذلك كما قال تعالى: ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً﴾.

فرتب العبادة على الربوبية، فإننا إذا لم نعتقد أنه رب ينفع ويضر فلا معنى لأن نعبده ـ كما قلنا ـ ويقول تعالى: ﴿ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض﴾ يشير إلى أنه لا ينبغي السجود إلا لمن ثبت اقتداره التام، ولا معنى لأن نسجد لغيره، هذا هو المعقول، ويدل عليه القرآن والسنة.

أما القرآن فقد قال: ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا﴾، فصرح بتعدد الأرباب عندهم، وعلى الرغم من تصريح القرآن بأنهم جعلوا الملائكة أرباباً يقول ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب: إنهم موحدون توحيد الربوبية وليس عندهم إلا رب واحد وإنما أشركوا في توحيد الإلوهية!! ويقول يوسف عليه السلام لصاحبي السجن وهو يدعوهما إلى التوحيد:

﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾، ويقول الله تعالى أيضا: ﴿وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي﴾، وأما هم فلم يجعلوه ربا.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿لكنا هو الله ربي﴾ خطاباً لمن أنكر ربوبيته تعالى، وانظر إلى قولهم يوم القيامة: ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين﴾ أي في جعلكم أربابا ـ كما هو ظاهر ـ وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا ..﴾ فهل ترى صاحب هذا الكلام موحدا أو معترفا؟!.

ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿وهم يجادلون في الله﴾ إلى غير ذلك وهو كثير لا نطيل بذكره، فإذاً ليس عند هؤلاء الكفار توحيد الربوبية ـ كما قال ابن تيمية ـ وما كان يوسف عليه السلام يدعوهم إلا إلى توحيد الربوبية، لأنه ليس هناك شيء يسمى توحيد الربوبية وشيء آخر يسمى توحيد الإلوهية عند يوسف عليه السلام. فهل هم أعرف بالتوحيد منه ويجعلونه مخطئا في التعبير بالأرباب دون الآلهة؟!.

ويقول الله في أخذ الميثاق: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ فلو كان الإقرار بالربوبية غير كاف وكان متحققا عند المشركين ولكنه لا ينفعهم ـ كما يقول ابن تيمية ـ ما صح أن يؤخذ عليهم الميثاق بهذا، ولا صح أن يقولوا يوم القيامة: ﴿إنا كنا عن هذا غافلين﴾ وكان الواجب أن يغير الله عبارة الميثاق إلى ما يوجب اعترافهم بتوحيد الإلوهية حيث إن توحيد الربوبية غير كاف ـ كما يقول هؤلاء ـ إلى آخر ما يمكننا أن نتوسع فيه، وهو لا يخفى عليك، وعلى كل حال فقد اكتفى منهم بتوحيد الربوبية، ولو لم يكونا متلازمين لطلب إقرارهم بتوحيد الإلوهية أيضاً.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ فإنه إله في الأرض ولو لم يكن فيها من يعبده كما في آخر الزمان، فإن قالوا: إنه معبود فيها أي مستحق للعبادة، قلنا: إذن لا فرق بين الإله والرب، فإن المستحق للعبادة هو الرب لا غير، وما كانت محاورة

فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام إلا في الربوبية وقد قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ ثم قال: ﴿لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ ولا داعي للتطويل في هذا.

وأما السنة فسؤال الملكين للميت عن ربه لا عن إلهه، لأنهم لا يفرقون بين الرب والإله، فإنهم ليسوا بتيميين ولا متخبطين، وكان الواجب على مذهب هؤلاء أن يقولوا للميت: من إلهك لا من ربك!! أو يسألوه عن هذا وذاك. وأما قوله: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ فهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم إجابة لحكم الوقت مضطرين لذلك بالحجج القاطعات والآيات البينات، ولعلهم نطقوا بما لا يكاد يستقر في قلوبهم أو يصل إلى نفوسهم، بدليل أنهم يقرنون ذلك القول بما يدل على كذبهم، وأنهم ينسبون الضر والنفع إلى غيره، وبدليل أنهم يجهلون الله تمام الجهل ويقدمون غيره عليه حتى في صغائر الأمور، وإن شئت فانظر إلى قولهم لهود عليه الصلاة والسلام: ﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾ فكيف يقول ابن تيمية: إنهم معتقدون أن الأصنام لا تضر ولا تنفع إلى آخر ما يقول؟!.

ثم انظر بعد ذلك في زرعهم وأنعامهم: ﴿هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم﴾ فقدموا شركاءهم على الله تعالى في أصغر الأمور وأحقرها. وقال تعالى في بيان اعتقادهم في الأصنام: ﴿وما نرى معكم من شفعائكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ فذكر أنهم يعتقدون أنهم شركاء فيهم، ومن ذلك قول أبي سفيان يوم أحد: (أعل هبل) فأجابه صلى الله عليه وسلم بقوله: (الله أعلى وأجل) فانظر إلى هذا ثم قل لي ماذا ترى في ذلك من التوحيد الذي ينسبه إليهم ابن تيمية ويقول: إنهم فيه مثل المسلمين سواء بسواء وإنما افترقوا بتوحيد الإلوهية؟!.

وأدل من ذلك كله قوله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾ إلى غير ذلك مما يطول شرحه. فهل ترى لهم توحيدا بعد ذلك يصح أن يقال فيه إنه

عقيدة؟!.

أما التيميون فيقولون بعد هذا كله: إنهم موحدون توحيد الربوبية، وإن الرسل لم يقاتلوهم إلا على توحيد الإلوهية الذي لم يكفروا إلا بتركه!! ولا أدري ما معنى هذا الحصر مع أنهم كذبوا الأنبياء وردوا ما أنزل عليهم واستحلوا المحرمات وأنكروا البعث واليوم الآخر وزعموا أن لله صاحبة وولدا وأن الملائكة بنات الله ﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون﴾ وذلك كله لم يقاتلهم عليه الرسل - في رأي هؤلاء - وإنما قاتلوهم على عدم توحيد الإلوهية - كما يزعمون - وهم بعد ذلك مثل المسلمين سواء بسواء!! أو المسلمون أكفر منهم في رأي ابن عبد الوهاب!!. وما علينا من ذلك كله، ولكن نقول لهم بعد هذا: على فرض أن هناك فرقا بين توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية - كما يزعمون - فالتوسل لا ينافي توحيد الإلوهية فإنه ليس من العبادة في شيء لا لغة ولا شرعا ولا عرفا، ولم يقل أحد إن النداء أو التوسل بالصالحين عبادة، ولا أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، ولو كان عبادة أو شبه عبادة لم يجز بالحي ولا بالميت. فإن تشبث متشبث بأن الله أقرب إلينا من حبل الوريد فلا يحتاج إلى واسطة، قلنا له: (حفظت شيئا وغابت عنك أشياء) فإن رأيك هذا يلزمه ترك الأسباب والوسائط في كل شيء، مع أن العالم مبني على الحكمة التي وضعت الأسباب والمسببات في كل شيء، ويلزمه عدم الشفاعة يوم القيامة - وهي معلومة من الدين بالضرورة - فإنها - على هذا الرأي - لا حاجة إليها، إذ لا يحتاج سبحانه وتعالى إلى واسطة فإنه أقرب من الواسطة.

ويلزم خطأ عمر بن الخطاب في قوله: (إنا نتوسل إليك بعم نبيك العباس إلخ ..) وعلى الجملة يلزم سد باب الأسباب والمسببات والوسائل والوسائط، وهذا خلاف السنة الإلهية التي قام عليها بناء هذه العوالم كلها من أولها إلى آخرها، ولزمهم على هذا التقدير أن يكونوا داخلين فيما حكموا به على المسلمين، فإنه لا يمكنهم أن يدعوا الأسباب أو يتركوا

الوسائط بل هم أشد الناس تعلقا بها واعتمادا عليها . ولا يفوتنا أن نقول : إن التفرقة بين الحي والميت في هذا المقام لا معنى لها فإن المتوسل لم يطلب شيئا من الميت أصلا ، وإنما طلب من الله متوسلا إليه بكرامة هذا الميت عنده أو محبته له أو نحو ذلك ، فهل في هذا كله تأليه للميت أو عبادة له ؟ ؟ ! ! أم هو حق لا مرية فيه ؟ ؟ ولكنهم قوم يجازفون ولا يحققون ، كيف وجواز التوسل بل حسنه معلوم عند جميع المسلمين .

وانظر كتب المذاهب الأربعة ، حتى مذهب الحنابلة في آداب زيارته صلى الله عليه وسلم تجدهم قد استحبوا التوسل به إلى الله تعالى ، حتى جاء ابن تيمية فخرق الإجماع وصادم المركوز في الفطر مخالفا في ذلك العقل والنقل ." اهـ .

انتهى جواب العلامة حجة الإسلام

يوسف الدجوي المالكي الأزهري رحمه الله تعالى

مقارنة خوارجية مغلوطة:

الأصل أن نقول مقارنة (خارجية) وحتى لا يحدث لبث جعلناها بتمامها (خوارجية) فهي نسبة إلى الخوارج ؛ فقد ذهب المتطرفون إلى قمة الشطط عندما قارنوا بين زيارة قبور السادة أهل البيت ـ عليهم مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام ـ وزيارة قبور الصالحين من عباد الله ـ عليهم رضوان الله ـ قارنوا بين تلك الزيارات المباركة للأماكن المباركة وبين عبادة الأصنام . وللأسف الشديد قالوا إن الحال واحد . وهذا شأن الخوارج ؛ فحالهم هذا كحال الخوارج بالفعل ، وهم تلاميذهم في هذا العصر ؛ رحم الله سيدنا عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ فقد قال : "شرار الخلق الخوارج انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين" . وبالفعل تجدهم في معظم كلامهم وردودهم ومهاجماتهم للزائرين ؛ يستدلون بقول الله تعالى : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ (الزمر ٣) أي أن الزوار يعبدون قبور الأولياء كعبادة الكافرين للأصنام ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ـ ولم يفهموا أن الكفار قد

عبدوا الأصنام بالفعل، ثم تقربوا بالعبادة، بل هم قد عبدوها وسوّوا بينها وبين ـ الله عز وجل ـ وهذا واضح من خلال حسراتهم يوم القيامة إذ يقولون لهذه المعبودات كما جاء في القرآن الكريم: ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين﴾ فهل باله عليكم يوجد مسلم يعتقد عبادة برازخ الصالحين. أو يسوّي بينها وبين الله ـ عز وجل؟!!.

إن منهل الخوارج واضح في كلامهم، ومنهجهم ظاهر في سلوكهم، وقد رأيت منهم الكثير والكثير، وصدق ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ حيث وصفهم، ووصف حالهم، وعبادتهم، وخروجهم بعده ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ في معجزة إخبارية واضحة؛ فقد أخرج البخاري في كتاب المناقب في حديث رقم ٣٦١١ في باب علامات النبوة "سيخرج قوم في آخر الزمان حداث الأسنان سفهاء الأحلام. يقولون من قول خير البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فان في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة".

وكذلك ورد في صحيح مسلم في كتاب الزكاة حديث رقم ١٦٠٦ في باب التحريض على قتال الخوارج الجزء الثاني ص ٧٤٨ "يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبونه أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز قراءتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية. لو يعلم الجيش الذي يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم لا تكلوا على العمل".

كنت أقول لبعضهم: إنني من المحبين لسادتنا أهل البيت، وأحب زيارتهم، وأزورهم كلما تيسر ذلك. فهل يعقل أن أصدقكم فيما تتهمونني به، وتتهمون به أمثالي من الزائرين المحبين بأننا مشركون أو كافرون؟! وهل مثلي وأنا أدرس وأعظ وأخطب الجمعة، وأدعو إلى الله ـ على قدري ـ أن أكون كافراً أو مشركاً بالله ربي الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد؛ لمجرد زيارتي المعبرة عن حبي؟!! سبحان الله عما تصفون!!

فكانوا كثيراً ما يردون بأنك على علم، ولا تقع فيما يقع فيه العوام؛ فأرد عليهم قائلاً: إذن نسمي ما يقع فيه الناس جهلاً، أو أعمالاً مخالفة لا تصل إلى الشرك والكفر كما ترددون في اتهاماتكم. وإذا تجاوز أحدهم وصدر عنه عملٌ ظاهره الشرك؛ يمكن أن نقول إن فلان قد ارتكب عملاً من أعمال المشركين أو أعمال الكافرين. وارتكاب عمل من أعمال الكفر لا يوصف صاحبه بالكفر، بل بالمعصية؛ ما دام لم يقصد أو ينوِ، أو يقر بالكفر، ولم يشرح به صدرا.

عايشت المتطرفين والمتصوفين:

بعد انتهائي من المرحلة الإعدادية في قريتي (عرب مطير) انتقلت إلى مدينة أسيوط؛ لتكملة دراستي في المعهد الديني الثانوي، وفي السنة الأولى الثانوية تعرفت على مجموعة من الزملاء وكان جلوسي بجوار زميل هو من الجماعة الإسلامية، وكانت تدور بيننا حوارات ومناقشات حول ماهية الجماعة، وتكوينها وأهدافها، ونظراً لأن زميلي المجاور له شقيق في جامعة القاهرة؛ فكان يأتينا ببعض الكتيبات التي يطبعها اتحاد الطلاب في سلسلة تحمل عنوان: (صوت الحق، الجماعة الإسلامية) وهي مطبوعات كان مصرحاً بها في ذاك الوقت عام ١٩٧٩م. وقد اشتريت بعضها، وكنت أعترض على الاسم ذاته وأقول له ولغيره: "إذا كنتم أنتم الجماعة الإسلامية فمن نكون نحن وبقية الشعب" وكنا نتشاجر أحياناً ثم نتصالح، وكان لنا زميل مقرب منه، بيته بالقرب من مسكني الطلابي، وكنا كثيراً ما نترافق في طريق العودة، وتحتدم بيننا المناقشات، ولم يستطع أحد أن يوقف انتقادي للجماعة، كما لم يستطيعوا ضمي عضواً فيها؛ لأني كنت أرى فيهم غلظة وكبراً وتعالياً، على بقية المسلمين، وكأنهم المتحدثون الوحيدون باسم الإسلام، الداعون إليه الناشرون له.

وقرب انتهاء العام الدراسي الأول تعرفت على مجموعة من الأحباب في مسجد سيدي جلال الدين السيوطي، بعد صلاة الجمعة حيث وجدتهم يجلسون في حلقة ذكر منظمة

يصلون فيها على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ من خلال كتاب: (دلائل الخيرات) للإمام الجزولي. وبعد قراءة حزب الجمعة هذا؛ قمت بشراء الكتاب؛ حباً وإعجاباً. وتعرفت عليهم أكثر حين صحبني أحدهم إلى مسكني، وقال لي: "إننا نقوم بعمل حلقتي ذكر أخريين في مسجدين قريبين". وبدأت التردد عليهم، وتعرفت من خلالهم على شيخنا العارف بالله الأستاذ الشيخ: عبد الحميد الرافعي ـ رحمه الله ـ وعرفت أنهم يتبعون السادة الحبيبية؛ نسبة إلى سيدي سليل البيت النبوي الإمام الشيخ: محمد أحمد مرشد الحبيبي الإدريسي الحسني، والذي له ولأولاده مسجد شهير باسمه (مسجد الحبيبي) بجوار سيدتنا الطاهرة: السيدة زينب، في العاصمة القاهرة ـ سلام الله عليهم وعلى جميع السادة أهل البيت.

أعجبني في السادة الحبيبية ـ وعلى رأسهم السيد عبد الباقي الحبيبي، الشيخ الحالي لعموم السادة الحبيبية ـ متعه الله بالصحة والعافية ـ أنهم يبدءون جلساتهم بدرس من دروس العلم، أو حوار ونقاش علمي، ثم يدخلون في الذكر، وهم جلوس في أدب، دون وقوف أو تراقص، وكان شيخنا الشيخ عبد الحميد الرافعي، يبدأ الحضرة دائماً بدروسه الرائعة المحاطة بالإلهام، بل إنني سمعته عندما كان يتحدث في الفقه ويأتي بالأدلة من المذاهب الأربعة، ولا أنسى له ما كان يستدل به من طرائف الشعر والحكمة أثناء دروسه ـ رحمه الله تعالى، وجزاه عما بثه في قلوبنا خيراً ـ وهكذا وجدت الراحة القلبية في هؤلاء السادة؛ جزاهم الله عني وعن سائر الأحباب خيرا.

وبعد الانتهاء من الدراسة الجامعية والتجنيد، والتعيين في قريتي؛ كنت أشعر بألم فرقة هؤلاء السادة، وكنت أزورهم في المناسبات والاحتفالات، ومنذ أعوام بدأنا ومجموعة من الأخوة في الله في مشروعات خدمية ودعوية، وثقافية، وتحابنا في الله أكثر، والحمد لله لازلنا نلتقي مرتين أو ثلاث مرات أسبوعياً على حلقات الذكر التي نبدأها بدرس من العلم

والنقاش والحوار لمدة طويلة، ثم نشرع في ذكر الله الذي يستغرق حوالي نصف الساعة، نصلي فيها مجتمعين على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ مائة مرة، وأحياناً يسبقها التهليل (لا إله إلا الله) مائة مرة، ثم نختم بالدعاء؛ نسأل الله أن يتقبل منا ويقبلنا.

إنني لا أستطيع إنكار ما يحدث من بعض مشايخ وتلامذة الطرق من مخالفات شرعية ينكرها المعتدلون من الصوفية قبل غيرهم، كالتراقص والاختلاط في الموالد، والتسول باسم التصوف. بل إني قرأت كثيراً لسادة صوفية أفاضل ينكرون ذلك، ويعتبرونه مجافياً للتصوف الصحيح. وبدوري أنكرت ذلك كثيراً: في خطبي ودروسي وكتاباتي. وفي قسم المعارك الفكرية من هذا الكتاب. أضفت مقالاً تم نشره في صحيفة، وفي أكثر من موقع الكتروني، فيه ثناء على صحيح التصوف المبني على أدب السلوك، وفيه نقد للزائف الدخيل عليه؛ مما شوه صورته، والتصوف جميل بجمال السلوك الشرعي، والتربية الروحية السليمة.

ويعلم الله كم عانيت من المتطرفين، وكم نصحت؛ مشفقاً إلى أن حدث ما حدث لهم من تغييب واعتقالات، وكم كنت في حسرة بسبب نجاح بعض كبار رءوس التطرف في الخارج الداعمين لرءوس التطرف في الداخل، نعم لقد نجحوا في إشعال الفتنة بين الشباب والدولة، فكما أن هذا الشباب أثير وضُلل باسم الجهاد؛ فقتل وخرب ونهب؛ فكان على الدولة أن تحافظ على هيبتها وسلطانها، وأمن وسلامة المجتمع. ويعلم الله أنني حزنت لما أصابهم وأصاب أسرهم وأصاب المجتمع، وكنت من أوائل المنادين بالإفراج عنهم، وكتابي: (الجماعات المتطرفة معايشة وحوارات) يشهد وينطق بأني كنت أتمنى لهم عدم سلوك طريق التطرف. ويشهد كذلك بأني طالبت فيه بالإفراج عنهم تحت عنوان: (إنهم أبناء مصر) والذي تم تصويره من قِبَل أحد المهمين المهتمين بمصلحة الوطن والشباب وتم إرساله ـ كرأي

أحد الكتاب المعايشين لهم - إلى الجهات المعنية للمساهمة في دراسة كيفية التعامل مع هذا التيار، كما لم أنشر هذا الكتاب إلا بعد أن أصدر كبراؤهم مجموعة من كتب المراجعات الفكرية. ومما قلته شعراً في هؤلاء المتطرفين حال تطرفهم؛ رداً ووصفاً عاماً، هذه القصيدة، وهي من البحر الكامل:

قصيدة: احذروا الإرهاب

هبوا جميعاً شيبكم وشبابا .·. متكاتفين لتبتروا الإرهابا

ولتحسموا الداء الخبيث وتقطعوا .·. جذراً له كي لا يمد شعابا

واستنهضوا الهمم الكوامن وابعثوا .·. فكراً يهيض المارقين رقابا

ولتضربوا بيد العدالة معشرا .·. نبذوا السماحة سنة وكتابا

ظنوا التدين غلظةً وفظاظةً .·. نهلوا من الفكر السقيم شرابا

غرسوا جذور الحقد في أجوائنا .·. فنمت غصون أثمرت أوصابا

جلبوا على الدين المتاعب جمة .·. ولأجلهم صار القبيح صوابا

جعلوا اللحى منبوذةً بفعالهم .·. فغدت لجهلهم العنيف ضبابا

شقوا القلوب وأصدروا أحكامهم .·. فاسمع إليها واترك استغرابا

هذا على شركٍ وهذا كافرٌ .·. من دون ربك يعبد الأنصابا

والأغلبية فاسقون لأنهم .·. لبسوا من البدع العظام ثيابا

والعالمون إذا أبانوا فكرهم .·. كانوا لكل حكومة أذنابا

والناصحون لهم بحكمة شرعنا .·. نالوا من القوم الجزاء سبابا

يا ويح معترضٍ على أسلوبهم .·. قد حارب المولى وطاش صوابا

يا قادة الإرهاب كفوا واسمعوا .·. للناصحين وفتحوا الألبابا

هل كان دين الله إلا رحمةٌ .·. وسعت جميع العالمين رحابا؟!!

أسئلة افتراضية عن الحب الزيارة

إن الزائرين للسادة أهل البيت والصالحين قد ابتلوا باتهامات عقيمة في عقيدتهم أطلقها المتطرفون قديما وحديثا، مثل: الابتداع، أو الشرك، أو الكفر. ومعلوم أن الإنسان لا يصل إلى تلك الأشياء إلا بالإقرار والشهادة الصحيحة على نفسه، فإذا أنكر؛ فهو على إسلامه، ولا يشكك أحد في عقيدته، بل إن سيد الخلق ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ قد قبل ذلك من البعض رغم نفاقهم، وأمر بالكف عن أهل لا إله إلا الله، وألا نخرجهم من الإسلام بعمل. وخروجاً من هذه الإشكاليات يمكن أن نوجه أسئلةً افتراضيةً لمحب من الذين يزورون السادة أهل البيت والأولياء الصالحين؛ ونستمع إلى إجاباته، من خلال تصور معقول، أو من خلال أن تلك الأسئلة قد وجهت إلى شخصي المحب الضعيف:

سؤال: لماذا تزور قبور الأولياء؟

جواب: لأني أحبهم؛ فهم من أهل بيت النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ أو من أحبابهم من الصالحين من عباد الله.

سؤال: من أعلمك بأنهم صالحون؟

جواب: هم من سادتنا أهل البيت، أو من أحبابهم، والنصوص تشهد بطهرهم، وأنهم ذريةٌ مباركة، أو أنهم من أحباب السادة من العلماء والعارفين، كما أن الأمة تشهد بصلاحهم عبر الأجيال المتوالية، وشهادة الأمة مقبولة إن شاء الله تعالى.

سؤال: إنك تطوف بالقبر؛ ولا طواف إلا بالكعبة.

جواب: لا أقصد طوافاً إطلاقاً، والطواف له شروط وأركان، وهو نوع من العبادة والصلاة، وأنا لم يدخل في ذهني أبداً أن أعبد القبر، أو أصلي لصاحبه.

سؤال: المشركون كانوا يطوفون بالأصنام دون شروط أو أركان.

جواب: المشركون كانوا يعبدون تلك الأصنام، وأقروا بذلك؛ كما وصفهم الله في كتابه:

﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ بل عبدوها لذاتها : ﴿قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين﴾ وإني لا يمكن أن أعبد هذا القبر أو غيره . إنما أعبد الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

سؤال : هل أنت قبوري؟

جواب : كلمة (قبوري) أطلقها التكفيريون والتشريكيون على كل زوار السادة أهل البيت والصالحين، ولقد أطلقوها عن خبث وجهل ومعنى القبوري عندهم (من يعبد القبور) وأستطيع أن أقول لك جازماً : أتحدى أن تريني إنسانا يقر بأنه يعبد القبر الذي يزوره، أو يشركه مع الله ـ عز وجل ـ إنما هو الحب لصاحب هذا القبر الطيب المبارك ؛ لطيب من فيه لا غير .

سؤال : بعض الزوار يتمسحون في القبور، ويستغيثون بأصحابها ـ وهم أموات ـ ويطلبون منهم قضاء الحوائج، فما رأيك؟

الجواب : ما يفعله بعض الزوار نوع من الحب والتبرك بمن في القبر لا أكثر، وقد تبرك وأجاز التبرك بل قَبَّل البرزخ إمام الدعاة الشيخ محمد متولي الشعراوي ونشر ذلك عنه وسئل فيه ؛ فأجاز ذلك من باب المحبة لصاحب البرزخ، وأجاز ذلك أيضاً فضيلة مفتي الديار المصرية الشيخ الدكتور علي جمعة . أما عن التوسل والاستغاثة فهي أمر تحدث فيه كثرة من علماء السنة ما بين المجيز والمانع، وخلاصة قول المجيزين : أن الولي ما هو إلا سبب وواسطة، لا مسبب ؛ فهو يدعو للزائر ؛ وبهذا تتم الاستغاثة، ولا يوجد زائر يعتقد في الولي أنه يقضي حوائج الناس استقلالاً عن الله ـ عز وجل ـ أما المانعين فخلاصة قولهم : أن ذلك حرام، وليس شركاً أو كفراً كما يزعم المتطرفون . ولهم في ذلك قاعدة تقول : لا يطلب من المخلوق ما يطلب من الخالق . ولنقرأ رأي أحد أهم أئمة المذاهب : الإمام أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ ففي كتاب : (العلل والسؤالات- أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٤٩٢) يقول عبد الله بن احمد بن

حنبل سالت أبي: عن الرجل يمس منبر النبي صلى الله عليه وسلم ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرب إلى الله عز وجل فقال: لا بأس بذلك.

ورحم الله شيخنا الأستاذ: عبد الحميد الرافعي عندما قال لنا: "عالم الأصول الباحث في علم الفقه يبحث فيما تصح به العبادة ويُرفع به الحرج، وعالم أصول الاعتقاد (التوحيد) يبحث فيما تصح به العقيدة، ويثبت به التوحيد. ولو سألت الزائر المتبرك وقلت له: هل أنت أفضل أم الولي الذي تزور؛ لأجاب: الولي أفضل مني بكثير وهو سيدي. ولو سألته: الولي أفضل أم النبي؛ لأجاب: النبي أفضل الأولين والآخرين، ولولا اتباعه للنبي ما كان ولياً؛ فالنبي سيد الأنبياء والأولياء - عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم السلام - ولو سألته: النبي - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - أفضل أم الله - عز وجل؟ لأجاب: الله هو خالق النبي وجميع الخلق، وهو - عز وجل - الذي فضل سيد الأنبياء على سائر الخلق، وهو الذي أرسله رحمة للعالمين - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ثم أردف الشيخ الرافعي بعد هذا قائلاً: "ما دام هذا الإنسان قد استطاع أن يفرق بين مقام الخالق، ومقام المخلوق؛ فقد صح إيمانه، وصحت عقيدته؛ فلا يتهم بكفر أو شرك، وإنما يسمى ما يأتيه من فعل خارج عن الشرع جهلاً؛ فيجب تعليمه لا تكفيره". اهـ

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، والتوسل:

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه: (فقه السيرة، ط٧ ص ٢٥٣،٢٥٤): "وإذا علمت أن التبرك بالشيء إنما هو طلب الخير بواسطته ووسيلته علمت أن التوسل بآثار النبي - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - أمر مندوب إليه ومشروع، فضلاً عن التوسل بذاته الشريفة. وليس ثمة فرق أن يكون ذلك في حياته - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - أو بعد وفاته، فآثار النبي وفضلاته، لا تتصف بالحياة مطلقا سواء

تعلق التبرك والتوسل بها في حياته أو بعد وفاته، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري في باب شيب رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ومع ذلك، فقد ضل أقوام لم تشعر أفئدتهم بمحبة رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وراحوا يستنكرون التوسل بذاته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد وفاته، بحجة أن تأثير النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ قد انقطع بوفاته، فالتوسل به إنما هو توسل بشيء لا تأثير له البتة! وهذه حجة تدل ـ كما ترى ـ على جهل عجيب جداً!

فهل ثبت لرسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ تأثير ذاتي في الأشياء في حال حياته حتى نبحث عن مصير هذا التأثير من بعد وفاته؟! إن أحداً من المسلمين لا يستطيع أن ينسب أي تأثير ذاتي في الأشياء لغير الواحد الأحد جل جلاله، ومن اعتقد خلاف هذا يكفر بإجماع المسلمين كلهم. فمناط التبرك والتوسل به أو بآثاره ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ ليس هو إسناد أي تأثير إليه، والعياذ بالله وإنما المناط كونه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أفضل الخلائق عند الله على الإطلاق، وكونه رحمة من الله للعباد فهو التوسل بقربه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى ربه، وبرحمته الكبرى للخلق. وبهذا المعنى توسل الأعمى به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في أن يرد عليه بصره؛ فرده الله عليه. وبهذا المعنى كان الصحابة يتوسلون بآثاره وفضلاته دون أن يجدوا منه أي إنكار، وقد مر بيان استحباب الاستشفاع بأهل الصلاح والتقوى وأهل بيت النبوة في الاستسقاء وغيره، وأن ذلك مما أجمع عليه جمهور الأئمة والفقهاء بما فيهم الشوكاني وابن قدامة الحنبلي والصنعاني وغيرهم. والفرق بعد هذا بين حياته وموته ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ خلط عجيب وغريب في البحث لا مسوغ له." اهـ

(سيدنا محمد) ورفض المتنطع:

دخلت المسجد المجاور لمسكني الطلابي أيام دراستي الجامعية؛ لصلاة العصر، وأقيمت

الصلاة فقلت : اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؛ فإذا بالإمام ينهرني بشدة ؛ ووجدت نفسي أرد عليه بعنف ؛ فتدخل المصلون لتأجيل النقاش إلى ما بعد الصلاة ، وفعلاً خرجت من المسجد فوجدت الشيخ منتظراً وهو طالب من الجماعة الإسلامية ، كما أنه غير متخصص ولكنه إمام بمجرد الحصول على المؤهل الأعلى وهو الانتماء للتيار والظهور بمظهره . المهم إنني سلمت عليه وعرفته بشخصي وبأني أزهري في السنة الثالثة من كلية اللغة العربية ، ورأينا أن النقاش لا يصلح ونحن وقوف خارج المسجد فطلب مني الذهاب معه ولكني آثرت أن اصطحبه إلى سكني القريب من المسجد ووافق وبمجرد دخولنا الحجرة أطفأ جهاز الراديو دون استئذان من زميلي الذي يستمع إليه وصبرت ، وابتسم زميلي لهذا التصرف وبعد الترحيب ومحاولة تقديم المشروب دار بيننا الحوار الآتي :

أهلاً ، يا شيخ : لماذا نهرتني عند صلاتي على سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ؟ ! فأجاب : لأنك تقول سيدنا محمد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك . فقلت لم يرد عنه ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ ما يفيد ذلك . وأما ما ترددونه منسوباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم : "لا تسيدوني في الصلاة" فلم يرد في حديث صحيح أو ضعيف ، وقال عنه الإمام الحافظ السيوطي إنه لا أصل له كما أنه لو كان حديثاً نطق به أعظم الخلق وأفصحهم ؛ لسلم من الخطأ اللغوي في متنه فيكون التعبير (لا تسودوني) وتلك عادتكم الضعيف تجعلونه صحيحاً ؛ إذا وافق هواكم والصحيح تنكرونه ؛ إذا لم يتفق مع ميولكم ، بل إن الوارد الصحيح في هذا المجال قوله صلى الله عليه وسلم : "أنا سيد ولد آدم لا فخر" . فكيف يصف الرسول صلى الله وسلم نفسه بأنه "سيد ولد آدم" وتنكرون أنتم أن نصفه صلى الله عليه وسلم بما وصف به نفسه في سنته الصحيحة فقولنا (سيدنا) اتباع لهذه السنة . وإذا كان القرآن الكريم قد وصف نبي الله يحيى ـ عليه السلام ـ بالسيادة في قول الله تعالى عنه ﴿ وسَيِّداً وَحَصُوراً ونَبِيًّا مِنَ الصَّالحِينَ ﴾ (آل عمران ٣٩) ألا يكون من الأدب

الواجب علينا نحو سيد الأنبياء أن نصفه بالسيادة؟! ثم قلت له هذه أدلتي فما أدلتك ؟ فأجاب : دليلي قوله صلى الله عليه وسلم :"لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم" . فقلت له صدق سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - ثم ما معنى الإطراء يا شيخ؟ فقال : الإطراء هو المدح ؛ فقلت له : إذن أنت جاهل ؛ فبدا عليه الغضب وتدخل زميلي قائلاً : لا تنس أنه ضيف ونحن عرب ؛ فقلت له : الإطراء هو المدح الكاذب ، وقولنا عن سيد الخلق سيدنا ليس مدحاً ، وإن اعتبرناه مدحاً فهو مدح صادق ثم سألته : هل تعرف شيئاً اسمه القيد في التشبيه البلاغي؟ فلما سكت قلت له : إن سيد الخلق - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - ينهانا أن نصفه مقيدين وصفه بما وصف به النصارى نبيهم سيدنا عيسى - عليه وعلى أمه السلام - وعندما نقول أن نبينا سيدنا لا يمكن أن يدخل في مخيلتنا أنه هو الله أو ابن الله أو شريك لله - جل جلال الله سبحانه و تعالى وحده لا شريك له - إنما هو صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله ولكنه أكرم العباد على الله ، وأحبهم إليه . وقلت له ثم إن الحديث مقيد بكيفية ظاهرة وواضحة وما دمت لا تعرف علوم اللغة من نحو وبلاغة ؛ فلا يحق لك أن تتحدث بما لا تعلم فلما بهت قلت له : إنه سيدنا وكل الأنبياء والصالحين سادتنا . وأردت أن أزيده توبيخاً فقلت : ألم يقل عن سيدنا الحسن وسيدنا الحسين - رضي الله عنهما - فلما سمع السيادة بدا الاستفهام وعدم الارتياح على وجهه فقلت : أليسا سيديك؟! فقال : لا أقول ذلك فقلت له : إذن أنت لست من أهل الجنة بمفهومك هذا ؛ لأنهما سيدا شباب أهل الجنة بنص قول النبي صلى الله عليه وسلم :"الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة" فبُهِت أيضاً ولم يستطع نطقاً . فلما أحس بأني أحب سادتنا أهل البيت وجه إليَّ سؤالاً نصه : هل تزور القبور؟ فقلت له نعم وكلما ذهبت إلى القاهرة لابد لي من زيارة سادتي أهل البيت ، وحيث إنه من المعلوم بالسنة الصحيحة أن زيارة القبور مستحبة ؛ ألا تكون زيارة سادتنا أهل البيت والصالحين أكثر استحباباً؟! ثم إن قبور سادتنا أهل البيت من رياض الجنة

فهل يكون المرء على غير صواب إذا زار رياض الجنة؟! وقلت له: وهل تزورهم أنت؟ فقال لا يمكن ذلك وأمر من أمامهم ولا أفعل ذلك، فقلت له أنت صادق في إحساسك هذا مع نفسك لأنك بهذا تثبت أنك من الرجس المبعد عنهم؛ لأن الله قال لهم وعنهم ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾وحاشا لله أن يذهب عنهم الرجس؛ ثم يدخلك عليهم. فلما بدا على وجهه الغضب، وقال لا أزورهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن شد الحال وقال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى". قلت له يا أخي إنكم تفهمون النصوص من الكتاب والسنة على غير الوجه الصحيح الذي عليه علماء الأمة سلفاً وخلفاً؛ فالحديث ليس فيه نهي عن زيارة الصالحين كما تفهمون، بل فيه حث على شد الرحال لهذه المساجد الثلاثة لمضاعفة ثواب الصلاة فيها؛ لأن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، وفي مسجد الرسول بألف، والأقصى بخمسمائة. والنهي عن السفر ينصرف إلى غيرها من المساجد بنية أن الصلاة فيها أفضل من غيرها. وذلك بدليل الرواية الواردة عنه صلى الله عليه وسلم والتي تفسر حديث شد الرحال تفسيراً جلياً: "لا ينبغي أن تركب المطي لمسجد تبتغى فيه الصلاة إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول ومسجد الأقصى" ثم إن أسلوب الاستثناء في الحديث جاء خالياً من المستثنى منه ولابد من تقديره فلو قدرناه: "لا تشد الرحال لمكان إلا إلى ثلاثة مساجد"؛ لكان السفر إلى أي مكان غير هذه المساجد الثلاثة حراماً والتقدير الصحيح الذي اعتمده العلماء للمستثنى المحذوف هو كلمة (مسجد) فيكون تقدير الحديث لا تشد الرحال لمسجد إلا إلى ثلاثة مساجد وهذا ما جاءت به الرواية الثانية: " لا ينبغي للمطي أن يشد رحاله إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي". ويمكن أن يكون النهي الوارد بقصد مدح هذه المساجد الثلاثة وبيان أفضليتها على ما سواها ولا يقصد به التحريم وقد ورد في أخبار سادتنا الصحابة أن سينا عمر وسيدنا أبا هريرة قد زارا مسجد قباء، ولو

فهما أن المقصود من الحديث التحريم ؛ ما فعلا هذا ؛ لأنهما قدوة ـ رضي الله عنهما ـ فالنهي إذن كالنفي الوارد : "لا فتى إلا علي" . فهل لا يوجد فتيان غير سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه ، أم أن المقصود أنه لا فتي في قوة الإمام علي مع وجود غيره من الفتيان ؟ ! وكالقول الوارد في مدح سيدنا الإمام مالك رضي الله عنه : "لا يفتى ومالك في المدينة" فهل مفهوم هذه العبارة منع غير الإمام مالك من الإفتاء ، أم أن المقصود أن الإمام مالك هو الأولى بالإفتاء من بين العلماء ؟ ! وسألته ما الضرر الذي يقع عليكم أو على الدين من زيارة الصالحين ؟ وهل الزائر يعبد الصالحين كما تزعمون باستدلالكم الأعمى بقول الله تعالى : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ (الزمر٣) ومعلوم أن هذه الآية الكريمة جاءت على لسان عبدة الأصنام ، وفيها ما يثبت أنهم عبدوا الأصنام أولاً ؛ ثم تقربوا بهذه العبادة إلى الله أي أنهم عبدوهم مع الله ، وقبل الله ؛ وهذا شرك أكبر . وأقسم بالله أنه لا يوجد بين أحباب أهل البيت والصالحين من يزور نبياً أو ولياً بقصد عبادته ، بل يعلم جيداً أنه عبد من عباد الله مكرم عند الله أمده الله بالرحمة وأعطاه الكرامة والفضل ، وإذا سألت أجهل الجاهلين من الزوار هل تعبد هذا الولي وتتقرب بعبادته إلى الله زلفى ؛ لثار عليك واتهمك بالجنون ، ولقال لك كيف أعبد مخلوقاً يا جاهل ؟ ! إنما أنا محب للنبي وآله والصالحين لا عابد لهم يا أحمق . ولقال لك على الفور إن أبسط مظاهر الحب أن تزور من تحب وفي الحديث القدسي "وجبت محبتي للمتحابين في وللمتزاورين في" . وكيف يصبر المحب ، أو يمتنع عن زيارة فروع النور والرحمة والعلم والحكمة من الشجرة النبوية المباركة ؟ ! .

فتوى دار الإفتاء المصرية في حكم زيارة السادة:

المفتي : فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة محمد

اطلعنا على الطلب المقيد برقم ٢٧٢٤ لسنة ٢٠٠٤م المتضمن السؤال الآتي :

السؤال : ما حكم زيارة آل بيت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب:

زيارة آل بيت النبوة من أقرب القربات وأرجى الطاعات قبولاً عند رب البريات؛ وقد وصَّى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته بآل بيته، فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى "خُمًّا" بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ! أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» رواه مسلم، وحث النبي صلى الله عليه وآله وسلم على زيارة القبور فقال: «زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ» رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي رواية أخرى للحديث: «فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الآخِرَةَ»، وأَوْلى القبور بالزيارة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبور آل البيت النبوي الكريم؛ لأن في زيارتهم ومودتهم برًّا وصلة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى ٢٣)، بل إن زيارة الإنسان لقبورهم آكد من زيارته لقبور أقربائه من الموتى كما قال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي» وقال رضي الله عنه أيضًا: «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله وسلم فِي أَهْلِ بَيْتِهِ» رواهما البخاري في صحيحه" .اهـ الفتوى.

مفتي مصر يجيز الصلاة في مسجد فيه ضريح:

سمعت قريبا (مايو ٢٠٠٨م) الدكتور علي جمعة بصوته يقرأ سؤالاً مكرراً، ويكرر هو قراءته للسؤال بغيظ، ونص السؤال كالآتي:

هل الصلاة في مسجد فيه ضريح جائزة؟

فأجاب المفتي بأن: "الصلاة جائزة والمسجد جائز".

وأخذ المفتي يسوق الأدلة على صحة ذلك، بوجود قبر النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ ووجود قبري سيدينا أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما، كما دلل على الجواز ببناء المسجد النبوي على ضريح أبي بصير، واتهم الوهابيين صراحة، وفسر وبرر الاتهامات بأن هؤلاء الوهابيين هم الذين يثيرون مثل تلك الاتهامات للمسلمين ببطلان صلاتهم.

إن المحب يتمنى أي أثرٍ لمحبوبه. فكيف إذا كان الأثر عترته الطاهرة وذريته المباركة ؟!

وأختم بقولي في قصيدة لي عن الزيارة، من البحر الطويل؛ رداً على المعترضين:

قصيدة: فضل زيارة أهل البيت:

زيارة أهل البيت من أفضل القرب .·. فزرهم على طهر وحب مع الأدب

وعرج على تلك الرياض مسلماً .·. وشم عبيراً يذهب الهم والكرب

ورو فؤاداً من بديع جمالهم .·. وأمتع بهم عينيك تنج من العطب

وقل إن روحي في هواكم رخيصة .·. وحبي لكم فوق القرابة والنسب

فروضاتهم عذب طهور مياهها .·. بها ثمر لا لن يقل مع الطلب

فهم جنة القلب المحب حقيقة .·. وفردوسها الأعلى فسبحان من وهب

إذا ذاق قلب حبهم عاش هائماً .·. به يسبق العلياء في العلم والأدب

فلا تلفت للمنكرين فهم على .·. غباء لأن قلوبهم شابها الجرب

وآذانهم صم وعمى بصائراً .·. عماهم هواهم والشقاء لهم غلب

لذاك تراهم ناطقين بشقوة .·. فيرمون بالشرك المحب بلا سبب

لهم أوجه يكسو الظلام جباهها .·. لهم أعين ترمى السماحة باللهب

فدعهم على غيٍ وطيش وباطل .·. ولا تلتفت أعمالهم فهي في تبب

وعش هائماً مستمتعاً بوصالهم .·. ففي وصلهم كل الكرامة والأرب

أيشـرك من زار الكـرام لحبهم .·. ومن زار سادات لكم فاز بالرغب

فيا عصبة التفكير كفوا سهامكم .·. أصبتم جمال الدين بالهم والنصب

ويا زمرة التشريك عودوا لرشدكم .·. جلبتم على الدين المواجع والوصب

رميتم جميع المسلمين بفتنة .·. ضللتم طريق الراشدين ولا عجب

شربتم قبيح الفكر من كل آسن .·. مددتم لنار العنف بالقار والحطب

جحدتم ليسر الدين عشتم تنطعا .·. وأذكيتمو نار التفرق والرهب

أفيقوا من السكر العنيد فإنه .·. دمار وخسران لوجدانكم خرب

وعودوا إلى روح السماحة جهرة .·. وتوبوا فرب العرش يقبل من يتب

أحبوا وزوروا آل بيت نبينا .·. زيارة أهل البيت من أفضل القرب

الإمام ابن تيمية يرد على المتطرفين:

من أجمل ما عثرت عليه خلال بحثي، ما قام بجمعه ونشره أخ حبيب، وباحث متميز يوقع باسم (العبد الفقير إلى الله، خادم الرباط) في منتديات (رباط الفقراء إلى الله بطيبة الطيبة) وتم نشرة في يوم الأربعاء ٠٢-٠٣-٢٠٠٥م، وهو على هذا الرابط:

http://www.rubat.com/phpbb/

viewtopic.php?p=28912&sid=ef9196608b5520263d9cd1b5a6e683fc

فقد استطاع صاحب البحث المميز أن يجمع من مؤلفات وفتاوى الإمام ابن تيمية - رحمه الله - ما يصلح أن يكون رداً على معظم أفكار المتطرفين المثارة على ساحة جدلهم الدائم، ومعاركهم المستمرة مع معظم المسلمين، وهو جهد مشكور لأخينا الفقير يجعل المتطرفين في حيرة من أمرهم، فهم دائماً مع الإمام ابن تيمية، وأعتقد الآن أنهم ضد فتاواه هذه، وربما قالوا إنها من هفوات أو كبوات الإمام؛ فتلك هي عادتهم، فما شذ فيه الإمام عن جمهور العلماء مستحسن عندهم، وما وافق فيه الجمهور شاذ عندهم؛ فعسى أن يوافقوا هنا على تلك

الفتاوى ويرتضوه ويرتضوها بصفتهم من تلاميذ مدرسته. وإليكم الموضوع بمقدمته:

"نظراً للتعصّب الأعمى نحو الشيخ ابن تيمية ومقلديه (ابن القيّم وغيره) الذي لاحظناه عند الكثير من إخوتنا في القبلة الذين يحبّون أن يطلقوا على أنفسهم لقب (السلفية)، ويطلق عليهم مخالفيهم من المسلمين لقب (الوهابية)، أفردتُ هذا الموضوع لجمع شبهاتهم والردعليها من نفس كتب شيوخهم الذين يقدسونهم ويقدمونهم على سائر علماء أهل السنة والجماعة، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يهدي به إخوة لنا في الإسلام، زاغت بهم العصبية والأهواء والنفس والشيطان عن إتباع الحق. والله ولي التوفيق.

الشبهات المثارة والرد عليها من مؤلفات الشيخ ابن تيمية (رحمه الله تعالى)

١- شبهة تكفير الوليّ القائل: "سبحاني! أو ما في الجبّة إلا الله".

ردّ الشيخ ابن تيمية هذه الشبهة فقال:

"فهذا التوحيْدُ: هو الّذي جاءتْ به الرّسُل، ونزلتْ به الكتْبِ، وإليه تشيرُ مشايخُ الطريقةَ وعلماءَ الديْن؛ لكن بعضُ ذويَ الأحوالُ قد يحصَلْ له في حالِ الفناء القاصْرِ سكْر وغيّبة عن السّوِي، والسكُر وجَدْ بلا تمييْز.

فقد يقولُ في تلْكِ الحالِ: سبْحانِي، أو ما في الجبْة إلاّ اللّهُ، أو نحْوَ ذلكِ من الكلْماتِ الّتي تؤثُر عن أبي يزيْد البسْطامي أو غيرهُ من الأصحّاءِ، وكلْمات السكرانُ تطّوى ولا تروى ولا تؤدى؛ إذا لم يكنْ سكرهُ بسببِ محظْور من عبادةِ أو وجْه منْهي عنهُ.

فإمّا إذْا كان السببُ محظوراً لم يكنُ السكرانَ معذوراً، لا فرقُ في ذاك بيْن السكُر الجسْماني والرّوْحاني؛ فسكُر الأجسامُ بالطّعامِ والشّراب، وسكُر النَفْوس بالصّورِ، وسكُر الأرْواحُ بالأصْواتِ." اهـ (مجموع فتاوى ابن تيمية - ج٢ ص٤٥٢)

٢ ـ شبهة تكفير الصوفية بأنهم يدعون إلى عبادة غير الله في قولهم: "إن الله خلق العالم من أجل سيدنا محمد" واستدلالهم الخاطيء بقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾:

رد الشيخ ابن تيمية على هذه الشبهة فقال:

"ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ سيد ولد آدم. وأفضل الخلق؛ وأكرمهم عليه، ومن هنا قال من قال: إن الله خلق من أجله العالم، أو أنه لولا هو لما خلق عرشاً، ولا كرسياً، ولا سماء ولا أرضاً ولا شمساً ولا قمراً. لكن ليس هذا حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم لا صحيحاً ولا ضعيفاً، ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث، عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل ولا يعرف عن الصحابة، بل هو كلام لا يدرى قائله.

ويمكن أن يفسر بوجه صحيح كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية ١٣) وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم ٣٢ ـ ٣٤)وأمثال ذلك من الآيات التي يبين فيها أنه خلق المخلوقات لبني آدم، ومعلوم أن لله فيها حكماً عظيمة غير ذلك، وأعظم من ذلك، ولكن يبين لبني آدم ما فيها من المنفعة، وما أسبغ عليهم من النعمة.

فإذا قيل: فعل كذا لكذا لم يقتض أن لا يكون فيه حكمة أخرى. وكذلك قول القائل: لولا كذا ما خلق كذا، لا يقتضي أن لا يكون فيه حكم أخرى عظيمة، بل يقتضي إذا كان أفضل صالحي بني آدم محمد، وكانت خلقته غاية مطلوبة، وحكمة بالغة مقصودة [أعظم] من غيره، صار تمام الخلق، ونهاية الكمال، حصل بمحمد صلى الله عليه وسلم". اهـ(مجموع

فتاوى ابن تيمية – ج١١ ص٨٢)

٣ ـ شبهة تكفير الولي إذا قال للشيء (كن فيكون):

رد الشيخ ابن تيمية على هذه الشبهة فقال:

"وزعم بعضهم أن الملك أقوى وأقدر، وذكر قصة جبرائيل بأنه شديد القوى، وأنه حمل قرية قوم لوط على ريشة من جناحه، فقد آتى الله بعض عباده أعظم من ذلك، فأغرق جميع أهل الأرض بدعوة نوح، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره» ورب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره! وهذا عام في كل الأشياء، وجاء تفسير ذلك في آثار: إن من عباد الله من لو أقسم على الله أن يزيل جبلاً، أو الجبال عن أماكنها لأزالها، وأن لا يقيم القيامة لما أقامها، وهذا مبالغة.

ولا يقال: إن ذلك بفضل بقوة خلقت فيه، وهذا بدعوة يدعوها، لأنهما في الحقيقة يؤولان إلى واحد، هو مقصود القدرة ومطلوب القوة، وما من أجله يفضل القوي على الضعيف. ثم هب أن هذا في الدنيا فكيف تصنعون في الآخرة؟ وقد جاء في الأثر: «يا عبدي! أنا أقول للشيء كن فيكون، اطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون، يا عبدي أنا الحي الذي لا يموت، أطعني أجعلك حياً لا تموت»، وفي أثر: «أن المؤمن تأتيه التحف من الله؛ من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت» فهذه غاية ليس وراءها مرمي، كيف لا وهو بالله يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه يمشي؟ فلا يقوم لقوته قوة". اهـ (مجموع فتاوى ابن تيمية – ج٤ ص ٣٧٤)

٤ ـ شبهة تكفير الصوفية لتوسلهم إلى الله تعالى بجاه حبيبه محمد:

ردّ الشيخ ابن تيمية على هذه الشبهة فقال:

"فإن قيل: إذا كان التوسل بالإيمان به ومحبته وطاعته على وجهين ـ تارة يتوسل بذلك إلى ثوابه وجنته وهذا أعظم الوسائل، وتارة يتوسل بذلك في الدعاء كما ذكرتم نظائره ـ فيحمل

قول القائل: أسألك بنبيك محمد، على أنه أراد: أني أسألك بإيماني به وبمحبته، وأتوسل إليك بإيماني به ومحبته، ونحو ذلك، وقد ذكرتم أن هذا جائز بلا نزاع. قيل: من أراد هذا المعنى فهو مصيب في ذلك بلا نزاع، وإذا حمل على هذا المعنى كلام من توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد مماته من السلف ـ كما نقل عن بعض الصحابة والتابعين وعن الإمام أحمد وغيره كان هذا حسناً. وحينئذ فلا يكون في المسألة نزاع". اهـ (مجموع مؤلفات ابن تيمية - ج١ ص٢١٣)

٥ ـ شبهة تكفير الأشاعرة ولعنهم:

ردّ الشيخ ابن تيمية على هذه الشبهة فقال:

"وكذلك رأيت في فتاوى الفقيه أبي محمد فتوى طويلة، فيها أشياء حسنة قد سئل بها عن مسائل متعددة قال فيها: .... ،ومن لعن أحداً من المسلمين عزر على ذلك تعزيراً بليغاً. والمؤمن لا يكون لعاناً، وما أقربه من عود اللعنة عليه، ....

قال: وأما لعن العلماء لأئمة الأشعرية فمن لعنهم عزر. وعادت اللعنة عليه فمن لعن من ليس أهلاً للعنة وقعت اللعنة عليه. والعلماء أنصار فروع الدين، والأشعرية أنصار أصول الدين." اهـ (مجموع فتاوى ابن تيمية - ج٤ ص١٢)

٦ ـ شبهة الإنكار على قال في دعائه: "أسألك بحق السائلين عليك":

ردّ الشيخ ابن تيمية على هذه الشبهة فقال:

"أما إذا سأل الله بالأعمال الصالحة وبدعاء نبيه والصالحين من عباده فالأعمال الصالحة سبب للإثابة، والدعاء سبب للإجابة، فسؤاله بذلك سؤال بما هو سبب لنيل المطلوب، وهذا معنى ما يروى في دعاء الخروج إلى الصلاة: «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا» وكذلك أهل الغار الذين دعوا الله بأعمالهم الصالحة. فالتوسل إلى الله بالنبيين هو التوسل بالإيمان بهم، وبطاعتهم، كالصلاة والسلام عليهم، ومحبتهم، وموالاتهم، أو

بدعائهم وشفاعتهم." اهـ (مجموع فتاوى ابن تيمية - ج٢٧ ص١٠٦)

٧ ـ شبهة الابتداع ببدعة الضلالة على من احتفل بالمولد النبوي الشريف:

ردّ الشيخ ابن تيمية على هذه الشبهة فقال:

"وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام وإما محبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيماً له، والله قد يثيبهم على هذا الاجتهاد.... إلى أن قال: فإن هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضى له، وعدم المانع منه." اهـ

(اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية - ص٢٦٦)

٨ ـ شبهة التكفير واقتراف الشركيات لِمَنْ تبرّك بالأولياء والصالحين

ردّ الشيخ ابن تيمية على هذه الشبهة ووضّح وأبان فقال:

"فصل وأما قول القائل: نحن في بركة فلان، أو من وقت حلوله عندنا حلت البركة. فهذا الكلام صحيح باعتبار، باطل باعتبار. فأما الصحيح: فإن يراد به أنه هدانا وعلمنا وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر، فببركة اتباعه وطاعته حصل لنا من الخير ما حصل، فهذا كلام صحيح. كما كان أهل المدينة لما قدم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم في بركته لما آمنوا به، وأطاعوه، فببركة ذلك حصل لهم سعادة الدنيا والآخرة، بل كل مؤمن آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم وأطاعه حصل له من بركة صلى الله عليه وسلم بسبب إيمانه وطاعته من خير الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله.

وأيضاً إذا أريد بذلك أنه ببركة دعائه وصلاحه دفع الله الشر وحصل لنا رزق ونصر فهذا حق، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم بدعائهم، وصلاتهم، وإخلاصهم؟» وقد يدفع العذاب عن الكفار والفجار لئلا يصيب من بينهم من المؤمنين ممن لا يستحق العذاب. ومنه قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ

الْحَرامِ والْهَدْيَ معْكُوفًا أَن يبْلُغَ محلَّهُ ولوْلا رجالٌ مُّؤْمنون ونسَاءٌ مُّؤْمنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تطئُوهُمْ فَتُصيبكُم مِّنْهُم مَّعرَّةٌ بِغيْرِ علْم لِّيدْخل اللَّهُ في رَحْمته من يشاءُ لوْ تزيَّلُوا لعذَّبْنا الَّذين كفرُوا منْهُم عذابًا أليمًا ﴾ إلى قوله : ﴿ هُمُ الَّذينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجد الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ولَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهمْ أَن تطئُوهُمْ فَتُصيبكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لعذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (الفتح ٢٥)

فلولا الضعفاء المؤمنون الذين كانوا بمكة بين ظهراني الكفار عذب الله الكفار : وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لولا ما في البيوت من النساء والذراري لأمرت بالصلاة فتقام، ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة معنا فأحرق عليهم بيوتهم» وكذلك ترك رجم الحامل حتى تضع جنينها . وقد قال المسيح عليه السلام : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبارَكًا أَيْنَ ما كُنتُ وَأَوْصَانِي بالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (مريم ٣١) فبركات أولياء الله الصالحين باعتبار نفعهم للخلق بدعائهم إلى طاعة الله، وبدعائهم للخلق وبما ينزل الله من الرحمة، ويدفع من العذاب بسببهم حق موجود، فمن أراد بالبركة هذا، وكان صادقاً، فقوله حق.

وأما «المعنى الباطل» فمثل أن يريد الإشراك بالخلق : مثل أن يكون رجل مقبور بمكان فيظن أن الله يتولاهم لأجله. وإن لم يقوموا بطاعة الله ورسوله، فهذا جهل . فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم مدفونا بالمدينة عام الحرة، وقد أصاب أهل المدينة من القتل والنهب والخوف ما لا يعلمه إلا الله، وكان ذلك لأنهم بعد الخلفاء الراشدين أحدثوا أعمالاً أوجبت ذلك، وكان على عهد الخلفاء يدفع الله عنهم بإيمانهم وتقواهم، لأن الخلفاء الراشدين كانوا يدعونهم إلى ذلك وكان ببركة طاعتهم للخلفاء الراشدين، وبركة عمل الخلفاء معهم ينصرهم الله ويؤيدهم. وكذلك الخليل صلى الله عليه وسلم مدفون بالشام وقد استولى النصارى على تلك البلاد قريباً من مائة سنة، وكان أهلها في شر. فمن ظن أن الميت

يدفع عن الحي مع كون الحي عاملاً بمعصية الله فهو غالط.

وكذلك إذا ظن أن بركة الشخص تعود على من أشرك به وخرج عن طاعة الله ورسوله، مثل أن يظن أن بركة السجود لغيره، وتقبيل الأرض عنده، ونحو ذلك يحصل له السعادة، وإن لم يعمل بطاعة الله ورسوله. وكذلك إذا اعتقد أن ذلك الشخص يشفع له، ويدخله الجنة بمجرد محبته، وانتسابه إليه، فهذه الأمور ونحوها مما فيه مخالفة الكتاب والسنة، فهو من أحوال المشركين. وأهل البدع، باطل لا يجوز اعتقاده، ولا اعتماده. والله سبحانه وتعالى أعلم." اهـ

(مجموع فتاوى ابن تيمية - ج١١ ص١٠٧)

٩ ـ شبهة إنكار وصول ثواب قراءة القرآن للميت والدعاء عند قبره، ووصف مَن يفعل ذلك بالقبوري:

ردّ الشيخ ابن تيمية - رحمه الله - على هذه الشبهة ووضّح وأبان فقال:

"فصل وأما «القراءة، والصدقة» وغيرهما من أعمال البر. فلا نزاع بين علماء السنة والجماعة في وصول ثواب العبادات المالية، كالصدقة والعتق، كما يصل إليه أيضاً الدعاء والاستغفار. والصلاة عليه صلاة الجنازة، والدعاء عند قبره.

وتنازعوا في وصول الأعمال البدنية: كالصوم، والصلاة، والقراءة. والصواب أن الجميع يصل إليه، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه». وثبت أيضاً: «أنه أمر امرأة ماتت أمها، وعليها صوم، أن تصوم عن أمها». وفي المسند: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمرو بن العاص: «لو أن أباك أسلم فتصدقت عنه، أو صمت، أو أعتقت عنه، نفعه ذلك» وهذا مذهب أحمد، وأبي حنيفة، وطائفة من أصحاب مالك، والشافعي.

وأما احتجاج بعضهم بقوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (النجم ٣٩) فيقال له قد

ثبت بالسنة المتواترة وإجماع الأمة: أنه يصلي عليه، ويدعي له، ويستغفر له. وهذا من سعي غيره. وكذلك قد ثبت ما سلف من أنه ينتفع بالصدقة عنه، والعتق، وهو من سعي غيره. وما كان من جوابهم في موارد الإجماع فهو جواب الباقين في مواقع النزاع. وللناس في ذلك أجوبة متعددة.

لكن الجواب المحقق في ذلك أن الله تعالى لم يقل: إن الإنسان لا ينتفع إلا بسعي نفسه، وإنما قال: ﴿لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ فهو لا يملك إلا سعيه، ولا يستحق غير ذلك. وأما سعي غيره فهو له، كما أن الإنسان لا يملك إلا مال نفسه، ونفع نفسه. فمال غيره ونفع غيره هو كذلك للغير؛ لكن إذا تبرع له الغير بذلك جاز.

وهكذا هذا إذا تبرع له الغير بسعيه نفعه الله بذلك، كما ينفعه بدعائه له، والصدقة عنه، وهو ينتفع بكل ما يصل إليه من كل مسلم، سواء كان من أقاربه، أو غيرهم، كما ينتفع بصلاة المصلين عليه ودعائهم له عند قبره." اهـ (مجموع فتاوى ابن تيمية - مجلد ٢٤- ص: ٣٦٠)

١٠ ـ شبهة تكفير أو قذف بالشرك على مَن قال: (يا محمد!)

ردّ الشيخ ابن تيمية - رحمه الله - على هذه الشبهة ووضّح وأبان مستشهداً بالحديثين الشريفين فقال:

"والعبد يسأل ربه بالأسباب التي تقتضي مطلوبه، وهي الأعمال الصالحة التي وعد الثواب عليها، ودعاء عباده المؤمنين الذين وعد إجابتهم كما كان الصحابة يتوسلون إلى الله تعالى بنبيه، ثم بعمه، وغير عمه من صالحيهم: يتوسلون بدعائه وشفاعته، كما في الصحيح: أن عمر ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ استسقى بالعباس، فقال: اللهم! إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فيسقون. فتوسلوا بعد موته بالعباس، كما كانوا يتوسلون به. وهو توسلهم بدعائه وشفاعته.

ومن ذلك ما رواه أهل السنن وصححه الترمذي: «إن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ادع الله أن يرد علي بصري، فأمره أن يتوضأ، ويصلي ركعتين، ويقول: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، نبي الرحمة، يا محمد! يا رسول الله! إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها، اللهم: فشفعه في»، فهذا طلب من النبي صلى الله عليه وسلم. وأمره أن يسأل الله أن يقبل شفاعة النبي له في توجهه بنبيه إلى الله هو كتوسل غيره من الصحابة به إلى الله، فإن هذا التوجه والتوسل هو توجه وتوسل بدعائه وشفاعته." اهـ

(مجموع فتاوى ابن تيمية - المجلد-٢٧، صفحة- ١٠٦)

١١ ـ شبهة الاستبداد بالرأي وفرض المعتقد المخالف وإكراه الناس على القبول تحت دعوى (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر):

ردّ الشيخ ابن تيميه - رحمه الله ـ في مجموع فتاويه - «فصل» القوم مستضعفون عن المحاقة - فقال:

"ومما يجب أن يعلم أن الذي يريد أن ينكر على الناس ليس له أن ينكر إلا بحجة وبيان؛ إذ ليس لأحد أن يلزم أحداً بشيء، ولا يحظر على أحد شيئاً بلا حجة خاصة؛ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم المبلغ عن الله. الذي أوجب على الخلق طاعته فيما أدركته عقولهم، وما لم تدركه، وخبره مصدق فيما علمناه، وما لم نعلمه، وأما غيره إذا قال هذا صواب أو خطأ، فإن لم يبين ذلك بما يجب به اتباعه، فأول درجات الإنكار أن يكون المنكر عالماً بما ينكره، وما يقدر الناس عليه، فليس لأحد من خلق الله كائناً من كان أن يبطل قولاً أو يحرم فعلاً إلا بسلطان الحجة وإلا كان ممن قال الله فيه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (غافر٥٦) وقال فيه: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (غافر ٣٥)

هذا وأنا في سعة صدر لمن يخالفني، فإنه وإن تعدى حدود الله فيّ بتكفير، أو تفسيق، أو افتراء أو عصبية جاهلية: فأنا لا أتعدى حدود الله فيه. بل أضبط ما أقوله، وأفعله، وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتماً بالكتاب الذي أنزله الله، وجعله هدى للناس، حاكماً فيما اختلفوا فيه. قال الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة ٢١٣) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء ٥٩) وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد ٢٥)

وذلك أنك ما جزيت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨) وقال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران: ١٢٠).

وإن أرادوا أن ينكروا بما شاؤوا من حجج عقلية أو سمعية فأنا أجيبهم إلى ذلك كله وأبينه بياناً يفهمه الخاص والعام أن الذي أقوله: هو الموافق لضرورة العقل والفطرة، وأنه الموافق للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وأن المخالف لذلك هو المخالف لصريح المعقول، وصحيح المنقول؛ فلو كنت أنا المبتدئ بالإنكار، والتحديث بمثل هذا: لكانت الحجة متوجهة عليهم، فكيف إذا كان الغير هو المبتدئ بالإنكار ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ (الشورى ٤١) ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات ١٧١) ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ (غافر : ٥١) اهـ (المرجع : مجموع فتاوى ابن تيمية - مجلد ٣ - ص : ٢٤٣ - فصل : القوم مستضعفون عن المحاقة) اهـ

شعر للإمام الزملكاني في الرد على المتطرفين:

قال الإمام كمال الدين الزملكاني الشافعي رحمه الله تعالى في رده على منكري التوسل بجاه سيد الخلق ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ مخاطباً للحبيب ؛ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم :

يا صاحب الجاه عند الله خالقه .·. ما رد جاهك إلا كل أفاك

أنت الوجيه على رغم العدا أبدا .·. أنت الشفيع لفتاك ونساك

يا فرقة الزيغ لا لقيت صالحة .·. ولا شفى الله يوما قلب مرضاك

ولا حظيت بجاه المصطفى أبدا .·. ومن أعانك في الدنيا ووالاك

حياة سادتنا أهل البيت أكمل من حياة الشهداء:

معلوم أن الأنبياء ـ عليهم مع سيدهم أفضل الصلاة وأتم السلام ـ أحياءٌ حياةً كاملةً عاقلةً ؛ بدليل لقاء سيد الخلق بهم ليلة الإسراء والمعراج ، وصلاته ـ صلى الله عليه وعليهم وعلى آله وصحبه وسلم ـ بهم إماما ، ومقابلة بعضهم في أكثر من موضع في السماء والأرض ، ووصول سلام سيدنا إبراهيم إلينا ، ومراجعات وشفقة سيدنا موسى بنا بشأن الصلاة ، ودار بينه وبينهم أكثر من حديث عليه وعليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم السلام .

وقد دلنا القرآن الكريم على حياة الشهداء ومعلومٌ أن الأنبياء أكمل حياةً من الشهداء ، وأن الصديقين أكمل حياة كذلك من الشهداء .

ومن هنا نعلم أنه إذا كان سادتنا الأنبياء أحياءً ؛ فإن سادتنا أهل البيت هم ورثة الأنبياء ، وإذا كان الصديقون أحياء ؛ فإن سادتنا أهل البيت هم أئمة الصديقين ، وإذا كان الشهداء أحياء ؛ فإن سادتنا أهل البيت هم سادة الشهداء .

حياة الشهداء والرسل في نونية ابن القيم:

وأبسط رد على المتنطعين الذين تشابهت قلوبهم في هذا الشأن مع الدهريين والعقلانيين في اعتقادهم أن الموت فناءٌ، وأن الميت قد انتهى أمره؛ ما قاله الإمام ابن القيم في نونيته عند حديثه عن حياة الأنبياء وسيد الأنبياء؛ مقارنا بينها وبين حياة الشهداء:

والرسل أكمل حالة منه بلا .·. شك وهذا ظاهر التبيان

فلذاك كانوا بالحياة أحق من .·. شهدائنا بالعقل والبرهان

وبأن عقد نكاحه لم ينفسخ .·. فنساؤه في عصمةٍ وصيان

ولأجل هذا لم يحل لغيره .·. منهن واحدة مدى الأزمان

أ فليس في هذا دليل أنه .·. حيٌّ لمن كانت له أذنان؟!

جاء ذلك في شرح النونية لابن عيسى ج٢ص١٦٠، وواضح من كلام ابن القيم أن كمال الحياة مرتبط بكمال الدرجة، وأن للنبيين أعلى درجات الحياة، يليهم الصديقون والشهداء والصالحون. ومن المعلوم أن الإمام ابن القيم هو الإمام الثاني للسلفية عندهم، بعد أستاذه الإمام ابن تيمية أو الإمام الثالث باعتبار سيدنا الإمام احمد بن حنبل هو الإمام الأول فيما يدعون؛ فليتهموا إذن الإمام ابن القيم بما اتهموا به محبي أهل البيت وزوارهم، وقد يتقول بعضهم بأن هذا من خصوصيات الأنبياء والشهداء، ونقول هذا تخصيص بغير مخصص من مشرع؛ فقد ثبت أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - زار أهل البقيع - رضي الله عنهم - وزار غيرهم من موتى المسلمين، وسلم عليهم، وأمرنا بالسلام على الموتى؛ حتى لا يعتقد هؤلاء المغالون أن السلام على الموتى من خصائص النبي - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

بل ثبت عنه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - أنه خاطب قتلى غزوة بدر قائلاً: "أ لقيت ما وعدت يا أبا جهل، أ لقيت ما وعدت يا أمية ...؟" ولما سأله أصحابه بأنهم قد

جيفوا ـ تعفنوا ـ قال لهم ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم" فوا عجباً من هؤلاء المتنطعين! قتلى الكفار يشعرون ويحسون!! ويستبعد هؤلاء المتطرفون الشعور والإحساس في سادة المؤمنين!! ونخشى كذلك أن يقولوا خطابهم من المعجزات فهو خاص بسيد الخلق ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ رغم أن الأحاديث كثيرة في معرفة شعور الموتى بزائريهم واستئناسهم بهم وردهم السلام عليهم.

إن سادتنا أهل البيت أحياءٌ في قلوب المؤمنين، ولهم حياة روحيةٌ وبرزخيةٌ؛ لا يعقلها إلا الموصولون ـ أسأل الله أن يصلنا بهم دنيا وأخرى ـ فقبورهم التي هي من رياض الجنة ـ مهوى أفئدة المحبين، وسلوى المحزونين، وفرحة المكروبين، وليست أصناماً كدعوى المتطرفين الجاهلين. إنها قبور سادة الخلق في الدارين؛ عليهم مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام.

المبحث الخامس

معارك فكرية وحوارات

هذه بعض المعارك والمساجلات والمعارضات والمداخلات التي خضتها بسبب بعض مقالاتي أو أشعاري على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) وقد فرض المعركة مداخلات وردود بعضها يعارضني، والبعض الآخر يساندني.

أولاً: معركة (ملتقى رابطة الواحة الثقافية)

حول الصلاة على سيد الخلق، ورؤيته في اليقظة

وهي على الرابط الآتي:

http://www.rabitat-alwaha.net/moltaqa/showthread.php?t=7401

وقد استمرت ما يزيد على الأسبوعين؛ فقد بدأت بتاريخ: ١٢ ـ ٤ـ ٢٠٠٥ وانتهت في ١ـ ٥ ـ ٢٠٠٥

الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

يقول الله عز وجل: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ أمرنا المولى سبحانه وتعالى بالصلاة على حبيبه بعد أن بدأ بذاته ـ سبحانه وتعالى ـ وثَنَّى بملائكته الكرام وأكد الأسلوب بـ (إن) ثم نادانا هذا النداء الإيماني (يا أيها الذين آمنوا) لينبهنا إلى أن المأمور به من صفات المؤمنين خاصة وليس المسلمين فحسب، والنداء بصفة الإيمان فيه تحريك للنوازع الإيمانية الداخلية، وجذب لها نحو السمو الروحي والإشراق النوراني، وفيه إشعار بأهمية الشخص المنادَى، وعلو منزلته عند ربه و مولاه ولذلك قالوا: "تجد أكثر الناس إيمانا؛ أكثرهم صلاة على نبيه ومصطفاه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم". وجاء الأمر بالسلام على سيدنا رسول الله؛ معطوفاً على الصلاة، مقروناً بها، ثم جاء المفعول المطلق (تسليما) المؤكِد لفعل الأمر (سلِّموا) وهذا يوحي بأهمية السلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ومن هذا النداء، وهذين الأمرين نفهم أن الصلاة والسلام على رسول الله فريضةٌ على كل

مؤمن، ومما يدل على أهميتهما؛ أننا نرددهما ونكررهما في أهم فريضة ألا وهي (الصلاة) ففي التشهد الأول نخاطب نبينا قائلين: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" وفي التشهد الأخير نصلي عليه بالصيغة الإبراهيمية، وهي ركن من أركان الصلاة عند الإمام الشافعي؛ تبطل الصلاة بدونه.

والصلاة على سيدنا رسول الله؛ تجلب الرحمة والثواب العظيم. يؤخذ هذا من قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلوا عليَّ فإنه من صلى على واحدةً صلى الله بها عليه عشرة ومن صلى على عشرة صلى الله عليه بها مائة ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله أرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي". وإذا كان الفعل المضارع يفيد التجدد والاستمرار؛ فمعنى هذا أن هناك احتفالاً دائماً من الله وملائكته (يصلون) بخير خلقه وحبيبه سيدنا محمد، ومن فضله ـ سبحانه وتعالى ـ علينا؛ انتدابنا لهذا الحفل العظيم المستمر الدائم، فكلما أكثر المؤمن من الصلاة على خير الخلق صلى آله عليه وسلم؛ كلما كان على صلةٍ قوية بالله، والملأ الأعلى. والعارفون يقولون: "إن الصلاة على سيد الخلق مقبولة وبأي صيغة". فإذا أضفنا إليه أهل بيته؛ كان أفضل. وإذا أضفنا أصحابه؛ زاد الفضل. وقالوا أيضاً: "لما علم الله عجزنا عن أن نصلي على رسولنا بأنفسنا بصيغة معينة تولى هو سبحانه ذلك عنا. وعلينا نحن مجرد الطلب؛ إذاً نحن لم نصل ونسلم بأنفسنا وإنما طلبنا من الله أن يصلي ويسلم عليه؛ وتلك قمة الصلاة والسلام، وقمة العطاء من الله؛ لأننا لا نعرف قدر نبينا عند ربه أبداً؛ ففوضنا ربه في الصلاة عليه نيابة عنا عن طريق الدعاء قائلين: "اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم". فهنيئا لعبد اتخذ الصلاة على رسول الله ورداً وأكثر منها؛ ليهنأ بالثواب في الآخرة ويحظى برؤيا رسول الله

في الدنيا ؛ فقد جاء في كتاب : (الذخائر المحمدية للسيد محمد علوي المالكي) ما يلي : "نقل الشيخ الغزالي في (الإحياء) عن بعض العارفين نقلا عن العارف المرسى أن من واظب على هذه الصلاة وهي : "اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم" في اليوم والليلة خمسمائة مرة لا يموت حتى يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة" . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وأحبابه وسلم تسليماً كثيراً يا رب العالمين. انتهى المقال.

مع ملاحظة اللغة: حيث إن (الرؤيا) بالألف تكون في المنام و (الرؤية) بالتاء المربوطة تكون بالعين، أو إن (الرؤيا) بالبصيرة و (الرؤية) بالبصر.

رد الأستاذ/ عدنان أحمد البحيصي، متابع ملتقيات الفكر(منبر الدعوة) :

اقتبس الأستاذ من مقالي، وبدأ الرد كما يلي: "فقد جاء في كتاب : (الذخائر المحمدية للسيد محمد علوي المالكي) ما يلي : "نقل الشيخ الغزالي في (الإحياء) عن بعض العارفين نقلا عن العارف المرسى أن من واظب على هذه الصلاة وهي : "اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم" في اليوم والليلة خمسمائة مرة لا يموت حتى يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة" .

أخي لي ملاحظة:

أغلب أهل العلم على القول بعدم جواز الالتقاء بالرسول صلى الله عليه وسلم يقظة كما أن الأمور الشرعية تستخرج من الأدلة الشرعية خاصة إذا كانت أموراً عقائدية ورؤية الرسول صلى الله عليه وسلم من الأمور العقائدية فلا احتجاج بقول المرسي هذا أو غيره إلا أن يأتي بدليل من الكتاب أو السنة. وأرى أن احتجاج القوم بقول العارفين هو احتجاج فاسد لا يصح إذا كان موافقا للهوى مخالفا للشرع. هذه إطلالة بارك الله فيكم.

وكان هذا ردي:

أخي وحبيبي الأستاذ / عدنان

إنني عندما أنقل رأياً لبعض العارفين؛ فإنما أنقله على أساس متين وهو يوافق الشريعة الغراء فقد جاء في صحيح البخاري قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : " . . . ومن رآني في المنام فسيراني في اليقظة"

وقد دار حوار طويل في مجلة الأزهر منذ سنوات حول هذا الموضوع، وعلى العموم فإن الأمر خلافي بين العلماء في هذا المجال.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

رد الأستاذ/ عدنان:

أخي الكريم الذي أعتز به سيد سليم

والذي عليه كثير من أهل العلم في شرح قوله صلى الله عليه وسلم : "من رآني في المنام فسوف يراني في اليقظة" أن الرؤية محمولة هنا يوم القيامة حيث تلتف كل أمة حول نبيها وإلا فإني أعرف أناسا رأوا النبي صلى الله عليه وسلم مناما ولم يروه يقظة. شكرا لك أخي

ورددت على الأستاذ عدنان بالآتي:

أخي وحبيبي الأستاذ / عدنان

نعم ولكن هناك من قال برؤيته يقظةً ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وليس مقياس الحواس. أو الاستحالة العقلية هما الفيصل في اختلاف أساتذتنا العلماء.

وإليك شيئاً مما جاء في كتاب (تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك) للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، رحمه الله: "قال العلماء: اختلفوا في معنى "فسيراني في اليقظة" فقيل: معناه فسيراني في القيامة، ونعقب بأنه لا فائدة من هذا التخصيص؛ لأن كل أمته

يرونه يوم القيامة من رآه منهم ومن لم يره. وقيل: المراد من آمن به في حياته ولم يره لكونه حينئذ غائباً عنه، فيكون مبشراً له أنه لابد أن يراه في اليقظة قبل موته" وبعد أن ذكر جملة آراءٍ ذهب إلى تأييد الرؤية العينية في اليقظة؛ وهذا واضح من عنوان كتابه، ثم نقل قول ابن أبي جمرة: " والمنكر لهذا لا يخلو إما أن يصدق بكرامات الأولياء، أو يكذب بها، فإن كان ممن يكذب بها فقد سقط البحث عنه ....، وإن كان مصدقاً بها فهذه من ذلك القبيل؛ لأن الأولياء يكشف لهم بخرق العادة عن أشياء في العالمين العلوي والسفلي عديدة، فلا ينكر هذا مع التصديق بذلك".

ولديّ يا أخي وحبيبي في الله كثرة من الأدلة أوردها هاهنا إن أحببت.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

رد أخي عدنان:

أخي شكراً لك على نقاشك العلمي الواضح والرزين.

نعم لقد قرأت ما ذكرت وأعلم أن رهطا من العلماء قالوا بذلك.

بارك الله فيك ولي عودة إن شاء الله.

ردي على أخي، عدنان:

أخي وأستاذي الحبيب / عدنان

بارك الله فيك، وفي جميل سلوكك الدعوي، والموضوع بصفة عامة محتمل للنقاش، ومن أعجب ما قرأت للسادة العلماء قولهم: "إن كل أمر غير قطعي قد أذن الله في الاختلاف حوله لراحة الجميع" أكرمك وأكرمنا الله جميعاً.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهى الحوار بيني، وبين أخي الأستاذ / عدنان، المشرف المختص، وهو كما رأيتم: جميل في اختلافه، وفي ردوده، لا يخرج عن أدب الحوار، وكانت له على معظم موضوعاتي

تعليقات راقية؛ بارك الله فيه وشكر له حسن أدبه وخلقه.

مداخلة للأستاذ/ إدريس قندوز الشعشوعي:

وبعد الانتهاء من الحوار الجميل بيني وبين أخي عدنان تدخل الأستاذ الحبيب / إدريس قندوز الشعشوعي (شاعر) الذي يمثل قيمة جميلة في كل آرائه ومداخلاته، وهو يحب الشعر الروحي جداً وله قصائد ومقالات رائعة، فمع مداخلته الطيبة:

أستاذنا سيد سليم، بارك الله فيك ..و أكرمك بدوام الصلاة على الحبيب المصطفى ـ صلى الله عليه وعلى آله و سلم ـ و أكرمك بجواره؛ فقد أتيت على كنز عظيم .... والاختلاف رحمة كما قلت .. فقط أضيف قد ينكر من ينكر من بعض العلماء ..إلاّ أن الكثير من الموثوق بهم من عارفين و أولياء كبار قد رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ... و قول النبي صلى الله عليه و سلم: "من رآني في المنام فسيراني في اليقظة" .. يعطي المفهوم احتمال قوي بخلاف لو جاء الكلام بقوله سيراني يوم القيامة .. و كيف و قد تواترت رؤية النبي صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم يقظة من عدد كثير جدا من الأولياء و العارفين بالله ...

تحية و سلام زكيين لك سيدي ... و صلِ اللهم على سيدنا و حبيبنا محمد و على آله و صحبه و سلم كثيرا.

ردي على مداخلة أخي الحبيب:

أخي الحبيب الأستاذ/ إدريس قندوز الشعشوعي:

بارك الله فيك وفيما أبديت وموضوع الرؤية لسيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ في اليقظة مما هو خلافي بين العلماء حسب الأذواق والمشارب وقد رجح الرؤية في اليقظة كبار علماء الأحاديث والفقهاء مثل: ابن حجر الهيتمي المكي في (الفتاوى الحديثية) وابن الحاج المالكي في (المدخل) روى ذلك ابن حجر الهيتمي أيضاً. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مداخلة للدكتور/ إسلام المازني:

أخي وحبيبي الأستاذ الدكتور/ إسلام المازني، من أحب الناس إلى قلبي، وقد تفضل مشكوراً بمراسلتي والاتصال بي على الجوال في أكثر من مناسبة وهو من أهل العلم، كما أنه جم الأدب والتواضع؛ فإلى مداخلته:

أبدأ كلامي بحمد الله تعالى والصلاة و السلام على رسول الله و على جميع الآل والصحب الكرام

ثم أسلم على الحبيب سيد سليم و أحييه على دعوته لحب الرسول صلى الله عليه وسلم

و أثرى الحوار الهادئ الجميل برسالة وردتني حول الموضوع لطالب علم مجتهد له رسائل في صيد الفوائد و غيره و هو يطرح الموضوع من عدة زوايا

و أنوه أولا إلى أن الموضوع ليس خاصا بالرؤية فقط بل بمن يجعلها اجتماعا وحديثا

ثم بمن يجعل لها قانونا (الصلاة ٥٠٠ مرة كي تحدث) وهو أمر يلزم معه تحديد مفهوم البدعة، ولو كان خيراً لأرشدنا له من أتم الله الدين على يديه صلى الله عليه وسلم

وأنوه إلى أن كتاب الذخائر المحمدية به أخطاء كثيرة نوه إليها ثلة من الدعاة في كتب و أشرطة متنوعة.

وأهل السنة لا يضعون الصوفية في سلة واحدة إن شاء الله ,وكتاب الذخائر كتب في الرد عليه الشيخ الجزائري جزءاً سماه "كمال الأمة في صلاح عقيدتها"

- وتبعه الشيخ عبد الله المنيع بكتاب "حوار مع المالكي" وكشف فيه كثيراً من أخطائه و اعتماده على الأحاديث التي حكم بوضعها أهل العلم.
- والشيخ الحوالي في شرائط صوتية بعنوان "الرد على الخرافيين" ذكر بعض الأدلة التي تثبت عدم إمكانية رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة.

أقوال بعض أهل العلم في المسألة:

١- قال القاضي أبو بكر بن العربي نقلاً من "فتح الباري" للحافظ ابن حجر العسقلاني (١٢ / ٣٨٤) :(شذ بعض الصالحين فزعم أنها - أي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته - تقع بعيني الرأس حقيقة) .

٢- الإمام أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي في "المفهم لشرح صحيح مسلم" ذكر هذا القول وتعقبه بقوله :(وهذا يدرك فساده بأوائل العقول .... وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل) وإلى كلام القرطبي هذا أشار الحافظ ابن حجر في (الفتح) بذكره اشتداد إنكار القرطبي على من قال : (من رآه في المنام فقد رأى حقيقته ثم يراها كذلك في اليقظة) .

٣- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة (العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية) :

"منهم من يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم ،خرج من الحجرة وكلمه وجعلوا هذا من كراماته ومنهم من يعتقد أنه إذا سأل المقبور أجابه . وبعضهم كان يحكي أن ابن منده كان إذا أشكل عليه حديث جاء إلى الحجرة النبوية ودخل فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ,عن ذلك فأجابه ، وآخر من أهل المغرب حصل له مثل ذلك وجعل ذلك من كراماته حتى قال ابن عبد البر لمن ظن ذلك : ويحك أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار فهل في هؤلاء من سأل النبي صلى الله عليه وسلم ,بعد الموت وأجابه وقد تنازع الصحابة في أشياء فهلا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ,فأجابهم ، وهذه ابنته فاطمة تنازع في ميراثها فهلا سألته فأجابها ؟" .

وحكاية ابن منده التي أشار إليها ابن تيمية رحمه الله في هذا الكلام ذكرها الحافظ الذهبي في (سير أعلام النبلاء ، ١٧ / ٣٧-٣٨) في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أبي

يعقوب إسحاق بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يحي بن منده وقال الذهبي فيها : (هذه حكاية نكتبها للتعجب) . وقال في إسنادها : (إسنادها منقطع) اهـ.

٤- قال الحافظ الذهبي في ترجمة الربيع بن محمود الماريني في (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) : "دجال مفتر ادعى الصحبة والتعمير في سنة تسع وتسعين وخمسمائة وكان قد سمع من ابن عساكر عام بضع وستين" . يعني الحافظ الذهبي بالصحبة التي ادعاها الربيع ما جاء عنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم .في النوم وهو بالمدينة الشريفة فقال له : أفلحت دنيا وأخرى ، فادعى بعد أن استيقظ أنه سمعه وهو يقول ذلك . ذكر ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني في (الإصابة في تمييز الصحابة ، ١ / ٥١٣) .

٥- الحافظ ابن كثير ذكر في ترجمة أحمد بن محمد بن محمد أبي الفتح الطوسي الغزالي في (البداية والنهاية ، ١٢ / ١٩٦) أن ابن الجوزي أورد أشياء منكرة من كلامه منها أنه - أي أبا الفتح الطوسي - كان كلما أشكل عليه شيء رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم .في اليقظة فسأله عن ذلك فدله على الصواب ، وأقر ابن كثير ابن الجوزي على عد هذا من منكرات أبي الفتح الطوسي ، وابن الجوزي ذكر هذا في كتابه (القُصاص والمذكرين ، ص١٥٦) .

٦- ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري ، ١٢ / ٣٨٥) أن ابن أبي جمرة نقل عن جماعة من المتصوفة أنهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم .في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك ثم تعقب الحافظ ذلك بقوله : "وهذا مشكل جداً ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة ويعكر عليه أن جمعاً جماً رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة وخبر الصادق لا يتخلف" .

٧- قال السخاوي في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم .في اليقظة بعد موته : "لم يصل

إلينا ذلك - أي ادعاء وقوعها - عن أحد من الصحابة ولا عمن بعدهم وقد اشتد حزن فاطمة عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى ماتت كمداً بعده بستة أشهر على الصحيح وبيتها مجاور لضريحه الشريف ولم تُنقل عنها رؤيته في المدة التي تأخرتها عنه" . نقل ذلك القسطلاني في (المواهب اللدنية، ٥ / ٢٩٥) عن السخاوي.

كما جاء عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على جلالة قدره وعظمة شأنه أنه كان يظهر الحزن على عدم معرفته ببعض المسائل الفقهية فيقول: "ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ,لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهداً: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا" . متفق عليه. فلو كان يظهر لأحد بعد موته لظهر لعمر الفاروق وقال له: لا تحزن حكمها كذا وكذا.

٨- وقال ملا علي قاري في (جمع الوسائل في شرح الشمائل للترمذي، ٢ / ٢٣٨) : "إنه أي:

ما ادعاه المتصوفة من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم .في اليقظة بعد موته لو كان له حقيقة لكان يجب العمل بما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم ,من أمر ونهي وإثبات ونفي ومن المعلوم أنه لا يجوز ذلك إجماعاً كما لا يجوز بما يقع حال المنام ولو كان الرائي من أكابر الأنام وقد صرح المازري وغيره بأن من رآه يأمر بقتل من يحرم قتله كان هذا من الصفات المتخيلة لا المرئية" انتهى كلام الملا علي قاري وفيه فائدة أخرى هي حكايته الإجماع على عدم جواز العمل بما يدعى من يزعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم .في اليقظة أنه سمع منه أمر أو نهي أو إثبات أو نفي، وفي حكايته الإجماع على ذلك الرد على قول الزرقاني في (شرح المواهب اللدنية، ٧ / ٢٩) ما نصه: "لو رآه يقظة - أي بعد - موته صلى الله عليه وسلم وأمره بشيء وجب عليه العمل به لنفسه ولا يعد صحابياً وينبغي أن يجب على من صدقه العمل به قاله شيخنا" .

٩- قال الشيخ رشيد رضا في (فتاويه. ٦ / ٢٣٨٥) : "صرح بعض العلماء المحققين بأن دعوى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ,بعد موته في اليقظة والأخذ عنه دعوى باطلة واستدلوا على ذلك بأن أولى الناس بها لو كانت مما يقع ابنته سيدة النساء وخلفاؤه الراشدون وسائر أصحابه العلماء وقد وقعوا في مشكلات وخلاف أفضى بعضه إلى المغاضبة وبعضه إلى القتال فلو كان صلى الله عليه وسلم، يظهر لأحد ويعلمه ويرشده بعد موته لظهر لبنته فاطمة عليها السلام وأخبرها بصدق خليفته أبي بكر - رضي الله عته - فيما روى عنه من أن الأنبياء لا يورثون، وكذا للأقرب والأحب إليه من آله وأصحابه، ثم لمن بعدهم من الأئمة الذين أخذ أكثر أمته دينهم عنهم ولم يدع أحد منهم ذلك وإنما ادعاه بعض غلاة الصوفية بعد خير القرون وغيرهم من العلماء الذين تغلب عليهم تخيلات الصوفية، فمن العلماء من جزم بأن من ذلك ما هو كذب مفترى وأن الصادق من أهل هذه الدعوى من خيل إليه في حال غيبة أو ما يسمى (بين النوم واليقظة) أنه رآه صلى الله عليه وسلم ,فخال أنه رآه حقيقة على قول الشاعر :

ومثلك من تخيل ثم خالا :

والدليل على صحة القول بأن ما يدعونه كذب أو تخيل ما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم ,في هذه الرؤية. وبعض الرؤى المنامية مما تختلف باختلاف معارفهم وأفكارهم ومشاربهم وعقائدهم وكون بعضه مخالفاً لنص كتاب الله وما ثبت من سنته صلى الله عليه وسلم ,ثبوتاً قطعياً ومنه ما هو كفر صريح بإجماع المسلمين نعم إن منهم من يجلهم العارف بما روى من أخبار استقامتهم أن يدعوا هذه الدعوى افتراء وكذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ,ولكن غلبة التخيل على المنهمكين في رياضاتهم وخلواتهم لا عصمة منها لأحد وكثيراً ما تفضي إلى جنون" .

١٠- قال الشيخ عبد الحي بن محمد اللكنوي - رحمه الله - في (الآثار المرفوعة في

الأخبار الموضوعة ص٤٦) : "ومنها - أي من القصص المختلقة الموضوعة - ما يذكرونه من أن النبي صلى الله عليه وسلم ,يحضر بنفسه في مجالس وعظ مولده عند ذكر مولده وبنوا عليه القيام عند ذكر المولد تعظيماً وإكراماً وهذا أيضا من الأباطيل لم يثبت ذلك بدليل، ومجرد الاحتمال والإمكان خارج عن حد البيان".

قال الشيخ محمد أحمد لوح - حفظه الله في (تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، ٢ / ٤٧-٤٩) باختصار: "من الأدلة على عدم إمكانية رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ,يقظة أن أموراً عظيمة وقعت لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ,وهم أفضل الأمة بعد نبيها كانوا في حاجة ماسة إلى وجوده بين أظهرهم ولم يظهر لهم، نذكر منها :

- انه وقع خلاف بين الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسبب الخلافة، فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم.

- اختلاف أبي بكر الصديق مع فاطمة رضي الله عنهما على ميراث أبيها فاحتجت فاطمة عليه بأنه إذا مات هو إنما يرثه أبناؤه فلماذا يمنعها من ميراث أبيها؟ فأجابها أبو بكر بأن النبي صلى الله عليه وسلم ,قال: "نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركنا صدقة". رواه البخاري وغيره.

- الخلاف الشديد الذي وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهة وعلي بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين من جهة أخرى، والذي أدى إلى وقوع معركة الجمل، فقتل فيها خلق كثير من الصحابة والتابعين، فلماذا لم يظهر لهم ـ النبي صلى الله عليه وسلم ـ حتى يحقن هذه الدماء؟

- الخلاف الذي وقع بين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ مع الخوارج، وقد سفكت فيه دماء كثيرة، ولو ظهر لرئيس الخوارج وأمره بطاعة إمامه لحقن تلك الدماء.

- النزاع الذي وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما والذي أدى إلى وقوع حرب صفين

حيث قتل خلق كثير جداً منهم عمار بن ياسر. فلماذا لم يظهر النبي صلى الله عليه وسلم، حتى تجتمع كلمة المسلمين وتحقن دمائهم؟ .

- أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،على جلالة قدره وعظمة شأنه كان يظهر الحزن على عدم معرفته ببعض المسائل الفقهية فيقول: "ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يفارقنا حتى يعهد إلينا فيهن عهداً ننتهي إليه: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا". متفق عليه. فلو كان يظهر لأحد بعد موته لظهر لعمر الفاروق وقال له: لا تحزن حكمها كذا وكذا" اهـ .

الرد على الشبهات:

قال الشيخ الصادق بن محمد بن إبراهيم - حفظه الله - في (خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم ،بين الغلو والجفاء عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة، ص٢٠٧-٢١٨):

"أكثر ما يستدل به هؤلاء: الحكايات، والادعاءات المنقولة عن أرباب الأحوال الصوفية، ومنهم من يستدل بحديث أبي هريرة الذي رواه البخاري ولفظة: "من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي". (كتاب التعبير، حديث رقم ٦٩٩٣، ١٢ / ٣٨٣ مع الفتح).

والكلام على هذا الاستدلال من عدة أوجه سيأتي بيانها إن شاء الله.

وأورد الآن بعض الحكايات التي يذكرونها إما في معرض الاحتجاج أو الاستشهاد أو الكرامات:

يزعم بعض تلامذة خوجلي بن عبد الرحمن: "أن شيخهم يرى النبي صلى الله عليه وسلم ،كل يوم أربعة وعشرين مرة - الصواب: كل يوم أربعاً وعشرين مرة- والرؤيا يقظة". (طبقات ابن ضيف الله ص١٩٠).

الرواية التي استدلوا بها:

هذا سندها ومتنها لبيان أنها مخالفة للطرق الأخرى لأصحاب أبي هريرة رضي الله عنه، بل خالفت جميع الألفاظ التي وردت عن جمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ممن روى هذا الحديث.

قال البخاري رحمه الله: حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله عن يونس عن الزهري حدثني أبو سلمة أن أبا هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ,يقول: "من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي". البخاري (كتاب التعبير، ١٢ / ٣٨٣) مع (الفتح، حديث رقم ٦٩٩٣)

والكلام على الاستدلال بهذه الرواية من عدة أوجه:

الوجه الأول: من حيث مخالفتها لروايات أصحاب أبي هريرة رضي الله عنه:

جاء هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ,من خمسة طرق، أربعة منها تخالف تلك الرواية، وتفصيلها على النحو التالي:

الطريق الأولى:

عن أبي صالح ذكوان السمان(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه ,مرفوعاً: "تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي ومن رآني في المنام فقد رآني ولا يتمثل الشيطان في صورتي". رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، حديث رقم ٦١٩٧، مع "الفتح"، وأحمد (١ / ٤٠٠)، (٢ / ٤٦٣).

الطريق الثاني:

عن محمد بن سيرين(٢) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: "من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي" رواه مسلم في "صحيحه" (١٥ / ٢٤) مع "شرح النووي"،

وأحمد (٢ / ٤١١).(٢ / ٤٧٢) .

الطريق الثالث:

عن العلاء بن عبد الرحمن(٣) عن أبيه(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه ,مرفوعاً بمثل اللفظ السابق. رواه ابن ماجه (كتاب الرؤيا حديث رقم ٣٩٠١) .

الطريق الرابع:

عن عاصم بن كليب(٥) عن أبيه(٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه ,مرفوعاً بمثل اللفظ السابق. رواه أحمد (٢ / ٢٣٢ ، ٣٤٢) .

الطريق الخامس:

عن أبي سلمة(٧) بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة .

ورواه عن أبي سلمة اثنان:

أ- محمد(٨) بن عمرو بن علقمة الليثي . ولفظه : "من رآني في المنام فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتشبه بي" كلفظ الجماعة. رواه أحمد (٢ / ٢٦١) .

ب- محمد(٩) بن شهاب الزهري، واختُلف على الزهري في لفظ الحديث :

- فرواه محمد(١٠) بن عبد الله بن مسلم بن شهاب عنه بلفظ الشك : " من رآني في المنام فسيراني أو فكأنما رآني في اليقظة لا يتمثل الشيطان بي" . رواه أحمد (٥ / ٣٠٦)

وتابعه سلامة بن عقيل على الرواية بالشك . (الخطيب تاريخ بغداد، ١٠ / ٢٨٤) .

ورواه يونس(١١) بن يزيد عن الزهري، واختُلف على يونس في لفظ الحديث كذلك .

- فرواه عبد الله(١٢) بن وهب عن يونس بالشك كما رواه ابن أخي ابن شهاب وسلامة بن عقيل عن الزهري باللفظ السابق. رواه مسلم (كتاب الرؤيا ، ١٥ / ٢٤ مع "شرح النووي") ، وأبو داود (٤ / ٤٤٤-٤٤٥) .

- ورواه أنس بن عياض (١٣) عن يونس بلفظ : " من رآني في المنام فقد رأى الحق " كلفظ الجماعة . رواه ابن حبان (٧ / ٦١٧) .

- ورواه عبد الله(١٤) بن المبارك عن يونس باللفظ المخالف لكل الطرق السابقة عن أبي هريرة : " من رآني في المنام فسيراني في اليقظة " البخاري (كتاب التعبير ،١٢ / ٣٨٣) مع "الفتح" حديث رقم ٦٩٩٣

ولم يقتصر هذا اللفظ للرواية على مخالفة الطرق الأخرى لأصحاب أبي هريرة رضي الله عنه ، بل خالف جميع الألفاظ التي وردت عن جمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ممن روى هذا الحديث .

الوجه الثاني: من حيث مخالفتها لروايات الصحابة الآخرين:

روى حديث رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ,في المنام جمع من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بألفاظ متقاربة ومعان متوافقة ، وتفصيل ذلك على النحو التالي :

اللفظ الأول:

رواه أنس بن مالك(١٥) وجابر بن عبد الله(١٦) ، وأبو سعيد الخدري(١٧) وابن عباس(١٨)

وابن مسعود(١٩) وأبو جحيفة(٢٠) رضي الله عنهم مرفوعاً : " من رآني في المنام فقد رآني " .

اللفظ الثاني:

رواه أبو قتادة(٢١) وأبو سعيد الخدري(٢٢) رضي الله عنهما مرفوعاً : "من رآني فقد رأى الحق" .

اللفظ الثالث:

رواه جابر رضي الله عنه ,مرفوعاً : "من رآني في النوم فقد رآني" صحيح مسلم (كتاب

الرؤيا، ١٥ / ٢٦ مع شرح النووي).

فظهر من هذين الوجهين أن الرواية التي استدل بها القوم جاءت مخالفة لجميع ألفاظ من روى هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، بل جاءت مخالفة لجميع ألفاظ من روى هذا الحديث من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ونتيجة لهذا الاختلاف ولكون الرواية في "صحيح البخاري" أخذ أهل العلم يتأولون معناها ويذكرون لها أجوبة لتتوافق مع روايات الجمهور.

الوجه الثالث: أجوبة العلماء عن ذلك اللفظ المشكل:

ذكر ابن حجر في (فتح الباري، ١٢ / ٣٨٥) ملخصاً لتلك الأجوبة بقوله: "وحاصل تلك الأجوبة ستة:

- أحدها: أنه على التشبيه والتمثيل، ودل عليه قوله في الرواية الأخرى: "فكأنما رآني في اليقظة".

- ثانيها: أن معناها سيرى في اليقظة تأويلها بطريق الحقيقة أو التعبير.

- ثالثها: أنه خاص بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه.

- رابعها: أنه يراه في المرآة التي كانت له إن أمكن ذلك، وهذا من أبعد المحامل.

- خامسها: أنه يراه يوم القيامة بمزيد خصوصية لا مطلق من يراه.

- سادسها: أنه يراه في الدنيا حقيقة ويُخاطبه، وفيه ما تقدم من الإشكال".

الوجه الرابع: ما يرد على القوم من الإشكال على المعنى الذي قالوا به:

والإشكال الذي أشار إليه ابن حجر رحمه الله ذكره بعد قوله: "ونُقل عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك. قلت - أي ابن حجر -: وهذا مشكل جداً ولو حُمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولأمكن بقاء الصحبة إلى

يوم القيامة، ويُعَكِّرُ عليه أن جمعاً جماً رأوه في المنام ثم لم يُذكر عن واحد منهم أنه رآه في اليقظة

وخبر الصادق لا يتخلف .وقد أشتد إنكار القرطبي(٢٣) على من قال: "من رآه في المنام فقد رأى حقيقته ثم يراها كذلك في اليقظة" . (فتح الباري،١٢ / ٣٨٥) .

والإنكار الذي أشار إليه ابن حجر هو قول القرطبي :"اختلف في معنى الحديث فقال قوم هو على ظاهره فمن رآه في النوم رأى حقيقته كمن رآه في اليقظة سواء، وهذا قول يُدرك فساده بأوائل العقول، ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها، وأن لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين وأن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده فلا يبقى من قبره فيه شيء، فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب، لأنه جائز أن يُرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل" .

وممن أنكر على القوم رؤيتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ,يقظة القاضي أبو بكر بن العربي(٢٤) قال كما في "فتح الباري" (١٢ / ٣٨٤) : (وشذ بعض القدرية فقال: الرؤية لا حقيقة لها أصلاً وشذ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعيني الرأس) .

الوجه الخامس: اضطراب مقالات القوم في كيفية الرؤية:

فلما اشتد الإنكار على هؤلاء القائلين برؤيته صلى الله عليه وسلم ,في الدنيا بعد وفاته يقظة لا مناماً، اضطربت مقالاتهم في كيفية تلك الرؤيا فمنهم من أخذته العزة بالإثم فنفى الموت عن النبي صلى الله عليه وسلم ,بالكلية وزعم أن موته صلى الله عليه وسلم ,هو تستره عمن لا يفقه عن الله .

ـ ومنهم من زعم أنه صلى الله عليه وسلم ,يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه ويسير حيث شاء في أقطار الأرض في الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته . (عمر

الفوتي "رماح حزب الرحيم" (١ / ٢١٠) بهامش "جواهر المعاني") .

- ومنهم من زعم أن له صلى الله عليه وسلم ,مقدرة على التشكل والظهور في صور مشايخ الصوفية. عبد الكريم الجيلي "الإنسان الكامل" (٢ / ٧٤-٧٥) .

وفريق لان بعض الشيء:

- فمنهم من زعم أن المراد برؤيته كذلك يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسمانية. [الشعراني "الطبقات الكبرى" نقلاً عن محمد المغربي الشاذلي] .

- ومنهم من قال إن الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم ,يكون في حالة بين النائم واليقظان. [الشعراني "الطبقات الصغرى" (ص٨٩)] .

- ومنهم من قال إن الذي يُرى هي روحه صلى الله عليه وسلم [محمد علوي المالكي "الذخائر المحمدية" (ص٢٥٩) ، "القرب والتهاني في حضرة التداني شرح الصلوات" لفؤاد الفرشوطي (ص٢٥)] .

وعليه فبعد أن ظهر تفرد تلك الرواية التي استدل بها القوم عن روايات الجمهور، وتلك الاحتمالات التي تأولها أهل العلم في المراد بمعناها، وتلك الإشكالات والإنكارات التي وردت على المعنى الذي قصده القوم، واضطراب مقالاتهم في كيفية تلك الرؤيا، بذلك يسقط استدلالهم بها، والقاعدة المشهورة في ذلك: "إذا ورد على الدليل الاحتمال بطل به الاستدلال". انتهى كلام الشيخ الصادق بن محمد بن إبراهيم جزاه الله خيراً.

كما رد الشيخ محمد أحمد لوح - حفظه الله - في كتابه العجاب (تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، ٢ / ٣٩-٥٢) على من يستدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم "من رآني في المنام فسيراني في اليقظة "على إمكانية رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بقوله:

(أما رواية: " من رآني في المنام فسيراني في اليقظة" لابد من إلقاء ضوء كاشف على الحديث رواية ودراية حتى نعرف قدر هذا اللفظ الذي استدل به أولئك على إمكانية رؤية

النبي صلى الله عليه وسلم ,في اليقظة :

١- أما الحديث فقد رواه اثنا عشر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ,أو يزيد، مما يدل على شيوعه واستفاضته.

٢- أن ثمانية من أئمة الحديث المصنفين اهتموا بهذا الحديث فأخرجوه في كتبهم مما يؤكد اهتمامهم به وفهمهم لمدلوله. ومع ذلك لم يبوب له أحد منهم بقوله مثلاً: باب في إمكان رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ,في اليقظة، ولو فهموا منه ذلك لبوبوا به أو بعضهم على الأقل؛ لأنه أعظم من كل ما ترجموا به تلك الأبواب.

٣- أن المواضع التي أخرجوا فيها هذا الحديث بلغ (٤٤) موضعاً، ومع كثرة هذه المواضع لم يرد في أي موضع لفظ "فسيراني في اليقظة" بالجزم إلا في إحدى روايات البخاري عن أبي هريرة.

أما بقية الروايات فألفاظها: " فقد رآني" أو "فقد رأى الحق" أو " فكأنما رآني في اليقظة" أو "فسيراني في اليقظة أو فكأنما رآني في اليقظة" بالشك.

وبالنظر في ألفاظ الحديث ورواياته نجد ملاحظات على لفظ "فسيراني في اليقظة" لا ريب أنها تقلل من قيمة الاستدلال بها وهذه الملاحظات هي:

أولاً: أن البخاري أخرج الحديث في ستة مواضع من صحيحه: ثلاثة منها من حديث أبي هريرة، وليس فيها لفظ " فسيراني في اليقظة" إلا في موضع واحد.

ثانياً: أن كلا من مسلم (حديث رقم ٢٢٦٦) ، وأبي داود (حديث رقم ٥٠٢٣) ، و أحمد

(٥ / ٣٠٦) ، أخرجوا الحديث بإسناد البخاري الذي فيه اللفظ المذكور بلفظ "فسيراني في اليقظة. أو لكأنما رآني في اليقظة" وهذا الشك من الراوي يدل على أن المحفوظ إنما هو لفظ "فكأنما رآني" أو " فقد رآني" لأن كلا منهما ورد في روايات كثيرة بالجزم ,ليس فيها شيء

شك فيه الراوي. وعند الترجيح ينبغي تقديم رواية الجزم على رواية الشك.

ثالثاً: إذا علمنا أنه لم يرد عند مسلم ولا عند أبي داود غير رواية الشك أدركنا مدى تدليس السيوطي حين قال في (تنوير الحلك): "وتمسكت بالحديث الصحيح الوارد في ذلك: أخرج البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم": من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي". فأوهم أن مسلماً وأبا داود أخرجا الحديث برواية الجزم، وأغفل جميع روايات البخاري الأخرى التي خلت من هذا اللفظ.

رابعاً: ذكر الحافظ ابن حجر في "الفتح" (١٢ / ٤٠٠) أنه وقع عند الإسماعيلي في الطريق المذكورة "فقد رآني في اليقظة" بدل قوله: "فسيراني".

وهذه الأمور مجتمعة تفيد شذوذ هذا اللفظ، ولعل الحافظ ابن حجر أشار إلى ذلك ضمناً حين قال: "وشذ بعض الصالحين فزعم أنها تقع - يعني الرؤية- بعيني الرأس حقيقة".

ونقل عن المازري قوله: "إن كان المحفوظ: "فكأنما رآني في اليقظة". فمعناه ظاهر".

هذا ما يتعلق بالحديث رواية، وإن تعجب فعجب استدلال هؤلاء بهذا اللفظ الشاذ على تقرير إمكان رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ووقوعها مع اتفاقهم على: (أن حديث الآحاد لا يحتج به في العقيدة).

أما ما يتعلق به دراية فنقول: لو فرضنا أن هذا اللفظ "فسيراني" هو المحفوظ فإن العلماء المحققين لم يحملوه على المعنى الذي حمله عليه الصوفية.

قال النووي في شرحه (١٥ / ٢٦): "فيه أقوال: أحدها: أن يراد به أهل عصره، ومعناه: أن من رآه في النوم ولم يكن هاجر يوفقه الله للهجرة ورؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة عياناً.

وثانيها: أنه يرى تصديق تلك الرؤيا في اليقظة في الدار الآخرة؛ لأنه يراه في الآخرة

جميع أمته.

وثالثها: أنه يراه في الآخرة رؤية خاصة في القرب منه وحصول شفاعته ونحو ذلك".

ونقل الحافظ ابن حجر هذه الأقوال بعدما ذكر القول بحمله على الرؤية بالعين المجردة وحكم على القائلين به بالشذوذ.

وجملة القول أن ادعاء إمكان رؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة ووقوعها مذهب ضعيف مرجوح وذلك من وجوه:

الوجه الأول: اختلاف القائلين به في المقصود بالرؤية، وهل هي رؤية لذاته صلى الله عليه وسلم على الحقيقة، أو رؤية لمثال لها، نقله السيوطي في "تنوير الحلك" ضمن "الحاوي للفتاوى" (٢ / ٢٦٣) ثم قال: "الذين رأيتهم من أرباب الأحوال يقولون بالثاني. وبه صرح الغزالي فقال: ليس المراد أنه يرى جسمه وبدنه بل يرى مثالاً له".

ثم نقل عن ابن العربي واستحسن قوله: "رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال" ثم قال السيوطي: "ولا يمتنع رؤية ذاته الشريفة بجسده وروحه؛ وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء أحياء ردت إليهم أرواحهم بعد ما قبضوا وأذن لهم بالخروج من قبورهم والتصرف في الملكوت العلوي والسفلي"!!.

أقول: إذا كان أرباب الأحوال الذين رآهم السيوطي - على كثرتهم - يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم، لا يرى بروحه وجسمه بل يرى مثال له فقط، فكيف يدافع السيوطي عنهم ويخالفهم في الوقت نفسه؟

الوجه الثاني: أنهم اختلفوا أيضاً هل هذه الرؤية تكون بالقلب أو بالبصر؟

أشار السيوطي إلى ذلك ثم اضطرب اضطراباً شديداً حين قال في نفس المصدر: "أكثر ما تقع رؤية النبي صلى الله عليه وسلم، في اليقظة بالقلب ثم يترقى إلى أن يرى بالبصر"

فإلى هنا يبدو أنه قصد الجمع بين القولين، ثم قال: "لكن ليست الرؤية البصرية كالرؤية المتعارفة عند الناس من رؤية بعضهم لبعض، وإنما هي جمعية حالية وحالة برزخية وأمر وجداني ...".

وليس النزاع في حياة الأنبياء في قبورهم ولا في اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم، بهم ليلة الإسراء ولا صلاته بهم إماماً، فإن ذلك كله ثابت رواية، فيجب على جميع المؤمنين التصديق به.

ثانياً: أن مما يجب أن يعلم أن حياة الأنبياء في قبورهم حياة برزخية لا نعلم كيف هي،

وحكمها كحكم غيرها من المغيبات، نؤمن بها ولا نشتغل بكيفيتها، ولكننا نجزم بأنها مخالفة لحياتنا الدنيا.

ثالثاً: أن الذي أخبرنا بأنه اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء هو الصادق المصدوق الذي يجب على كل مؤمن أن يصدقه في كل ما أخبر به من المغيبات دقيقها وجليلها، ولذا آمنا بما أخبرنا به واعتقدناه عقيدة لا يتطرق إليها شك إن شاء الله تعالى" . انتهى كلام الشيخ محمد أحمد لوح جزاه الله خيراً (بتصرف).

ولمزيد من الفائدة انظر كتاب (المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً) للشيخ صادق سليم صادق (ص٤٠٥-٤٣٠) وكتاب "تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي" للشيخ

محمد أحمد لوح (٢ / ٣٦-٥٢)، وكتاب (خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء) تأليف الصادق بن محمد بن إبراهيم، وكتاب "رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة ومناماً ضوابطها وشروطها) للشيخ الأمين الحاج محمد أحمد.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ردي على الدكتور إسلام المازني:

أخي الأستاذ الحبيب / الدكتور، إسلام المازني

أحسنت وأجدت بارك الله فيك وفيما عرضت أو عارضت في أدب جم وأسلوب راقٍ يليق بأهل العلم ممن ينشدون الحقيقة ويبحثون عما يدعم ما عندهم دون جنوحٍ إلى التكفير، أو طعن في العقيدة وخاصة في الأمور التي هي موضع نقاش واختلاف.

- أما بخصوص السيد الإمام محمد علوي المالكي الحسني - رحمه الله وأحسن إليه - فهو من علماء المسلمين الكبار ومن أساتذة الجامعة وعلماء الحرم ومثَّل المملكة العربية السعودية في الكثير من المؤتمرات، وبعد صدور كتاب ابن منيع: (حوار مع المالكي في رد مفترياته وضلالاته) صدر أكثر من بيان وقرار من أكثر من جهة علمية للرد على ما في الكتاب وعلى قرارات اللجنة، وقد أورد السيد ذلك في مقدمة وخاتمة كتابه: (مفاهيم يجب أن تصحح) كما قدم لهذا الكتاب جملة من أئمة الإسلام على مستوى العالم الإسلامي منهم:

- الإمام الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية الأسبق - رحمه الله تعالى - ومستشار الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله تعالى - كما صادق على ما كتبه المستشار الهاشمي مستشار سمو الشيخ زايد - رحمه الله تعالى.

- الشيخ الخزرجي وزير الأوقاف بدولة الإمارات المتحدة

- عبد الله بن كنون شيخ علماء المغرب وأحد أوصياء العرش الملكي

- مجلس علماء الحديث بالأزهر الشريف

- الدكتور الشاذلي النيفر في جامعة تونس

وغيرهم من العلماء

وقد صدر كتاب أيضاً اسمه: (إنصاف المالكي لجماعة من علماء أهل السنة والجماعة) ضم كوكبة من العلماء من جميع أقطار الأمة الإسلامية.

ـ كتاب لوزير شئون مجلس الوزراء الأسبق في دولة الكويت، السيد يوسف الرفاعي، بعنوان: (الرد المحكم المنيع على شبهات ابن منيع).

ـ كتاب للدكتور عمر عبد الله كامل عن كتاب المالكي (الذخائر بين المؤيدين والمعارضين) قدم له الدكتور علي جمعة مفتي مصر والدكتور الكبيسي والشيخ عبد الله فرج الشريف.

ـ أما من ناحية موضوعنا فإليك الآتي:

جاء في كتاب الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي المكي: "وسئل نفع الله به: هل تمكن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة؟

فأجاب بقوله: "أنكر ذلك جماعة وجوزه آخرون وهو الحق فقد أخبر بذلك من لا يتهم من الصالحين بل استدل بحديث البخاري "من رآني في المنام فسيراني في ليقظة" أي بعيني رأسه، وقيل بعين قلبه، واحتمال إرادة القيامة بعيد من لفظ اليقظة على أنه لا فائدة في التقييد حينئذ لأن أمته كلهم يرونه يوم القيامة من رآه في المنام ومن لم يره في المنام؛ وفي شرح أبي جمرة للأحاديث التي انتقاها من البخاري ترجيح بقاء الحديث على عمومه في حياته ومماته لمن له أهلية الاتباع للسنة ولغيره قال: ومن يدعي الخصوص بغير تخصيص منه صلى الله عليه وسلم فقد تعسف ثم ألزم منكر ذلك بأنه غير مصدق بقول الصادق وبأنه جاهل بقدرة القادر وبأنه منكر لكرامات الأولياء مع ثبوتها بدلائل السنة الواضحة، ومراده بعموم ذلك وقوع رؤية اليقظة الموعود بها لمن رآه في النوم ولو مرة واحدة تحقيقاً لوعده الشريف الذي لا يخلف، وأكثر ما يقع ذلك للعامة قبل الموت عند الاحتضار فلا تخرج روحه من جسده حتى يراه وفاءً لوعده، وأما غيرهم فيحصل ذلك لهم قبل ذلك بقلةٍ أو بكثرةٍ بحسب تأهلهم وتعلقهم واتباعهم للسنة إذ الإخلال بها مانع كبير ... وفي كتاب]المنقذ من الضلال[لحجة الإسلام ـ يقصد الإمام أبا حامد الغزالي ـ بعد مدح الصوفية وبيان أنهم خير الخلق: "...حتى إنهم وهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً

ويقتبسون منهم فوائد: ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق الناطق" وقال تلميذه أبو بكر بن العربي المالكي: "ورؤية الأنبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكن للمؤمن كرامةً وللكافر عقوبةً". وفي]المدخل [لابن الحاج المالكي "رؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة باب ضيق، وقل من يقع له ذلك إلا من كان على صفةٍ عزيزٌ وجودها في هذا الزمان بل عدمت غالباً مع أننا لا ننكر من يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهم الله في ظواهرهم وبواطنهم ..

فتوى ابن مغيزيل:

ألف الإمام ابن مغيزيل كتاباً في موضوع الرؤية عنوانه (الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة) صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ومما ذكره ابن مغيزيل - رحمه الله تعالى - في مقدمة كتابه هذا تحت عنوان (سبب تأليف الكتاب): "... ومما وقع في الفتاوى سنة إحدى وتسعين وثمان مائة السؤال عن رؤية النبي - صلى الله عليه وسلم - يقظة هل تقع كرامة للأولياء أو لا؟ فأجبت: بأن ذلك ممكن وقوعه شرعاً، فضلاً عن جواز وقوعه عقلاً ثم إن جماعة من علماء عصرنا وقع خلاف بينهم في ذلك: فبعضهم أنكر إمكان ذلك؛ لعدم اطلاعهم على نقول الأئمة وأخبار السلف. وبعضهم قال بالإمكان، لكن فهم من إطلاق تصريح بعض العلماء بالرؤية إمكان رؤية الجسد الشريف. وهو خطأ مردود على قائله. بل الصواب الذي صرح به المحققون من العلماء قاطبةً أن الروح الشريفة تتشكل شكلاً مثالياً كصورته - عليه السلام - بدليل حديث المعراج؛ لأن مذهب أهل السنة والجماعة: أن ما كان معجزة لنبي، جاز أن يكون كرامة لولي بشرط عدم التحدي. فيراه الصالحون حينئذٍ دون غيرهم على سبيل الكرامة؛ ولأن مشاهدة الموتى في اليقظة نوع من الكشوفات التي خص الله تعالى بها أولياءه، كما صرح بذلك حجة الإسلام الغزالي في كتابه (المنقذ من الضلال) وتبعه الإمام اليافعي المترجم في طبقات الإسنوي.

بأحد الأئمة الأعلام الجامعين بين الفقه والتصوف في كتابَي (خلاصة المفاخر) و(روض الرياحين). وأما القول برؤية الجسم نفسه. فهو قول سخيف لا عبرة به على تقدير ثبوته، ويلزم على هذا القول الفاسد خلو القبر عن الجسم الشريف لو رآه أحد في غير مكانه، وكذا لو رآه شخصان أحدهما بالمشرق، والآخر بالمغرب في زمن واحد. وهذا من المحالات عقلاً، كما هو صريح في (بهجة النفوس) للشيخ أبي محمد ابن أبي جمرة؛ ويشهد لذلك ما نص عليه علماء المعقول، وهو أن الجسم الواحد لا يمكن أن يجعل في مكانين في آن واحد، كما هو مقرر في القواعد العقلية. والله أعلم". انتهى كلام ابن مغيزيل ـ رحمه الله ـ وهو الصواب فيما أعلم؛ لأنه حل بذلك جميع الألغاز. والله أعلى وأعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبهذا قد انتهى الحوار الذي كان جميلاً، ولم تشبه تهمة بتكفير أو تشريك.

رؤية أحد القراء للنبي يقظة:

أرسل إليَّ أحد القراء الذين تابعوا الموضوع؛ مقسماً أنه رأى النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ يقظةً بعد قصة طويلة في خدمة أحد الصالحين. وقد استأذنت ذلك المحب في نشر ذلك؛ فأذن لي. وكان هذا المحب قد ذهب لخدمة أحد الصالحين وقد تمنى أن يمن الله عليه برؤيا النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ فحقق الله أمله؛ وما ذلك على الله بعزيز.

مفتي مصر والشيخ سيد سابق يريان النبي يقظة:

وبعد حوالي عامين قرأت حواراً نشرته جريدة المصري اليوم مع الدكتور علي جمعة مفتي جمهورية مصر العربية، حاوره فيه الصحفيان اللامعان: مجدي الجلاد، وأحمد البحيري بتاريخ ٨١ / ٦ / ٢٠٠٧، وهذا سؤالهما؛ وجواب المفتي عليه:

● هل فعلاً رأيت الرسول «صلي الله عليه وسلم» في اليقظة كما ذكرت في كتابك

«الدين والحياة.. الفتاوى العصرية اليومية؟».

- نعم، نص الحديث كده «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة» أخرجه مسلم، ورأيت الرسول «صلي الله عليه وسلم» فعلياً ومن أجل ذلك كتبت كتاباً عن «مدي حجية الرؤيا» لم يشر إليه أحد وقلت فيه إن الرؤيا البصرية مثل الرؤيا المنامية وليس فيها حجة مثلما تراه في المنام، ولقد رأيت الرسول «صلي الله عليه وسلم» في اليقظة لحظات فقلت في نفسي كم شعرة شائبة في لحيته؟ فاختفي مباشرة، وهذا الحديث وارد في مسلم، وشخص سألني عنه فقلت له نعم وأنا حدث لي هذا، وقلت ذلك لأنني أري في عملي كده، وحينما سأل أحد الأشخاص الشيخ سيد سابق في أحد اللقاءات في مسجد عمر مكرم عن إمكانية رؤية الرسول «صلي الله عليه وسلم» في اليقظة وكان هذا أمامي، فقال أنا رأيته يقظة ببساطة. وما الغريب في أن يري المسلم الرسول «صلي الله عليه وسلم» في اليقظة، والمرسي أبو العباس يقول «لو غاب عني» صلي الله عليه وسلم «لحظة ما عددت نفسي من المسلمين»؟! إذن الخرافة هي إنكار الواقع.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وجميع أحبابه، واجمعنا اللهم به - صلي الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - وبهم في الدنيا والآخرة يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثانياً: معركة (منتديات أركان الثقافية):

حول سادتنا أهل البيت وفضلهم:

والتي استمرت لثلاثة أسابيع، كانت بدايتها في تاريخ ١٦ / ٨ / ٢٠٠٥ وانتهت في ٠٨-٠٩-٢٠٠٥، وهي على هذا الرابط:

http://www.arcaan.com/vb/showthread.php?t=7168

وصاحب المداخلة سعودي وهابي اتهمني بالكذب؛ معتقداً أني قد افتريت حديث

الثقلين، وقد تدخل المشرف لحذف عنوان مداخلته (كذب السيد سليم هداه الله) إلا أني أبقيتها كما هي ؛ لبيان الحال، وعرج في سبابه على الصوفية، واتهم شخصيات صوفية عامة، كما طالبنا (أنا والمشرف) بأن نتقي الله في علمائنا وذكر بالثناء ـ رداً على مداخلة مشرف ركن الشريعة ـ بعضاً من مشايخ الوهابية الذين تراجعوا عن بعض فتاواهم المتطرفة .

وكما امتدح الوهابيين، اتهم الجفري بأنه يسب كبار سادتنا الصحابة، وذكر منهم أئمة الصحابة الثلاثة سيدنا أبا بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان ـ رضي الله تعالى عنهم ـ ويسب محمد بن عبد الوهاب، وما أعلمه أن الجفري لم يسب صحابياً، ولو ثبت ذلك ؛ لكان لنا معه مواقف، إنما انتقد الجفري الوهابية بالفعل ؛ لفتاواهم المتطرفة ؛ مقلداً في ذلك غيره من كبار علماء السنة .

وهذا نص مقالي في المنتدى:

سادتنا أهل بيت النبي، وفضلهم:

أهل بيت النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ هم ذوو رحمه، وأقاربه، ونساؤه، وأحبابه المقربون الذين فضلهم الله على بقية المؤمنين ؛ حيث جمع لهم شرفين عظيمين هما : شرف النسب ؛ فهم منه وهو منهم، وشرف الصحبة له ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وقد طهرهم الله التطهير المطلق حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب ٣٣) نزلت هذه الآية ـ كما جاء في كتب التفسير والسنة الصحيحة ـ في بيت أم المؤمنين السيدة أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ وكان قد اجتمع عند النبي في بيته هذا أربعة كان خامسهم أولهم وسيدهم سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ ووضع عليهم الكساء (العباءة) ولفهم به وقال رافعاً يده الشريفة بالدعاء : "اللهم إن هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس

وطهرهم تطهيراً" والخمسة هم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيدنا الإمام علي وسيدتنا السيدة فاطمة وسيدانا الحسن والحسين، وهؤلاء الخمسة هم الأهم والأولى بهذا الفضل والشرف حيث اجتمعت فيهم أقرب صلات الرحم، وأعلى درجات القرابة والصهر؛ فهم أهل بيت واحد (النبي وابنته وزوجها - صهره وابن عمه - وابناهما) عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم السلام، كما أن في هذا الدعاء النبوي تفسير للآية، وتخصيص لهؤلاء السادة بأنهم الأولى والأهم. ولا ينفي ذلك دخول غيرهم في هذا الشرف العظيم كقولنا مثلاً: هذا ولدي حقاً. مع وجود غيره من الأولاد وتقدير ذلك: إنه أهم أولادي. ثم الذين يلونهم من ذوي الأرحام، والزوجات، ثم الأحباب. وإنما ألحق أحبابهم بهم؛ لأن من أحب قوماً؛ حشر معهم، كما أن مولى القوم منهم، وهذا مما أكرم الله به الصحابيين الجليلين: سيدنا سلمان الفارسي، حيث قال عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "سلمان منا أهل البيت" وسيدنا واثلة بن الأسقع حيث بشره النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: "وأنت من أهل بيتي" والتي قال عنها سيدنا واثلة: "والله إنها لأرجى ما أرجو" أي أن تلك البشرى أكبر أمل لسيدنا واثلة في النجاة يوم القيامة؛ لأنه سيكون ضمن سادتنا أهل البيت الكرام الذين قد اتصل بهم بواسطة أمر عظيم ألا وهو: الحب. والحب من أنفع الأسباب فقد روي عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قوله: "كل سبب ونسب يقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي". هذا وقد أوجب الله علينا - معشر المؤمنين - حبهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ (الشورى ٢٣) قرأها الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما؛ فقال: "اقتراف الحسنة في الآية هي مودتنا أهل بيت رسول الله" وقراها الإمام ابن عربي فأنشد قائلا:

أرى حـــبَ أهـــل البيـــت عنـــد فريضةً .'. على رغم أهل البعد يورثني القربى

فـمـا طلب المبعوثُ أجراً على الـهـدى .'. بتـبليغـه إلا المـــودة في القـــربى

ومما يدل على علو منزلتـهـم، وخلود ذكـرهم، وزيادة شـرفـهم؛ أن الله أوجب على كل مؤمنٍ أن يذكرهم في أعظم ركن وأهم فريضة وهي: الصلاة، ففي التشهد الأخير وقبل ختمنا لصلاتنا نصلي عليهم مع جدهم ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وصلاتنا هذه ركن من أركان الصلاة عند الإمام الشافعي تبطل الصلاة بدونه؛ و لذلك أنشد قائلاً:

يا آل بيت رســول الـلـه حـــبكـــم .'. فـــرضٌ من الله في القـــرآن أنزلـه

يكفـــيكـم من عـظـيم الفـــخـــر أنكـم .'. من لـــم يصل عليكـم لا صـــلاة له

ومما نشرف به دائماً أننا إذا تحدثنا في أمور ديننا ودنيانا؛ خطابة أو وعظاً، أو كتابة دائماً ما نذكرهم بالصلاة عليهم في البداية ـ بعد البسملة، وحمدنا لله ـ ونذكرهم كذلك عند الختام قائلين: وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ومما قاله عنهم الشاعر الكبير الفرزدق مشيراً إلى هذا المعنى:

مـقـــدم بعـــد ذكـــر الله ذكـــرهم .'. في كـــل بدء ومـــخـــتـــوم به الكلم

إن عـد أهل التـقى كـانوا أئمـتـهـم .'. أو قـيل من خـيـر أهل الأرض قـيل هم

ويكفي أن حبيبنا جدهم ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ قال عنهم كما جاء في رواية الإمام مسلم رضي الله عنه عن زيد ابن أرقم: "وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أُذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقيل من أهل بيته يا زيد أ ليس نساؤه من أهل بيته؟ قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قيل ومن هم؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قيل كل هؤلاء حرم الصدقة بعده قال نعم". وكل هؤلاء أهل بيت رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وأفضلهم الخمسة أهل الكساء. ولهذا الفضل وبهذا النسب؛ كانوا

أفضل الناس عبادةً، وأعلاهم خلقاً، وأكثرهم ورعاً، وأوفرهم أحلاماً وأطهرهم نسباً، وأنقاهم سريرةً، وأنفذهم بصيرة، وأفصحهم كلاماً، وأكثرهم في الحق جرأة ومما قلته فيهم:

هم أشرف الناس إن حققت عنصرهم .·. أتقـــى الخلائـق من عرب ومن عجم

هم الطهـارة في أسـمي مـراتبـهـا .·. وفـي الكتـاب أتى إطلاق طهـرهم

ما غـرهم اشـرف الأنسـاب من عـمل .·. ولا ثنـاهم عـن العلياء والهـمـم

فـقـد علوا فـوق هام الكل منزلةً .·. وطوقـوا الدهر بالإجـلال والكرم

مـولاي صل وسلم مـا أردت علـى .·. رمـز الكمـال وآل البـيت كلهم

ومن فضل الله علينا ونعمه التي يجب أن نشكره عليها ؛ أنه سبحانه وتعالى ألهمنا حبهم والميل العاطفي نحوهم، وحب سيرتهم. ورغم ذلك نجد تقصيراً في حقهم من السادة العلماء حيث أن أغلب الأحاديث الواردة فيهم ـ برغم صحة ثبوتها ـ لا يذكرها بالبيان والتفصيل أغلب علمائنا اللهم إلا المحسوبين عليهم الموسومين بحبهم من أعلام التصوف، فرغم ورود الحديث السابق في كتاب للإمام النووي من أكثر كتب الحديث تداولاً (رياض الصالحين) نقلاً عن صحيح مسلم ؛ قلما نجد عالماً يذكره وكثيراً ما نسمع الحديث "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتي" دون ذكر الرواية الثانية ؛ فعسى أن يجمع علماؤنا ومحدثونا وكتابنا بين الروايتين حيث لا يوجد تعارض بينهما ؛ فسنة سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ تمثلت وتجسدت في سادتنا أهل البيت ؛ فهم الذين شاهدوا وسمعوا أقوال وأفعال النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ وهم المترجمون لها فعلياً، والرواة الأقرب من صاحبها ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ ثم ألم يبشر النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصنحبه وسلم أنهما (كتاب الله وأهل البيت) لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض؟! ألم يُشر النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ـ وسلم في بعض أحاديثه إلى أن نأخذ ديننا عنهم؟! وكم قد روت لنا كتب السنة عن سيدتنا أم المؤمنين

الصديقة بنت الصديق وسيداتنا أزواج النبي رضي الله عنهن ! ! ألم يقل أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن سيدنا الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ في أكثر من موقف علمي : "لولا علي لهلك عمر" . وقوله عنه أيضاً : "لا بقيت في أرض ليس فيها أبو الحسن" وأيضاً : "لا معضلة إلا وأبو حسن حلال لها" . فمن الواجب علينا وعلى علمائنا إبراز فضل آل رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وضرب الأمثلة بسلوكهم المشرف ؛ لتكون أسوة لنا ولشبابنا فهم أعظم أمثله لتطبيق سنه جدهم ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ومن أحب قوماً حُشر معهم ؛ اللهم ارزقنا حبهم واجمعنا بهم في الدنيا والآخرة ، ونقول مع القائل عنهم :

طهرتم فطهرنا بفضل طهوركم .·. وطبتم فمن أنفاس طيبكم طبنا

ورثنا عن الآباء حب ولائكم .·. وإنا إذا متنا نورثه الابنا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مداخلات وردود :

وكان هذا تعليق أخي (أبو هاشم) مشرف ركن الشريعة:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أشكرك أخي الكريم / سيد سليم ، على هذا الموضوع الكبير والمفيد . وحقيقة إن علماءنا أتاهم ما شغلهم عن إبراز مثل هذا ، الدور الذي تنادي به والذي يفترض إننا كمسلمين تعلمناه ، مع تعلمنا للحروف الهجائية أ ب ت الخ .

العلماء اليوم منشغلون أو وجدوا من شغلهم بإصدأر الفتاوى في هل تجوز قيادة المرأة للسيارة أم لا ؟ هل الحجاب ما يستر الوجه مع الرأس أم مجرد غطاء الرأس ؟ هل تسافر المرأة بمحرم أم بدون محرم؟ أما القدوة والأسوة فتركوا شبابنا يأخذونها عن الغرب من حلاقة

الرؤوس المخالفة، إلى التمايل والرقص. إلى لبس السراويل القصيرة والنزول بها الأسواق بدون لباس يغطيها. هذا هو الحال يا ناشد عن الحال.

في الختام أكرر شكري لك ولقلمك ولموضوعاتك الهادفة

تحياتي وتقديري.

تعليق أخي المشرف، فهد:

أستاذي سيد سليم

جزاك الله على هذا الطرح المتميز. وبلا شك نحنُ في حاجه إلى مثل هذه المواضيع

لا حرمك ربي الأجر، تقبل كل التحية.

ومن هنا تبدأ المعركة مع الموقع باسم/ محب الجنان:

وإليكم ما كتبه محب الجنان في مداخلته:

"كذب السيد سليم؛ هداه الله:

(ويكفى أن حبيبنا جدهم صلى الله عليه وسلم قال عنهم كما جاء في رواية الإمام مسلم رضي الله عنه عن زيد ابن أرقم "وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي اذكر كم الله" ....كلام السيد سليم

لقد بحثت في صحيح الإمام مسلم ولم أجد هذا الحديث أو الأثر...

بل وجدت قوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أحبه ،فأحبه ،وأحب من يحبه".

هذا ما بلغنا عن رسول الله عليه الصلاة والسلام عن الحسن والحسين. .ارجع لمسلم(٤٤٤٨)

أما قولك عن عمر الفاروق رضي الله عنه فهو أرفع منزلة من أن تكذب وتتحدث بالباطل عنه فهو من فرّق الله به بين الحق والباطل، وعلى رضي الله عنه لا فرق بينه وبين أي صحابي بل إننا نجلّهم كلهم ولكل واحد حقه علينا....

أما قولك في تحريف معنى الآية الواردة فهذا من كذبت عليه الإمام النووي يشرحها من طريق الإمام مسلم: ((حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير واللفظ لأبي بكر قالا حدثنا محمد بن بشر عن زكرياء عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة: خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا")) صحيح مسلم بشرح النووي.......

قوله: (وعليه مرط مرحل) هو بالحاء المهملة. ونقل القاضي أنه وقع لبعض رواة كتاب مسلم بالحاء، ولبعضهم بالجيم. والمرحل بالحاء هو الموشى المنقوش عليه صور رحال الإبل، وبالجيم عليه صور المراجل وهي القدور. وأما المرط فبكسر الميم، وهو كساء، جمعه مروط، وسبق بيانه مرات.

قوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾

قيل: هو الشك، وقيل العذاب، وقيل: الإثم. قال الأزهري: الرجس اسم لكل مستقذر من عمل. وأما علمائنا لم ينشغلوا بالمرأة لأن هذا البلد بخير.. .فان خيرهم يعمنا كل يوم انظروا إلى الدروس العلمية التي تقام كل أسبوع في الشرقية والغربية والوسطى ويقوم عليها مشائخ كبار في العلم والقدر والسّن. .انظروا إلى هذا الأسبوع من لدينا في الدمام... د. محمد العريفي في سنة الرسول عليه الصلاة والسلام!

من كان لدينا قبل أسبوعين..... د. عبد الكريم الخضير في دروس بلوغ المرام

انظروا في الرياض شيخنا د. عبد الله الجبرين في دروسه ٤ أيام في الأسبوع وهو شيخ مسن.

اتقوا الله في علمائنا وعلينا أن لا ندع مكانا للصوفية والمبتدعة أن يتغلغلوا بيننا، انظروا

للجفري (أعلم أنكم ستردون عليَّ لكن الحق أحق أن يقال) العالم الصوفي اليمني في قناة اقرأ (قناة صالح كامل) يسب أبا بكر وعمر وعثمان ويسب محمد بن عبد الوهاب وابن باز.. .لماذا؟؟؟؟؟ لأنهم لا (يقدسون) آل البيت كما يقدسها الرافضة وغيرهم؟؟؟ نحن نحترم آل البيت وننزلهم منازلهم ونشهد الله على حبهم لكن ليس كما تفعلون من زيارة القبور والذبح عند الأضرحة وتقريب القرابين وقتل النفس من أجلهم....

هدانا الله وإياكم إلى خير الطرق وسواء السبيل انه سميع مجيب ... والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم" .

مؤازرة. الطائر المهاجر لمحب الجنان:

ويدخل المعركة؛ مؤازراً لمحب الجنان صاحب توقيع باسم/ الطائر المهاجر، وقد اتهمني بالتزوير والتدليس؛ ظناً منه بأني من الشيعة، وذكر جملة من أخطاء الشيعة ورد بعض العلماء عليهم، والغريب أنه قد اعتقد أني أُضيف كلمة (وصحبه) للتمويه؛ عند صلاتي على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ ومن المعلوم أنه ليس مطلوباً منا عطف (وصحبه) على (آله) بالمرة، وفي الصيغة التي هي ختام صلاتنا خير دليل؛ ولكن الصالحين استحبوا ذلك، وإني في أغلب صلواتي على سيدنا رسول الله أصلي على سادتنا أهل البيت والصحابة؛ اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً يا رب العالمين. وسبحان الله! المقال فيه الترضي عن سيداتنا أمهات المؤمنين، وسادتنا الصحابة إلا أنه تجاهل ذلك، أو لم يتنبه إليه؛ لتسرعه!. هذا وقد ساق لنا بعض تجاربه مع الشيعة في سفرياته وغيرها؛ فمع الطائر المهاجر في ردوده واتهاماته:

"بسم الله الرحمن الرحيم

قرأت المقال الطويل الذي كتبه الأخ (سيد سليم) ومن خلال الاسم يتبادر إلى الذهن أنه أخ لنا من الطائفة الشيعية. وإن كان كذلك فعلاً فلدي ما أقوله له وللجميع بكل إنصاف (إن

شاء الله) كالتالي :

أولاً : معتقد أهل السنة والجماعة هو المعتقد الذي يقوم عليه كيان هذا البلد كما عامة بلاد المسلمين، وكذلك يقوم عليه كيان منتدى الأركان المبجل وله قوانينه التي منها احترام جميع المذاهب والأديان وبالذات معتقد أهل السنة والجماعة الذي ينتمي إليه عامة الأعضاء.

ثانياً : قرأت كثيراً في معتقد (الشيعة) باختلاف مذاهبهم الفقهية ومواقع نفوذهم الجغرافية وكانت لي في بعض سفرياتي جلسات مع بعض شبابهم في لبنان وباكستان وأوربا وأمريكا وكنت متحمساً في البداية للنقاش معهم بل كنت أدافع عنهم أمام أهل السنة حتى مللت جهل أكثرهم بأمور الدين وخصوصاً مواطن الخلاف بين السنة والشيعة وحين تسأل أحدهم عن مسألة كالوصية أو الإمامة أو البداءة أو مصادر التلقي أو التقية أو جمع المصحف أو منزلة الصحابة ونحو ذلك، تجده يروغ واعداً بأنه سيأتي بمن هو أعلم منه ثم لا يعود ! !

ثالثاً : اشتهر عن أهل التشيع عامة لجوؤهم إلى الكذب والتدليس سواء شيوخهم أو عوامهم، ونادراً أناقش أحداً منهم أو أشاهد أحداً منهم يتم مناقشته في قناة إلا وتجده يعتمد التزوير والتدليس (كما فعل سيد سليم هنا) . وقد قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية "أنهم - أي الشيعة - أكذب الناس في المرويات وأجهل الناس في المعقولات" ولم يتصدّ لهم عالم بطريقة علمية تفنيدية مثل ابن تيمية لذلك يكرهونه بشده.

رابعاً : أحيلكم جميعاً إلى كتاب (وهو كتيب بالأصح) بعنوان : (مؤتمر النجف بين علماء السنة وعلماء الشيعة) للعلامة المصري محب الدين الخطيب وما توصل إليه المجتمعون من إقرارات من علماء الشيعة آنذاك بحق المسائل الخلافية وكيف تنكروا لها فيما بعد ! ! وأحيلكم لكتاب الشهرستاني في الملل والنحل وكتاب شيخ الإسلام منهاج الاعتدال في الرد على أهل الرفض والاعتزال (وكم ضخم من المراجع والأشرطة لمن أراد الفائدة) وكتيب صغير مطبوع متداول أقدمه هدية للسيد وكل من يريد الحق ألفه الداعية المعاصر أبو بكر الجزائري

(داعية جزائري في المسجد النبوي) بعنوان (هذه نصيحتي لكل شيعي)

خامساً : الخلاف بين السنة والشيعة ليس كما يتصوره أكثر الناس حول سب الصحابة فقط بل الخلاف جوهري (وجوهري فاصل) بين معتقدين : أحدهما باطل مبني على تلفيق روايات لا تصح أن تنسب زوراً لبعض آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم تفرع عنها بالتالي معتقد الشيعة

وتفرقوا أحزاب ، والثاني يقوم على الدليل الصحيح من الكتاب والسنة مما أجمع عليه علماء المسلمين في كل العصور ، وهو معتقد يرفض أي حرف (وليس فقط جملة) تنسب إلى النبي بدون دليل ، وشتان بين المعتقدين إذن إذا كان المبدآن بهذا الاتساع بينهما .

سادساً : كنت قبل سنتين عضواً في منتدى شيعي (أحتفظ باسمه احتراماً لقوانين منتدى الأركان)

ودخلته بناء على دعوة من (أخت شيعية من أهل القطيف بالسعودية) ورأيت فيه مغالطات وأقاويل سيئة وترهات وكلام لا يقبله عقل سليم فخرجت ولم أشارك بحرف واحد .

سابعاً : ينشط عدد كبير من أهل التشيع هذه الأيام في أوساط أهل السنة نتيجة التغيرات الجديدة في العالم ويحاولون تدريجياً كسب عدد من أهل السنة ممن ليس لديه اطلاع بطرق بطيئة ومتدرجة ، ومنها قبول إضافة كلمة (وصحبه) حين يصلون على النبي وهو قبول غير صريح كما لا حظنا من مقال الأخ سيد سليم (فقد ذكر أصحابه ونساؤه لكنه لم يترضَ على أم المؤمنين عائشة ولا أبيها الصديق ولا عمر بالتحديد لأنهم أشد الصحابة كفراً في نظرهم قاتلهم الله) .

ثامناً : يقوم معتقد اليهود على السب والشتم والكذب والتدليس وكره المعتقدات الأخرى (وبالذات المسلمين) ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾الآية ،

وكذلك يفعل النصارى حيث يقوم معتقدهم على كره المسلمين ورفض رسالة النبي وأصحابه الذين ناصروه وحملوا رسالته، وقد أثنى عليهم الله بقوله: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ وهو الشيء نفسه الذي يقوم عليه معتقد الشيعة بشكل عام شابهوا بذلك المغضوب عليهم والضالين.

تاسعاً: جرب أنت واطلب من شيعي أن يدعوك إلى التشيع واعتبر نفسك لم تكن يوماً مسلماً وسترى أنك تدخل في دين جديد يقوم على تعظيم أشخاص بشكل مركز والنياحة على موتهم قبل قرون قديمة وتضرب نفسك تعذيباً وتكفيراً عن شيء لم تكن يوماً سبباً في موتهم وليس في يدك فوق كل هذا دليل قوي يفسر صحة مقتلهم بهذه الطريقة !!! ثم يطلب منك الالتفات إلى أهل السنة لسبهم وسب أجدادهم الصحابة فمن يقبل بهذا !!!!!! ومن يتهم جبرائيل بالخيانة وأن الله أخطأ في نقل الرسالة إلى علي وخزعبلات لا تنتهي من هذا النوع !!

عاشراً: يقوم معتقد أهل السنة والجماعة على حب آل البيت جميعاً من الصحابة والصحابيات ومن لا يحب أحداً من آل بيت النبي فقد نقص إيمانه فعلاً لكننا لا نجعلهم في مراتب أعلى من المراتب التي جعلها الله لهم بحسب إيمانهم وليس بحسب قرب نسبهم إلى رسوله فهذا أبو جهل أقرب من علي بن أبي طالب ومن أبي بكر وعمر ومع ذلك فأبو جهل في النار وعمه أبو طالب كذلك وجده عبد المطلب كذلك ونحن لا نقبل نصوصاً تخالف نصوص الكتاب والسنة ولا نعترف بوجود مصحف ثلثاه محفوظان في سرداب وهمي إلى يوم القيامة لأن الله لم يكمل لنا الدين والقرآن حتى يخفيه عدد من الناس !!! أشكر إدارة المنتدى أن أتاحت لنا قول (بعض الحق) وأشكر الأخ مشرف القسم وأشكر الأخ المتتبع (محب الجنان) والإنسان مع من أحب .. وأشكركم أنتم على طول بالكم والسلام".

وهذا ردي عليهما:

إلى الأخوين الحبيبين / محب الجنان، الطائر المهاجر

أولا : أقسم بالله العظيم إني من أهل السنة والجماعة، ومن خريجي كلية اللغة العربية جامعة الأزهر وحاصل على دراسات عليا وأعمل في التدريس والدعوة (خطيب الجمعة في الأوقاف) وهذا من فضل الله تعالى.

ثانيا : إنني من عشاق تراث السادة أهل البيت و والله لا أنتمي إلى أي تيار شيعي كما اتهمتماني صراحة - وإن كنت أحب المعتدلين غير المغالين منهم - وكم دافعت عن سادتنا الصحابة؛ خطابة، وشعرا، وكتابة.

ثالثا : أشرت في كلامي إلى أن الحديث (حديث الثقلين) رواه الإمام النووي في (رياض الصالحين) عن الإمام مسلم وعدت إلى رياض الصالحين طبعة دار الرسالة ببيروت تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرنؤوط صفحة ١٨٧ ، ١٨٨ فوجدت الحديث مرقوماً برقم ٣ وفي الهامش أشار إلى رواية الإمام مسلم برقم (٢٤٠٨) كما أني عند رواية حديث أدقق جدا وأخاف الكذب - عن خطأ - على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - وهذا جز من نص مقالي السابق واستدلالي وفيه السيادة لأمهات المؤمنين، وسيدنا عمر رضي الله عنهن وعنه، بل قلت عن أمنا السيدة عائشة : "سيدتنا الصديقة بنت الصديق" ولا أدري من أين جئتما بكلامكما، وهل أستطيع إنكار أن سادتي الصحابة هم المرضي عنهم من الله؟!

وهذا نص كلامي فيه إثبات السيادة والترضي عن سيداتنا أمهات المؤمنين، وسيدنا عمر رضي الله عنهم جميعا : (وكم قد روت لنا كتب السنة عن سيدتنا أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق وسيداتنا أزواج النبي رضي الله عنهن! ألم يقل أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه) فهل هذا في مقالي أم لا؟!! عجباً من القراءة غير الواعية، والنقل غير الصحيح والاتهامات المجافية للواقع وللحقيقة!!.

رابعاً : أحيلكما إلى كتاب الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ اسمه (حقوق أهل البيت) ففيه تفسير بديع وجميل للآية والحديث .

خامساً : أرجو الله أن يسامحنا جميعاً ، وأحتكم في هذا الأمر للأعضاء والقراء والمشرفين، كما أرجو عدم الحكم بتسرع ؛ فإن هذا يسيء كثيراً للجميع ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وهذا رد الطائر المهاجر ثانية:

أخي في الله / سيد سليم ، السلام عليكم

أولاً : أحمد الله أنك مسلم سني وأنك داعية وأنك متخصص في علوم اللغة العربية وهذه لعمري ما اجتمعت في امرئٍ إلا أعلت شأنه .

وثانياً : أنا لم أتهمك وإنما قلت بالحرف الواحد : " ومن خلال الاسم يتبادر إلى الذهن أنه أخ لنا من الطائفة الشيعية . وإن كان كذلك فعلاً فلدي ما أقوله "لاحظ أنني قلت بإن الشرطية وأنت تعرف الشرط وجوابه .

وثالثاً : ماذا تعني بأنك (من عشاق تراث السادة) ومن أين لك بهذا المصطلح وأنت سني وأزهري وداعية وخطيب جمعة ؟؟ ثم ما هو تراث السادة ؟؟ وهل أبو بكر من السادة أم فقط نسل محمد صلى الله عليه وسلم .

رابعاً : إن كنت (تحب المعتدلين غير المغالين من أهل التشيع) فالمرء يحشر مع من أحب كما ورد بذلك الأثر فاحذر يا رعاك الله ، ثم أن الحب ينافي الولاء والبراء أيها الأزهري النبيل ، وتذكر جيداً أن الخلاف عقدي بين السنة والشيعة حتى معتدليهم (ولا أظنك تقصد بمعتدليهم علمانييهم طبعاً) ؟ .

خامساً : من قال لك أن كتاب الإمام النووي رياض الصالحين هو عمدة كتب أهل السنة في الحديث ؟؟؟ ألست تعلم أنه يصنف من كتب الوعظ ؟ وأنه أورد فيه ـ رحمه الله ـ أحاديث

ضعيفة وبعضها حسن؟ ولعلماء الحديث كلام في شرحه وتفسيره فارجع إليه قبل إطلاق حكمك.

سادساً: ذكرت لنا بمقالك عدداً من الأحاديث تحتاج منك إلى تخريج (والتخريج هو ذكر موضع الحديث والكتاب ورقم الصفحة ودرجة صحة الحديث) كما أنك نسبت كلاماً لعمر بن الخطاب عن علي ولم تذكر المصدر أيضاً ...

سابعاً: ذكرت كلاماً تعتب فيه على (علمائنا) الذين لم يولوا مسألة آل البيت الاهتمام الكافي كما فعل الصوفية. فمن تقصد بكلمة (علماءنا) الذين قصروا في هذا الباب؟ وكيف جزمت بأنهم قصروا ؟؟؟؟.

أخي الحبيب رددت عليك هنا باختصار دون خوض في مسائل أكثر رغبة في توضيح بعض الذي أريد وكسباً لمودتك في غير تنازل عن مبدأ إحقاق الحق عبر مجاملات ليس هنا موضعها. وأنا في انتظار إجاباتك فنحن في قسم الشريعة الإسلامية لا تنس. والسلام

ردي على الطائر المهاجر:

أخي الحبيب / الطائر المهاجر

بعد أن استعملت أداة الشك لجأت إلى اتهامي بكثرة من أدوات اليقين حيث ضربت بغلاة الشيعة وبي المثل بالكذب والتزوير والتدليس.

- نعم أنا من عشاق تراث السادة أهل البيت - عليهم مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام - وليس معنى ذلك أني لا أحب تراث غيرهم، وما دمت تحب اللغة العربية، فهل إذا قلت لك مثلا: إني أحب الإمام علي - رضي الله عنه - فهل معنى ذلك أني أبغض سيدي الإمام الصديق - رضي الله عنه - ؟!

- قرأ بعض الشيعة ديواني (نفحات قلب في حب أهل البيت) وكتابي الذي جمعته من التراث (أحلى عشرين قصيدة في حب أهل البيت) فأُعجِبوا بجانب منها ولاموا عليَّ في

البعض وذلك عن طريق صديق يعمل في الخليج فقلت له : "كل من يكره سادتنا أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ ليس منا ولا أحب معرفته" .

ـ قرأت كتاب الأستاذ الخطيب وغيره ويعلم الله أني لم ألتق سوى بشيعي واحد لمرة واحدة وهو يلجأ إلى تفضيل الإمام علي على من سواه من الصحابة ، وقلت : "التفضيل لا يخرج من الملة ، ونريد دائما أن يكون أبناء الإسلام كتلة واحدة" .

ـ في خطبة الجمعة قلت : "إن من طعن في الصحابة وسبهم قد يكفر بذلك" كما قلت ذلك للبعض في حوار عنيف وطويل .

ـ الإمام النووي أثنى عليه جمهور علماء الحديث في جملته ، وإن كانت هناك أحاديث ضعيفة فقد قيض الله من تعقبها .

ـ الحديث في مقالي (حديث أهل البيت ـ الشهير بحديث الثقلين) لا مطعن فيه بل هو صحيح واسأل من شئت من أهل الاختصاص .

ـ أردت بتقصير العلماء عدم ذكرهم الرواية (وأهل بيتي) كثيراً في خطبهم ، وعدم ضربهم المثل بهؤلاء السادة ؛ وقد يكون هذا خوفاً من استغلال غلاة الشيعة لذلك .

ـ إن غلاة الشيعة لا شك في رفضنا لهم ، والذين يكفرون سادتنا الصحابة ؛ يعود عليهم الكفر .

ـ قرأت الكثير عن الشيعة وخاصة ما دار من حوار بين أئمتهم وأئمة أهل السنة ولا زال الحوار مستمرا ؛ ليكون الجميع تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .

ـ أكرر اللهم إني أبرأ إليك من غلاة الشيعة ، كما أبرأ من غلاة المتنطعين الخوارج .

ـ أقسم بالله إني أخاف جداً على ديني ، وعلى نفسي ، وما تعمدت يوماً ذكر حديث موضوع في أي مناسبة .

ـ أنصحك بعدم الشك في نوايا الناس ، والتماس الأعذار قبل إصدار الأحكام .

هدانا الله جميعا إلى الرشد والصواب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تعليق المشرف/ أبو هاشم:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وبعد.

الأخوة الكرام:

سيد سليم، الطائر المهاجر، محب الجنان

كم هو مفيد هذا الحوار إن خلا من بعض الكلمات الغير مستحسنه مثل كلمة (الكذب أو كذبت) إنكم وأنتم تتحاورون الآن، لا تعلمون مدى الفائدة التي استفدتها منكم؛ لقلة علمي ولغزارة علمكم، ومن هذا المنطلق وبما أن الأخ العزيز/ سيد سليم أثبت لكم أنه من أهل السنة والجماعة، ولم يعد الخلاف بينكم وبينه إلا في مسألة الأحاديث التي يوردها، وتعقيبكم عليه ومطالبته بتخريج البعض منها وإسناد الآخر .. كما أن الاختلاف حول كلمات مثل .. التراث أو الترضي وما شابه ذلك لذلك كله أدعوكم إخواني الكرام أن تثروا هذا الموضوع بحواراتكم تحت مظلة الاحترام المتبادل، وانتقاء الألفاظ المحببة للنفس.

إنني أرى فيكم همة عالية، فو الله إنني كنت أبحث عن أمثالكم ليكونوا شموعا مضيئة لهذا المنتدى ولينبروا لمحاربة التفاهات والخزعبلات، والترهات، ممن أبتلينا بهم في بعض أقسام المنتدى ,إنكم تحملون ـ إن شاء الله ـ لواء التوحيد والدفاع عن العقيدة، وسأكون تلميذاً متابعاً لما تكتبونه. فقط اتركوا عنكم نعت بعضكم بعضا بكلمات لا تليق بكم، والمسلم يفترض فيه تطهير لسانه عن الكلمات الغير لائقة. كنت أحبكم من السابق ولكن الآن ازداد حبكم وسيزيد لاحقا. هذا المنتدى سيكون منارة علم بكم، أدعوكم لحوار مفيد

حتى مع الاختلاف. لكم مني أجمل التحايا، والله يحفظكم .

تلميذكم / أبو هاشم

ردي على تعليق المشرف (أبو هاشم):

أخي الحبيب :

بارك الله فيك ولا حرمنا نصحك وأشكرك على تواضعك الرفيع، والحوار باب من أبواب المعرفة. والحمد لله لي كتاب كامل كله حوارات اسمه : (الجماعات المتطرفة، معايشة وحوارات) .

وأهم ما في الحوارات حسن النية مع التزام أدب الحوار، وإن كنت قد أخطأت فهذا عيب فيَّ؛ وأسأل الله العفو والمسامحة، وأعدكم بالتزام ما فيه مصلحة ديننا وأحبابنا ومنتدانا، والحمد لله على كل، حال، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تعليق أختي الكريمة/ العسجدية:

كاتبنـــــا البارع ...... (سيد سليم)

قرأت مقالتك وحقاً هي رائعة وأسأل الله أن لا يحرمك أجرهــــا . و رفع الله قدرك، كما ترفع الإسلام دوماً من كتاباتك وأبياتك الشعرية . .الرائعة . . متميز دوماً دُمْ على هذا رضي الله عنك وأرضاك دنيا وآخرة.

أهل بيت النبي ومن لا يحبهم؟؟ أسأل الله أن لا يحرمنا من صحبتهم في الجنان. ما أطيب كلامهم! وما أطيب قصصهم وما أجمل أرواحهم! هم قدوتنا لا غير. لا حرمك ربي الجنة وجعلك من النبي وأصحابه في عليين، سلمت أخي ,لا تحرمنا من مساهماتك. اجعلها لنا نوراً نلتمس منه الحب والإخاء.

أخيتك / العسجدية

ردي على تعليق العسجدية:

أختي الكريمة / العسجدية :

اللهم آمين، ولك أختي الكريمة مثل ذلك، بارك الله فيك وجزاك خيرا ولا حرمنا من عاطر مرورك وحشرنا الله جميعا في زمرة سيد الخلق وآله الأطهار وصحبه الأبرار. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

رد الطائر المهاجر:

أحمد الله تعالى أن قيض لنا نحن أهل السنة في أرجاء الأرض، من أصلاب آبائنا وأرحام أمهاتنا من هو بمكانة الأستاذ سيد سليم

وإنني أؤكد لكم أجمعين أنني لم أنعته وحاشاه وحاشاني بالكذب

لكنني كنت أتعامل معه في حالة كونه (شيعياً) قبل أن يُعِّرف بنفسه، وكنت ولا زلت وسأظل إن شاء الله أحاوره وغيره وفق أصول الحوار التي أعرف. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقط أحب تذكير نفسي وإياه وإياكم أن الحوار بين جهابذة وعلماء السنة في كل عصر يحتدم أحياناً وبشكل عنيف ومع ذلك فهو قائم على حسن النوايا ولم يكن علماء السنة يهابون الحوار حتى فيما بينهم طالما أنه حوار قائم على الدليل ولزوم اتباعه؛ لكننا في هذا العصر تغيرت نظرتنا للحوار فإما أن تكون معي وتمدحني، وإما أنت عدوي وهذا ما لا نحبه ولا نقبله.

صدقوني الحوار يثري الموضوع ويدعمه، وليس فيه تنقص لأحد وليس فيه عيب ولا شتائم ولا سب، وحتى وسيدنا سني فلا زلت أطالبه بالدليل بكل أدب وهذا من حقي، وليس أحد بعد رسول الله فوق مستوى أن يُحاور ويُناقش ويُسأل ويُطالب بالدليل ...

اللهم اجعلنا وقافين عند الحدود راضين مرضيين مفاتيح للخير مغاليق للشر.

وإن أبى سيدنا (السيد سليم) الحوار فإني أستسمحه وأعتذر منه وأعفيه من كل إجابة؛

تطبيقاً لقول المصطفى في سنن ابن ماجه: " أنا زعيمٌ (أي ضامنٌ) ببيتٍ في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقاً .. " الحديث.

وكنت ولا زلت أتمنى أن ينحى الحوار منحى (الحوار العلمي الرفيع الشأن) مستغلين بذلك فرصة وجود الأستاذ سليم لكنني الآن أخشى من نفاذ الشيطان من ثقب إبرة فهو خبير في التحريش بين المؤمنين.

أشكرك شيخنا الفاضل (أبوهاشم) على موقفك النبيل بحق. وأشكر رفيقي (الذي وراء الكونترول يرقب كل همسة بحكمة وصبر) وأشكر سيد سليم، وأشكركم .. والسلام.

ردي على: الطائر المهاجر

أخي الحبيب: الطائر المهاجر

جزاك الله خيرا، وبارك فيك وفي غيرتك على عقيدتنا السمحة الغراء.

وثق بأني أحاول طرد الشيطان كلما أراد نزغاً، أو وسوسة في حواراتي؛ مستعيذاً بالله منه؛ مستعيناً بالله عليه قدر الاستطاعة، فإذا ما نفذ وغلبني لضعف فيَّ؛ فسرعان ما ألوذ بالله؛ مستغفراً.

والحوار موصول دائما بفضل الله تعالى وسيكون بحسن نية وحسن لفظ - إن شاء الله تعالى - وصدري مفتوح لأي حوار لأن الحوار من أهم مبادئ الإسلام ودعوته الغراء.

أكرمك الله ووفقك ووفقنا جميعا إلى ما يحب ويرضى، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد هذا لم أجد تعليقات أخرى؛ فكان لابد من الرد على بعض الشكوك

٠٨-٠٩-٠٥, ٠٤:٢٤ PM

ختام المعركة وردي بقصيدة عن سادتنا الصحابة رضوان الله عليهم.

وهذه قصيدة كتبتها منذ سبعة أعوام في سادتنا الصحابة - رضوان الله عليهم - وتم نشرها

في ديواني (أصداء نفس) ١٩٩٨ وهي بعنوان(صحب النبي) ، وقد جاءت على وزن البحر الكامل:

صحب النبي

صحب النبي رضتيم الإسلاما .·. وعشقتموه محبةً وغراما

طفتم به شرق البلاد وغربها .·. ورفعتم الرايات والأعلاما

رحماء بينكم أشدا في اللقا .·. خضتم حروبا تطلبون سلاما

بعتم لرب العالمين نفوسكم .·. أموالكم لا تبتغون حطاما

فزتم بجناتٍ فيا بشراكمو .·. نعم الثواب لسبقكم إكراما

من باع في حب الإله حياته .·. فقد اشترى الفردوس نعم مراما

توراة موسى أبرزت أوصافكم .·. إنجيل عيسى ساقها إحكاما

وكذلك القرآن جاء مبيناً .·. لجلالكم وجمالكم إعلاما

والسنة الغراء تعلم أنكم .·. خير القرون هدايةً ومقاما

سرج الهداية لو على أنواركم .·. نسري لما كنا نرى إظلاما

يا رب صل على النبي وآله .·. والصحب واجمعنا بهم إنعاما

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وخذ بأيدينا واشفنا واعف عنا وعافنا، واجمعنا بهم في الفردوس الأعلى، يا كريم يا غفور يا ودود، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وهنا توقفت المعركة على خير؛ فقد تدخل المشرف بجمالٍ ونبل، كما نفى الطائر المهاجر اتهاماته لي؛ بعد معرفته بأني من أهل السنة ولست شيعياً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثالثاً: معركة (منتديات المعنى)

حول قصيدتي في سادنا أهل البيت بعنوان (هم الطهارة)

وهذا رابط القصيدة والمداخلات في منتديات المعنى، قسم الشعر الفصيح:

http://www.alm3na.net/vb/showthread.php?t=6387

بدأ الحوار في ٤ / ٨ / ٢٠٠٥ وأختتم في: ١١ / ٨ / ٢٠٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

على مدى أسبوع من الحوار، والمداخلات، والردود اتسع صدر القائمين على منتديات: (المعنى) العامرة بالفكر، وفي منتدى الأدب كانت تلك مشاركتي بقصيدتي المحببة إلى وجداني (هم الطهارة) عن سادتنا أهل البيت ـ عليهم مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام ـ وأشهد بحق أن الحوار كان هادفاً، وبناءً؛ أتاح الفرصة للحديث عن سادتنا بكل حرية، وظهر من خلال الحوار الفرق بين الحب المفروض العاقل لسادتنا أهل البيت المبني على مذهب أهل السنة والجماعة، والحب المرفوض الأحمق المرتبط بالبغض لسادتنا الصحابة، وبعض سيداتنا أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهم، وعنهن ـ كما كانت نهايته طيبة بشهادة المشتركين، والقراء، وإليكم ما دار من جميل الحوار، وكذلك رابط الموضوع في ختام الحوار.

هم الطهارة (سادتنا أهل بيت النبي) صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

دائماً أقول: "ما من ممدوحٍ إلا ويناله الشرف بل ويفخر بمدح الشعراء له مهما كان منصبه: ملكاً، أو رئيساً، أو أميراً. إلا سادتنا أهل البيت فإن الشرف يكون للمادح".

عليهم مع جدهم أفضل الصلاة وأتم السلام

هم الطهارة

يا طائر الحب غرد أجمل النغم .·. وأصدح بمدحي لآل البيت كلهم

يا ربة الشعر كوني طوع خاطرتي .·. وأمطري القلب دراً كي يصيح فمي

ويا طهور الهوى كن بحر مملكتي .·. وكن مداداً يروّي بالهنا قلمي
ويا نسيم الرضا كن بي على صلةٍ .·. محملاً بعبيرٍ من رياضهم
ويا فؤادي أفض فالحب مملكةٌ .·. ملوكها الآل والأحباب كالحشم
واستمطر العز من قرب لهم فعسى .·. تفوز منهم بوصل غير منفصم
واذكر جلالاً يفوق الشمس في ألقٍ .·. واذكر جمالاً يفوق البدر في الظُلَم
فمدحهم شرفٌ عالٍ لمادحهم .·. وغيرهم شرفوا بالمدح والنغم
هم جيرة الله أعلى الخلق منزلةً .·. هم خيرة الله أعلى الناس في القيم
في كل عصر نرى الآثار تنبئنا .·. بأنهم أحمد الأخلاق والشيم
هم الطهارة في أسمى مراتبها .·. وفي الكتاب أتى إطلاق طهرهم
فهذه سورة الأحزاب ناطقةٌ .·. إرادة الله فوق الشك والتهم
الله أثنى عليهم في الكتاب كذا .·. روى الثقات أحاديثاً لجدهم
وأوجبت آية الشورى مودتهم .·. قربى النبي لنا أولي من الرحم
في كل عصر لهم من بيننا علمٌ .·. يفيض نوراً من القرآن والحكم
في كل قرن لنا منهم إمام هدى .·. يجدد الأمر أمر الدين في الأمم
وخاتم الدهر مهدي الزمان له .·. قبل القيامة نور كاشف الظلم
قد طابق اسماً رسولَ الله واسم أبٍ .·. يقضي على فتنة الدجال والغُمَم
هم أكرم الناس إن حققت عنصرهم .·. أتقى الخلائق فلتنظر لفعلهم
ما غرهم أشرف الأنساب عن عملٍ .·. ولا ثناهم عن العلياء والهمم
فقد علوا فوق هام الكل منزلةً .·. وطوقوا الدهر بالإجلال والكرم
وأشربوا الحب عشاقاً لهم فرووا .·. من نهره العذب طلاباً لفيضهم
وأورثوا العلم أحباباً لهم فسعوا .·. مذكرين بقرباهم وبالرحم
مولاي صل وسلم ما أردت على .·. رمز الكمال وآل البيت كلهم

تعليق الأستاذ / عبد العزيز الشاطري، مشرف الأدب العربي

اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وارض اللهم على الخلفاء الأربعة وعلى جميع الصحابة والتابعين.

الشاعر الكبير سيد سليم أنرت المتصفح بهذه الدرة الثمينة، ولكنني أتساءل عن هذا الشطر:

(وأمطري القلب دراً كي يصيح) ماذا سقط منه؟ وشكراً لحضورك وإضاءتك.

ردي على الأستاذ عبد العزيز:

أخي الحبيب / عبد العزيز الشاطري

بارك الله فيك وجزاك خيراً ولا حرمنا مرورك الطيب، وأشكر لك ما تفضلت به على أخيك

أخي وحبيبي، تعلم أن القصيدة من البحر البسيط، ومنه مستفعلن وقد يدخله الزحاف بحذف الثاني الساكن - لا على سبيل الإلزام - فتصير متفعلن وهو (الوقص) وشاكر لك جميل استفسارك.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مداخلة الأستاذ، ثامر الشبيلي:

اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحابته الغر الميامين، وبعد

أخي الكريم:

قصيده جيدة، فيها معاني جميلة، وأخرى غير ذلك!

نهانا رسول الهدى صلوات ربي عليه عن الغلو في مدحه فقال: "لا تطروني كما أطرت

النصارى المسيح بن مريم" .

قلت أخي:

هم جيرة الله أعلى الخلق منزلةً .·. هم خيرة الله أعلى الناس في القيم

ليس كلهم كذلك فمنهم الصالح ومنهم غير ذلك، إلا إذا كنت تقصد آل النبي في وقته وهم: بناته وزوجاته بما فيهم عائشة رضي الله عنها وأرضاها .. وعلي كرم الله وجه وأولاده.

قلت :

في كل قرن لنا منهم إمام هدى .·. يجدد الأمر أمر الدين في الأمم

من أين أتيت بهذا يا أخي!! إلا إن كنت رافضيا؟ ونحن هنا ولله الحمد سنه سلفيون نتبع ما أمرنا الله به وما هو عليه رسول الله وصحابته وسلفنا الصالح، نحب آل البيت لكننا لا تغلو فيهم؛ فنحن الفئة الناجية بإذن الله، والأمة الوسط بين الناصبة والرافضة.

أتمنى أن يتسع صدرك لتعقيبي، وأن لا يتحول الموضوع إلى منحى آخر. فما كتبته هو ما أملاه عليَّ ديني ومعتقدي الصافي ولله الحمد؛ فلا بدع، ولا جهل، ولا غلو؛ بل اتباع، وتسليم، دمت بخير.

ردي على أخي، ثامر الشبيلي:

أخي الحبيب / ثامر الشبيلي

بارك الله فيك، وجزاك خيراً.

- من ناحية الغلو؛ أعاذنا الله جميعا منه.

- وأقصد بالسادة: سادتنا أهل البيت بمعنى الكلمة، وهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وكل من جاء متصلاً بالنسب الأطهر متبعاً سلوكهم أقصده كذلك.

- وقد مَنَّ الله على هذه الأمة بمن يجدد لها أمر دينها على رأس كل قرن كما جاء في الأحاديث الصحيحة. وإذا تتبعت مَن نَصَ العلماءُ عليهم وجدت أن معظمهم من السادة أهل

البيت .

- أما عن الرافضة : فإني - والحمد لله - من أهل السنة والجماعة ، رزقنا الله جميعا حب هؤلاء السادة مع الوفاة على السنة والجماعة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مداخلة الأستاذ / بدر بن غازي المسئول العام

أقف احتراماً لهذا الحوار الرفيع الذي يدل على أن هنا عقولا كبيرة وقلوباً نقية .

قبلةً على جبين كل من سبقني وأولهم الكبير سيد سليم

ردي على الأستاذ / بدر بن غازي:

أخي الحبيب / بدر بن غازي

بارك الله فيك وجزاك خيراً ، وإن شاء الله تعالى ، وبفضله ورحمته ؛ يكون حوارنا أو خلافنا مرحوماً ؛ مادمنا لا نبغي به إلا وجه الله ، والنفع العام ، لا حرمنا الله منكم ومن أهل الرأي .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

رد الأستاذ / ثامر:

جزاك الله خيراً أخي سليم على سعة صدرك

وردك الراقي ؛ لكنني أستدرك عليك هنا عبارة .. فان شئت أوضحتها لي ؛ والشكر لك مزجيً من قبل ومن بعد ، وهي : "وإذا تتبعت مَن نَصَّ العلماءُ عليهم وجدت أن معظمهم من السادة أهل البيت" !!!!! واستدراكي هنا : أريدك أن تتفضل على أخيك .. وعلى الأحبة بذكر بعض من أسماء هؤلاء الرجال الذين ذكرت .

كما أود أن أضيف فائدة لك وللأحبة هي أن الحديث الشريف الذي ذكرته لا ينص على أن

مجددي الدين كل رأس قرن هم من آل البيت حصرا ؛ لذا فإنه من الباطل حصرهم في آل البيت ، وشاهدنا التاريخ الإسلامي الموثق والمتفق عليه من طوائف الأمة :

ففي القرون الأولى (المائة عام التي تلت وفاة النبي ﷺ):

كان المنهج صافياً والمورد عذباً ؛ فهناك أئمة في الفقه والقرآن والسنة أمثال : عبد الله بن عباس رضي الله عنه وغيره من الذين تبعوهم بإحسان ، وفي القرن الثاني : عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأرضاه ، فالإمام أبو حنيفة ولم يكن من آل البيت ، والإمام أحمد بن حنبل ولم يكن من أهل البيت ، والإمام مالك ليس من آل البيت ، وحده هو الشافعي الإدريسي من الأئمة الأربعة وهو قرشي (ولاحظ انه ليس من السادة كما أسميتهم) .

ثم في القرون التالية:

كان الأئمة العلماء متبعين في اجتهاداتهم المذاهب الأربعة .

أما في القرن الثاني عشر الهجري فقد قيض الله لدينه من يجدده في الجزيرة بمنهج السلف وهو الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعا .

ثم دعني أنقل لك كلام أحد الشيعة ممن عرفوا الحق وعادوا إلى جادة الصواب والتوسط في المنهج فقال : "والأعجب من هذا أن نرى بعض علماء الشيعة بدل أن يسقطوا هذا الحديث من الاعتبار ويقولوا أنه مروي عن أبي هريرة وبدل أن يمتنعوا عن حسابه و يعلموا أن لو كان له شيء من الصحة لذكر في أخبار أئمتنا لكنهم قاموا بحساب القرون وذكر الشخصيات فقالوا في أوائل القرن الثاني : الإمام الباقر ، والثالث : الإمام الرضا ، والرابع : الكليني ، والخامس : الشيخ المفيد ، والسادس : الطبرسي ، والسابع : نصير الدين الطوسي ، والثامن :الحلي ، والتاسع : الشهيد الأول ، والعاشر : المحقق الكركي ، والحادي عشر : الشيخ البهائي ، والثاني عشر : المجلسي ، والثالث عشر : الوحيد البهبهاني ، والرابع عشر : الميرزا الشيرازي" .

تعقيب :

فالتصنيف أعلاه ليست الأمة مجمعة عليه، بل هم الرافضة فقط من يقول بهذا.

وبانتظارك أخي الكريم، هدانا الله وإياك لما اختلف فيه من الحق بإذنه، دمتم بخير.

ردي على الأستاذ، ثامر الشبيلي:

أخي الحبيب : ثامر الشبيلي

أكرمك الله وبارك فيك، وهدانا جميعا للرشد والصواب

- عند كثرة من العلماء أن المجدد في كل قرن ليس شخصاً واحداً؛ ففي كل مجال من مجالات شرعنا الحنيف نجد مجدداً، ففي عهد الإمام أبي حنيفة النعمان - رضي الله تعالى عنه - كان الإمام جعفر الصادق - رضي الله عنه - وهو - كما وُصِف - أعلم أهل البيت، بل أعلم أهل زمانه عند الكثيرين، وإذا نظرت إلى المناظرة التي تمت بينه وبين الإمام الأعظم أبي حنيفة رأيت اعتراف الإمام أبي حنيفة بإمامته وسيادته والتتلمذ على يديه.

- فأبو حنيفة إمام في أحكام الشرع، والصادق إمام في السلوك الروحي والحكمة مثلا.

- والإمام ابن عباس - رضي الله عنهما - معلوم أنه من السادة أهل البيت.

والأئمة الأربعة - رضوان الله عليهم - عاشوا ما بين القرنين الثاني والثالث، وهم جميعا كانوا يجلون السادة أهل البيت ويرون أنهم الأئمة لهم ولغيرهم ولجميع المسلمين، وللإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه- مقالات كثيرة في هذا المجال.

والإمام موسى الكاظم كان إماماً مجددا لعصره ويشهد له بهذا جميع أعلام الشريعة في عصره وغيرهم.

ولا شك أن جميع أعلام الهداية من أئمة الشريعة كانوا إذا ظفروا بأي إمام من أهل البيت؛ استفتوه واستفادوا منه وأقروا له بالإمامة وهذا معروف تاريخياً.

أما ما ذكره الشيعة من أن الأئمة هم : الكاظم والباقر والرضا فهذا حق، وأما ما ذكروه

بعدهم عن أئمتهم فنحن لا نقر ذلك .

فالكاظم ، والباقر ، والرضا ، هم سادة العلماء بحق أما فلان وفلان فلا نكاد نعرف عنهم شيئا .

ويا أخي الحبيب:

أخوك سيد خريج جامعة الأزهر ، ودراستي الفقهية تخصص فقه حنفي ، كما أني خطيب بالأوقاف وأقسم لكم (إني لست شيعياً) وإنما من محبي سادتنا أهل البيت عليهم مع جدهم أفضل الصلاة والسلام .

مداخلة الأستاذ/ عبد العزيز الشاطري ، مشرف الأدب العام

ثامر الشبيلي ، وسيد سليم

الشكر كل الشكر للحوار الهادف البناء المتمثل في شخصيكما ـ إن شاء الله ـ والنقاش الرائع الممتع ، ولكن استفسار واحد لك يا سيد ، وهو ما سبقني إليه أخي ثامر : "أريدك أن تتفضل على أخيك . .وعلى الأحبة بذكر بعض من أسماء هؤلاء الرجال الذين ذكرت" . ، والسلام

ردي على الأستاذ ، عبد العزيز الشاطري:

أخي الحبيب : عبد العزيز الشاطري

بارك الله فيك وأكرمك الله وشاكر لك ما تفضلت به

ولعل في إجابتي عن استفسار أخي ثامر ما يجد قبولا لديك . دمت بخير ومع مزيد من التواصل .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مداخلة الأخت/ غرنوق ، مراقبة عامة:

اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

طوبى لهذا الحوار الراقي ؛ تحيه لكل المتحاورين هنا .

الرائع أدباً ، وخلقاً الأستاذ / سيد سليم

سعداء كوننا في متصفحك ، لك أطيب أمانينا .

أختك / غرنوووق

وكنت قد نسيت في غمار الردود مداخلة أختي الكريمة / غرنوق ؛ فأدعو الله لها بالتوفيق لما يحب ويرضى ، وجزاها الله خيراً على ما تفضلت به ؛ فقد سبق أن وعدت بالعودة للموضوع ؛ فوفت بوعدها .

رد الأستاذ / ثامر:

جزاك الله خيرا سليم ولكل من تابع الموضوع وعقب وبارك الله فيك وبعلمك أخي

النفس الزكية أخي وهو أحد آل البيت وكان شيخاً لأبي حنيفة . وأبناؤه من صلبه عليهم السلام الذين ساروا على نهجه ، وفي كل خير إن شاء الله . إنما كان اعتراضي على نقل مرويات الرافضة (لاحظ إني أسميتهم رافضه . .فالشيعة الحقيقيون هم أهل السنة)

أيضا لو انتبهت أخي فأنا لم أشكك بعلم بعض أهل البيت ؛ إنما كان تحفظي على إطلاق العبارة محل الاعتراض ؛ والحمد لله انك سني وسلفي ، وطالب علم جليل ؛ وفقك الله لما يحب ويرضى .

واعلم أخي أن أحداً لن يدخل الجنة بحب أحدٍ إذا فسد عمله ومعتقده وإلاَّ لكان أول الداخلين إلى الجنة أبو طالب عم الرسول صلوات ربي عليه ، واعلم أخي أن الإسلام مورد زلال ونهج مستقيم ، ورب سميع عليم حكيم . . لا نحتاج إلى واسطة لطلب رضاه والتقرب منه .

أحب آل البيت وأقصد بهم آل الرسول الأوائل فهم المقصودون وهم العترة الشريفة وهم من نصصت على ذكرهم أعلاه في ردي السابق ، أما من فسد منهم وانحرف فلا حبا ولا كرامه .

وأما من جعل قرابته للرسول وسيلة للوصول إلى أي غرض دنيوي فلا ولا كرامه ، وأنت كما تفضلت درست في الأزهر فأنت الأولى والأجدر بتعليمنا وتفقيهنا ، وسد شبهات الرافضة وغيرهم من الطوائف الغالية (من الغلو)

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

مداخلة الأستاذ / مشعل الصعيبي، نائب رئيس مجلس الإدارة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وقفة إجلال واحترام لك يا شيخنا سيد سليم ، وكذلك لك أنت ، ثامر وذلك لما شاهدته من مناقشة جليلة ورائعة من الطرفين ، ولما رأيته من سعة الصدر والعلم الجلل الواضح والتميز الحق من كلا الطرفين ، كما وأنه تبين لنا أن هنا بين جنبات هذا الصرح أناساً ذوي علم نقي وصافٍ ومحبة في الله ، ولا أخفيكم أنني ومن هذا الحوار استفدت الكثير والكثير ، وتبين هنا واضحا جلياً الأسلوب التربوي الرائع والمثمر من شيخنا الكريم سيد سليم كما أحيي الأستاذ ثامر الشبيلي على الروح العالية والشجاعة لنبش والتقاط المعلومة من أماكن نبعها ؛ لا هنتم جميعا وأشكر كل من مر هنا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مداخلة الأستاذ / عبد العزيز الشاطري:

هكذا نستفيد من النقاش المفيد . والمعنى سعيد بهذا العلم السديد ، والشكر مديد لمن ناقش وحاور وشاهد الجديد .

ردي على الأستاذ ، ثامر الشبيلي:

أخي الحبيب : ثامر الشبيلي

بارك الله فيك ، وجزاك خيراً ، ولا حرمنا منك ومن جميل ما تتفضل به ، وكلنا ينشد الحق بفضل الله تعالى .

ـ من ناحية سادتنا أهل البيت فهم أهل ولحمة وأبعاض سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ ويكفي ما نزل فيهم من نصوص القرآن الكريم: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (الاحزاب ٣٣)

ـ أما من خالفوا وخرجوا عن هدي سيد الخلق جدهم ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ فهم قد تنصلوا بعملهم من ميزات هذا النسب الأكرم الأطهر، شانهم شأن ابن سيدنا نوح على نبينا وعلى سيدنا نوح أفضل الصلاة وأتم السلام، وكما أن الحب درجاتٌ فإن التنصل درجات أيضاً، والعبرة بالاتباع، وما أجمل الجمع بين النسبين: النسب في العمل، والنسب في القرابة! وكما قيل:

أهل النبي هم أتباع ملته .·. من الأعاجم والسودان والعرب

لو لم يكن آله إلا قرابته .·. صلى المصلي على الطاغي أبي لهب

ـ أما عن الروافض فيكفيهم خيبةً أن سيدنا الإمام زيد بن علي وبعده الإمام جعفر الصادق، وبقية الأئمة من أهل البيت ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قد تبرأوا منهم، وقبلهم جدهم سيدنا الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ وتبرأ منهم كثيرون من أئمة السادة أهل البيت الذين هم بحق يستحقون الإضافة إلى سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وجميل ما قاله الشاعر الفرزدق في السادة أهل البيت :

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم .·. أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم .·. في كل بدء ومختوم به الكلم

أخي الحبيب:

بارك الله فيك وأكرمك بما قمت به من مداخلات غيرة على ديننا الحنيف، وبارك الله في جميع الأحباب المشاركين. وقد أتاحت مداخلاتك الراقية الفرصة لي، ولك، وللأحباب مزيداً من المعرفة والتوضيح، وأتمنى المزيد من النقد البناء الذي تعم فائدته الجميع. لا حرمنا الله

جميعا من كل خير، ورضي الله عن جميع السادة وجميع أحبابهم، ورزقنا الله صادق حبهم وحسن اتباعهم؛ وجمعنا بهم في الدنيا والآخرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ردي على مداخلة الأستاذ/ مشعل الصعيبي:

أخي الحبيب / مشعل الصعيبي

لابد من نسب الفضل لأهل الفضل، وأنتم أيها الأحباب أهل الفضل؛ حيث أسهم وشجع حبيبنا بدر بن غازي، كما أسهمت أنت بتلك المداخلة الكريمة، ولا ننسى صاحب المداخلات الواعية الذي تسبب في هذا النقاش الجميل الحبيب ثامر، والحبيب عبد العزيز الشاطري، والغالية غرنوق، وجميع الأحبة؛ جزاهم الله جميعا خيرا، وبارك الله فيك وجزاك خيرا، وشاكر لك ما تفضلت به ومع مزيد من التواصل بفضل الله تعالى.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ردي على الأستاذ، عبد العزيز الشاطري:

أخي الحبيب، عبد العزيز الشاطري

بارك الله فيك وجزاك خيرا وشاكر لك ما تفضلت به من مداخلة شاعرية رقيقة وعذبة ومع مزيد من التواصل بفضل الله تعالى.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وإلى هنا قد انتهى هذا الحوار البناء والهادف؛ أفادنا الله به في دنيانا وأخرانا.

رابعاً: معركة (منتديات بيت الجود)

حول مقال لي في المنتدى بعنوان: (التصوف بين البراءة والاتهام) كان قد نشر قبل ذلك في جريدة صوت العروبة ط. القاهرة باريس.

كانت بدايتها في ٢ ـ ١١ ـ ٢٠٠٦ وانتهت في اليوم نفسه، وهي على ها الرابط:

http://www.aljoood.com/forums/showthread.php?t=10769

التصوف بين البراءة والاتهام:

"التصوف حال من السلوك الفردي والجماعي؛ يرقى به الإنسان إلى المقام الرفيع (مقام الإحسان) الذي أبانه سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ عندما حاوره سيدنا جبريل ـ عليه السلام ـ تعليماً لنا عن: (الإسلام، والإيمان، والإحسان) فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". ليتم بذلك الوصول إلى الهدف الذي خلق الله من أجله هذا الإنسان ألا وهو: تحقيق مقام العبودية الخالصة لله تعالى، والمشار إليه في قوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات ٥٦ : ٥٨) وذلك عن طريق تربية النفس وتهذيب السلوك وتطهير الوجدان وحراسة الحواس وتطييب الروح والسمو الأخلاقي بصفة عامة. ويبنى التصوف على علاقة بين أستاذ التربية وتلاميذه أو شيخ الطريقة ومريديه، تنظمها أسس عامة وقواعد معلومة حققها سادتنا الصوفية الأوائل خلال سلوكهم الطريق وتجاربهم الفعلية ومنازلاتهم الروحية في هذا المجال، والتي خرجوا منها بنتيجة سلوكية وتربوية هامة لابد من مباشرتها لكل سالك ألا وهي: "جهاد النفس ومحاربة هواها". وهم يستمدون ذلك من قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات ٤٠ : ٤١) ومن الأثر الوارد الذي يتمسكون به "الجهاد الأكبر جهاد النفس هواها". وقد أكثر السادة الصوفية من الحديث عن النفس ومؤامراتها وحيلها الشيطانية؛ من حيث أنها أمارة بالسوء وإن قطعت مراتبها المعروفة التي يتخطاها السالكون بل أنهم قالوا عنها: "أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك". وقالوا:

تَوقَ نفسك لا تأمن غوائلها .·. فالنفس أخبث من سبعين شيطانا

وللإمام البوصيري ـ رضي الله عنه ـ أبيات بلغت قمة في الجمال؛ تعبر عن خطورة اتباع

هوى النفس، كما تبين كيفية الانتصار على أهوائها، ثم تربيتها وتهذيبها إلى أن تخضع وتستجيب للصواب كثيراً ما يرددها السادة الصوفية:

وخالف النفس والشيطان واعصهما .·. وإن هما محضاك النصح فاتهم
لا تسترض منهما لا خصماً ولا حكماً .·. فأنت تعلم كيد الخصم والحكم
فاصرف هواها وحاذر أن توليه .·. إن الهوى ما تولى يصم أو يصم
وراعها وهي في الأعمال سائمة .·. وإن هي استحلت المرعى فلا تسم
كم حسنت لذة للمرء قاتلة .·. من حيث لم يدر أن السم في الدسم
والنفس كالطفل إن تهمله شب على .·. حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وللنفس عند الصوفية سبع مراتب: (الأمارة،اللوامة،الملهمة،المطمئنة،الراضية المرضية،الكاملة) وهذه المراتب يتم سلوكها بالجهاد الصادق، والكفاح المستمر لأن لكل مرتبة عوائق وعقبات يجب تخطيها؛ للوصول إلى المرتبة التي تليها. فإذا ما انتهي السالك من تخطي هذه المراتب فإنه يبدأ رحلة جديدة من الأحوال والمقامات والرقي الروحي إلى درجات عالية رفيعة إلى ما شاء الله. إنه الجهاد الدائم والكفاح المستمر ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ (الانشقاق ٦) ولا يتم ذلك كله إلا عن طريق شيخ سلك الطريق قبل ذلك، واطلع على ما فيه من عقبات ومحاذير حتى صار خبيراً في هذا المجال؛ ليأخذ بيد مريديه إلى الله، وفي هذا يقول القرآن الكريم:﴿الرحمن فاسأل به خبيرا﴾ (الرحمن٥٩)، ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ (لقمان ١٥)، ﴿ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (فاطر١٤) وقد ركز سادتنا الصوفية الأوائل على ضرورة اتخاذ الشيخ البصير لسلوك ذلك الطريق وشددوا في ذلك أيما تشدد ومما جاء عنهم في هذا المجال قول سيدي علي عقل رضي الله عنه:

وعنـــدي أن الأمـــر ليـــس بهينٍ .·. فـلابـد من ســوق النفــوس لمن يـدري
إذا لم يكن للنفس شـيخ لـه هدى .·. يؤدبهـــا بـالروح زاغت عن الســير
ولا يعبر البحــــر الخضم ونوأه .·. سوى ماهرٍ يدري السباحة في البحر
ولولا اتصـال الكهـرباء بأصلهـا .·. على موجـة التيـار مـا نورها يسـري

إذن المشيخة شيءٌ ضروريٌ عند السادة الصوفية ؛ فلابد لكل مريد من شيخ يسلكه الطريق عن طريق البيعة أو ما يعرف بالعهد أو القبضة، وكلها أسماء لمعنى واحد، هو علاقة الأبوة الروحية بين المريد السالك وشيخه المربي ؛ حيث أن الشيخ سبق له سلوك الطريق عن شيخ أيضاً ؛ وبالتالي عرف ما فيها، وطابت نفسه حتى أذن له في تسليك غيره بعد أن تحقق بالخبرة والإنابة، واتخذ البصيرة وسيلة له في طريق تربيته للمريدين مقتدياً بسيد المربين والدعاة ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف ١٠٨) فإذا ما اتصف الشيخ بهذه الصفات ؛ كان حرياً أن ينال التوقير القلبي من مريده الذي يرى فيه مثله الأعلى ونموذجه المقدم بعد سيد المربين سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ لأنه المسئول المباشر عن تربيته والوصول به إلى فضل الله ورحمته ورضاه. وعن أوصاف الشيخ المربي يقول الشيخ الشريشي :

وللشيخ آيـاتٌ إذا لم تكـن لــه .·. فمـا هو إلا في ليـالي الهوى يسـري
إذا لم يكن علـم لـديه بظـاهرٍ .·. ولا باطنٍ فـاضـرب به لجج البحـر
وإن كـان إلا أنـه غيـر جـامعٍ .·. لوصفيهمـا جمعاً على أكمل الأمـر
فأقـرب أحوال العليل إلى الردى .·. إذا لم يكن منهـا الطبيب على خبـر
وآيتـه ألا يميل إلـى الهـوى .·. فـدنيـاه في طي وأخـراه في نشـر

والبيعة بهذا السلوك ؛ تجعل التصوف روحاً للإسلام، وثمرة للإيمان، وتعريفاً عملياً للإحسان ويكون التصوف بريئاً من التهم الموجهة إليه. فإذا لم يكن الشيخ هكذا ؛ فلا يحق

له، ولا يصح منه أن يدعي المشيخة التي قد يجر بها المريدين إلى الهاوية، ويضيع عليهم فرصة اللحاق بركب التربية الروحية الصحيحة. يقول سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري عن أوصاف الشيخ المربي: "ليس شيخك من واجهتك عبارته إنما شيخك من سرت فيك إشارته، وليس شيخك من سمعت منه إنما شيخك من أخذت عنه، وشيخك هو الذي يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك حتى وصلت إليه ولا زال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه وزج بك في نور الحضرة وقال لك ها أنت وربك".

ومن المعلوم أن التهم الموجهة للتصوف لم تأت من فراغ وإنما أتت بسبب ممارسات المدعين للتصوف الدخلاء على أهله المتزيين بزي رجاله الخارجين عن آدابه المنحرفين عن أخلاقياته، الذين اتخذوا الطريق مغنما لهم، كما أن هؤلاء الشواذ عن صحيح التصوف تجاوزوا كل الآداب والأصول؛ فأباحوا الاختلاط بين الجنسين وفيهم الشباب والمراهقون بدعوى الأخوة في الله ورحم الله الشيخ القائل: "إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تأخذوا عنه حتى تنظروا أعماله فإن كانت موافقة لكتاب الله وسنة رسوله فخذوا عنه، وإن كانت مخالفة فاتركوه فإنما هو شيطان". وكل هذا جهل مبين وحماقات مرفوضة، مع العلم أن أغلب هؤلاء صاروا شيوخ طرق عن طريق الوراثة أو المجاملة، بل أن بعض شيوخ الطرق يلجئون إلى الاستكثار من المريدين والخلفاء والنواب دون أن يضعوا في الاعتبار الضوابط والأسس التي قننها ورسمها سادتنا الصوفية الأوائل. وبسبب هذا السلوك المشين والبعيد كل البعد عن روح التصوف؛ أتيحت الفرصة للناقمين على التصوف، الكارهين لرجالاته لشن الحملات الهجومية على التصوف ككل وبهذا جنى هؤلاء الدخلاء المدعين جناية كبرى على التصوف الحق رغم أن التصوف برئ من هؤلاء اللصوص اللصقاء.

وإذا ذهبنا إلى ما قاله أئمة التصوف عن الطريق الصوفي؛ تبين لنا براءة التصوف من السهام الموجهة إليه. وأن كل من لا تنطبق عليه أقوال الأئمة ليس صوفياً والتصوف بريء

منه. يقول الإمام الجنيد سيد الطائفة الصوفية: "التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع". وله أيضاً: "الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح". ويقول الجريري: "التصوف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب" ويقول أبو تراب النخشبي: "الصوفي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء". وقال الواسطي معبراً عما كان عليه الصوفية وعما صاروا إليه في إشارات بليغة ومعبرة: "كان للقوم إشارات ثم صارت حركات ثم لم يبق منها إلا حسرات". هذا عن عصره فكيف إذا شاهد أكثر صوفية عصرنا؟! أيها السادة أحباب التصوف والصوفية: إن من الواجب علينا جميعاً أن نتكاتف كل حسب استطاعته وفي مجاله؛ للرجوع إلى التصوف الصحيح والبعد عن المدعين البطالين. إن من الواجب على مشيخة الطرق الصوفية (وهي هيئة دينية رسمية تقوم على شئون التصوف والصوفية ولها مجلسها الأعلى الذي يضم بالإضافة لأعضائه المنتخبين ممثلين لأهم هيئات الدولة، كما أن لها قانونها المنظم لعملها، ولها لائحتها الداخلية) أن تمارس دورها الروحي والقانوني للوصول إلى تصوف خال من الزيف والخرافات، بعيد عن البدع والمبالغات، ليس فيه اختلاط أو ابتذال خاصة في الموالد التي يقصدها المحبون من الداخل والخارج. يجب أن تكون الموالد ملتقى روحياً لتدارس سير هؤلاء الصالحين، وكيفية توظيفها للاستفادة بها في واقع حياتنا. فيا مشيختنا العامة للطرق الصوفية ـ وفيك العلماء الأفذاذ والسالكون المربون الصالحون بحق ـ عليك أن تضعي برنامجاً؛ للقضاء على السلبيات المشينة التي تسيء إلى التصوف والصوفية.

ومما لا شك فيه أن الوصول إلى مقامات السادة الصوفية الأوائل أمر صعب المراس لا يستطيعه مدعٍ أفاق، أو متلصص بطال. فها هو الإمام العَلَم الذي بلغ الدرجات العليا في علوم الشريعة والفلسفة الإيمانية وهو الإمام أبو حامد الغزالي ـ رضي الله عنه ـ يحدثنا عن تجربته النورانية مع التصوف والصوفية فيقول في كتابه المنقذ من الضلال: "بقيت نحو عشرين سنة بعد خروجي للتصوف وانكشفت لي في أثنائها أمور لا يمكن إحصاؤها والقدر

الذي أذكره لينتفع به الناس أني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا وأن جميع حركاتهم وسكناتهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وبالجملة ماذا يقول القائل في طريقة أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى وآخرها الفناء بالكلية في الله تعالى" . وعن بداية تجربته المباركة يقول: "ابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم، مثل: (قوت القلوب لأبي طالب المكي رحمه الله وكتب الحارث المحاسبي والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي قدس الله أرواحهم وغير ذلك من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلية وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع فظهر لي أن أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعليم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات" . ويؤكد الإمام أبو الحسن النوري المعنى نفسه فيقول: "ليس التصوف رسماً ولا علماً ولكنه خلق لأنه لو كان رسماً لحصل بالمجاهدة ولو كان علما لحصل بالتعليم ولكنه تخلق بأخلاق الله ولن تستطيع الإقبال على الأخلاق الإلهية بعلم أو رسم" . وفي كتابه: (المدرسة الشاذلية) يقول إمام وعلم التصوف في عصرنا سيدي الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود، رحمه الله: "ونقول في يقين يسد الطريق في وجه كل من يحاول أن يثير أوهاماً ضد التصوف والصوفية إن المنهج الصوفي إنما هو تحقيق واقعي لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ (الشمس ٩) . هذا هو التصوف الذي ينبغي الحديث عنه، واحترامه واحترام أهله، ومن ذهب إلى غير ذلك فليس من التصوف في شيء؛ إنما للتصوف رجاله، وهم قادة سادة في شتى الميادين الدينية والدنيوية؛ أكرمهم الله ونفع بهم. والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

رد الأستاذ. فايز المرزوقي

يا أخي هداك الله للحق، هذا دين ابتداع والصوفية الآن على كل مشاربهم انغمسوا في البدعة والشركيات.

قولك (يقول سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري عن أوصاف الشيخ المربي: ليس شيخك من واجهتك عبارته إنما شيخك من سرت فيك إشارته وليس شيخك من سمعت منه إنما شيخك من أخذت عنه وشيخك هو الذي يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك حتى وصلت إليه ولا زال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه وزج بك في نور الحضرة وقال لك ها أنت وربك)

وقولك (إذن المشيخة شيء ضروري عند السادة الصوفية فلابد لكل مريد من شيخ يسلكه الطريق عن طريق البيعة أو ما يعرف بالعهد أو القبضة وكلها أسماء لمعنى واحد هو علاقة الأبوة الروحية بين المريد السالك وشيخه المربي حيث أن الشيخ سبق له سلوك الطريق عن شيخ أيضاً وبالتالي عرف ما فيها وطابت نفسه حتى أذن له في تسليك غيره بعد أن تحقق بالخبرة والإنابة واتخذ البصيرة وسيلة له في طريق تربيته للمريدين)

ذكرني هذا الكلام بقول أبن عطاء، من ليس له شيخ صوفي فهو لقيط

تخيل أنه يصف العوام بأبناء الزنا إن لم يكن لهم شيخ صوفي قرنوا بيعتهم له؟!

يا أخي لو كان هذا حقا وإن علينا بيعة شيخ نلازمه نجعله كالوصي على سلوكياتنا وحركاتنا ولا نتجاوزه بإعمال عقولنا والإبحار في علم بديع السماوات والأرض لكان من قبلنا فعلوه وأمرنا الله به في كتابه، أما أن نكون في حضرة شيخ صوفي نزكيه من الأخطاء وأنه معصوم من الزلل ونظمن بأنه لا يأتيه الباطل لا من بيدي يديه ولا من خلفه ونلزم العوام ببيعته وعدم تجاوزه ، هذا أمر خاطئ ولا هو بحق، بل أن وصل الحال بطرق الصوفية أنهم إن جلسوا في الحضرة بدأ شيخهم يأمرهم افعلوا كذا وكذا وبدءوا بالهمهمة والتمتمة

والتراقص، إلخ

ولا شك أن لابن عطاء السكندري أقوال بها حكمه وفائدة لكن ينبغي الحذر من الشبهات وأقواله الشاذة المنحرفة.

يقول ابن عطاء الله السكندري: "لو كشف عن حقيقة الولي لعبد، لأن أوصافه من أوصافه، ونعوته من نعوته". (لطائف المنن، صفحة: ٩٥)

ويقول أيضاً في كتابه تاج العروس (صفحة: ٣٦) طبعة دار ابن القيم دمشق الطبعة الأولى سنة: (١٩٩٩م) ما نصه: "كل من كان مراعياً لحق الله تعالى، لا يُحدثُ اللهُ حدثاً في المملكة إلا أعلمه. نظر بعضهم إلى جماعة فقال لهم: هل فيكم من إذا أحدث الله سبحانه وتعالى في المملكة حدثاً أعلمه.؟ قالوا: لا. فقال لهم: ابكوا على أنفسكم".

وقال ابن عطاء في الصفحة (٧٥) ما نصه: "عن الشيخ مكين الدين الأسمر رضي الله عنه أنه قال: كنتُ بالإسكندرية فرأيت شمساً قد طلعت مع الشمس فتعجبت من ذلك، فدنوت منه فإذا هو شاب قد خط عِذارُه -أي بداية نبت شعر لحيته- قد غلب نوره على نور الشمس، فسلمت عليه فرد علي السلام، فقلت له: من أين.؟ فقال: صليت الصبح في المسجد الأقصى ببيت المقدس، وأصلي الظهر عندكم، والعصر بمكة، والمغرب بالمدينة.!! فقلت له: تكون ضيفي، قال: لا سبيل إلى ذلك، ثم ودعني وانصرف".

هذا في أبن عطاء فهل تؤيد ما جاء من هذا الكلام حفظك الله؟

أما امتداحك للطريقة الشاذلية و كلامك عن الحضرة ولزوم البيعة لعالم ،،، إلخ

الحضرة الصوفية تكون: جالسة صامتة، أو جالسة صائتة، أو راقصة (بنقص أو من دون نقص).

وهذه من البدعة والإحداث في الدين ما ليس فيه.

نجد حكم عبد الله بن مسعود هذا في «سنن الدارمي»:

عن عمر بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه، قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة (أي الفجر)، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخَرَجَ عليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته، ولم أرَ والحمد لله إلا خيرًا. قال: فما هو؟ قال: إن عشت فستراه.. رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبّروا مائة مرة، فيُكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة مرة، فيُهللون مائة، فيقول: سبحوا مائة مرة، فيسبحون مائة. قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء. ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، وَيْحَكُم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء أصحابه متوافرون، وهذه ثيابه لم تبلَ، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا: والله! يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله، لا أدري، لعل أكثرهم منكم.

ومن أقوال الشاذلي: "لولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما يحدث في غد وما بعده إلى يوم القيامة".

(شذرات الذهب: ٥ـ٢٧٩).

وقيل للشاذلي: "من شيخك.؟ فقال: أما فيما مضى فعبد السلام بن مشيش، وأما الآن

فإني أسقى من عشرة أبحر، خمسة سماوية، وخمسة أرضية" .

(شذرات الذهب : ٥ـ٢٧٩) .

ومعلوم لدى الصوفية الشاذلية ادعاء أبي الحسن الشاذلي بأن الله هاتفه وكلمه

واليك بالصوت والصورة القبوري الحبيب علي الجفري شهادته بذلك :

http://almijhar.net/shazele.htm

كما أود منك النظر في هذا الحج للقبور والذي سأوثقه بالرابط التالي وكم هم يطلبون الرزق من الموتى، فهل هذا الفعل مأمورون به أم أنه بدعة أنغمس أصحابها في الشرك :

http://almijhar.net/kubur.htm

أنتظرك أسعدك الرحمن .

ردي على الأستاذ فايز المرزوقي:

أخي الحبيب الأستاذ فايز المرواني

أكرمك وأسعدك الله، ونحن معك والجميع

يا أخي من فهم من كلام ابن عطاء الله أنه يتهم العوام أو أحداً من خلق الله بأنهم أبناء زنا؛ يكون إما متجنياً عليه، وإما على غير وعي بمدلول اللغة. فالإمام يقصد الأبوة الروحية لا أبوة الجسد، وهذا من لوازم سلوك التصوف عند هذه الطائفة، وليس فرضاً على أحد ولم يلزمني أو يلزمك أحد بالانضمام إلى الصوفية، والعبرة بالموافقة للشرع، ويسأل عن ذلك بالقول: هل هذا موافق أم مخالف؟ ومما في المقال: " إذن المشيخة شيءٌ ضروريٌّ عند السادة الصوفية؛ فلابد لكل مريد من شيخ يسلكه الطريق عن طريق البيعة أو ما يعرف بالعهد أو القبضة، وكلها أسماء لمعنى واحد، هو علاقة الأبوة الروحية بين المريد السالك وشيخه المربي؛ حيث أن الشيخ سبق له سلوك الطريق عن شيخ أيضاً؛ وبالتالي عرف ما فيها، وطابت نفسه حتى أذن له في تسليك غيره بعد أن تحقق بالخبرة والإنابة، واتخذ البصيرة

وسيلة له في طريق تربيته للمريدين مقتدياً بسيد المربين والدعاة ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف ١٠٨) فإذا ما اتصف الشيخ بهذه الصفات؛ كان حرياً أن ينال التوقير القلبي من مريده الذي يرى فيه مثله الأعلى ونموذجه المقدم بعد سيد المربين سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ لأنه المسئول المباشر عن تربيته والوصول به إلى فضل الله ورحمته ورضاه".

ومما قلته كذلك في نقدي لبعض للصوفية: "ومن المعلوم أن التهم الموجهة للتصوف لم تأت من فراغ وإنما أتت بسبب ممارسات المدعين للتصوف الدخلاء على أهله المتزيين بزي رجاله الخارجين عن آدابه المنحرفين عن أخلاقياته، الذين اتخذوا الطريق مغنما لهم، كما أن هؤلاء الشواذ عن صحيح التصوف تجاوزوا كل الآداب والأصول؛ فأباحوا الاختلاط بين الجنسين وفيهم الشباب والمراهقون بدعوى الأخوة في الله ورحم الله الشيخ القائل: "إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تأخذوا عنه حتى تنظروا أعماله فإن كانت موافقة لكتاب الله وسنة رسوله فخذوا عنه، وإن كانت مخالفة فاتركوه فإنما هو شيطان". وكل هذا جهل مبين وحماقات مرفوضة، مع العلم أن أغلب هؤلاء صاروا شيوخ طرق عن طريق الوراثة أو المجاملة، بل أن بعض شيوخ الطرق يلجئون إلى الاستكثار من المريدين والخلفاء والنواب دون أن يضعوا في الاعتبار الضوابط والأسس التي قننها ورسمها سادتنا الصوفية الأوائل. وبسبب هذا السلوك المشين والبعيد كل البعد عن روح التصوف؛ أتيحت الفرصة للناقمين على التصوف، الكارهين لرجالاته لشن الحملات الهجومية على التصوف ككل وبهذا جنى هؤلاء الدخلاء المدعين جناية كبرى على التصوف الحق رغم أن التصوف برئ من هؤلاء اللصوص اللصقاء".

ومن كلام الإمام الواسطي الصوفي في نقد الصوفية، ومن تعقيبي كذلك: "وقال الواسطي معبراً عما كان عليه الصوفية وعما صاروا إليه في إشارات بليغة ومعبرة: كان للقوم إشارات

ثم صارت حركات ثم لم يبق منها إلا حسرات" . هذا عن عصره فكيف إذا شاهد أكثر صوفية عصرنا ؟ !" .

فالصوفية طائفة، فيها المعتدل وفيها الشاط عن الصواب، ومعظم كلام الصوفية يعتمد على مدلولات الألفاظ البلاغية لا على صورة اللفظ .

ولا بأس من إعادة نشر ما قاله الإمام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية في هذا المجال في كتابه : (الفتاوى الكبرى) ج١١ ص ١٧ ما نصه : "والصوفيون قد يكونون من أجَل الصديقين، بحسب زمانهم، فهم من أكمل صديقي زمانهم، والصديق في العصر الأول أكمل منهم ... ولأجل ما يقع من كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه، تنازع الناس في طريقهم، فطائفة ذمت الصوفية، والتصوف، وقالوا إنهم مبتدعون خارجون عن السنة وطائفة غالت فيهم، وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم، والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب" . والله أعلى وأعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ولما لم أجد تعقيبا بعد هذا ؛ توقف الحوار .

مسلك الختام: حديث الثقلين

بحث و تحقيق : محمد قوام الدين القمي الوشنوي

دار التقريب بين المذاهب، القاهرة

وكما بدأنا بالسادة أهل البيت ؛ نختتم بهم أيضا ؛ فهم نور البدء، ومسك الختام .

والختام عبارة عن بحث وتحقيق لحديث الثقلين قام به الباحث : محمد قوام الدين القمي الوشنوي . وقامت بتقديمه وطباعته ونشره : دار التقريب بين المذاهب، القاهرة .

وقد حاولت أن أقتصر في تقديمي لهذا البحث الهام على ما هو ضروري في موضوعه .

مقدمة دار التقريب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، حمد الشاكرين ، و الصلاة و السلام على سيد المرسلين ، محمد النبي الأمين، و على آله الطيبين الطاهرين و صحبه الهداة المهتدين، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : فهذه رسالة موجزة في تحقيق (حديث الثقلين) ألفها العلامة الفاضل الشيخ محمد قوام الدين القمي الوشنوي.

وهي على وجازتها قد استوعبت جميع روايات هذا الحديث وأسانيده وسلك فيها مؤلفها سبيل الحكمة والاعتدال، وأعرض عن مقام الشحناء والجدال، واستدل على ما قال بأدلة يرتضيها كل من الشيعة والسنة، ذات أسانيد ـ كما ذكر في آخر البحث ـ "معنعنة متصلة موصولة بواسطة أحد مشايخه الأعاظم ـ أدام الله تعالى ظله ـ الراوي عن علماء الإسلام بفرقهم المتشعبة من الإمامية والحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة والزيدية".

ودار التقريب حين تنشر هذه الرسالة المهداة إليها، إنما تنشرها لما يتجلى فيها من اتفاق بين هاتين الطائفتين العظيمتين من المؤمنين في أصول التشريع، فإن السنة المطهرة من أثبت العمد التي يبنى عليها أهل الإسلام جميعاً، ومتى صحت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم من أي طريق، كان على المؤمنين أن يتقبلوها راضين، وأن ينزلوا على حكم الله فيها ممتثلين ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت و يسلّموا تسليما﴾

دار التقريب

رجب الفرد سنة ١٣٧٤هجرية (مارس ١٩٥٥ ميلادية).

مقدمة المؤلف:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مظهر الحق وناصره، وخاذل الباطل ومبطله، والصلاة والسلام على خير من اصطفاهُ من خلقه، محمد خاتم رسله، وعلى آله سفن النجاة في أمته، وعلى أصحابه الذين تمسكوا وأخذوا واعتصموا بثقليه، وهما (الكتاب) الذي فيه الهدى والنور، وهو الثَّقل الأكبر، وحبله الممدود من السماء إلى الأرض، و(العترة) وهي الثقل الأصغر، أهل البيت، الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا.

أما بعد فهذا بحث بمناسبة ما نشر في العدد الرابع من السنة الثانية لمجلة (رسالة الإسلام) أهديه إلى (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية) التي هي مركز الاتصال بيت أهل العلم والدين والأمة، والعاملة على توثيق الروابط بين سائر الطوائف الإسلامية في العالم، يسرني أن يطلع عليه أهل العلم من إخواننا المسلمين في كل طائفة، فما قصدت به إلا جلاء حقيقة قد تغيب عن بعض الأذهان، في شأن حديث وردت به الأسانيد الصحيحة والروايات المتعددة في مختلف الكتب والمسانيد، وهو الحديث المعروف (حديث الثقلين)، وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث كاتبه، وقارئه ومبلغه، إنه سميع مجيب الدعاء.

مصادر حديث الثقلين:

هذا الحديث أخرجه أكابر علماء المذاهب قديماً وحديثاً في كتبهم من الصحاح، والسنن، والمسانيد، والتفاسير، والسير، والتواريخ، واللغة، وغيرها.

صحيح مسلم في الجزء السابع ص ١٢٢ .

سنن الترمذي في الجزء الثاني ص ٣٠٧ .

سنن الدرامي في الجزء الثاني ص ٤٣٢ .

مسند أحمد بن حنبل في الجزء الثالث ص ١٤ و ١٧ ، و ص ٢٦ و ٥٩ ، و في الجزء الرابع ص ٣٦٦ و ص ٣٧١ ، وأيضاً في الجزء الخامس (صلى الله عليه وآله) ١٨٢ ، ١٨٩

خصائص النسائي ص ,٣٠

مستدرك الحاكم في الجزء الثالث ص ١٠٩ و ١٤٨ و ٥٣٣

الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب في الباب الأول ص ١١ في بيان صحة خطبته بماء يدعى خُماً ، قال بعد نقل الحديث : أخرجه مسلم في صحيحه .

رواه أبو داود وابن ماجه القزويني في كتابيهما ، وأيضاً في الباب الحادي والستين ص ١٣٠

الطبقات لمحمد بن سعد الزهري البصري في الجزء الرابع ص ٨٠

الحلية لأبي نعيم الأصبهاني في الجزء الأول ص ٣٥٥

أسد الغابة لابن الأثير الجرزي في الجزء الثاني ص ١٢ وفي الجزء الثالث ص ١٤٧

العقد الفريد لابن عبد ربه القرطبي في الجزء الثاني في خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع ص ٣٤٦ و ص ١٥٨

تذكرة الخواص في الباب الثاني عشر ص ٣٣٢ لابن الجوزي، قال بعد نقل قول جده : "وقد أخرجه أبو داود في سننه، والترمذي أيضاً، وذكره رزين في الجمع بين الصحاح، والعجب كيف خفي عن جده ما روى مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم . . . الخ" .

إنسان العيون لنور الدين الحلبي الشافعي في الجزء الثالث ص ٣٠٨ .

ذخائر العقبى لأحمد بن عبد الله الطبري ص ١٦ .

السراج المنير للعزيزي الشافعي في شرح الجامع الصغير للسيوطي في الجزء الأول

ص ٣٢١، وفي هامشه أيضاً للشيخ محمد الحفني.

الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٤

نسيم الرياض الخفاجي في الجزء الثالث ص ٤١٠، وفي هامشه شرح الشفا لعلا القاري.

منتخب كنز العمال لعلا المتقي في هامش المسند للإمام أحمد بن حنبل في الجزء الأول ص ٩٦ و ١٠١، وفي الجزء الثاني ص ٣٩٠، وفي الجزء الخامس ص ,٩٥

الكشف والبيان للثعلبي في تفسير آية الاعتصام، وفي تفسير آية ﴿أيها الثقلان﴾

تفسير الإمام فخر الدين الرازي في تفسير آية الاعتصام في الجزء الثالث ص ١٨

تفسير النظام النيسابوري في تفسير آية الاعتصام في الجزء الأول ص ٣٤٩

تفسير الخازن في تفسير آية الاعتصام في تفسير الجزء الأول في ص ٢٥٧، وفي الجزء الرابع، في تفسير آية المودة ص ٩٤ ، وأيضاً في تفسير آية ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ ص ٢١٢

ابن كثير الدمشقي في تفسير آية المودة في الجزء الرابع ص ١١٣، وفي تفسير آية التطهير في الجزء الثالث ص ٤٨٥. وأيضاً في تاريخه في الجزء الخامس أو السادس في ضمن حديث الغدير.

المواهب العلية لحسين الكاشفي في تفسير آية ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾

النهاية لابن الأثير الجزري في الجزء الأول، وأيضاً في الدر المنثور للسيوطي ص ,١٥٥

لسان العرب لجمال الدين الأفريقي المصري في الجزء السادس في لغة العترة وفي الجزء الثالث عشر في لغة الثقل والحبل.

القاموس لمجد الدين الشيرازي في لغة الثقل.

تاج العروس لمرتضى الزبيدي في الجزء السابع في لغة الثقل.

منتهى الأرب لعبد الرحيم الصفي بوري في لغة الثقل.

شرح نهج البلاغة لابن الحديد المعتزلي في الجزء السادس في معنى العترة ص ١٣٠

مدارج النبوة لعبد الحق الدهلوي ص ٥٢٠

وقال شيرويه الديلمي في كتاب فردوس الأخبار: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيكم حبل من اتبعه كان على الهدى ومن ترك كان على الضلالة وأهل بيتي أذكركم في أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يعني الأخذ بهما ثقيل. وقال مجد الدين بن الأثير الجرزي في جامع الأصول سمي النبي (ص) القرآن العزيز وأهل بيته ثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بما يجب لهما ثقيل. وقال مسعود بن عمر التفتازاني في شرح المقاصد ألا ترى أنه (ص) قد قرنهم بكتاب الله تعالى في كون التمسك بهما منقذاً من الضلالة ولا معنى التمسك بالكتاب إلا الأخذ بما فيه من العلم والهداية فكذا في العترة. و قال السيوطي في الدر النثير في لغة الثقل إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي سماهما لعظم قدرهما ويقال لكل نفيس خطيرة: ثقل، أو لأن الأخذ بهما والعمل ثقيل (العبقات).

المناقب المرتضوية لمحمد صالح الترمذي الكشفي ص ٩٦ و ٩٧ و ١٠٠ و ٤٧٢

مفتاح كنوز السنة ص ٢ و ٤٤٨ .

مصابيح السنة للإمام البغوي الشافعي في الجزء الثاني ص ٢٠٥ و ٢٠٦

ابن حجر في الصواعق ص ٧٥ و ٨٧ و ٩٩ و ٩٠ و ١٣٦

إسعاف الراغبين في هامش نور الأبصار للشبلنجي ص ١١٠

ينابيع المودة لسليمان بن إبراهيم البلخي الحنفي ص ١٨ و ٢٥ و ٣٠ و ٣٢ و ٣٤ و ٩٥ و ١١٥ و ١٢٦ و ١٩٩ و ٢٣٠ و ٢٣٨ و ٣٠١ .

العلامة الكبير شمس سماء العلم و الجلالة و مجدد مذهب الإمامية، السيد مير حامد حسين الهندي، أعلى الله مقامه، قد رواه عن جماعة تقرب من المائتين من أكابر علماء المذاهب، من المائة الثانية إلى المائة الثالثة عشرة، و عن الصحابة و الصحابيات، أكثر من

ثلاثين رجلاً و امرأة كلهم رووا هذا الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم وهذا هو الحديث برواياته المتعددة:

نص الحديث:

" أيها الناس إنما أنا بشرٌ أوشكُ، أو يُوشكُ، أو إنيَ لأظُن أنْ أُدعَى فأجيبَ، أو أنْ يأتِيني، أو يأتيَ رَسُولُ رَبّي، فأجيبَ، أوْ فأجيبَهُ، أو كأنّي قَدْ دُعيتُ فأَجبْتُ، وإني، أو أنا تارك ، أو تركْت، أو قدْ تركْتُ، أو خلَفْتُ، أو مُخلفٌ فيكم، الثَّقَلين، أو ثَقَليْن، أو أمْرَيْنِ، أو الثَّقلينِ خَليفَتَيْن. أو اثْنَين، أو مَا إنْ تمسّكْتُمْ به، أو ما إنْ أخذْتُمْ به، أو مَا إنْ اعْتَصَمْتُمْ به، لن تَضلوا بَعْدي، أو لنْ تضلوا أبداً، أو لنْ تَضلوا، إن اتبعتُمُوهُما، أو وإنَّكُم لنْ تَضلوا بَعْدَهما، وهُما كتابُ الله، و أهلُ بيْتي عِتْرتي، أحدَهما أثقلُ منَ الآخَرِ، أو كتُاب الله، حبلٌ ممدود، أو كتابُ الله فيه الهُدَى و النُورُ، أو الصِّدقُ، أو كِتابُ رَبّي وعِترتي أهلُ بيتي أو وعترتي وهم أهل بيتي أو وعِترتي أهلُ بَيتي وقرَابتي، أو أهلُ بَيتي، أو نَسَبي، و إنّهُما لنْ يتَفرقْا، أو لنْ يَفْتَرقا، أو أن لاّ يَفْترقا، أو إنَهُما لقَرينان لنْ يَفْتَرقا، حتَّى يردَا عليَّ الحوضَ، فانظرُوا، أو فاتَّقُوا الله، وانظرُوا كيف تخلفُوني، أو تحْفَظوني فيهمَا، أو فانْظرُوا كيفَ تَلحقُوا بي فيهمَا، أو بمَ، أو بما، أو مَاذا، أو ما تخْلفُوني فيهما، أو إنَ اللطيفَ الخبيرَ أخبرني، أو نَبّأني، أو أَنْبأني، أنهُما لنْ يَفْتَرقَا حتَّى يلقيانِي، سَألتُ ذَلكَ رَبي فأعْطاني، فلا تَسبقوهُم فتهلكوا، وَلا تُعَلموهم فإنَّهُمْ أعْلمُ منكمْ، أو فاسْتَمْسكوا بهما وَلا تَضلوا، أو إنّهما لنْ ينقَضيا حتى يَرِدا عليَّ الحوضَ، أو سألتُهُما رَبي فوَعَدَني أنْ يُوردَهُما عليّ الحوضَ، أو سألتُه ذَلكَ لهُما والحوض عرضه ما بين بُصرى إلى صنعاء، فيه من الآنية عدد الكواكب، أو إنّ اللطيفَ الخبيرَ عَهد إليّ أنَهما لنْ يَفْترقا حتَى يَرِدَا عليّ الحوضَ كهَاتَين، وأشار بالسبابتين، أو إني فرطكم، وإنكم تبعي، وتوشكونَ أنْ تَرِدوا عليّ الحوضَ، وأسألكمْ، أو سائِلكمْ، حينَ تلقونّي عنْ ثَقَلي، أو إني سَائِلكمْ حينَ ترِدون عليّ عن الثقلين: كيفَ خَلَفْتُموني فيهما، أو وإنَ الله سائلي و سَائلكمْ

فماذا أنتم قائلونَ. أو إني لكم فرط، وإنكم واردونَ عليَّ الحوضَ فانظرُوا كيفَ تخلفوني في الثقلينِ. قيل، أو قلنا، أو قالوا، وما الثقلانِ؟ قال صلى الله عليه و آله و سلم: كتابُ الله طرفُهُ بيدِ الله، وطرفُهُ بأيديكمْ، أو قال، الأكبرُ، أو الثقلُ الأكبرُ. أو الأكبرُ منهُما، أو أولهُما، أو أحدُهُما، كتابُ الله، والأصغرُ، أو الثقل الأصغرُ، أو والآخرُ عترتي، فمن استقبلَ قبلتي، وأجابَ دعْوتي. فليستوصِ بِهما خيراً، أو أوصيكمْ بكتَابِ الله وعِترتي. أو حَسْبُكم كتابُ الله وعِترتي، أحدُهما أعظَمُ منَ الآخرِ، أو قال إني سائلكم عنِ اثنين: عنِ القرآن وعن عِترتي. أو إنَّ الله سائلكمْ كيفَ خلفتُموني في كتابه وأهلِ بيتي، أو إني تاركٌ فيكمْ ما إنْ تمسكتُم به لنْ تَضلوا، أو ما إنْ أخذتمْ به لنْ تَضلوا بَعْدي: أمريْنِ أحَدُهُما أكبرُ منَ الآخرِ، سُببٌ موصولٌ من السَّماء إلى الأرضِ، أو إني تاركٌ فيكم الثقلينِ خلفي: كتاب الله وعِترتي. أو قدْ تركتُ فيكم مَا لم تَضِلوا بَعدَه، أو إني تركتُ فيكم الثقلينِ، الثقلَ الأكبرَ والثقلَ الأصغر، وأما الثقلُ الأكبرُ فبيد الله طَرَفُه والطرفُ الآخرُ بأيدكم، وهو كتابُ الله، إنْ تمسكتم به لنْ تَضِلوا ولنْ تَذلوا أبداً، أو فاستَمْسكوا به فلا تضلوا، ولا تبدلوا، أو فتَمسَكوا به لنْ تُزالوا ولنْ تَضلوا، وأمّا الثقلُ الأصغرُ فعترتي أهلُ بيتي، أو ألاَ وعترتي، أو أذكرُكم اللهَ في أهل بيتي، قالهَا مَرةً، أو مَرتين، أو ثلاثَ مرات، أو إنّ الله عزَّ و جلّ أوحى إليّ أني مَقْبوض، أقُولُ لكم قولاً إنْ عملتُمْ به نَجوتُمْ، وإن تركْتُموهُ هَلكْتُمْ، إنَّ أهلَ بيْتي وعِترتي هُم خاصّتي وحامّتي، وإنّكم مَسْؤلون عن الثقلينِ، كتابِ الله وعِترتي، إنْ تَمسّكْتُم بهما لنْ تَضلوا، أو إنكم لنْ تَضِلوا إنْ اتبعتُمْ واستَمسكتمْ بهما، أو إني تاركٌ فيكمْ كتابَ الله وعِترتي أهْل بيتي. فهُما خليفتانِ بَعْدي، أحَدُهما أكبرُ منَ الآخرِ، أو إني تارك فيكم الثقلين: كلامَ اللهِ وعترتي، ألاَ فَتمسكوا بهما فإنهُمَا حَبْلانِ لاَ يَنْقَطِعانِ إلى يَوم القيامَة.

وقال: «أيها النّاس يُوشكُ أنْ أقْبَضَ قَبْضاً سريعاً فينْطلَقَ بي وقد قَدمتُ إليكم القولَ مَعْذرةَ إليكم. ألا إني مُخلفٌ فيكمْ كتابَ رَبي عز وجلّ وعِترتي أهلَ بيتي، ثم أخذ بيد علي

فقال هذا عليَ مع القرآن، والقرآن مع عليَ لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض، فأسألهُما ما خلفتُ فيهما" .

طرق الحديث:

والطرق المروية لهذا الحديث لعلها تبلغ ستين طريقاً أو أكثر، وكلها متفقة على نقل لفظي الكتاب والعترة، أو أهل بيتي، أو هما معا، وهو الأكثر، وإن اختلفت في نقل سائر الألفاظ صدراً وذيلاً، كما أومأنا إليها قبلا.

و قال ابن حجر في الصواعق المحرقة:

"ثم اعلم أن لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف و عشرين صحابياً، وفي بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بعرفة، وفي آخر أنه قال بغدير خم، وفي آخر أنه قال بالمدينة في مرضه، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه. وفي آخر أنه قال لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف، ولا تنافي إذ لا مانع أنه كرر عليهم في تلك المواطن وغيرها، اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة.

وقال أيضاً في ص ١٣٦:

"ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع و عشرين صحابياً لا حاجة لنا ببسطها" .

وقال سليمان بن إبراهيم البلخي الحنفي في ينابيع المودة نقلا عن الشريف السمهودي المصري في جواهر العقدين، قال بعد إيراد طرق عدة لهذا الحديث:

"وفي الباب زيادة على عشرين من الصحابة، ورواه شمس الدين السخاوي في الاستجلاب عن أبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم، ثم قال: "وفي الباب عن جابر وحذيفة بن أسيد، وخزيمة بن ثابت، وسهل بن سعد، وضُميرة، وعامر بن ليلى، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعدى بن حاتم، وعقبة بن عامر، وعلي بن أبي طالب،

وأبي ذر، وأبي رافع وأبي شريح الخزاعي، وأبي قدامة الأنصاري، وأبي هريرة، وأبي الهيثم بن التيهان، ورجال من قريش. وأم هانية بنت أبي طالب. وأم سلمه. رضوان الله عليهم، انتهى كلام شمس الدين السخاوي على ما حكاه عنه السيد مير حامد حسين الهندي صاحب العبقات، في الجزء الثاني من حديث الثقلين.

وقال صاحب العبقات:

"ورواه علي بن أبي طالب عليه السلام، وحسن بن علي المجتبى عليه السلام، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وابن عباس، وأبو سعيد، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو الهيثم بن التيهان، وحذيفة بن اليمان، وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، وحذيفة بن أسيد الغفاري، وخزيمة بن ثابت، ذو الشهادتين، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة، وعبد الله بن حنطب، وجبير ابن مطعم، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك، وطلحة بن عبيد الله التميمي، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن العاص، وسهل بن سعد وعدى بن حاتم، وعقبة بن عامر، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو شريح الخزاعي، وأبو قدامة الأنصاري، وأبو ليلى الأنصاري، وضميرة الأسلمي، وعامر بن ليلى بن ضمرة، والمعصومة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، وأم سلمة، وأم هاني، ومدرك رواية هؤلاء الصحابة والصحابيات، مضافاً إلى ما تقدم.

وأما ما رواه بعض الأعلام في تفسير آية الاعتصام فإن كان المراد منه، ما روي عن الإمام مالك في الموطأ بلاغاً، وعن الطبراني في الكبير، وابن هشام في السيرة، وابن حجر في الصواعق مرسلا، فقد ظهر مما قدمناه أنه غير حديث الثقلين قطعاً، وكذا يظهر مما ذكره ابن حجر وكمال الدين الجهرمي وصاحب المرقاة في الصواعق والمنح المكية، والبراهين القاطعة والمرقاة.

قال ابن حجر في مواضع من الصواعق، منها بعد قوله: "وفي رواية كتاب الله وسنتي،

قال : وهي المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب ، لأن السنة مبينة له . فأغنى ذكره عن ذكرها و منها قوله :

"إذ لا مانع من أنه صلى الله عليه وآله وسلم كرر عليهم ذلك في تلك المواطن اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة" .

ومنها قوله : تنبيه سَميَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن وعترته وهي بالمثناة الفوقية الأهل والنسل والرهط الأدنون ثقلين ، لأن الثقل كل نفيس خطير مصون ، وهذان كذلك إذ كل منهما معدن للعلوم الدينية والأسرار والأحكام الشرعية ، لذا حث صلى الله عليه وآله وسلم على الإقتداء بهم والتعلم منهم ، وقال الحمد لله الذي جعل الحكمة فينا أهل البيت . إلى أن قال : ويؤيده الخبر السابق" ولا تُعلموهم فإنهم أعلم منكم ، وتميزوا بذلك عن بقية العلماء لأن الله أذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً ، وشرفهم بالكرامات الباهرة ، والمزايا المتكاثرة ، وقد مر بعضها وسيأتي الخبر الذي في قريش وتعلموا منهم فإنهم أعلم منكم ، فإذا ثبت هذا العموم لقريش ، فأهل البيت أولى منهم لأنهم امتازوا عنهم لخصوصيات لا يشاركهم فيها بقية قريش . وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة ، كما أن الكتاب العزيز كذلك ، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي ، ويشهد لذلك الخبر السابق "في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي" إلى آخره ثم أحق مَن يُتَمسك به منهم : إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، لما قدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته ومن ثم قال أبو بكر : عليّ عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي الذين حث على التمسك بهم . فخصه لما قلناه ، كذلك خصه صلى الله وآله وسلم بما مر يوم غدير خُم ، ومنها نعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقدموهما فتهلكوا ، و لا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم . قال : وقوله دليلٌ على أن من تأهل منهم للمراتب العلية والوظائف الدينية كان مقدماً على غيره ،

ومنها قوله في المنح المكية في شرح قصيدة الهمزية:

آل بيت النبي إن فؤادي ... ليس يسليه عنكم التأساءُ

قال وفي الحديث أيضاً: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي. فليُتأمل أنه صلى الله عليه وآله و سلم قرنهم بالقرآن في أن التمسك بهما يمنع الضلال ويوجب الكمال.

وقال صاحب كتاب المرقاة - على القاري - في شرح المشكاة في مواضع منه. منها بعد ذكر الكتاب:

"ومن جملة كتاب الله العمل بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقوله سبحانه ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾

و قال الطيبي: وقوله صلى الله عليه وآله وسلم "إني تارك فيكم" إشارة إلى أنهما بمنزلة التوأمين الخَلَفَين عن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم وأنه يوصي الأمة بحسن المعاشرة معهما، وإيثار حقهما على أنفسهم، كما يوصي الأب المشفق لأولاده، ويعضده الحديث السابق في الفصل الأول "أذكركم الله في أهل بيتي" كما يقول الأب المشفق "الله الله في حق أولادي".

ثم قال: أقول الأظهر هو أن أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم، المطلعون على سيرته، الواقفون على طريقته، العارفون بحكمه وحكمته، وبهذا يصلح أن يكونوا مقابلا لكتاب الله سبحانه كما قال }ويعلمهم الكتاب والحكمة{ ويؤيده ما أخرجه أحمد في المناقب عن حميد بن عبد الله بن زيد أن النبي صلى الله عليه و آله وسلم ذكر عنده قضاء علي بن أبي طالب عليه السلام فأعجبه و قال "الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت" انتهى.

وقال المناوي في فيض القدير:

"إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله، حبل ممدود ما بين السماء و الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض- أي الكوثر- يوم القيامة" . وزاد في رواية "كهاتين" وأشار بأصبعيه، وفي هذا مع قوله أولا "إني تارك فيكم" تلويح بل تصريح بأنهما كتوأمين خلفهما ووصى أمته بحسن معاملتهما، وإيثار حقهما على أنفسهم، والاستمساك بهما في الدين، أما الكتاب فلأنه معدن للعلوم الدينية، والحكم الشرعية، وكنوز الحقائق، وخفايا الدقائق. وأما العترة فلأن العنصر إذا طاب أعان على فهم الدين. فطيب العنصر يؤدي إلى حسن الأخلاق، وحسنها يؤدي إلى صفاء القلب ونزاهته وطهارته.

قال الحكيم "والمراد بعترته هنا العلماء العاملون منهم إذ هم الذين لا يفارقون القرآن، ثم قال: تنبيه قال الشريف السمهودي- : "وهذا الخبر يفهم منه وجود من يكون أهلاً للتمسك من أهل البيت والعترة الطاهرة في كل زمان إلى قيام الساعة، حتى يتوجه الحث المذكور إلى التمسك به كما أن الكتاب كذلك. فلذلك كانوا أماناً لأهل الأرض.

تنبيهات:

وينبغي التنبيه على أمور:

الأول: إنا لا ننكر ورود النص في التمسك بالسنة المحمدية. (في مثل: كتاب الله وسنتي) بل المراد أن تلك النصوص غير حديث الثقلين المتفق عليه بين فرق الإسلام.

الثاني: ما أوردته في طي هذه الأوراق يعلم الله جل جلاله أني لم أرد به الجدال والشحناء بل ذكرته إيقاظاً للبصائر والأبصار. فإن المؤمن مرآة المؤمن والمسلمون يد واحدة على من سواهم. عصمنا الله من الزلل في القول و العمل.

الثالث: ما أودعته في هده الرسالة من كلمات فطاحل إخواننا أهل السنة نقلته عن كتبهم، وأسانيدي إلى أرباب تلك الكتب معنعنة متصلة موصولة، بواسطة أحد مشايخي الأعاظم أدام الله تعالى ظله - يعني الآية العظمى السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، النزيل بقم - الراوي عن علماء الإسلام بفرقهم المتشعبة من الإمامية والحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة والزيدية.

وقد وقع الفراغ من هذه الرسالة في اليوم الخامس والعشرين من شهر شعبان المعظم سنة ١٣٧٠، و ألفها أقل خدمة أهل العلم: محمد قوام الدين القمي الوشنوي.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين.

●●●●●●

كلمة حب

وبعد فهذا الكتاب جهد بشري لعبدٍ ضعيفٍ أراد به الوصول إلى حبٍ صحيح لسادتنا أهل البيت دون غلوٍ، أو جفاء. كما أراد أن ينقل آراء ووجهة نظر كل فريق للقراء؛ ليقفوا على ما يدور في ساحاتنا الفكرية من جدل؛ ناتج عن جهلٍ أو تعصبٍ، كما أنه دعوة للوحدة والتقريب بين جميع المذاهب الإسلامية؛ ليجد الكل فرصة للتعايش مع الآخرين، مع عدم إلزام أي فريق بالتخلي عن صحيح معتقده؛ وإنما هو الاتفاق على المشترك بيننا جميعاً.

فلو ترك إخواننا الشيعة مثلا الطعن في سادتنا الصحابة، وسيداتنا أمهات المؤمنين، وتبرأوا حقاً من ادعاء ـ المتطرفين منهم ـ تحريف القرآن الكريم؛ لكان التشيع محبوباً.

ولو تخلى المتصوفون عن الأعمال المجافية لروح التصوف الصحيح كالمغالاة في الشيوخ والأضرحة، والاختلاط في الموالد؛ لكان التصوف مطلوباً.

ولو ترك المتطرفون من تيار السلفية المعاصر اتهام الشيعة عامة بالكفر، وتركوا اتهام المتصوفين من أهل السنة بالكفر والشرك أيضاً؛ لكان التمسك بتدينهم مرغوباً.

ولماذا لا نأخذ من التشيع العاطفة الفياضة بحب سادتنا أهل البيت، وكثرة ذكرهم ونشر تراثهم، وندع ما دون ذلك؟!.

ولماذا لا نأخذ من التصوف جمال التربية الروحية، والحرص على الأذكار. وندع ما سوى ذلك؟!

ولماذا لا نعالج ونهذب هذا التطرف. ونستفيد من الحماس الشبابي بالذات فيما يعود عليهم وعلى تدينهم بالنفع العام، ونتخلى عن تكفير البلاد والعباد؟!.

لو حدث كل هذا؛ لكان في ذلك الخير الكثير للأمة جمعاء. وعشنا أخوة متحابين كما

أراد الله لنا نجتمع على حب السادة أهل البيت ؛ فحبهم من حب سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى أله وصحبه وسلم ـ وحب سيدنا رسول لله من حب الله ـ عز وجل ـ وأكرر ما قلته سابقاً : "إن حب سادتنا أهل البيت ؛ نعمة من أجَلّ النعم ، ومنحة من أعظم المنح ، وعطية من أكبر العطايا ، فالواجب على من فاز بهذا الحب الأكبر ؛ أن يكثر من شكر الله أن وفقه ، وجعله مستجيباً ، ومتصفاً بما أخرجه الترمذي وحسنه ، والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أحبّوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني لحبّ الله ، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي" .

ولا أستطيع القول بأن كتابي هذا قد خلا من الهفوات ، أو تنزه عن العيوب ، أو أنه فوق النقد له ، أو الطعن فيه ، كما يمكنني القول بأنه جهد المقل ، على حسب الإمكان والطاقة قابل للنقد ، والأخذ والرد . ونظراً لاختلاف البشر في أفكارهم وسلوكهم ؛ سيجد قوماً من المادحين له ، كما سيجد كذلك من القادحين فيه ، وإنني مستعد لتقبل كل رأي من أي نوع . وسأضع هنا هواتفي وبريدي لمن أراد الاتصال أو المراسلة . وكلنا كبشر يؤخذ من قولنا ويرد إلا المعصوم ـ صلى الله عليه وعلى أله وصحبه وسلم ـ وإذا كنت قد أخطأت في شيء ؛ فهذا من عيوبي ، وإن كنت قد أصبت ؛ فهذا من فضل الله وتوفيقه ـ عز وجل ـ وأقول بما قاله العماد الأصفهاني :

" . . لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غيّر هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدّم هذا لكان أجمل . . وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر . . "

والحمد لله في البدء وفي الختام . أسأل الله ـ عز وجل ـ أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه .

ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، كما أسأله ـ سبحانه ـ أن يهبنا حباً صادقاً خالصاً لسادتنا أهل البيت، وأن يشفينا بهم من كل داءٍ، وينجينا من كل همٍ ووهم وكرب وسوء وشدة، وأن يجمعنا بهم في الدنيا والآخرة؛ إنه هو المجيب الواحد. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وجميع أحبابهم؛ صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكان الانتهاء من الكتاب؛ بتوفيق الله تعالى وفضله. في قرية عرب مطير

الجمعة غرة رجب الخير ١٤٢٩هـ الموافق ٤ يونيه ٢٠٠٨م

الفهرس العام للكتاب

تابع الفهرس العام للكتاب

تابع الفهرس العام للكتاب

تابع الفهرس العام للكتاب

تابع الفهرس العام للكتاب

تابع الفهرس العام للكتاب

تابع الفهرس العام للكتاب

تابع الفهرس العام للكتاب

عناوين للمراسلة والتواصل

الاسم : سيد سليم سلمي محمد

العنوان : مصر ، أسيوط ، الفتح ، عرب مطير

رمز بريدي : ٧١٧١٤

البريد الالكتروني :

HYPERLINK "mailto:Sayed.saleem@hotmail.com"

Sayed.saleem@hotmail.com

sayedsaleem@maktoob.com

مدوناتي على الشبكة :

http://sayedsaleem.maktoobblog.com/

http://www.tadwena.com/profiles/sayedsaleem/

HYPERLINK "http://sayedsaleem.jeeran.com/profile/" http://

sayedsaleem.jeeran.com/profile/

صفحتي وديواني على موقع أبيات :

HYPERLINK "http://www.abyat.com/poet.php?id=405" http://

www.abyat.com/poet.php?id=405

ت منزل : ٠٨٨٢٤٤٠٢٦٣ جوال ٠١٠٣٨٢١٧٩٩ أو ٠١١٥١٣٨٩٨٨

صدر للكاتب

• دواوين شعر:

- نفثات روح ١٩٩٧ ، الجمعية المصرية لرعاية المواهب
- أصداء نفس ، الجمعية المصرية لرعاية المواهب١٩٩٨
- نفحات قلب في حب أهل البيت ، الجمعية المصرية لرعاية المواهب٢٠٠٠

• كتب ودراسات وحوارت:

- من كنوز الشعر والحكمة ، دار النيل للطباعة والنشر

أحلى عشرين قصيدة في حب أهل البيت ، دار النيل للطباعة والنشر

- الجماعات المتطرفة معايشة وحوارات ، دار النيل للطباعة والنشر
- ط ٢ ،أحلى عشرين قصيدة في حب أهل البيت ، دار غريب للطباعة والنشر

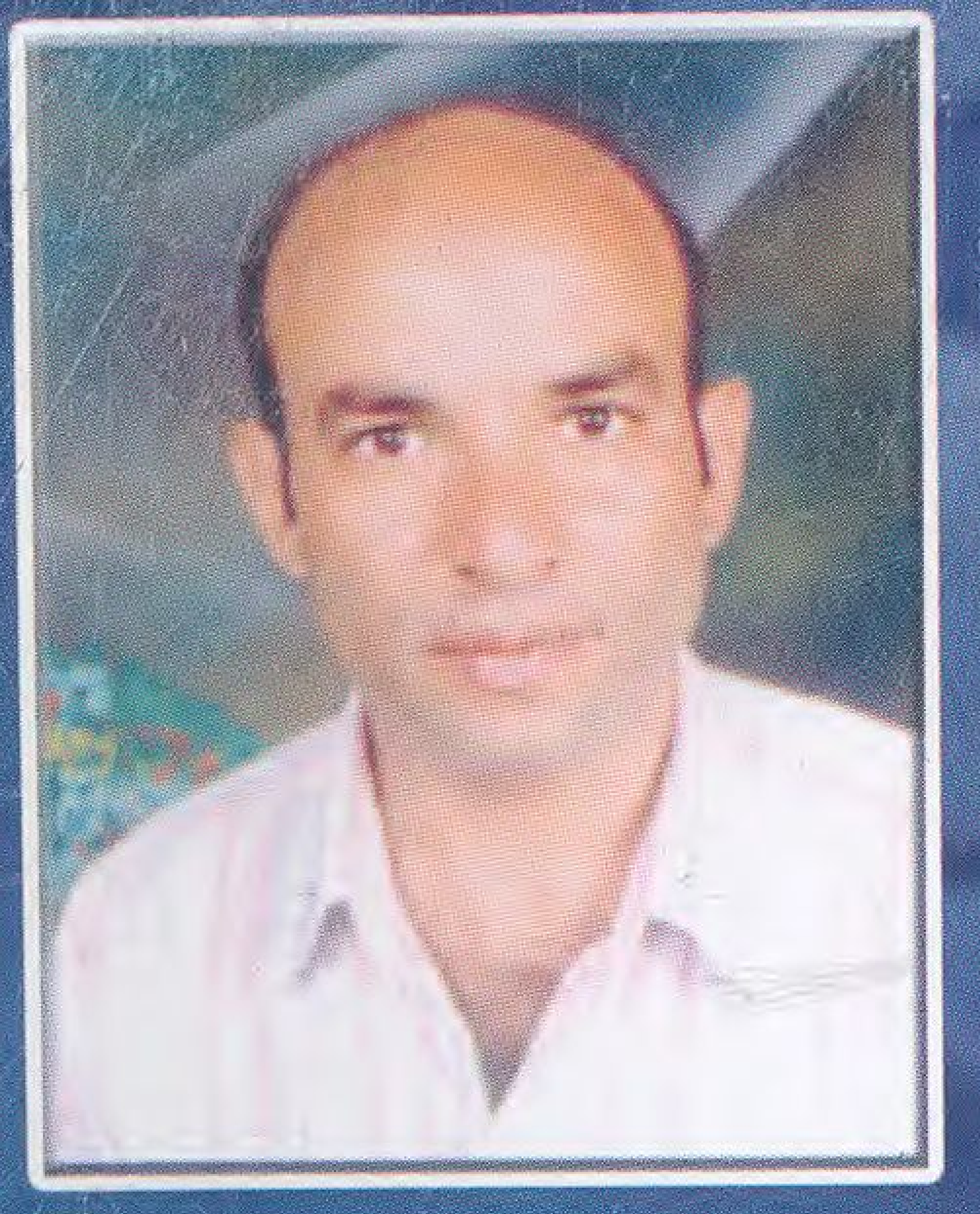
• دراسات عن الكاتب:

- دراسة ماجستير عن الشعر الوطني لشعراء أسيوط في النصف الثاني للقرن العشرين ، ضمن مجموعة شعراء ، كلية الآداب ، جامعة سوهاج
- دراسة دكتوراة عن الشعر الديني لشعراء أسيوط ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر
- دراسة دكتوراة عن مكة عند شعراء مصر المعاصرين ، كلية اللغة العربية ، الرياض
- دراسة نقدية عن مختارات الشاعر : (أحلى عشرين قصيدة في حب أهل البيت)

- مجموعة من الدراسات النقدية والمقالات للشاعر في الصحف والمجلات المحلية والدولية

● الجوائز والتكريم:

- جائزة في اللقاء القمي للشعراء الشبان ١٩٩٤
- الميدالية البرونزية وشهادة تقدير في اللقاء الإبداعي ١٩٩٧
- جائزة في المسابقة الفكرية الكبرى ١٩٩٨
- الجائزة الأولى في مسابقة رواد الفكر١٩٩٨
- درع السادة الأشراف، دولة الكويت٢٠٠٥



هذا الكتاب

هذا الكتاب جهد بشري لعبد ضعيف أراد به الوصول إلي حب صحيح لسادتنا أهل البيت دون غلو، أو جفاء، كما أراد أن ينقل آراء ووجهة نظر كل فريق للقراء؛ ليقفوا علي ما يدور في ساحاتنا الفكرية من جدل؛ ناتج عن جهل أو تعصب، كما أنه دعوة للوحدة والتقريب بين جميع المذاهب الإسلامية؛ ليجد الكل فرصة للتعايش مع الآخرين، مع عدم إلزام أي فريق بالتخلي عن صحيح معتقده؛ وانما هو الاتفاق على المشترك بيننا جميعا.

فلو ترك إخواننا الشيعة مثلا الطعن في سادتنا الصحابة، وسيداتنا أمهات المؤمنين، وتبرأوا حقا من ادعاء المتطرفين منهم، تحريف القرآن الكريم؛ لكان التشيع محبوباً.

ولو تخلى المتصوفون عن الأعمال المجافية لروح التصوف الصحيح كالمغالاة في الشيوخ والأضرحة، والاختلاط في الموالد؛ لكان التصوف مطلوباً.

ولو ترك المتطرفون من تيار السلفية المعاصر اتهام الشيعة عامة بالكفر، وتركوا اتهام المتصوفين من أهل السنة بالكفر والشرك أيضاً؛ لكان التمسك بتدينهم مرغوباً.

ولماذا لا نأخذ من التشيع العاطفة الفياضة بحب سادتنا أهل البيت، وكثرة ذكرهم ونشر تراثهم، وندع ما دون ذلك؟!

لماذا لا نأخذ من التصوف جمال التربية الروحية، والحرص على الأذكار، وندع ما سوي ذلك؟!

ولماذا لانعالج ونهذب هذا التطرف، ونستفيد من الحماس الشبابي بالذات فيما يعود عليهم وعلي تدينهم بالنفع العام، ونتخلى عن تكفير البلاد والعباد؟!.

لو حدث كل هذا؛ لكان في ذلك الخير الكثير للأمة جمعاء، وعشنا أخوة متحابين كما أراد الله لنا نجتمع على حب السادة أهل البيت؛ فحبهم من حب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى أله وصحبه وسلم، وحب سيدنا رسول الله من حب الله، عزوجل، وأكرر ما قلته سابقا: "إن حب سادتنا أهل البيت؛ نعمة من أجلّ النعم، ومنحة من أعظم المنح، وعطية من أكبر العطايا، فالواجب علي من فاز بهذا الحب الأكبر؛ أن يكثر من شكر الله أن وفقه، وجعله مستجيبا، ومتصفا بما أخرجه الترمذي وحسنه، والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحبّ الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي".

ولا أستطيع القول بأن كتابي هذا قد خلا من الهفوات، أو تنزه عن العيوب، أو أنه فوق النقد له، أو الطعن فيه، كما يمكنني القول بأنه جهد المقل، علي حسب الإمكان والطاقة قابل للنقد، والأخذ والرد. ونظرا لاختلاف البشر في أفكارهم وسلوكهم؛ سيجد قوما من المادحين له، كما سيجد كذلك من القادحين فيه، واني مستعد لتقبل كل رأي من أي نوع، وسأضع هنا هواتفي وبريدي لمن أراد الاتصال أو المراسلة. وكلنا كبشر يؤخذ من قولنا ويرد إلا المعصوم، صلى الله عليه وعلى أله وصحبه وسلم، واذا كنت قد أخطأت في شيء؛ فهذا من عيوبي، وإن كنت قد أصبت؛ فهذا من فضل الله وتوفيقه، عزوجل.

